تذكرة الأعيان

بسم الله الرحمن الرحيم

تذكره الاعيان

كاتب:

جعفر سبحانى

نشرت فى الطباعة:

موسسه الامام الصادق عليه السلام

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
تذکرة الاعیان ----- ۱۷
اشارة ----- ۱۷
[مقدمة المؤلف] ----- ۱۷
[قائمة فی ترجمة طائفة من الفقهاء و العلماء الإمامیة] ----- ۱۸
۱- محمد بن مسلم بن رباح الثقفی الطائفی (۸۰- ۱۵۰ ه) ----- ۱۸
خریج جامعة الامام الصادق- علیه السلام ----- ۱۸
مکانة محمد بن مسلم عند الصادقین علیهما السّلام ----- ۲۰
محمد بن مسلم فی الکتب الرجالیة ----- ۲۳
الأصول الأَربعمائة للشیعة ----- ۲۴
۲- زرارة بن أعین الکوفی الشیبانی (۸۰- ۱۵۰ ه) ----- ۲۵
مسند زرارة و المسانید فی الجوامع الحدیثیة ----- ۲۵
الشیعة هم أهل السنّة حقیقة ----- ۲۶
مشایخه فی الروایة ----- ۲۷
بیت آل أعین ----- ۲۸
المدوّنات فی الحدیث و أقسامها ----- ۲۹
۳- السید علی بن الحسین الموسوی الشریف المرتضی (۳۵۵ ۴۳۶ ه) ----- ۳۱
أکاذیب مزیفة فی حیاة المرتضی ----- ۳۱
اشارة ----- ۳۱
المرتضی خائض فی دماء ----- ۳۳
۲- المرتضی شحیح و الرضیّ سخی! ----- ۳۴
الشریف الرضی ----- ۳۸
۴- الشیخ سعد الدین بن نحریر بن عبد العزیز ابن البراج (۴۰۰- ۴۸۱ ه) ----- ۴۱

مکانة الفقه ----- ۴۱
إکمال الشریعة بتمام أبعادها ----- ۴۲
بماذا یتحقّق الکمال؟ ----- ۴۳
لکلّ شیء أصل فی الکتاب و السنّة ----- ۴۴
عدد الأَئمة ----- ۴۹
إحاطة العترة بالسنّة ----- ۴۹
کیفیة بیان الفقه عند الإمامیة ----- ۵۰
مبدأ تطور الفقه عند الشیعة الإمامیة ----- ۵۱
أضواء علی حیاة المؤَلف ----- ۵۸
میلاده: ----- ۵۸
منزلته العلمیة ----- ۵۹
اشارة ----- ۵۹
زمالته للشیخ ----- ۵۹
استمرار الاجتهاد و المناقشة فی آراء الشیخ ----- ۶۲
منزلته عند الشیخ الطوسی ----- ۶۲
أساتذته ----- ۶۴
عام تألیف الکتاب ----- ۶۵
تلامیذه ----- ۶۶
تآلیفه ----- ۶۹
الشیعة و التشریع الإسلامی تدویناً و تطویراً ----- ۷۰
اشارة ----- ۷۰
موقف الشیعة من السنّة النبویة: ----- ۷۳
اشارة ----- ۷۳
الطبقة الأولی ----- ۷۳

الطبقة الثانية ----- ۷۴
لا قياس و لا استحسان و لا.. ----- ۷۵
مراحل تدوين الفقه و تطويره ----- ۷۵
اشاذة ----- ۷۵
القاضی ابن البرّاج ----- ۷۶
الشريف المرتضی (۳۵۵ ۴۳۶ ه) ----- ۷۷
شيخ الطائفة، محمّد بن الحسن الطوسی (۳۸۵ ۴۶۰ ه) ----- ۷۹
كلمة السيد المحقّق البروجردی (۱۲۹۲ ۱۳۸۰ ه) ----- ۸۰
۵- أحمد بن علی بن أبی طالب الطبرسی (.. حوالی ۵۵۰ ه) ----- ۸۰
المعارف و العقائد بين التشبيه و التعطيل ----- ۸۰
اشارة ----- ۸۰
نظرة إجمالية فی كتابين: ----- ۸۲
تقييم كتاب الاحتجاج ----- ۸۵
حياة الطبرسی ----- ۸۷
اشارة ----- ۸۷
تآليفه ----- ۸۸
المعروفون بالطبرسی ----- ۸۹
هل الطبرسی منسوب إلی طبرستان؟ ----- ۸۹
۶- أبو الحسن علی بن الحسن بن أبی المجد الحلبی (من أعيان القرن السادس) ----- ۹۱
العقيدة و الشريعة أو الفقه الأَكبر و الفقه الأَصغر ----- ۹۱
اشارة ----- ۹۱
ترجمة المؤَلّف: ----- ۹۲
الماع إلی كتاب إشارة السبق: ----- ۹۴
۷- السيد أبو المكارم حمزة بن علی الحسينی ابن زهرة الحلبی (۱۱۵- ۵۸۵ ه) ----- ۹۴

التشيّع فی حلب عبْر القرون و ترجمة المؤَلف ---- ۹۴
اشارة ---- ۹۴
حلب الشهباء و جمالها الطبيعی ---- ۹۵
التشيّع فی حلب عبْر القرون ---- ۹۶
نسب المؤَلف ---- ۱۰۰
اشارة ---- ۱۰۰
أبوه: علی بن زهرة ---- ۱۰۱
جدّه أبو المحاسن «۲» زهرة ---- ۱۰۲
أقطاب الطائفة فی عصر المؤَلّف ---- ۱۰۴
حياة المؤَلف و أشواطه العلمية ---- ۱۰۴
اشارة ---- ۱۰۵
آثاره و تآليفه: ---- ۱۰۶
مشايخه و أساتذته ---- ۱۰۸
تلامذته و من يروی عنه ---- ۱۰۹
غنية النزوع إلی علمی الأصول و الفروع ---- ۱۰۹
۸- يحيی بن الحسن الأَسدی الحلی ابن البطريق (۵۲۳- ۶۰۰ ه) ---- ۱۱۰
العمدة لِابن البطريق ---- ۱۱۰
آثاره العلمية ---- ۱۱۲
مشايخه و أساتذته ---- ۱۱۳
الراوون عنه ---- ۱۱۴
أولاده ---- ۱۱۵
نكات يجب التنبيه عليها ---- ۱۱۶
تعريف بكتاب العمدة ---- ۱۱۷
۹- محمد بن الحسين البيهقی قطب الدين الكيدری (كان حياً سنة ۶۱۰ ه) ---- ۱۱۷

الشريعة الإسلامية و دورها فى الحياة البشرية ----- ۱۱۷
اشارة ----- ۱۱۷
حفّاظ الشريعة و حملتها: ----- ۱۱۸
الإقليم الخصب بالمواهب و القابليات: ----- ۱۱۹
حياة المؤَلف و مشايخه و مؤَلفاته: ----- ۱۲۰
[أما حياة المؤلف] ----- ۱۲۰
مشايخه: ----- ۱۲۱
تآليفه: ----- ۱۲۲
اشارة ----- ۱۲۲
إصباح الشيعة من مؤَلفات الكيدرى: ----- ۱۲۴
إجازة ابن حمزة للمؤلف: ----- ۱۲۵
وفاته: ----- ۱۲۶
كلمة فى الكتاب و مؤَلّفه: ----- ۱۲۷
۱۰- الشيخ يحيى بن سعيد الحلى الهذلى (۶۰۱- ۶۹۰ ه) ----- ۱۲۸
لمحة عن تاريخ تدوين الحديث ----- ۱۲۸
اشارة ----- ۱۲۸
التمسک بالكتاب و العترة عامل الوحدة ----- ۱۲۸
الشيعة و تدوين الحديث ----- ۱۲۸
صحيحة حماد و نظرية الكاتب حولها ----- ۱۳۲
مميزات الفقه الإمامى و أُسسه ----- ۱۳۶
اشارة ----- ۱۳۶
عصر الجمود أو عصر الازدهار ----- ۱۳۸
كلمات الثناء و جمل الإطراء فى حقّ المؤَلف ----- ۱۳۹
اشارة ----- ۱۳۹

تألیفات المؤَلف ----- ۱۴۰
مشایخه و أساتذته ----- ۱۴۱
تلامذته و الراوون عنه ----- ۱۴۲
۱۱- علی بن عیسی الإربلی (.. المتوفّی عام ۶۹۳ ه) ----- ۱۴۳
اشارة ----- ۱۴۳
سیرة الأَنبیاء و الأَولیاء ----- ۱۴۴
تآلیفه ----- ۱۴۶
مشایخه فی الروایة ----- ۱۴۷
الرواة عنه ----- ۱۴۷
ما هو کشف الغمة؟ ----- ۱۴۸
۱۲- الحسن بن یوسف بن المطهّر العلّامة الحلّی (۶۴۸- ۷۲۶ ه) ----- ۱۴۸
اشارة ----- ۱۴۸
[دراسة فی مؤلفات العلامة الحلی] ----- ۱۵۰
الأَوّل: تبصرة المتعلمین ----- ۱۵۰
الثانی: إرشاد الأَذهان إلی أحکام الإِیمان ----- ۱۵۰
الثالث: قواعد الاحکام فی مسائل الحلال و الحرام ----- ۱۵۱
الرابع: مختلف الشیعة فی أحکام الشریعة ----- ۱۵۲
الخامس: تذکرة الفقهاء علی تلخیص فتاوی العلماء و ذکر قواعد الفقهاء ----- ۱۵۲
السادس: منتهی المطلب فی تحقیق المذهب ----- ۱۵۴
السابع: نهایة الاحکام فی معرفة الاحکام ----- ۱۵۵
الثامن: تحریر الاحکام ----- ۱۵۵
عصر التخریج و التفریع ----- ۱۵۶
اشارة ----- ۱۵۶
مشکلة الاختلاف فی آرائه ----- ۱۵۷

۱۳- محمد بن إبراهيم الشيرازى صدر المتألّهين (۹۷۹- ۱۰۵۰ ه) ----- ۱۵۸
اشارة ----- ۱۵۸
[كلمة للمؤلف فى مؤتمر إحياء الذكرى المئوية الرابعة لصدر المتألهين و هى مقدمة لشرح أصول الكافى] ----- ۱۵۸
اشارة ----- ۱۵۹
الحديث المصدر الثانى فى التشريع ----- ۱۵۹
التيارات الفكرية فى عصر الكلينى ----- ۱۶۱
اشارة ----- ۱۶۱
سيرة الكلينى ----- ۱۶۳
ثقافته العلمية ----- ۱۶۶
مشايخه ----- ۱۶۸
تلاميذه و الرواة عنه ----- ۱۶۸
آثاره ----- ۱۶۸
نماذج من إنشائه ----- ۱۶۹
آراؤه الكلامية ----- ۱۷۰
الشروح و التعاليق ----- ۱۷۰
صدر المتألّهين سيرته و حياته ----- ۱۷۰
مراحل أطوار حياته ----- ۱۷۳
تهجّده و عبادته ----- ۱۷۴
إخلاصه لأَئمّة أهل البيت- عليهم السلام ----- ۱۷۵
مؤَلّفاته ----- ۱۷۶
الأَثر الخالد: شرحه على أُصول الكافى ----- ۱۷۷
إلمامه بالرجال ----- ۱۷۸
مشايخه ----- ۱۷۸
تلامذته ----- ۱۷۹

وفاته ----- ۱۷۹
الخطوط العریضة لفلسفته ----- ۱۸۰
اشارة ----- ۱۸۰
الأَصل الأَوّل: أصالة الوجود ----- ۱۸۰
الأَصل الثانی: اشتراک الوجود ----- ۱۸۱
الأَصل الثالث: اتّحاد جوهر العاقل و المعقول ----- ۱۸۳
الأَصل الرابع: بسیط الحقیقة کلّ الأَشیاء ----- ۱۸۳
الأَصل الخامس: الحرکة الجوهریة ----- ۱۸۴
الأَصل السادس: فعلیة کلّ مرکّب بصورته لا بمادته ----- ۱۸۸
اشارة ----- ۱۸۸
الشبهة الأُولی: رجوع ما بالفعل إلی ما بالقوّة ----- ۱۸۹
الشبهة الثانیة: شبهة التناسخ ----- ۱۹۰
۱۴- السید عبد الفتاح بن علی الحسینی المراغی (المتوفّی عام ۱۲۴۶ ه) ----- ۱۹۱
دور الفقهاء فی الحفاظ علی الدین و صیانته من الضیاع ----- ۱۹۱
اشارة ----- ۱۹۱
الاجتهاد سر خلود الدین: ----- ۱۹۲
الثروة الفقهیة عند الشیعة ----- ۱۹۳
القواعد الفقهیة فی فقه الشیعة ----- ۱۹۳
ترجمة المؤَلّف ----- ۱۹۴
اشارة ----- ۱۹۴
کلمات الاعلام فی حقّ المؤَلّف ----- ۱۹۵
أساتذته ----- ۱۹۵
آثاره العلمیة ----- ۱۹۵
عصره ----- ۱۹۷

۱۵- مرتضی بن محمد أمین التسترى الشیخ الأنصارى (۱۲۱۴- ۱۲۸۱ ه) ----- ۱۹۷
الشیخ الأَنصارى رائد النهضة العلمیة الحدیثة ----- ۱۹۷
اشارة ----- ۱۹۷
الاجتهاد فی عصر الباقرین علیهما السَّلام ----- ۱۹۸
الاجتهاد رمز خلود الدین ----- ۲۰۰
المراحل التی مرّ بها الفقه الشیعی ----- ۲۰۱
اشارة ----- ۲۰۱
۱- الإفتاء بنقل الروایات مع أسنادها ----- ۲۰۱
۲- تجرید المتون عن الأَسانید ----- ۲۰۱
۳- مرحلة التفریع و استخراج الفروع من الأصول ----- ۲۰۱
الاخباریّة منهج مبتدع ----- ۲۰۳
اشارة ----- ۲۰۳
حَنَّ قِدْحٌ لیس منها ----- ۲۰۵
[فی بیان المسلک الذی تبنّاه الأَمین الأسترآبادی] ----- ۲۰۷
اشارة ----- ۲۰۷
- عدم حجّیّة ظواهر الکتاب و السنّة ----- ۲۰۷
۲- ادّعاء قطعیّة أحادیث الکتب الأَربعة: ----- ۲۰۹
۳- إنکار حجّیّة العقل فی مجال الاستنباط ----- ۲۰۹
ازدهار المسلک الاخبارى بعد الأَمین ----- ۲۱۱
حیاة الشیخ الأَنصارى و شخصیّته ----- ۲۱۱
اشارة ----- ۲۱۱
رحلته العلمیّة و تجوّله فی البلدان ----- ۲۱۳
صاحب الجواهر یختار الشیخ للزعامة ----- ۲۱۳
کلمات الإطراء و جُمَل الثّناء فی حقّه ----- ۲۱۴

تآلیفه و تصانیفه ----- ۲۱۶
تلامذته ----- ۲۱۷
۱۶- زین العابدین الگلپایگانی المعروف ب «حجة الإسلام» (۱۲۱۸- ۱۲۸۹ ه) ----- ۲۱۸
اشارة ----- ۲۱۸
ما قیل فی حقه: ----- ۲۱۸
۱۷- الشیخ عبد الصمد بن محمد باقر الخامنئی (۱۲۲۰- ۱۳۱۱ ه) ----- ۲۲۱
رسالة الشعر و الشعراء ----- ۲۲۱
اشارة ----- ۲۲۱
الأَدب الشیعی و الولاء للعترة: ----- ۲۲۳
عنایة المسلمین بالأَدب العربی: ----- ۲۲۳
عبد الصمد الخامنئی: ----- ۲۲۶
إلماع إلی وطن الشاعر: ----- ۲۲۸
۱۸- الشیخ فضل اللّه النوری قدّس سرّه رجل العلم و الجهاد (۱۲۵۴- ۱۳۲۷ ه) ----- ۲۳۱
اشارة ----- ۲۳۱
کلمات الثناء فی حق المترجم ----- ۲۳۵
اشارة ----- ۲۳۵
آثاره العلمیة ----- ۲۳۶
اشارة ----- ۲۳۶
۱- درر التنظیم ----- ۲۳۶
۲- رسالة المشتق ----- ۲۳۷
۳- حرمة الاستطراق إلی مکة عن طریق جبل ----- ۲۳۸
۴- الصحیفة المهدویة أو القائمیة ----- ۲۳۸
۵- تذکرة الغافل و إرشاد الجاهل ----- ۲۳۸
۶- رسالة قاعدة ضمان الید ----- ۲۳۸

مصادر المقدمة ----- ۲۳۹
اشارة ----- ۲۳۹
المصادر باللغة العربية ----- ۲۳۹
المصادر باللغة الفارسية: ----- ۲۳۹
۱۹- آية اللّه الشيخ غلام رضا بن الحاج رجب على القمى (۱۲۵۵- ۱۳۳۲ ه) ----- ۲۳۹
الفرائد و قلائدها ----- ۲۳۹
آثاره العلمية ----- ۲۴۱
تلاميذه ----- ۲۴۲
أولاده ----- ۲۴۲
۲۰- محمد بن حسين بن محمد الطباطبائى (۱۳۲۱- ۱۴۰۲ ه) ----- ۲۴۳
اشارة ----- ۲۴۳
لمحة من حياة السيد الطباطبائى ----- ۲۴۴
اشارة ----- ۲۴۴
مغادرة الأُستاذ النجف الأَشرف ----- ۲۴۶
[فى أبعاد شخصية الطباطبائى العلمية فى مجالات مختلفة] ----- ۲۴۷
اشارة ----- ۲۴۷
۱- العلّامة الطباطبائى و التفسير ----- ۲۴۷
۲- مؤَسس نظريات فلسفية ----- ۲۴۹
۳- العلّامة الطباطبائى و الأَخلاق و العرفان ----- ۲۵۲
۴- العلّامة الطباطبائى و الفقه و الأُصول ----- ۲۵۲
۵- العلّامة الطباطبائى و الرياضيات و الهيئة ----- ۲۵۲
۶- العلّامة الطباطبائى و الأَدب العربى ----- ۲۵۲
۷- العلّامة الطباطبائى و الحكومة الإِسلامية ----- ۲۵۳
ملامح شخصيته ----- ۲۵۴

اشارة ----- ۲۵۴
منزلته عند المرجع الأَعلی السید البروجردی ----- ۲۵۴
البصمات التی ترکها علی الفکر الشیعی ----- ۲۵۵
تلامیذه و خریجو منهجه ----- ۲۵۶
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۲۵۶

تذكرة الاعيان

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی، جعفر ،۱۳۰۸ -

عنوان و نام پدیدآور : تذکره الاعیان : یحتوی علی ترجمه لفیف من اعیان المتکلمین والفقهاء/ تالیف جعفر السبحانی.

مشخصات نشر : قم: موسسه الامام الصادق(ع،)۱۴۲۹ق= .۱۳۸۷-

مشخصات ظاهری : ج.

شابک : ۰-۳۲۷-۳۵۷-۹۶۴-۹۷۸

ص: ۴۵۸

یادداشت : عربی

یادداشت : فهرست نویسی بر اساس جلد دوم: ۱۴۲۹ق.= ۱۳۸۷.

یادداشت : کتابنامه .

موضوع : متکلمان -- سرگذشتنامه

موضوع : فقیهان -- سرگذشتنامه

موضوع : مجتهدان و علما -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده : موسسه امام صادق (ع)

رده بندی کنگره : BP۱۵۳/۱/س۲ت۴ ۱۳ ۰۰ی

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۳۹۲

شماره کتابشناسی ملی : ۲۹۸۳۲۷۳

[مقدمة المؤلف]

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه الذی فضل مداد العلماء علی دماء الشهداء، و جعلهم ورثة الأَنبياء، و مصابيح الهدی فی اللجج الظلماء.

و الصلاة و السلام علی سيد الأَنبياء محمّد و آله الأَتقياء.

أمّا بعد: فقد بعث النبی- صلی الله عليه و آله و سلم- بشريعة بيضاء متكاملة الجوانب أُنيطت بها سعادة البشر فی آجله و عاجله، فبقاؤها و استمرارها كظهورها رهن عوامل ساهمت مساهمة فعالة، أبرزها الدور الذی قام به أئمّة أهل البيت- عليهم السلام- من خلال تربية طليعة واعية أخذوا الشريعة من منهلها العذب و معينها الصافی و نشروها فی الأُمّة بغية صيانتها عن الزوال و الاندثار، و قد تلتهم طبقات أُخری من العلماء ورثوا هذه المهمة الصعبة منهم، فأخذوا علی عاتقهم نشر الشريعة و بيان العقيدة عبر القرون، فتجلّت جهودهم الفكرية و العلمية فی كتبهم و آثارهم الخالدة.

فالواجب المحتّم علی الأُمّة الإِسلامية هو تقدير جهودهم، و تثمين أعمالهم، و إحياء مآثرهم للحيلولة دون أن يغمر ذكرهم و تنطمس معالمهم.

و انطلاقاً من هذا المبدأ فقد عطرت كتب المعاجم و السير بأسمائهم، و أُلّفت فی سيرهم عشرات الكتب يقف عليها كلّ من سبر رفوف المكتبات و مخازن الكتب.

تذكرة الأعيان، ص: ۶

و قد كنت منذ ريعان شبابى و حداثة سنى ذا ولع خاص بالاطّلاع على تراجم علمائنا الأبرار و الوقوف على آثارهم، و أوّل من فتح عينى على هذا العلم هو شيخى و أُستاذى الكبير الشيخ محمد على المدرس الخيابانى التبريزى (۱۲۹۶ ۱۳۷۳) مؤَلّف «ريحانة الأدب فى ترجمة من اشتهر بالكنى و اللقب» فإنّه رحمه اللّه أخذ بيدى و أجالنى فى رياض ذلك العلم و بساتينه، و على ما أُلّف فى ذلك المضمار من قديمه و جديده.

هذا ممّا دعانى إلى أن أقوم ببعض هذا الواجب و أتحمل أعباءه من خلال ترجمة طائفة من فقهائنا الأبرار و علمائنا الكرام الذين كانت لهم منزلة كبيرة فى سماء العلم، و لم أقتصر على ذلك فحسب، بل أوعزت إلى نكات علمية و تاريخية لا غنى للباحثين عنها، و لما كانت تلك البحوث مبعثرة فى مقدمات الكتب المنشورة بين الحين و الآخر ألحَّ علىّ بعض روّاد العلم بجمع شملها فى كتاب واحد كى يسهل تناولها، فنزلت عند رغبتهم و قمت بجمع شواردها مرتباً إيّاها على حسب وفيات المترجمين، عسى أن ينتفع بها رواد العلم و طلاب الفضيلة.

و آخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين جعفر السبحانى قم المقدسة، مؤَسسة الامام الصادق- عليه السلام فى ۱۶ ذى القعدة الحرام من شهور عام ۱۴۱۸ ه.

تذكرة الأعيان، ص: ۷

[قائمة فى ترجمة طائفة من الفقهاء و العلماء الإمامية]

۱- محمد بن مسلم بن رباح الثقفى الطائفى (۸۰- ۱۵۰ ه)

خريج جامعة الامام الصادق- عليه السلام

كان المسلمون فى عصر الرسول- صلى الله عليه و آله و سلم- أُمّة متراصّة الصفوف ذات أهداف واحدة، و كان النبى الكريم- صلى الله عليه و آله و سلم- هو القطب الذى تدور عليه رحى الإسلام و تلتف حوله الأُمّة، كلّما نجم شقاق بين المسلمين أو فصائلهم، عالجه بحكمته السديدة و قيادته الرشيدة.

و لقد كان الحفاظ على العقيدة و الشريعة، يتطلب وجود قيادة رشيدة، و مرجعيّة حكيمة، تنطق بالكتاب و السنّة بعد رسول اللّه صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم حتى تلتفّ حولها الأُمّة، و تقوم بدورها فى معالجة كل مشكلة تحدث، و رأب كل صَدع يطرأ على حياتهم فى ضوء الكتاب و السنّة.

و كان رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم- قد عالَجَ بالفعل هذه الناحية الهامّة فى حياة المسلمين المستقبلية، برسم خط القيادة من بعده، و ذلك من خلال التعريف بأهل بيته المطهَّرين، و إلفات نظر الأُمّة إليهم فى مواضع عديدة، و بأساليب متنوّعة، واضحة و قاطعة. غير أنّ الأُمّة تجاهلت و لشديد الأسف هذا الأمر و أقصَتْ أهلَ البيت

تذكرة الأعيان، ص: ۸

عن الحكم، و عزلتهم عن الدور المهمّ المرسوم لهم فى قيادة و هداية الأُمّة بعد النبى- صلى الله عليه و آله و سلم-، و لمّ شعثهم، و قيادة سفينتهم فى خضمّ الأمواج العاتية، على غرار ما كان يفعله رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم- فى عهده المبارك.

و لأجل هذا الانحراف فى خطّ القيادة، نجم الخلاف الحاد بين المسلمين، فى شتى النواحى السياسية و العقائدية و التشريعية.

فالشقاق المستمر بين الأُمّة و عمّال الخُلَفاء، و الحروب الدامية بين صفوف الأُمّة كان من نتائج الابتعاد عن قيادة أهل البيت الرشيدة التى رسمها النبى صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم فى حياته الشريفة و عهده المبارك، إلى أن آل أمر الخلافة إلى مُلك عضوض يرث فيه

المُلك واحدٌ بعد واحد، و فاسد تلو فاسد، و يتلقّفه ولد بعد والد!! إنّ السنّة النبويّة هى الحجّة الثانية بعد الكتاب العزيز، و كان المسلمون فى أمس الحاجة إليها، و لكن صارت كتابتُها و التحدّث بها أمراً ممنوعاً قرابة قرن و نصف القرن، بينما كان التحدّث بالاساطير من قِبَل مُسلِمة أهل الكتاب (من أحبار اليهود و قساوسة النصارى) أمراً مسموحاً به!! لقد أنتج هذا الابعاد للقيادة الإسلامية الحقة، و الابتعاد عنها و ما تلاهما من أُمور، ظهور شقاق، و اختلاف بين المسلمين فى شتى المجالات.

أمّا فى السياسة فقد عرفت.

و أمّا فى مجال العقيدة، فقد ظهرت فيهم آراء و أفكار خطيرة مستلهمة أغلبها من اليهود و النصارى.

فمن محدّثٍ يُثبت للّه سبحانه الجسم و الصورة، و الأعضاء و الجوارح، و الزمان و المكان، و الحركة و الانتقال، و الجهة و الرؤية غير مكترث بقداسة الذات الإلهيّة، و تنزّهها عن مشابهة المخلوقين، و يرى أنّ هذه هى العقيدة الإسلامية التى جاء بها القرآن الكريم و صدع بها الرسول العظيم- صلى الله عليه و آله و سلم-.

تذكرة الأعيان، ص: ۹

إلى جَهميّ يرفع عقيرته بالجبر، و سلب الاختيار عن الإنسان، و ينكر فى المآل ضرورة بعث الأنبياء، كما يصرّح بفناء النار فى الآخرة مُأوِّلًا خلود الكفّار فيها، و الذى صرّح به القرآن الكريم.

إلى قدَريّ يفسّر القَدَر فى مجال أفعال البشر كعامل قهرى يرسم حياة الإنسان، و يفرض عليه أفعاله، بحيث لا يكون الإنسان قادراً على أن يحيد عن ذلك قيد شعرة، بل لهذا القَدَر الذى هو فعلُ اللّه، من السيادة على اللّه تعالى، بحيث لا يقدر هو سبحانه على تغييره.

إلى متفقّهٍ يرى الكتاب و السُّنّة، غير وافيين بالتشريع، و بيان الحلال و الحرام، فعاد يلتجى إلى مقاييس ظنيّة و معايير استحسانية ما أنزل اللّه بها من سلطان، فصار التشريع حلبة الاختلاف، و مضمار الشقاق، حتى أنّك لا ترى فرعاً عملياً من الفروع اتّفقت عليه أئمّة المذاهب الفقهيّة إلّا الشاذّ النادر.

إلى داعٍ إلى الثنوية بشكل غير مباشر حيث يرى للإنسان إرادة مطلقة، و اختياراً مستقلا، كأنّه فى غنى فى أفعاله عن اللّه سبحانه، و هو بهذا يشبه إله الأرض.

إلى متفلسفٍ يخضع لتيّارات و آراء فلسفية مستورَدَة، من دون أن يقيّم مفاهيمها فى ضوء الكتاب و السنّة و العقل السليم.

إلى ملاحدة ظهروا بين المسلمين، و أُعطيَت لهم حرية واسعة فى العمل و الدعوة، فراحوا يضلّلون الناس، و يسفّهون أقوال الالهيين و ينكرون الشرائع و الأديان من الأساس.

إلى غير ذلك من الفرق و الطوائف و الاتجاهات و التيارات المعكّرة لصفو العقيدة الإسلامية و المكدّرة لنقاء النظام الإسلامى.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۰

كان هذا هو وضع الأُمّة الإسلامية، و حالهم فى القرون التى أعقبت وفاة رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم-.

و فى تلك الظروف بالذات كان فى الجانب الآخر شيعة أئمّة أهل البيت- عليهم السلام- و كانوا على موقفين: موقف يرى الثورة على الحكومات التى كانت وراء هذا الشقاق و الاختلاف، و تدهور الوضع السياسى و الفكرى و الاجتماعى و ربما كان هذا الموقف صحيحاً فى بعض الحالات بل و مثمراً.

و موقف يرى أنّ الثورة المسلّحة لا تأتى فى ظرف خاص طبعاً إلّا بالضرر و الخسارة الكبرى، و أنّه لا بدّ من العمل الفكرى و بثّ العقيدة الصحيحة، و مكافحة التيارات المنحرفة و الفاسدة، عبر تربية الدعاة الصالحين، و حمَلَة الفقه و الحديث الواعين، و إرشاد الناس إلى ما هو الصحيح فى مجالات الفكر و الفقه، و العقيدة و الشريعة.

فهو بالتالى الأسلوب الناجح، و الدواء الناجع، للأُمّة فى حاضرها، و مستقبلها، و ذلك نَظَراً لتعاظم قوة الحكومات آن ذاك، و قدرتها على الفتك بمعارضيها، و محوهم محواً كاملًا لا يُبقى و لا يذر.

و هنا تكمن أهمية الدور الحضارى لجامعة الامام جعفر الصادق الكبرى التى عالجت مشاكل مستعصية و أحيت الحضارة الإسلامية، و ذلك:

١- ببيان العقيدة الإسلامية المأخوذة من الكتاب و السنّة و خطب الإمام أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب- عليه السلام- و العقل الحصيف، و ردّ السهام المرشوقة إلى توحيد اللّه سبحانه و صفاته، و قداسة الأنبياء، و سائر قضايا العقيدة.

و كفى لمعرفة هذا ما دوّنه المحدّث الكبير الشيخ الصدوق (٣٠٦ ٣٨١ ه)

تذكرة الأعيان، ص: ١١

فى كتابه القيم «التوحيد»، حيث يرى المتتبع فى أحاديثه بياناً مشرقاً فى مجال توحيد الافعال، و تنزيهاً رائعاً لأفعاله سبحانه عن الحيف و الظلم، و الجبر و إرادة القبيح، و وصفاً لائقاً لمقام النبوّة و الأنبياء فى مجال تلقّى الوحى و التبليغ، و على صعيد السلوك و المعاشرة.

٢- كان تدوين الحديث و نشره، و التحدّث بكلام رسول اللّه صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم أمراً محظوراً و قد أُضفى على تدوينها ثوبُ البدعة، و صار لترك التحدّث بالسُّنة الشريفة قداسة بين الأُمّة، غفلةً عمّا يترتب على هذا الموقف من خسائر جمّة.

و لكن الامام الصادق- عليه السلام- قام غير مكترث بقرار الحظر الذى كان سائداً منذ زمن الخلفاء إلى عصره بنشر أحاديث الرسول صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم آخذاً إياها من عين صافية لم تعكر صفوها الأهواء و الأوهام، إذ رواها عن طريق آبائه المطهرين عن علىّ عن رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم- عن جبرئيل عن اللّه سبحانه.

و بذلك أعاد الحديث النبوى الشريف إلى حياة الأُمّة الإسلامية مجرّداً عن الاساطير منزهاً عن بدع اليهود و النصارى.

٣- تربية جيل عظيم، و ثلّة جليلة تربية أخلاقية و معنوية و علمية لتحمل هذه الرسالة من بعده، و نشر الأحاديث و الروايات الشريفة فى الاجيال اللاحقة.

و لقد تخرّج من مدرسة الامام الصادق- عليه السلام- ثلّة كريمة واعية من المتكلّمين الذابين عن حياض العقيدة، و الفقهاء و المحدّثين البارعين فى حقل الشريعة و المفسرين و غيرهم ممن اعترفت الأُمّة بفضلهم، و استمرت بواسطتهم الهداية الإلهية إلى القرون المستقبلة، و الأجيال اللاحقة.

و كان من تلك الثلّة المباركة: محمد بن مسلم و هو الفقيه أبو جعفر الكوفى

تذكرة الأعيان، ص: ١٢

المعروف بالاوقص، أحد أئمّة العلم فى الإسلام، و أحد وجوه الشيعة بالكوفة، اختص بالامامين أبى جعفر الباقر و أبى عبد اللّه الصادق عليهما السَّلام، و روى الشىء الكثير من علومهما، و قد وقع فى أسناد كثير من الروايات تبلغ ألفين و مائتين و ستة و سبعين مورداً.

روى عنه: يونس بن عبد الرحمن، و العلاء بن رزين، و عمر بن أذينة، و جميل ابن درّاج، و محمد بن حمران، و يعقوب الأحمر، و حماد بن عثمان، و عبد الحميد الطائى، و خلق كثير.

و كان فقيهاً محدّثاً و من الأعلام المأخوذ عنهم الحلال و الحرام و الفتيا و الأحكام، له كتاب يسمّى: الأربعمائة مسألة فى أبواب الحلال و الحرام، و لقد ورد فى روايات صحيحة عن أهل البيت لا سيما الباقرين صلوات اللّه عليهم أجمعين.

و إليك فيما يأتى طائفة من الروايات و الأخبار المادحة الصادرة من الإمامين الهمامين الامام الباقر و الإمام الصادق سلام اللّه عليهما.

مكانة محمد بن مسلم عند الصادقين عليهما السَّلام

لقد أثنى الإمامان الجليلان الباقر و الصادق عليهما السَّلام على حافظنا الكبير و أقرانه على وجه لا نرى مثله فى حقّ غيره من تلاميذهما و خريجى منهجهما، و إليك البيان:

١- قال الصادق- عليه السلام-: أحبُّ الناس إلىّ أحياء و أمواتاً أربعة: بريد بن معاوية العجلى، و زرارة، و محمد بن مسلم، و الأحول،

و هم أحبُّ النّاسِ إليّ أحياءً و أمواتاً «۱».

۲- روى أبو عبيدة الحذّاء قال: سمعت أبا عبد اللّه- عليه السلام- يقول:

---

(۱) الكشي: اختيار معرفة الرجال، برقم: ۲۱۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۳

«زرارة، و أبو بصير، و محمد بن مسلم، و بريد من الذين قال اللّه تعالى: (وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ. أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)» «۱».

۳- روى سليمان بن خالد الأقطع، قال: سمعت أبا عبد اللّه يقول: «ما أحد أحيى ذكرنا و أحاديث أبي- عليه السلام- إلّا زرارة، و أبو بصير ليث المراديّ، و محمد بن مسلم، و بريد بن معاوية العجلي، و لو لا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حفّاظ الدين و أُمناء أبي، على حلالِ اللّه و حرامه، و هم السابقون إلينا في الدنيا، و السابقون إلينا في الآخرة» «۲».

۴- قال الصادق و هو يصف لفيفاً من أصحاب أبيه: «هم مستودع سرّي، أصحاب أبي حقّا إذا أراد اللّه بأهل الأرض سوءاً صرف بهم عنهم السوءَ، هم نجوم شيعتي أحياء و أمواتاً، يحيون ذكر أبي- عليه السلام-، بهم يكشف اللّه كلّ بدعة، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين، و تأوّل الغالين» ثم بكى فقلت: مَنْ هم؟ فقال: «مَنْ عليهم صلوات اللّه و رحمته أحياءً و أمواتاً: بريد العجلي، و زرارة، و أبو بصير، و محمد بن مسلم» «۳».

۵- سأل عبد اللّه بن أبي يعفور أبا عبد اللّه الامام الصادق- عليه السلام و قال: إنّه ليس كلّ ساعة ألقاك، و لا يمكن القدوم و يجيئ الرجل من أصحابنا فيسألني، و ليس عندي كلّما يسألني عنه، قال: «فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي، فإنّه قد سمع من أبي و كان عنده وجيهاً» «۴».

۶- روى زرارة قال: شهد أبو كريبة الأزديّ و محمد بن مسلم الثقفي عند شريك بشهادة و هو قاض، فنظر في وجوههما مليّاً، ثم قال: جعفريان فاطميّان! فبكيا، فقال لهما: ما يُبكيكما؟ قالا له: نسبتنا إلى أقوام لا يرضَون بأمثالنا أن يكونوا من إخوانهم، لما يرون من سخف ورعنا، و نسَبْتنا إلى رجل لا يرضى بأمثالنا أن

---

(۱) الكشي: اختيار معرفة الرجال، برقم: ۲۱۸، ۲۱۹، ۲۲۰، ۲۷۳.

(۲) الكشي: اختيار معرفة الرجال، برقم: ۲۱۸، ۲۱۹، ۲۲۰، ۲۷۳.

(۳) الكشي: اختيار معرفة الرجال، برقم: ۲۱۸، ۲۱۹، ۲۲۰، ۲۷۳.

(۴) الكشي: اختيار معرفة الرجال، برقم: ۲۱۸، ۲۱۹، ۲۲۰، ۲۷۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۴

يكونوا من شيعته فان تفضّل و قبلنا فله المنّ علينا و الفضل، فتبسم «شريك» ثمّ قال: إذا كانت الرجال فلتكن أمثالكم، يا وليد أجزهما هذه المرّة! قال: فحججنا فخبّرنا أبا عبد اللّه- عليه السلام- بالقصة فقال: «ما لشريك، شركه اللّه يوم القيامة بشراكين من نار» «۱».

۷- روى أبو كهمس قال: دخلت على أبي عبد اللّه- عليه السلام- فقال لي: «شهد محمد بن مسلم الثقفي القصير عند ابن أبي ليلى بشهادة فردّ شهادته؟» فقلت: نعم.

فقال: «إذا صرت إلى الكوفة فأتيت ابن أبي ليلى إلى أن قال: فقل له: يقول لك جعفر بن محمد ما حملك على أن رددت شهادة رجل أعرف منك بأحكام اللّه و أعلم بسيرة رسول اللّه منك؟».. فقال لي: و من هو؟ فقلت: محمد بن مسلم الطائفي القصير، قال: فقال: و اللّه انّ جعفر بن محمد قال لك هذا؟ قال: فقلت: و اللّه إنّه قال لي جعفر هذا، فأرسل إلى محمد بن مسلم فدعاه، فشهد عنده بتلك الشهادة فأجازه «۲».

۸- قال الامام الصادق- عليه السلام-: «بشّر المخبتين بالجنة..، و محمد بن مسلم، أربعة نجباء أمناء اللّه على حلاله و حرامه، لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة و اندرست» «۳».

۹- و قال- عليه السلام-: «إنّ أصحاب أبى كانوا زيناً أحياءً و أمواتاً، أعنى: زرارة، و محمد بن مسلم، و منهم ليث المرادى، و بريد العجلى، هؤلاء القوّامون بالقسط، هؤلاء القوّامون بالقسط، و هؤلاء السابقون، السابقون أُولئك المقربون» «۴».

۱۰- روى عبد اللّه بن محمد بن خالد الطيالسى، عن أبيه، قال: كان محمد ابن مسلم من أهل الكوفة يدخل على أبى جعفر- عليه السلام- فقال أبو جعفر: «بَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ».

---

(۱) اختيار معرفة الرجال، برقم ۲۷۴، ۲۷۷، ۲۸۶، ۲۸۷.

(۲) اختيار معرفة الرجال، برقم ۲۷۴، ۲۷۷، ۲۸۶، ۲۸۷.

(۳) اختيار معرفة الرجال، برقم ۲۷۴، ۲۷۷، ۲۸۶، ۲۸۷.

(۴) اختيار معرفة الرجال، برقم ۲۷۴، ۲۷۷، ۲۸۶، ۲۸۷.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۵

و قال أيضاً: كان محمد بن مسلم رجلًا شريفاً موسِراً، فقال له أبو جعفر عليه السَّلام: «تواضع يا محمد!» فلمّا انصرف إلى الكوفة أخذ قوصرة من تمر مع الميزان و جلس على باب مسجد الجامع و جعل ينادى عليه، فأتاه قومه فقالوا له: فضحتنا، فقال: إنّ مولاى أمرنى بأمر فلن أُخالفه و لن أبرح حتى من بيع باقى هذه القوصرة «۱».

هذا هو محمد بن مسلم فى لسان الصادقين عليهما السَّلام، و نصوصهما يكفينا عن توثيق أى موثّق، و مع ذلك لابن مسلم مع المتسنمين لمنصّة الإفتاء و القضاء فى عصره قضايا جميلة تعرب عن خضوعهم له فى القضاء و الإفتاء.

۱- روى الكلينى فى الكافى أنّ رجلًا قدّم إلى ابن أبى ليلى خصماً له، فقال: إنّ هذا باعنى هذه الجارية، فلم أجد على ركبها حين كشفتها شعراً، و زعمت انّه لم يكن لها قط، فقال ابن أبى ليلى: إنّ الناس يحتالون لهذا بالحيل حتّى يذهبوا به، فما الذى كرهت؟ قال: أيّها القاضى إن كان عيباً فاقض لى به، قال: اصبر حتى أخرج إليك فإنّى أجد أذى فى بطنى، ثمّ دخل و خرج من باب آخر، فأتى محمد بن مسلم الثقفى، فقال له: أى شيء تروون عن أبى جعفر- عليه السلام- فى المرأة لا يكون على ركبها شعر، أ يكون ذلك عيباً؟ فقال محمد بن مسلم: أمّا هذا نصاً فلا أعرفه، و لكن حدّثنى أبو جعفر عن أبيه عن آبائه عن النبى صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم أنّه قال: كلّ ما كان فى أصل الخلقة فزاد أو نقص فهو عيب، فقال له ابن أبى ليلى: حسبك، ثمّ رجع إلى القوم فقضى لهم بالعيب «۲».

۲- قال محمد بن مسلم: انّى لنائم ذات ليلة على السطح إذ طرق الباب

---

(۱) اختيار معرفة الرجال، برقم: ۲۷۸.

(۲) الكافى: ۵- ۲۱۵، التهذيب: ۷- ۶۵ برقم ۲۸۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۶

طارق، فقلت: من هذا؟ فقال: شريك يرحمك اللّه، فأشرفت فإذا امرأة فقالت: لى بنت عروس ضربها الطَّلق، فما زالت تطلق حتى ماتت و الولد يتحرّك فى بطنها و يذهب و يجيء، فما أصنع؟ فقلت: يا أمة اللّه سئل محمد بن على بن الحسين الباقر- عليه السلام- عن مثل ذلك، فقال: «يشق بطن الميت و يستخرج الولد»، يا أمة اللّه افعلى مثل ذلك! أنا يا أمة اللّه رجل فى ستر، من وجّهك إلىّ؟ قال: قالت لى: رحمك اللّه جئت إلى أبى حنيفة صاحب الرأى، فقال: ما عندى فيها شيء، و لكن عليك بمحمد بن مسلم الثقفى فإنّه يخبر، فمهما أفتاك به من شيء فعودى إلىّ فاعلمينيه! فقلت لها: امضِ بسلام.

فلما كان الغد خرجت إلى المسجد و أبو حنيفة يسأل عنها أصحابه، فتنحنحت فقال: اللهمّ غفراً دعنا نعيش «۱».

هذان النموذجان يدلان على مكانة الرجل فى الإحاطة بالنصوص و مصادر القضاء.

و قد لزم الرجل الامام الباقر قرابة أربع سنين و سأل الامام الصادق عن ستة عشر ألف حديث.

روى أنّ ابن أبى عمير قال: سمعت عبد الرحمن بن الحجاج و حماد بن عثمان يقولان: ما كان أحد من الشيعة أفقه من محمد بن مسلم قال، فقال محمد بن مسلم: سمعتُ من أبى جعفر ثلاثين ألف حديث، ثمّ لقيتُ جعفراً ابنه فسمعت منه أو قال سألته عن ستة عشر ألف حديث أو قال مسألة «۲».

و على أيّة حال فهو من الذين أجمعت العصابة على تصديقهم و فقههم، و لهم دوىّ فى كتب الرجال و الحديث «۳».

---

(۱) اختيار معرفة الرجال: ۱۶۲ برقم ۲۷۵.

(۲) اختيار معرفة الرجال برقم ۲۸۰، ۴۳۱.

(۳) اختيار معرفة الرجال برقم ۲۸۰، ۴۳۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۷

محمد بن مسلم فى الكتب الرجالية

قال النجاشى: محمد بن مسلم بن رباح، أبو جعفر الاوقص الطحان، مولى ثقيف، الأَعور، وجه أصحابنا بالكوفة، فقيه ورع، صحب أبا جعفر و أبا عبد اللّه عليهما السَّلام و روى عنهما، و كان من أوثق الناس، له كتاب يسمّى الأَربعمائة مسألة فى أبواب الحلال و الحرام «۱».

و قال الشيخ الطوسى: محمد بن مسلم بن رباح الثقفى، أبو جعفر الطحان، الأَعور أسند عنه، قصير حداج، روى عنهما عليهما السَّلام، و روى عنه العلاء بن رزين القلّاء، مات سنة ۱۵۰ و له نحو من سبعين سنة «۲».

و عدّه الشيخ المفيد فى الرسالة العددية من الفقهاء و الأَعلام الرؤَساء المأخوذ عنهم الحلال و الحرام و الفتيا و الأَحكام، الذين لا يُطعن عليهم و لا طريق إلى ذم واحد منهم «۳».

و قال إسماعيل باشا البغدادى: محمد بن مسلم بن رباح الاوقص المعروف بالطحان، مولى ثقيف، من علماء الشيعة الإمامية بالكوفة، توفّى سنة ۱۵۰ ه، له كتاب الأَربعمائة مسألة فى أبواب الحلال و الحرام «۴».

و قال أيضاً: كتاب الأَربعمائة مسألة من أبواب الحلال و الحرام لمحمد بن مسلم بن رباح الكوفى الشيعى المتوفى سنة ۱۵۰ ه «۵».

---

(۱) رجال النجاشى، برقم ۸۸۳.

(۲) رجال الطوسى: أصحاب الإمام الصادق- عليه السلام-، الرقم ۳۱۷؛ و ترجمه أيضاً فى أصحاب الإمام الباقر- عليه السلام- برقم ۱ باب الميم.

(۳) الرسالة العددية: ۲۵، طبعة المؤتمر العالمى بمناسبة ذكرى ألفية الشيخ المفيد.

(۴) إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين: ۶- ۷.

(۵) إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين المطبوع فى ذيل كشف الظنون: ۴- ۲۶۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۸

و قال عمر رضا كحالة: محمد بن مسلم بن رباح الكوفى الطحان، الشيعى (أبو جعفر) فقيه، من آثاره كتاب الأَربعمائة مسألة فى أبواب

الحلال و الحرام «۱».

الأصول الأَربعمائة للشيعة

إذا كانت الأَحاديث مدونة على أسماء الصحابة يطلق عليها المسند مقابل تدوينها على الأَبواب حيث يرتب المحدِّث كتابه على الموضوعات، و قد يتوسع فى إطلاقه فيطلق على تدوين روايات رأو فى كتاب خاص سواء كان صحابياً أم لا، روى عن المعصوم أم لا، و قد دوّن من أحاديث الامام الصادق و ابنه الكاظم، أربعمائة مسندٍ اشتهر باسم الأَصل قد جمع كلّ محدّث رواياته عن الامام عليه السَّلام من غير ترتيب الأَبواب.

قال الإِمام الطبرسى (۴۷۱ ۵۴۸ ه) فى «إعلام الورى»: روى عن الامام الصادق عليه السلام- من مشهورى أهل العلم، أربعة آلاف إنسان، و صنّف من جواباته فى المسائل أربعمائة كتاب تسمّى الأصول رواها أصحابه و أصحاب ابنه موسى الكاظم عليه السلام- «۲».

و قال المحقّق الحلى (۶۰۲ ۶۷۶ ه) فى «المعتبر»: كتبت من أجوبة مسائل جعفر بن محمد أربعمائة مصنف لأَربعمائة مصنف سمّوها أُصولًا «۳».

و قال الشهيد (۷۳۴- ۷۸۶ ه) فى «الذكرى»: كتب من أجوبة الامام الصادق- عليه السلام- أربعمائة مصنَّف لأَربعمائة مصنِّف، و دوِّن من رجاله المعروفين أربعة آلاف رجل «۴».

---

(۱) عمر رضا كحالة: معجم المؤَلفين: ۱۲- ۲۱.

(۲) الطبرسى: إعلام الورى: ۲۸۴.

(۳) المحقّق الحلى: المعتبر: ۱- ۲۶.

(۴) محمد بن مكى العاملى: الذكرى: ۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۹

هذه هى مسانيد الشيعة فى القرن الثانى، المعروفة بالأُصول الأَربعمائة و طوارق الزمان و إن مسّت وضعها، لكن لم تمس موادّها و مضامينها، فموادّ الأُصول و أحاديثها انتقلت إلى الجوامع الحديثية الأَوّلية، كجامع البزنطى و جامع محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأَشعرى باسم نوادر الحكمة و غيرهما، أو الثانوية كالكافى للكلينى (ت ۳۲۹ ه) أو الفقيه للصدوق (۳۰۶ ۳۸۱ ه) أو التهذيب و الاستبصار للطوسى (۳۸۵ ۴۶۰ ه) إلى غير ذلك من الجوامع الحديثية.

و قد قام الفاضل الجليل و الحجّة الثقة الشيخ بشير المحمدى المازندرانى دامت إفاضاته بإعادة مسند الحافظ الكبير محمد بن مسلم الطائفى إلى أوساط الحديث، بسعى متواصل و همّة قعساء، و بيّن مكانة محدّثنا الكبير فى الحديث و الأَحكام و العقائد، و قد دوّن مسندين آخرين لِامامين كبيرين فى الحديث، و هما:

۱- مسند محمد بن قيس البجلى، راوية أقضية الإِمام أمير المؤمنين عليه السَّلام.

۲- مسند زرارة بن أعين الشيبانى الكوفى.

و كان للكتابين صدى واسع فى الأَوساط العلمية، و نال التقدير و التبجيل من الأَكابر الملمّين بالحديث، وها هو الآن يقدم مسنداً ثالثاً للقرّاء، ألا و هو مسند ابن مسلم الطائفى، الذى كتب من أحاديث أبى جعفر الباقر- عليه السلام ثلاثين ألف حديث.

كما كتب من أحاديث ابنه الامام الصادق- عليه السلام- ستة عشر ألف حديث.

و لكنّه رعاه اللّه بعد الفحص الدَؤوب فى زوايا المكتبات و غضون المعاجم لم يعثر إلّا على ألفى حديث، و هذا ان دلّ على شىء إنّما يدلّ على ضياع قسم كبير من أحاديث حافظنا الكبير.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۰

۲- زرارة بن أعين الكوفى الشيبانى (۸۰- ۱۵۰ ه)

مسند زرارة و المسانيد فى الجوامع الحديثية

إنّ للحديث مكانة رفيعة بين المسلمين، و هو المصدر الرئيسىّ الثانى لديهم فى مجالى العقيدة و الشريعة.

فالفقيه يرجع إليه فى استنباط الأَحكام الشرعية المطهّرة، و المفسِّر يَركن إليه فى تفسير آيات الذكر الحكيم، و المتكلِّم يتّخذه سناداً لعقائد الإِسلام، و الخطيب يستمدُّ منه فى مجال الدعوة و الإِرشاد، و العارف يُميِّز به المحاسن عن المساوى، فهو القسطاس المستقيم و المعيار القويم.

و الحديث نور العقل و دليله، يتفكَّه به أُولو النُهى، و يأنس به اللبيبُ، و فيه غرر الحكم، و درر الحكم، و ينابيع العلم، فجَّرها اللّه سبحانه على لسانِ مَنْ لا ينطق عن الهوى، نبيِّه و أفضل رسله محمّد- صلى الله عليه و آله و سلم-، و وعاه عنه أوصياؤه و عترته، و حفظه عنه أصحابه و التابعون لهم بإحسان، بجدّ و حماس، و ولع شديد، إلى حدٍّ عضُّوا عليه النواجذ، و صرفوا فيه أعمارهم.

و ضربوا فى طريق تحصيله آباط الإِبل.

و من الموسف جدّاً أنّ الحظر السياسى بعد رحيل النبى صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم حالَ بين المسلمين و كتابة الحديث و تدوينه و نشره فى الأَقطار و الأَمصار، حتى صار التحدُّث

تذكرة الأعيان، ص: ۲۱

بحديث الرسول و كتابته و إفشائه إلى قرن، عملًا محظوراً يُلام على فعله، و يُحْرق كتابه بالنار، و يذهب جهده سدى «۱».

و قد سار الخلفاء على هذا النهى، و قامت حياتهم السياسية على هذا الأَساس، فكانت الصحابة و التابعون ممنوعين عن نشر ثانى أدلّة الأَحكام، و عدل القرآن، إلى أن رُفِعَ الحظرُ فى خلافة عمر بن عبد العزيز، حيث أحسّ بضرورة تدوين الحديث، فكتب رسالة إلى عالم المدينة أبى بكر بن حزم و أمره بكتابة حديث النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- لَانّه يخافُ من دروس العلم و ذهاب العلماء «۲».

رُفِعَ الحظر، و عادت فكرة إحياء ما دثر من الآثار إلى المجتمع الإِسلامى، لكن بعد ما اختلط الحابل بالنابل، و تسرَّبتْ موضوعات كثيرة عن طريق الأَحبار و الرهبان إلى الأَوساط الإِسلامية، و تفاقم الأَمر إلى حدٍّ أخرج محمد بن إسماعيل البخارى صحيحه، الذى يحتوى بلا تكرار على ۲۷۶۱ حديثاً من زهاء ستمائة ألف حديث «۳».

و مع أنّ عمر بن عبد العزيز كان مؤَكِّداً على تدوين الحديث و لكنَّ رواسبَ الحظر السابق حالت دون القيام بما أمر، فلم تكتب بعد صدور الأَمر إلّا صحائف غير مرتَّبة و لا منظَّمة، و إنّما قام المحدّثون بهذه الوظيفة الخطيرة بعد ما زالت دولة الأُمويين و أخذ أبو جعفر المنصور بمقاليد الحكم، فأخذوا بالكتابة و التدوين و التنظيم و الترتيب «۴».

و لئن خضعت رقاب ثلّة من الصحابة و التابعين لهذا النهى رغباً أو رهباً الحديث، وها هو الآن يقدم مسنداً ثالثاً للقرّاء، ألا و هو مسند ابن مسلم الطائفى، الذى كتب من أحاديث أبى جعفر الباقر- عليه السلام ثلاثين ألف حديث.

كما كتب من أحاديث ابنه الامام الصادق- عليه السلام- ستة عشر ألف حديث.

و لكنّه رعاه اللّه بعد الفحص الدَؤوب فى زوايا المكتبات و غضون المعاجم لم يعثر إلّا على ألفى حديث، و هذا ان دلّ على شىء إنّما يدلّ على ضياع قسم كبير من أحاديث حافظنا الكبير.

(۱) تقييد العلم للخطيب البغدادى: ۵۲.

(۲) الصحيح للبخارى: ۱- ۲۷.

(۳) إرشاد السارى لشهاب الدين القسطلانى: ۱- ۲۸.

(۴) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ۲۶۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۲

لكن كان هناك لفيف منهم لم يروا لهذا النهى وزناً و لا قيمة، و لم يعبأوا به، و قاموا بضبط الحديث و تدوينه، و على رأسهم إمام المسلمين على بن أبى طالب عليه السَّلام، و تبعته شيعته و أصحابه، نذكر منهم السبّاقين إلى التدوين:

۱- أبو ذر الغفارى: ضبط ما أوصاه به النبى- صلى الله عليه و آله و سلم-، و قد شرحه العلّامة المجلسى و أسماه «عين الحياة».

۲- أبو رافع مولى رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم- و خازن بيت المال فى عصر الامام على- عليه السلام-: له كتاب «السنن و الأَحكام و القضايا».

۳- ابنه على بن أبى رافع كاتب أمير المؤمنين- عليه السلام-: صنَّف كتاباً فى فنون من الفقه: الوضوء و الصلاة و نحوهما.

۴- ربيعة بن سميع، تلميذ الإمام أمير المؤمنين- عليه السلام-: له كتاب «زكاة النعم».

إلى غير ذلك من صحابىّ و تابعىّ، دفعوا عادية الحظر بالقيام بالوظيفة و تدوين ما روى عن النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- و قد استأثر الحديث باهتمام متزايد فى عصر الامام الباقر- عليه السلام- (۵۷ ۱۱۴ ه)، و الصادق- عليه السلام- (۸۳ ۱۴۸ ه).

و هذا هو أحمد بن محمد بن عيسى رئيس القمّيين فى عصره يقول: خرجت إلى الكوفة فى طلب الحديث، فلقيت بها الحسن بن على الوشّاء، فسألته أن يُخرج لى كتاب العلاء بن رزين و أبان بن عثمان الأَحمر فأخرجهما إلىّ، فقلت له أحبُّ أن تجيزهما لى، فقال لى: يا رحمك اللّه و ما عجلتك؟! اذهب فاكتبهما و اسمع من بعد، فقلت: لا آمن الحدثان، فقال: لو علمت أنّ هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه، فإنّى أدركت فى هذا المسجد تسعمائة شيخ كلّ يقول: حدّثنى جعفر بن محمد «۱».

---

(۱) رجال النجاشى: ۴۰ برقم ۸۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۳

الشيعة هم أهل السنّة حقيقة

إنّ الشيعة فى الواقع هم أهل السنّة، فإنّه إذا كانت اللفظة لا تعنى سوى الاهتمام بالسنّة و شؤونها فأئمّة الشيعة و تلاميذ مدرستهم هم الذين أحيوا السنّة و أماتوا البدعة، خصوصاً فى ظروف اندلعت فيها نيران الحرب بين الأَمويين و مناوئيهم من العباسيين، و قد استغلّ الإمامان الباقر و الصادق عليهما السَّلام الفرصة فنشروا من أحاديث النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- ما سارت به الركبان.

يقول الشيخ المفيد: لم يظهر عن أحد من ولد الحسن و الحسين عليهما السَّلام من علم الدين و الآثار و السنّة و علم القرآن و السيرة و فنون الآداب ما ظهر عن أبى جعفر- عليه السلام-، روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة و وجوه التابعين و رؤَساء فقهاء المسلمين «۱» و سارت بذكر كلامه الاخبار، و أُنشدت فى مدائحه الاشعار.

تربّى على يدى الإمام الصادق- عليه السلام- آلاف من المحدّثين و الفقهاء، و جمع أصحابُ الحديث أسماء الرواة عنه من الثقات فكانوا أربعة آلاف رجل «۲» و هذه سمة امتاز بها الامام الصادق على غيره من الأَئمّة.

و قد وجد الامام الصادق- عليه السلام- أنّ السنّة النبويّة قد بدأ يعتريها اتجاهات خطيرة و انحرافات واضحة ففنَّد الآراء الدخيلة و الأَحاديث المتسربة.

و قد أنجبت مدرسته الرفيعة شخصيات بارزة و فقهاء كبار يُعَدُّون من أعلام الدين و أساتذة العلم و أئمّة الحديث و رواد الفضيلة، و أخصّ بالذكر منهم الطبقة الممتازة من تلاميذ الإمامين عليهما السَّلام الذين كرّسوا أعمارهم فى ضبط ما وعوه عنهما حتى صاروا مصابيح الدجى و مشاكى الظلام.

---

(۱) الإرشاد للشيخ المفيد: ۲۶۱.

(۲) المناقب لابن شهرآشوب: ۴- ۲۴۷؛ الإرشاد للشيخ المفيد: ۲۷۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۴

قال الكشى عند تسمية الفقهاء من أصحاب أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السَّلام: اجتمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأَوّلين من أصحاب أبى جعفر عليه السلام-، و أصحاب أبى عبد اللّه- عليه السلام- و انقادوا لهم بالفقه فقالوا: أفقهُ الأَوّلين ستة: زرارة، و معروف بن خرّبوذ، و بُريد، و أبو بصير الأَسدى، و الفضيل بن يسار، و محمد بن مسلم الطائفى.

فقالوا: و أفقه الستة: زرارة «۱».

كيف لا- يكون أفقه الستة، بل أفقه أهل عصره و خريجى مدرسة الإمامين، و قد وصفه الامام الصادق- عليه السلام- بعقود درّية نقتطف منها ما يلى: إنّ زرارة من أُمناء اللّه على حلاله و حرامه، و من الذين ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين، و تأويل الغالين، و من القوّامين بالقسط، و السابقين إلينا فى الدنيا، و السابقين إلينا فى الآخرة، و هو أحبُّ الناس إلىّ أحياءً و أمواتاً، و لولاه لكانت أحاديث أبى ستذهب «۲».

و توالت كلمات الثناء و الاطراء فى حقّه من موَرخى الإسلام و علماء الرجال.

قال ابن النديم: و زرارة أكبر رجال الشيعة فقهاً و حديثاً و معرفة بالكلام و التشيّع «۳».

و قال النجاشى: زرارة بن أعين بن سُنْسُن، أبو الحسن، شيخ أصحابنا فى زمانه و متقدّمهم، و كان قارئاً فقيهاً متكلِّماً شاعراً أديباً، قد اجتمعت فيه خلال الفضل و الدين، صادقاً فيما يرويه.

و أطراه صدوق المحدّثين و قال: رأيت له كتاباً فى الاستطاعة و الجبر، و أنّه

---

(۱) رجال الكشى: ۲۰۶، ثمّ سمّى طبقة أُخرى من فقهاء أصحاب الإمام الصادق.

(۲) اقتطفنا هذه العقود الدرّية من مواضع مختلفة من كلام الامام الصادق عليه السلام- فى حقّ زرارة، تقرأها فى مواضعها فى مقدمة مسند زرارة، فلاحظ.

(۳) الفهرست لابن النديم: ۳۲۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۵

مات سنة خمسين و مائة «۱».

و هو كوفىّ التربة و الولادة، شيبانىُّ الولاء لا النسب، كما صرح به أكثر من ترجمه «۲».

مشايخه فى الرواية

إنّ شيخنا المترجم كان من حوارى الإمامين الباقر و الصادق عليهما السَّلام و من المختصّين بهما، روى عنهما فى العقيدة و الشريعة ما سيظهر لك مداه، إذا سبرت هذا المسند، و مع ذلك لم تَفِتْه الرواية عن سائر مشايخ الشيعة، أمثال:

۱- أبى الخطاب ۲- بكر ۳- الحسن البزاز ۴- الحسن بن السرى ۵- حمران بن أعين ۶ سالم بن أبى حفصة ۷- عبد الكريم بن عتبة

الهاشمى ۸- عبد اللّه بن عجلان ۹- عبد الملك ۱۰- عبد الواحد بن المختار الأنصارى ۱۱- عمر بن حنظلة ۱۲- الفضيل ۱۳ محمد بن مسلم ۱۴- اليسع «۳».

و قد جاء فى هذا المسند من أحاديثه المبثوثة فى كتب الحديث قرابة ۱۸۰۰ حديث.

هذا زرارة، و مكانته فى الحديث، و منزلته عند الأئمّة، و لا يشكّ فى وثاقته و صدقه و أمانته أىّ ذى مسكة.

و لئن صدر عن الامام الصادق- عليه السلام- فى بعض الظروف كلام لا يناسب شأن الرجل فإنّما صدر عنه- عليه السلام- لحفظ دمه و عرضه، لَانّ الرجل كان وليدَ بيت كبير ضربَ بجرانه الكوفة و أطرافها، و كان معاشراً مع أكابر السنّة و حكّامهم و قضاتهم، و كان فى بيته من لم يتشيّع بعدُ و كان أعداء أهل البيت يكنُّون العداء لرافع ولائهم و لوائهم، فأراد الإمام عليه السلام-

---

(۱) رجال النجاشى: ۱۷۵ برقم ۴۶۳.

(۲) الفهرست لابن النديم: الفن الخامس من المقالة السادسة تحت عنوان آل زرارة ص ۳۲۲.

(۳) معجم رجال الحديث للسيد الخوئى: ۷- ۲۴۷ برقم ۴۶۶۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۶

بكلامه هذا صيانة دمه.

و قد صرّح الامام بذلك فى كلامه مع ولده الحسين بن زرارة، فقال: «أقرئ منّى على والدك السلام، و قل له إنّى إنّما أعيبُك دفاعاً منّى عنك، فإنّ الناس و العدوّ يسارعون إلى كلِّ من قرّبناه و حُمدنا مكانه، لإدخال الأذى فيمن نحبُّه و نقرّبه، و يرمونه لمحبّتنا له و قربه و دنوّه منّا، و يرون إدخال الأذى عليه و قتله، و يَحمدون كل من عبناه نحن، و أن يُحْمَد أمره، فإنّما أعيبك لأنّك قد اشتهرت بنا و لميلك إلينا و أنت فى ذلك مذموم عند الناس غير محمود الأثر بمودتك لنا و بميلك إلينا، فأحببت أن أعيبك ليَحْمِدوا أمرك فى الدين بعيبك و نقصك و تكون بذلك منّا دافع شرهم عنك.

ثمّ تمثل بآية السفينة التى كانت لمساكين.. و قال: لا و اللّه ما عابها إلّا لكى تَسْلَمَ من الملك و لا تُغْصَبَ على يديه، و لقد كانت صالحة ليس للعيب منها مساغ» «۱».

إنّ هناك بوناً شاسعاً بين أبى بصير خِصِّيص الامام الصادق- عليه السلام- و زرارة ابن أعين، إذ لم تكن لأَبى بصير أيّة صلة بالشخصيات البارزة فى العراق خصوصاً الحكّام و القضاة، و ما كان معروفاً فى أوساط العراق، و هذا بخلاف زرارة، فقد كان من رجال العراق و رئيس القبيلة، و كفى فى ذلك ما قاله الجاحظ: زرارة بن أعين مولى بنى أسعد بن همام، و كان رئيس النميمة «۲» و يصفه أبو غالب من مشايخ الشيعة و من أبناء ذلك البيت الرفيع بقوله: إنّ زرارة كان وسيماً، جسيماً، أبيض، و كان يخرج إلى الجمعة و على رأسه برنس أسود، و بين عينيه سجادة، و فى يده عصا، فيقوم له الناس سماطين، ينظرون إليه لحسن هيئته، و ربما رجع عن طريقه، و كان خصماً، جدلًا، لا يقوم أحد لحجته، إلّا أنّ العبادة أشغلته عن الكلام، و المتكلّمون من الشيعة تلاميذه «۳».

---

(۱) رجال الكشى: ۱۳۸ برقم ۲۲۱، و قد أفاض الكلام فى ذلك العلّامة المامقانى، لاحظ تنقيح المقال.

(۲) رسالة أبى غالب الزرارى: ۱۳۴ و ۱۳۶.

(۳) رسالة أبى غالب الزرارى: ۱۳۴ و ۱۳۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۷

بيت آل أعين

هذا غيض من فيض و قليل من كثير ممّا يمكن أن يقال أو قيل فى حقّ فقيه عصره و محدّث زمانه، و كفى فى الإشادة بفضله و فقهه سبر هذا المسند، فإنّ فى نفس الأسئلة التى طرحها لدى الإمامين عليهما السَّلام لدليلًا واضحاً على أنّ الرجل كان ملمّاً بالفقه، عارفاً بأُصوله و قواعده، مناقشاً أبناء عصره، و كان يستمدّ من منهل علوم أئمته، و ربما كان لا يقتنع بسماع الحكم من إمامه، و يطلب منه الحجّة من الكتاب و السنّة، و يناقشه حتى يتجلّى له الحقّ، تلمس كلَّ ذلك بالسبر فى أحاديث هذا المسند.

و قد قام الشيخ المتضلّع أبو غالب الزرارى (۲۸۵ ۳۵۶ ه) بتأليف رسالة ضافية للتعرف على آل أعين والد زرارة فالناظر فى هذا الكتاب ينظر إلى روضة غنّاء يشاهد فيها شجرة طيّبة لها أغصان، و دوحة لها أفنان، و قد نبغ فى هذا البيت حَمَلةُ الحديث و حفّاظه، فصاروا قدوة للأُمّة و نوراً على جبين الدهر.

يقول شيخنا الزرارى فى صدر رسالته: أما بعد، فإنّا أهل بيت أكرمنا اللّه عزّ و جلّ بمنّه علينا بدينه و اختصّنا بصحبة أوليائه و حججه على خلقه من أوّل نشأتنا إلى وقت الفتنة التى امتحنت فيها الشيعة «۱».

فلقى حمران «۲» سيّدنا و سيد العابدين على بن الحسين صلوات اللّه عليهما، و كان حمرانُ من أكبر مشايخ الشيعة المفضَّلين، الذين لا يشكّ فيهم، فكان أحدَ حملة القرآن، و من يُعَدّ و يُذْكَرُ اسمه فى كَتْبِ القرّاء، و روى أنّه قرأ على أبى جعفر محمد بن على عليهما السَّلام، و كان مع ذلك عالماً بالنحو و اللغة.

و لقى حمران و جدّانا زرارة و بكير: أبا جعفر

---

(۱) أرّخ تاريخ الفتنة فى رسالته عام ۳۱۴، حيث هجمت القرامطة على الكوفة معقل الشيعة.

(۲) حمران بن أعين أخو زرارة.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۸

محمد بن على، و أبا عبد اللّه جعفر بن محمد عليهما السَّلام.

و لقى بعض إخوتهم و جماعة من أولادهم مثل حمزة بن حمران و عبيد بن زرارة و محمد بن حمران و غيرهم أبا عبد اللّه جعفر بن محمد عليهما السَّلام و رووا عنه إلى أن قال: و آل أعين أكثر أهل بيت فى الشيعة و أكثرهم حديثاً و فقهاً، و ذلك موجود فى كتب الحديث و معروف عند رواته. «۱»

ثمّ ذكر فى الرسالة رجال بيته الشامخ من عصر أعين إلى تاريخ تأليف الرسالة التى ألّفها لحفيده عام ۳۵۶، و من أراد الاطّلاع فعليه الرجوع إليها و قد شرحها العلّامة المعاصر السيد محمد على الموسوى الابطحى (دام ظلّه) «۲».

و قال بحر العلوم: آل أعين أكبر بيت فى الكوفة، من شيعة أهل البيت عليهم السَّلام، و أعظمهم شأناً، و أكثرهم رجالًا و أعياناً، و أطولهم مدة و زماناً، أدرك أوائلهم السجاد و الباقر و الصادق- عليهم السلام- و بقى أواخرهم إلى أوائل الغيبة الكبرى، و كان فيهم العلماء و الفقهاء و القرّاء و الأُدباء و رواة الحديث «۳».

المدوّنات فى الحديث و أقسامها

كثرت المدوّنات فى الحديث، و من أنواعها المسند و المعجم و الجامع و السنن «۴» فإذا كانت الأحاديث مدوّنة مرتبة على أسماء الصحابة فَيُتَرجَم بالمسند مقابل تدوينه على الأبواب، حيث يرتب المحدِّث كتابه على الموضوعات، و الموضوع الواحد يتناول موضوعاتٍ جزئية، و تحت كل موضوع جزئى أحاديث توضح الموضوع.

---

(۱) رسالة أبى غالب الزرارى: ۱۱۴.

(۲) طبعت الرسالة عام ۱۳۹۹ ه.

(۳) الفوائد الرجالية لبحر العلوم: ۱- ۲۲۲.

(۴) راجع فی الوقوف علی خصوصیات هذه الأَنواع، التقریب و التفسیر مع شرح السیوطی، و الوجیز فی علوم الحدیث، و لاحظ کتاب أُصول الحدیث و أحکامه: ۲۰۲ ۲۰۴.

تذکرة الأعیان، ص: ۲۹

ففی المسند یجمع المؤَلّف أحادیث الصحابی فی موضوعات مختلفة و یَضُمّ بعضها إلی بعضٍ تحت عنوان، کمسند عبد اللّه بن عباس، أو عبد اللّه بن مسعود، أو أُبیّ بن کعب، و ربما یتوسع فترتب المسانید علی أسماء القبائل، أو علی حسب السابقة إلی الإِسلام أو الشرافة فی البیت و قد یقتصر علی أحادیث صحابی واحد کمسند الامام علی- علیه السلام- أو جماعة منهم کأحادیث الخلفاء، أو العشرة، أو طائفة خاصة جمعها وصف واحد، کمسند الصحابة الذین نزلوا مصر أو الکوفة.

و قد قام لفیف من المحدثین القدامی بتدوین الحدیث علی هذا النوع، فمن الشیعة نذکر ما یلی:

۱- مسند الإِمام أمیر المؤمنین- علیه السلام- لأَبی أحمد عبد العزیز بن یحیی الجلودی شیخ جعفر بن قولویه الذی توفّی عام ۳۶۷ ه «۱».

۲- مسند ابن عباس له أیضاً «۲».

۳- مسند زید بن علی بن الحسین (الشهید عام ۱۲۲ ه) جمعها عبد العزیز ابن إسحاق البقّال (المتوفّی عام ۳۱۳ ه)، و رواه عن زید أبو خالد عمرو بن خالد الواسطی «۳».

و قد ذکر النجاشی سنده إلی عمرو بن خالد الواسطی الذی کان زیدیاً «۴».

۴- مسند عبد اللّه بن بکیر بن أعین جمعه أبو العباس أحمد بن عقدة الهمدانی الیمانی (المتوفّی عام ۳۳۳ ه) «۵».

إلی غیر ذلک ممّا ذکره البحاثة الکبیر شیخنا المجیز الطهرانی فی الذریعة «۶».

---

(۱) رجال النجاشی: ۲۴۰ برقم ۶۴۰.

(۲) رجال النجاشی: ۲۴۰ برقم ۶۴۰.

(۳) الذریعة للطهرانی: ۲۱- ۲۶.

(۴) رجال النجاشی: ۲۸۸ برقم ۷۷۱.

(۵) رجال النجاشی: ۹۴ برقم ۲۳۳.

(۶) الذریعة للطهرانی: ۲۱- ۲۷.

تذکرة الأعیان، ص: ۳۰

۵- مسند زرارة بن أعین (۸۰ ۱۵۰ ه) جمعها الشیخ بشیر المحمدی بعد جهد متواصل و سعی حثیث، فأعاد بذلک تألیف مسند شیخ الشیعة فی القرن الثانی.

و ألّف أهل السنّة مسانید کثیرة نذکر المشهور منها:

۱- مسند أبی داود سلمان بن داود بن الجارود البصری الطیالسی (المتوفّی عام ۲۰۶ ه).

و قیل هو أوّل من ألّف فی المسانید بین أهل السنّة «۱» و هو أحد عشر جزءاً طبع فی مجلّد واحد.

۲- مسند الحافظ عبد اللّه بن الزبیر الحمیدی (المتوفّی عام ۲۱۹ ه)، بتحقیق حبیب الرحمن الاعظمی فی جزءین، یبلغ عدد أحادیثه إلی ۱۳۰۰ حدیث و الغالب علیه المرفوعة، و فیه عدد قلیل من الآثار الموقوفة علی الصحابة و التابعین.

۳- مسند الامام أحمد (المتوفّى عام ۲۴۱ ه) و هو المتبادر عند الإطلاق، و قد أفردنا رسالة فى تحقيق حال هذا المسند، طبعت فى سالف الزمان ضمن كتاب حول مسند الامام أحمد.

۴- مسند الحافظ أبى يعلى الموصلى (۲۱۰ ۳۰۷ ه) طبع فى ثلاثة عشر جزءاً، بتحقيق حسين سليم أسد، و هناك مسانيد أُخرى يقف عليها من له إلمام بالحديث و علومه.

---

(۱) تدريب الراوى للسيوطى: ۱- ۱۴۰ نقلًا عن العراقى.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۱

۳- السيد على بن الحسين الموسوى الشريف المرتضى (۳۵۵ ۴۳۶ ه)

أكاذيب مزيفة فى حياة المرتضى

اشارة

لقد كان للسيدين الرضى و المرتضى مقام شامخ فى دنيا الكلام و الذبّ عن المذهب بما أُوتيا من و قادة الفكر، و رصانة البيان، ناهيك أنّ السيّد المرتضى له تصنيفات كثيرة فى حقل الكلام تتجلّى فيها أفكاره و قوّة برهانه، ككتاب «الشافى» الذى نقض به كتاب المغنى للقاضى عبد الجبار، و «الذّخيرة» و هى دورة كلامية مسهبة طبعت فى جزءين.

إضافة إلى ما أورده من البحوث الكلامية فى غرره و درره المعروف ب «الأَمالى» و فى «الفصول المختارة» و «تنزيه الأَنبياء» و رسائله و جواباته القيّمة.

و هذه المؤَلّفات تدلّ على سموّ مقامه و أنّه أُستاذ لا ينازعه أحد فى عصره.

و أمّا شقيقة الرضى فقد غلب أدبه و شعره على علمه، إلّا أنّ كتابه «حقائق التنزيل فى تفسير القرآن الكريم» الذى عبث به الزمان و لم يصل إلينا سوى الجزء الخامس منه، خير شاهد على نبوغه فى فهم و تفسير ما يرجع إلى الآيات حول العقائد و المعارف، مضافاً إلى أنّ ما فى كتابيه «مجازات القرآن» و «المجازات النبوية» غنى و كفاية على ذلك أيضاً.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۲

و لمّا نسبت بعض الأَيدى الاثيمة إليهما ما لا يليق بمقامهما الشامخ، آليت على نفسى أن أُدافع عنهما بمتابعة المعاجم و المصادر لتوخّى الحقيقة.

إنّ الرضى و المرتضى فى دوح السيادة ثمران، و فى فلك الرئاسة قمران، و أدب الرضى إذا قُرن بعلم المرتضى كان كالفِرِنْد فى متن الصارم المنتضى «۱».

و قد وصف أبو العلاء المعرّى الشريفين فى قصيدة يرثى بها والدهما بقوله:

أبقيتَ فينا كوكبين سناهما فى الصبح و الظلماء ليس بخاف

إلى أن قال:

ساوى الرضى و المرتضى و تقاسما خطط العلى بتناصف و تصاف

«۲» روى أهل السير و التواريخ أنّ المفيد أبا عبد اللّه محمد بن محمد بن النعمان نابغة العراق، و مفخرة الآفاق، رأى فى منامه أنّ فاطمة- عليها السلام- بنت رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم- دخلت إليه و هو فى مسجده بالكرخ و معها ولداها: الحسن و الحسين عليهما السَّلام صغيرين، فسلّمتهما إليه، و قالت له: علِّمهما الفقه.

فانتبه متعجّباً من ذلك، فلمّا تعالى النهار فى صبيحة تلك الليلة التى رأى فيها الرؤيا دخلت إليه المسجد فاطمة بنت الناصر، و حولها جواريها و بين يديها ابناها: محمد الرضى و علىّ المرتضى صغيرين، فقام إليها و سلم عليها فقالت له: أيّها الشيخ: هذان ولداى قد أحضرتهما لتعلّمهما الفقه، فبكى أبو عبد اللّه، و قصّ عليها المنام و تولّى تعليمهما الفقه، و أنعم اللّه عليهما و فتح لهما من أبواب العلوم و الفضائل ما اشتهر عنهما فى آفاق الدنيا، و هو باق ما بقى الدهر «۳».

---

(۱) دميّة القصر: ۱- ۲۹۹، القسم الثالث فى فضلاء العراق.

الفِرِنْد: السيف، يقال: «سيفٌ فِرِند» أى لا مثيل له.

(۲) ديوان سقط الزند لشاعر المعرّة: ۱۳۰۱، ط القاهرة.

(۳) ابن أبى الحديد المعتزلى: شرح نهج البلاغة: ۱- ۴۱؛ رياض العلماء: ۴- ۲۲؛ الروضات: ۴- ۲۹۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۳

هكذا بدأ العلمان حياتهما الفكرية و العلمية، و نشئا و ترعرعا فى مدرسة أُستاذ واحد غير أنّ كلّ منهما انطلق حسب ذوقه و مواهبه الطبيعية، و فى مجال خاصّ.

فصبّ الرضى اهتمامه على العلوم الأَدبية و الشعر، و الحديث و التفسير، و تولّى نقابة الطالبيّين إلى غير ذلك من مهامّ الأُمور.

بينما صبّ المرتضى جهوده على الفقه و الكلام ثمّ التفسير، فنبغ كلّ واحد منهما فى مجال خاصّ مع اشتراكهما فى سائر المجالات العلمية و الفكرية.

و لأَجل ذلك نجد أنّ الرضى يراجع أخاه المرتضى فى المسائل الفقهية و يطلب منه حلّها.

قال الشهيد الأَوّل فى «الذكرى» و الشهيد الثانى فى «الروض» فى مسألة الجاهل بالقصر فى السفر: حيث إنّ الإِمامية تذهب إلى صحّة صلاة الجاهل بالحكم إذا أتمّ مكان القصر.

سأل الرضى أخاه المرتضى و قال: إنّ الإِجماع واقع على أنّ من صلّى صلاة لا- يعلم أحكامها فهى غير مجزية، و الجهل بأعداد الركعات جهل بأحكامها فلا تكون مجزية، (فكيف تكون صلاة الجاهل بوجوب القصر إذا أتمّ صحيحة؟) فأجابه المرتضى بجواز تغيّر الحكم الشرعى بسبب الجهل، و إن كان الجاهل غير معذور «۱».

كما أنّ هناك ما ينبئَ عن أنّ المرتضى يرجع إلى أخيه الرضى فى الفنون التى برع فيها أخوه.

روى السيد نعمة اللّه الجزائرى قال: دخل أبو الحسن على السيّد المرتضى طاب ثراه يوماً و كان المرتضى قد نظم أبياتاً من الشعر فوقف به بحر الشعر فقال: يا أبا الحسن خذ هذه الأَبيات إلى أخى الرضى و قل له يتمّها

---

(۱) بحر الفوائد للعلّامة الشيخ محمد حسن الاشتيانى، ص ۴۵ و غيرها.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۴

و هى هذه:

سرى طيف سلمى طارقاً فاستفزّنى سحيراً و صحبى فى الفلاة رقود

فلمّا انتبهنا للخيال الذى سرى إذ الأَرض قفراً و المزار بعيد

فقلت لعينى عاودى النوم و اهجعى لعلّ خيالًا طارقاً سيعود

قال أبو الحسن:

فأخذت الأَبيات، و مضيت إلى السيّد الرضى، فلمّا رآها قال: علىّ بالمحبرة فكتب:

فردّت جواباً و الدموع بوادر و قد آن للشمل المشتت ورود

فهيهات عن ذكرى حبيب تعرّضت لنا دون لقياه مهامه بيد

فأتيت بها إلى المرتضى، فلمّا قرأها ضرب بعمامته الأَرض و قال: يعزّ عليّ أخي، يقتله الفهم بعد أُسبوع، فما دار الأُسبوع إلّا و قد مضى الرضيّ إلى رحمة اللّه سبحانه «۱».

و ممّا يكشف عن شدّة التلاحم و الارتباط و الودّ بين هذين الأَخوين العلمين، أنّه لمّا توفّي السيّد الرضي و حضر الوزير فخر الملك و جميع الأَعيان و الأَشراف و القضاة جنازته، و الصلاة عليه، مضى أخوه المرتضى من جزعه عليه إلى مشهد موسى بن جعفر عليهما السَّلام لَانّه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته و دفنه.

و صلّى عليه فخر الملك أبو غالب؛ و مضى بنفسه آخر النهار إلى أخيه المرتضى بالمشهد الشريف الكاظمي، فألزمه بالعَوْد إلى داره.

نرى أنّ المرتضى يصبّ عواطفه الرفيعة و حنانه في الأَبيات التالية:

---

(۱) رياض العلماء: ۴- ۶۴؛ الروضات: ۶- ۱۹۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۵

يا للرجال لفجعةٍ جَذَمَتْ يدى و وددت لو ذهبَت عليّ برأسى

ما زلت آبَى وِردَها حتى أتت فَحسوتُها فى بعض ما أنا حاسى

و مَطلتُها زمناً فلمّا صمّمت لم يَثنِها مَطْلِى و طولُ مِكاسى

للّه عمرك من قصير طاهرٍ و لربّ عمرٍ طال بالادناس «۱»

هذا بعض ما حفظ التاريخ من تفاني كلّ من الأَخوين بالنسبة إلى الآخر.

غير أنّ ثمة شرذمة من أهل السير و التراجم لم يتحمّلوا ما وجدوه بين هذين الأَخوين من العطف و المودّة، و الأَدب و الأَخلاق و الفضائل و المناقب، فعادوا ينسبون إليهما ما لا تصحّ نسبته إلى من هو أدون منهما بدرجات، و إليك بعض هذه التهم التي تكذّبها سيرة العلمين و حياتهما المشرقة.

المرتضى خائض في دماء..

يحكى أنّه اقتدى الرضى يوماً بأخيه المرتضى في بعض صلاته، فلمّا فرغ قال: لا أقتدى بك بعد هذا اليوم أبداً؛ قال: و كيف ذلك؟ قال: لأَنّي وجدتك خائضاً في صلاتك في دماء النساء فصدّقه المرتضى و أنصف، و التفت إلى أنّه أرسل ذهنه في أثناء تلك الصلاة إلى التفكّر في مسألة من مسائل الحيض.

و ربّما يحكى أنّ الرضى بمجرّد أن انكشفت له الحالة المزبورة، انصرف من صلاته و أخذ في الويل و العويل، و أظهر الفزع الطويل في تمام السبيل إلى أن بلغ المنزل بهذه الحالة؛ فلمّا فرغ المرتضى، أتى المنزل من فوره، و شكا ما صنعه به إلى أُمّه، فعاتبته على ذلك، فاعتذر عندها بما ذكر و أنّه كان يتفكّر إذ ذاك في مسألة من الحيض، سألته عنها بعض النسوة في أثناء مجيئه إلى الصلاة «۲».

---

(۱) ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة: ۱- ۴۱.

راجع ديوانه: ۲- ۱۴۲.

(۲) روضات الجنات: ۲۰۳۶- ۲۰۲، نقلًا عن صاحب حدائق المقرّبين.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۶

تساوَلات حول القصة؟ و هذه القصة تحيط بها إبهامات عديدة و تساؤلات نشير إليها: الأوّل: هل الفكرة الشرعية الصحيحة إذا راودت ذهن الإنسان فى أوقات الصلاة أو غيرها توجب تمثّلَ الإنسان بنفس تلك الفكرة عند أرباب البصائر و ذوى العيون البرزخية، الذين يستطيعون مشاهدة ما وراء الحجب و الستور ببصائرهم؟ فلو خاض الإنسان فى أحكام السرقة أو حدّ الزنا و القذف، فهل يوجب ذلك أن يتمثّل المفكّر فيها، عند من يعاين الأَشياء بأنظار ثاقبة، سارقاً و زانياً و قاذفاً؟ لا أظن أن يتفوّه بهذا أىّ حكيم نابه أو عارف بصير، بل لازم تلك البصيرة أن يعاين صاحب الفكرة على الحالة التى هو عليها، فيرى الرضى صاحب تلك البصيرة أخاه الفقيه على الحالة التى هو عليها، أى مفكّراً و متعمّقاً فى مسألة فقهية شاغلًا بها لا خائضاً فى الدماء.

الثانى: أنّ القصة تكذّب نفسها، فإنّ لازم رجوع النساء إلى المرتضى فى المسائل المختصة بالنساء هو كون المسئول من ذوى الشخصيات الضاربة فى الأَربعين أو ما يقاربه، و لازم إرجاع الشكاية إلى الأم كون المصلّى و المقتدى فى سنين الصبا، و من المعلوم أنّ الأَخوين كانا متقاربى السن و لا يكبر المرتضى عن أخيه الرضى إلّا بأربعة أعوام.

الثالث: أنّ القصة على بعض الروايات تصرّح بانصراف الرضى عن الصلاة بقطعها و إبطالها، و هو أمر محرّم و لا يسوغ لمثل الرضى ارتكابه.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۷

۲- المرتضى شحيح و الرضىّ سخى!

إنّ هذه التهمة ليست التهمة الوحيدة التى أُلصقت بالمرتضى، بل نسجت الأَلسنة الحاقدة فرية أُخرى أرادوا بها الانتقاص من ذينك العلمين الجليلين، و إليك واحدة أُخرى من هذه التهم: قال صاحب كتاب «عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب»: إنّ المرتضى كان يبخل و لمّا مات خلف مالًا كثيراً و خزانته اشتملت على ثمانين ألف مجلّد، و لم أسمع بمثل ذلك، و قد أناف القاضى عبد الرحمن الشيبانى على جميع من جمع كتباً فاشتملت خزانته على مائة ألف و أربعين ألف، و كان المستنصر أودع خزانته فى المستنصرية ثمانين ألف مجلداً «۱».

ثمّ إنّ القصّاصين لم يكتفوا بهذه التهمة، بل ذكروا شاهداً و نقلوا عن أبى حامد أحمد بن محمد الاسفرائينى الفقيه الشافعى انّه قال: كنت يوماً عند فخر الملك أبى غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة و ابنه سلطان الدولة، فدخل عليه الرضى أبو الحسن، فأعظمه و أجلّه و رفع من منزلته، و خلّى ما بيده من الرقاع و القصص، و أقبل عليه يحادثه إلى أن انصرف، ثمّ دخل عليه المرتضى أبو القاسم رحمه اللّه فلم يعظّمه ذلك التعظيم، و لا أكرمه ذلك الإكرام.

و تشاغل عنه برقاع يقرأها، و توقيعات يوقّع بها، فجلس قليلًا، و سأله أمراً، فقضاه، ثمّ انصرف.

قال أبو حامد: فتقدّمتُ إليه، و قلت له: أصلح اللّه الوزير هذا المرتضى هو الفقيه المتكلّم صاحب الفنون، و هو الأَمثل و الأَفضل منهما و إنّما أبو الحسن شاعر، قال: فقال لى: إذا انصرف الناس و خلا المجلس أجبتك عن هذه المسألة.

قال: و كنت مُجمِعاً على الانصراف، فجاءنى أمرٌ لم يكن فى الحساب،

---

(۱) عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب: ۲۳۵؛ و لاحظ أيضاً الرياض: ۴- ۲۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۸

فدعتِ الضرورة إلى ملازمة المجلس إلى أن تقوّض الناس واحداً فواحداً.

فلمّا لم يبق إلّا غلمانه و حُجّابه، دعا بالطعام، فلمّا أكلنا و غسل يديه و انصرف عنه أكثرُ غلمانه، و لم يبق عنده غيرى قال لخادم: هات الكتابين اللّذين دفعتهما إليك منذ أيّام و أمرتُك أن تجعلهما فى السفَط الفلانى فأحضرَهما، فقال: هذا كتاب الرضىّ، اتّصل بى أنّه

قد وُلدَ له ولد، فأنفذتُ إليه ألف دينار و قلت له: هذه للقابلة، فقد جرت العادة أن يحمِل الأصدقاء إلى أخِلّائهم و ذوى مودّتهم مثلَ هذا فى مثل هذه الحال، فردّها و كتب إلىّ: هذا الكتاب فاقرأه، قال: فقرأته و هو اعتذار عن الرد، و فى جملته: إنّنا أهل بيت لا يطّلع على أحوالنا قابلة غريبة، و إنّما عجائزنا يتولّين هذا الأَمر من نسائنا و لَسنَ ممّن يأخذ أُجرة، و لا يقبلن صلة.

قال: فهذا هذا.

و أمّا المرتضى فإنّنا كنّا قد وزّعنا و قسّطنا على الاملاك ببادرويا تقسيطاً نصرفه فى حَفر فوّهة النهر المعروف بنهرِ عيسى، فأصاب مِلكاً للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط عشرون درهماً ثَمَنها دينار واحد، قد كتب إلىّ منذ أيام فى هذا المعنى هذا الكتاب، فاقرأه، فقرأته و هو أكثر من مائة سطر، يتضمّن من الخضوع و الخشوع و الاستمالة و الهزّ و الطلب و السؤَال فى إسقاط هذه الدراهم المذكورة عن أملاكه المشار إليها ما يطول شرحه.

قال فخر الملك: فأيّهما ترى أولى بالتعظيم و التبجيل؟ هذا العالم المتكلّم الفقيه الأَوحد و نفسه هذه النفس، أم ذلك الذى لم يُشهر إلّا بالشعر خاصّة، و نفسُه تلك النفس! فقلت: وفّق اللّه تعالى سيدنا الوزير فمازال موفّقاً؛ و اللّه ما وضع سيدنا الوزير الأَمرَ إلّا فى موضعه، و لا أحلّه إلّا فى محلّه! و قمت فانصرفت «۱».

---

(۱) ابن أبى الحديد المعتزلى: شرح نهج البلاغة: ۴۰۱- ۳۹؛ روضات الجنات: ۶- ۱۹۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۹

قرائن تكذّب هذه القصة إنّ ثمة قرائن و شواهد قويّة دلّت على أنّ القصة، حديث كاذب، و تهمة مختلقة، و إليك تلك القرائن المفيدة للعلم بخلاف هذه الحكاية:

۱- إنّ السيد المرتضى و هو ذلك الرجل الصدوق ينصّ بنفسه على أنّه لم يكن يرى لثروته الطائلة قيمة تجاه مكارمه و كراماته و كان يقول:

و ما حزّنى الإملاق و الثروة التى يذلُّ بها أهل اليسار ضلالُ

أ ليس يُبقّى المال إلّا ضنانة و أفقر أقواماً ندى و نوالُ

إذا لم أنل بالمال حاجة مُعسر حصورٍ عن الشكوى فمالى مال

«۱» أ فترى أنّ صاحب هذه الروحية العالية يكتب لإعطاء عشرين درهماً مائة سطر يتضمّن من الخضوع و الخشوع ما لا يرتكبه أدنى الناس فكيف بمثله؟! ۲- إنّ الشريف المرتضى تقلّد بعد أخيه الرضى نقابة الشرفاء شرقاً و غرباً و إمارة الحاج و الحرمين، و النظر فى المظالم، و قضاء القضاء ثلاثين سنة و ذلك من عام ۴۰۶) و هو العام الذى توفّى فيه أخوه الرضى) إلى عام ۴۳۶ الذى توفّى فيه نفس الشريف.

أ فهل يمكن أن يقوم بأعباء مثل هذه المسئولية الاجتماعية من يبخل بدينار واحد يصرفه فخر الملك فى حفر نهر تعود فائدته إلى الجميع، و يكتب فى إسقاطه أكثر من مائة سطر؟! حاشاه.

هذا و الحجيج بين شاكر لكلاءته، و ذاكر لمقدرته، و مُطْرٍ لأَخلاقه، و متبرّك بفضائله، و مثنٍ على أياديه، و هذا يفيد أنّ الشريف المرتضى كان كأخيه الرضى

---

(۱) الغدير: ۴- ۲۷۵، و لم يذكر مصدره.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۰

سخياً معطياً، و لم ير للمال قيمة.

۳- إنّ ابن خلّكان بعد ما عرّفه بقوله: كان إماماً فى علم الكلام و الأدب و الشعر، أتى بقصة حكاها الخطيب التبريزى، و هى بنفسها أقوى شاهد على أنّ السيد كان ذا سماحة كبيرة.

قال الخطيب: إنّ أبا الحسن علىّ بن أحمد بن علىّ بن سلَّك الفالى الأَديب كانت له نسخة لكتاب «الجمهرة» لابن دريد فى غاية الجودة، فدعته الحاجة إلى بيعها فباعها و اشتراها الشريف المرتضى بستّين ديناراً، فتصفّحها فوجد فيها أبياتاً بخطّ بائعها، و هى:

أنِسْتُ بها عشرين حولًا و بعتها فقد طال وَجْدى بعدها و حنينى

و ما كان ظنّى أنّنى سأبيعها و لو خلَّدتنى فى السجون ديونى

و لكن لضعفٍ و افتقار و صبيةٍ صغارٍ عليهم تستهلُّ شئونى

فقلت و لم أملك سوابق عَبرةٍ مقالة مكوىّ الفؤَاد حزينِ

«و قد تُخرج الحاجات يا أُم مالك كرائم من ربّ بهنّ ضَنين»

و قال الخطيب:

فأرجع السيد النسخة إليه و ترك له الدنانير «۱».

أ فهل فى وسع البخيل الشحيح المقدم على التنقيص من كرامته لأَجل إسقاط دينار ضُرب عليه لحضرته، أن تسخو نفسه و تجود بمثل هذه الدنانير؟! ۴- روى أصحاب التراجم أنّ السيد المرتضى كان يجرى الرزق على جميع تلامذته حتى انّه قرّر للشيخ الطوسى كلّ شهر أيّام قراءته عليه اثنى عشر ديناراً و على ابن البرّاج كلّ شهر ثمانية دنانير، ليتفرّغوا بكلّ جهدهم إلى الدراسة من غير

---

(۱) وفيات الأَعيان: ۳- ۳۱۶، ط بيروت، دار الثقافة.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۱

تفكّر فى أزمات المعيشة «۱».

أ فى وسع القارى أن يتّهم من يدرّ من ماله الطاهر أو ممّا يصل إليه من الناس من الحقوق الشرعية على تلامذته الكثيرين البالغ عددهم المئات هذه الرواتب الطائلة، أن يشحّ و يبخل بدينار، و يكتب فى إسقاطه مائة سطر؟!! ۵- إنّ الشريف المرتضى كان قد وقف قرية على كاغذ «۲» الفقهاء، حتى لا يواجه الفقهاء أية أزمة فى لوازم الكتابة و التحرير.

۶- و قد روى أنّ السيد المرتضى كان يملك قرى كثيرة واقعة بين بغداد و كربلاء، و كانت معمورة فى الغاية، و قد نُقِل فى وصف عمارتها أنّه كان بين بغداد و كربلاء نهر كبير، و على حافتى النهر كانت القرى إلى الفرات، و كان يعمل فى ذلك السفائن، فإذا كان فى موسم الثمار كانت السفائن المارة فى ذلك النهر تمتلئ من سقطات تلك الأَشجار الواقعة على حافتى النهر، و كان الناس يأكلون منها من دون مانع «۳».

۷- قد نقل أصحاب السير أنّ الناس أصابهم فى بعض السنين قحط شديد، فاحتال رجل يهودى على تحصيل قوته، فحضر يوماً مجلس الشريف المرتضى و سأله أن يأذن له فى أن يقرأ عليه شيئاً من علم النجوم، و أمر له بجزاية تجرى عليه كلّ يوم، فقرأ عليه برهة، ثمّ أسلم على يديه «۴».

۸- إنّ ياقوت الحموى نصّ فى معجم الأُدباء (ج ۳، ص ۱۵۴) على

---

(۱) الرياض: ۴- ۲۰، لاحظ مقالنا حول ترجمة عبد العزيز بن البرّاج المنشور فى الجزء الأَوّل من كتاب «المهذّب» فقد ذكرنا مصادر هذا الموضوع.

(۲) كذا فى المصدر.

و المراد القرطاس.

لاحظ الروضات: ۴- ۲۹۶.

(۳) الرياض: ۴- ۲۰.

(۴) الرياض: ۴- ۲۳؛ الروضات: ۴- ۲۹۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۲

أنّ المرتضى كان يدخل عليه من أملاكه كلّ سنة أربعة و عشرون ألف دينار.

۹- إنّ الشريف المرتضى هو أوّل من جعل داره دار العلم و قدرها للمناظرة و يقال: إنّه أُمّر و لم يبلغ العشرين، و كان قد حصل على رئاسة الدنيا بالعلم و العمل الكثير، و المواظبة على تلاوة القرآن و قيام الليل، و إفادة العلم، و كان لا يؤَثر على العلم شيئاً مع البلاغة و فصاحة اللهجة.

و حكى عن الشيخ أبى إسحاق الشيرازى أنّه قال: كان الشريف المرتضى ثابت الجأش، ينطق بلسان المعرفة و يردّد الكلمة المسدّدة، فتمرق مروق السهم من الرمية ما أصاب و ما أخطأ أشوى «۱».

و القارى الكريم إذا لاحظ ما ذكرناه فى هذه الفقرات الخمس الأَخيرة يقف على تفاهة ما نُسب إلى هذا العَلَم من تلك القصّة المنحوتة المختلَقَة.

۱۰- إنّ القصّة تتضمّن أنّ فخر الملك لم يُعظِّم المرتضى بما يليق بشأنه و تشاغل عنه برقاع يقرأها و توقيعات يوقع بها، و لكن الفخر هذا قد عظم المرتضى بأفضل ما يمكن يوم مات الشريف الرضى حيث إنّ المرتضى لم يشهد جنازة أخيه، و لم يستطع أن ينظر إلى تابوته و ذهب إلى مشهد موسى بن جعفر عليهما السَّلام، و مضى فخر الملك بنفسه آخر النهار إلى المشهد الكاظمى، و استدعى منا لسيد العود إلى داره ببغداد.

فبأى هذين الموقفين نذعن؟! هذه القرائن و الشواهد تشهد بوضوح على بطلان هذه القصة الخرافية، و تدلّ على أنّ ناسجها نسجها فى غير موضعها.

۱۱- قد اشتهر على ألسن العلماء أنّه لمّا اتّفقت فقهاء العامة على حصر

---

(۱) لسان الميزان: ۴- ۲۲۳ نقلًا عن تاريخ ابن أبى طىّ.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۳

المذاهب الفقهية الإِسلامية التى تعدّدت و تشعّبت من زمان الصحابة و التابعين و من تبعهم إلى عصر السيد المرتضى فى مذاهب معيّنة، التقى السيد المرتضى بالخليفة و تعهّد له أن يأخذ من الشيعة مائة ألف دينار حتى ترفع التقيّة و المؤاخذة على الانتساب إليهم، فتقبّل الخليفة؛ ثمّ إنّه بذل لذلك من عين ماله ثمانين ألفاً، و طلب من الشيعة بقية المال، و من الأَسف إنّهم لم يقدروا عليه «۱» و هذه القصة سواء أصحّت أم لا، تكشف على أنّ السيد كان من السخاء بمكان بحيث أمكن نسبة هذه القصّة إليه.

۱۲- هذا هو الدفاع الصحيح عن كرامة السيد الجليل و دحض القصة بهذه القرائن المفيدة للعلم، و العجب أنّ صاحب الروضات بعد ما نقل تلك القصة المختلقة انبرى للدفاع عن السيد بما نقله عن السيد الجزائرى بقوله: كأنّ الوزير فخر الملك لم يتحقّق معنى علو الهمّة، فلذا عاب الأَمر على الشريف المرتضى، و إنّما كان على غضاضة فى ذلك الكتاب لو كان سائلًا لها من أموال الوزير، و ما فعله الشريف عند التحقيق من جملة علو الهمّة، و ذلك أنّه دفع عن ملكه بدعة لو لم يتداركها بقيت على ملكه، و ربما وضعت من قدره لو بقيت عند أهل الاملاك و غيرهم، و كما أنّه ورد الحديث: المؤمن ينبغى له الحرص على حيازة ماله الحلال، كى ينفقه فى سبيل الطاعات.

كما كانت عادة جدّه أبى طالب بن عبد المطلب، فإنّه كان يباشر جبر ما انكسر من مواشيه و أنعامه، فإذا جاء الوافد إليه وهبها مع رعاتها له «۲».

---

(۱) الروضات: ۴- ۳۰۷.

و لاحظ الرياض: ۳۴۴- ۳۲، و قال فى الأَخير ص ۵۳: إنّه خلف بعد وفاته ثمانين ألف مجلد من مقرواته و مصنّفاته و محفوظاته و من الأَموال و الأَملاك ما يتجاوز عن الوصف.

إلى آخر ما أفاد.

(۲) روضات الجنات: ۲۰۴۶- ۲۰۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۴

غير أنّه كان من الواجب على السيد الجزائرى و صاحب الروضات أن يفنّدا هذه القصة من أساسها للقرائن و الشواهد التى ألمحنا إلى بعضها، كما كان عليهما أن يتمسكا فى المقام بما روى عن علىّ- عليه السلام-: «من أنّ أفضل المال ما وقى به العرض، و قضيت به الحقوق» «۱».

الشريف الرضى

قد عرفت ما فى كنانة القصّاصين من التّهم الباطلة الموجّهة إلى الشريف المرتضى، فهلمّ الآن إلى ما اختلقه الآخرون ممّن يحملون الحقد و البغض الدفين لأَبناء البيت العلوى حول الشريف الرضى و إن نقله أصحاب التراجم من غير دقّة و تحقيق.

فقالوا: كان الرضى ينسب إلى الإِفراط فى عقاب الجانى، و له فى ذلك حكايات، منها: انّ امرأة علويّة شكت إليه زوجها، و أنّه لا يقوم بمئونتها، و شهد لها من حضر بالصدق فى ما ذكرت، فاستحضره الشريف و أمر به، فبُطِح و أمر بضربة فضرب، و المرأة تنظر أن يكف و الأَمر يزيد حتى جاوز ضربه مائة خشبة؛ فصاحت المرأة: «و أيتم أولادى كيف يكون حالنا إذا مات هذا؟» فكلّمها الشريف بكلام فظّ، و قال: ظننت أنّك تشكينه إلى المعلّم؟ «۲» لا شكّ أنّه كان من وظيفة الشريف الرضى نصح الزوج، و دعوته إلى الرفق بالمرأة، و القيام بلوازم حياتها لا الأَمر ببطحه و ضربه ضرباً كاد يقضى على حياته.

و على فرض أنّ الشريف كان آيساً من تأثير النصح فى ذلك الرجل، كان يجب عليه القيام بما جاء به الشرع من مورد التعزيرات، إذ لا شكّ أنّ ذلك المورد ليس من موارد الحدود بل من موارد التعزيرات، فإنّ الحدود ما جاء به الشرع

---

(۱) بحار الأَنوار: ۷۸- ۷.

(۲) الروضات: ۶- ۱۹۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۵

بمقرّر و حدّ خاص، و أسبابه كما فى «الشرائع» على ما قرّر فى الفقه ستّة: الزنا و ما يتبعه، و القذف، و شرب الخمر، و السرقة، و قطع الطريق.

و المورد ليس من تلك الموارد، ففيه التعزير، و قد قرّر فى محلّه أنّه يجب أن يكون التعزير أقلّ من الحدّ.

روى حمّاد بن عثمان عن الصادق- عليه السلام- قال قلت له: التعزير؟ فقال: دون الحدّ، قال قلت: دون ثمانين؟ قال: لا، و لكن دون أربعين فإنّها حدّ المملوك، قلت: و كم ذاك؟ قال: على قدر ما يراه الوالى من ذنب الرجل و قوّة بدنه «۱».

و بما أنّ حدّ القاذف فى الحر هو ثمانون جلدة، فلو قلنا بأنّ حدّ المملوك فيه نصف ما على الحر، يصير الحدّ المقرر هو أربعون

جلدة، قال تعالى: (فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ) «۲» فيجب أن يكون التعزير على هذا، دون الأربعين.

و فى خبر القاسم بن سليمان: سئل الصادق- عليه السلام- عن العبد إذا افترى على الحرّ كم يُجلد؟ قال: «أربعين» «۳».

و لو قلنا بأنّه لا يشترط فى الثمانين الحرية و أنّ حدّ القاذف فى الحر و العبد سواء كما هو المشهور و أنّ الفاحشة (فى الآية) التى تصرّح باختلاف حدّ الحر مع العبد ظاهرة فى الزنا فقط، و حدّها حسب تصريح الذكر الحكيم هو مائة جلدة، يكون أقلّ الحدّ هو خمسين «۴».

و إن قلنا: إنّ قوله: «دون الحد» منصرف عن حدود العبد، و الأمة لأنّ الأحكام المتعلّقة بهما فى الإسلام، أحكام مؤقتة ثابتة ما دامت الرقية موجودة، فإذا

---

(۱) الوسائل: ۱۸- ۵۸۴ أبواب بقية الحدود، الباب ۱۰، الحديث ۲.

(۲) النساء: ۲۵.

(۳) المنتظم: ۷- ۲۷۹.

(۴) ابن أبى الحديد المعتزلى: شرح نهج البلاغة: ۱- ۳۲.

ارتفع الموضوع و لم يوجد فى أديم الأرض أية رقية، ترتفع أحكامها بارتفاع موضوعها.

و الناظر فى التشريع الإسلامى يقف على أنّ الشارع اهتمّ بتحرير العبيد و الإماء بطرق كثيرة كانت تقضى على حديث الرقية و أنّ الحكومات القائمة باسم الإسلام ما قامت بوظيفتها فى ذاك المجال.

فلو قلنا بذلك الانصراف، و قلنا بأنّ ما ورد فى حدّ القيادة من أنّه يضرب ثلاثة أرباع الزانى خمسة و سبعين سوطاً «۱» حدّ لا تعزير و لا توضيح لأحد مصاديقه، يكون «أقل الحدّ» هو أربعة و سبعون سوطاً ممّا دونه، و على كلّ تقدير ليس فى الفقه الإمامى تعزير يتجاوز عن المائة، و كان الرضى يعمل بالفقه الإمامى و يعتنقه و ليس ممّن يخفى عليه ذاك الحكم الذى كان يمارسه طيلة نقابته للطالبيين.

و على كلّ هذه التقادير كيف أمر الشريف بجلد ذلك الرجل حتى جاوز مائة خشبة مع أنّه رحمه اللّه ذلك الورع التقى الذى اتّفق الجميع على طهارته، و نزاهته و تقواه؟ و ما نرى ذلك إلّا فرية أراد الجاعل الحطّ بها من مكانة السيد الشريف قدس اللّه روحه.

و قد روى عن أبى جعفر أنّ أمير المؤمنين- عليه السلام- أمر قنبراً أن يضرب رجلًا حدّا، فغلط قنبر، فزاده ثلاثة أسواط، فأقاده علىّ- عليه السلام- من قنبر بثلاثة أسواط «۲».

إنّ الشريف الرضى هو الذى يعرّفه ابن الجوزى فى المنتظم: كان الرضى نقيب الطالبيين ببغداد، حفظ القرآن فى مدّة يسيرة بعد أن جاوز ثلاثين سنة، و عرف من الفقه و الفرائض طرفاً قويّاً، و كان عالماً، فاضلًا، و شاعراً مترسّلًا، عفيفاً، عالى الهمّة، متديّناً، اشترى فى بعض الأيام جزازاً من امرأة بخمسة دراهم فوجد

---

(۱) صحاح الاخبار: ۶۱.

(۲) ابن أبى الحديد المعتزلى: شرح نهج البلاغة: ۱- ۳۳.

و لاحظ الغدير: ۱- ۲۵۰.

جزءاً بخط أبى عبد اللّه بن مقلة، فقال للدلّال: أحضر المرأة، فأحضرها فقال: قد وجدت فى الجزاز جزءاً بخط ابن مقلة، فإن أردت

الجزء فخذيه و إن اخترت ثمنه فهذه خمسة دراهم، فأخذتها، و دعت له، و انصرفت «۱».

فمن كان هذا مبلغ تقواه و ورعه، لا يقدم على معاقبة الزوج أمام زوجته بتلك المعاقبة الخشنة الخارجة عن حدود الشرع.

هذا ابن أبى الحديد يعرّفه فى كتابه بقوله: كان عفيفاً، شريف النفس، عالى الهمّة، ملتزماً بالدين و قوانينه، و لم يقبل من أحد صلة و لا جائزة «۲».

و هذا الرفاعى يعرّفه فى صحاح الاخبار بقوله: كان أشعر قريش، و ذلك لَانّ الشاعر المجيد من قريش ليس بمكثر، و المكثر ليس بمجيد، و الرضى جمع بين فضلى الإكثار و الإجادة، و كان صاحب ورع و عفّة، و عدل فى الأَقضية، و هيبة فى النفوس «۳».

فمن كان عفيفاً شريف النفس ملتزماً بالدين و قوانينه، و كان صاحب ورع و عفّة، و عدل فى الأَقضية أ ترى يتجاوز عن حدود الشريعة و يرتكب ما لا- يرتكبه من له أدنى ورع؟ ما هكذا تورد يا سعد الإبل!! لقد تولّى الشريف نقابة الطالبيّين و أمارة الحجّ و النظر فى المظالم سنة ۳۸۰ ه و هو ابن واحد و عشرين سنة على عهد الطائع، و صدرت الأَوامر بذلك من بهاء الدولة و هو بالبصرة عام ۳۹۷ ه، ثمَّ عهد إليه فى ۱۶ محرم عام ۴۰۳ ه بولاية أُمور الطالبيّين فى جميع البلاد فدُعى نقيب النقباء، و لم يبلغ أحد من أهل البيت تلك المنزلة إلّاالإمام علىّ بن موسى الرضا سلام اللّه عليه الذى كانت له ولاية عهد و الجُزاز: قطعة من الصوف الذى يُجزّ من الغنم.

---

(۱) المنتظم: ۱۵- ۱۱۵ برقم ۳۰۶۵.

(۲) ابن أبى الحديد المعتزلى: شرح نهج البلاغة: ۱- ۳۳.

(۳) صحاح الأَخبار: ۶۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۸

المأمون.

و أُتيحت للشريف الخلافة على الحرمين على عهد القادر «۱».

و النقابة موضوعة لصيانة ذوى الأَنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم فى النسب، و لا يساويهم فى الشرف ليكون عليهم أحبى، و أمره فيهم أمضى، و هى على ضربين: خاصّة و عامة، أمّا الخاصة فهو أن يختصر بنظره على مجرّد النقابة من غير تجاوز لها إلى حكم و إقامة حدّ، فلا يكون العلم معتبراً فى شروطها و يلزمه فى النقابة على أهله من حقوق النظر اثنا عشر حقّا، و قد ذكرها الماوردى فى الأَحكام السلطانية.

و أمّا النقابة العامّة فعمومها أن يردَ إلى النقيب فى النقابة عليهم، مع ما قدمناه من حقوق النظر، خمسة أشياء:

۱- الحكم بينهم فى ما تنازعوا فيه.

۲- الولاية على أيتامهم فى ما ملكوه.

۳- إقامة الحدود عليهم فى ما ارتكبوه.

۴- تزويج الأَيامى اللّاتى لا يتعيّن أولياؤهنّ أو قد تعيّنوا فعضلوهن.

۵- إيقاع الحَجر على من عته منهم أو سفه و فكه إذا أفاق و رشد.

فيصير بهذه الخمسة عامَّ النقابة، فيعتبر فى صحّة نقابته وعد ولايته أن يكون عالماً من أهل الاجتهاد ليصحّ حكمه، و ينفذ قضاؤَه «۲».

فمن تصدّى لهذه المناصب الخطيرة أعواماً و سنين عديدة مضافاً إلى ولاية المظالم و الولاية على الحج، و الكلّ يتطلّب خصوصيات و صفات نفسانيّة عالية، و سجايا أخلاقية رفيعة جدّاً حتى انّه يجب أن يكون ظاهر العفّة، قليل الطمع، كثير الورع، لا يعقل أن يقوم بما جاء ذكره فى القصة السابقة التى لا توجد إلّا فى

---

(۱) ابن أبى الحديد المعتزلى: شرح نهج البلاغة: ۱- ۳۸.

و لاحظ الغدير: ۴- ۲۰۵.

(۲) الاحكام السلطانية، ص ۸۶۸۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۹

علبة القصّاصين و جعبة الوضّاعين.

كلّ ما مرّ عليك من الأكاذيب و التهم قد أُلصقت إمّا بالشريف الرضى أو بأخيه المرتضى، و كان الهدف من وراء وضعها تكبير هذا بتصغير ذلك أو بالعكس، هذا يرشد إلى أنّ كليهما كانا موضع حقد البعض و بغضهم و حسدهم.

و يؤَيّد ذلك ما اتُّهما به على وجه الاشتراك، و أوّل ما رُميا به ما ذكره ابن خلّكان فى تاريخه إذ قال: اختلف الناس فى كتاب «نهج البلاغة» المجموع من كلام الامام علىّ بن أبى طالب هل هو جَمْعه الشريف الرضى أم جمع أخيه المرتضى؟ و قد قيل: إنّه ليس من كلام علىّ، و إنّما الذى جمعه و نَسَبه إليه، هو الذى وضعه «۱».

و تبعه اليافعى من دون تحقيق و ردّ نفس ما قاله ابن خلّكان فى تاريخه «۲».

فما تورّط فيه هذان الكاتبان من نسبة الكتاب إلى علم الهدى و اتّهامه بوضعه أو أخيه سيدنا الشريف الرضى، ممّا لا يقام له فى سوق الحقائق وزن و ليس له مناخ إلّا حيث تربض فيه العصبية العمياء، و يكشف عن جهل أُولئك، و قد قام عدّة من المحقّقين بتفنيد هذه النسبة عن طريق ذكر مصادر نهج البلاغة المؤَلّفة قبل أن يولد الرضى أو الشريف المرتضى، فنحن نضرب عن ذلك صفحاً و نمرّ عليها كراماً.

و فى كتاب مصادر نهج البلاغة للعلّامة الخطيب السيد عبد الزهراء الحسنى، و ما كتبه الأُستاذ عبد اللّه نعمة، و ما أفرد العلّامة الشيخ هادى آل كاشف الغطاء فى ذلك المضمار و طبع مع كتابه مستدرك نهج البلاغة، غنى و كفاية فى دحض الشبهة، و إبطال الفرية.

و اللّه الهادى.

---

(۱) وفيات الأَعيان: ۲- ۳۱۳، بيروت، ط دار الثقافة.

(۲) لاحظ الروضات: ۴- ۳۰۴.

و لاحظ الرياض: ۴- ۵۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۵۰

۴- الشيخ سعد الدين بن نحرير بن عبد العزيز ابن البراج (۴۰۰- ۴۸۱ ه)

مكانة الفقه

إنّ شرف كلّ علم بشرف موضوعه، و شرف ما يبحث فيه عن عوارضه و أحواله.

فكلّ علم يرتبط باللّه سبحانه و أسمائه و صفاته و أفعاله، أو يرجع إلى معرفة سفرائه و خلفائه و ما أوحى إليهم من حقائق و تعاليم، و أحكام و تكاليف يعدّ من أشرف العلوم، و أفضلها، و أسناها.

و قد تمتع (علم الفقه) بمكانة خاصة بين تلك المعارف و العلوم، لَانّه منهج للحياة فى كافة المجالات لا سيما العبادات و المعاملات كالنكاح و الإرث و القضاء و فض الخصومات و المنازعات و غيرها.

و فى الجملة: هو المنهاج الوحيد و البرنامج الدقيق لحياة المسلم الفردية، و الاجتماعية، و قد أشار أمير المؤمنين- عليه السلام- إلى

أهمية تلك التعاليم و البرامج، من خلال الإشارة إلى آثارها فى حياة الفرد و الجماعة إذ يقول: «فرضَ اللّهُ الايمانَ تطهيراً من الشرك، و الصَّلاة تنزيهاً عن الكبر، و الزَّكاة تسبيباً للرِّزق.

و الصّيام ابتلاء لإخلاص الخلق، و الحجَّ تقوية للدِّين: و الجهاد عزاً

تذكرة الأعيان، ص: ۵۱

للإسلام، و الأمر بالمعروف مصلحة للعوامّ، و النّهى عن المنكر ردعاً للسفهاء، و صلة الرحم منماة للعدد، و القصاص حقناً للدِّماء، و إقامة الحدود إعظاماً للمحارم، و ترك شرب الخمر تحصيناً للعقل، و مجانبة السرقة إيجاباً للعفة، و ترك الزِّنا تحصيناً للنَّسب، و ترك اللِّواط تكثيراً للنَّسل، و الشَّهادات استظهاراً على المجاحدات، و ترك الكذب تشريفاً للصِّدق، و السَّلام أماناً من المخاوف، و الإمامة نظاماً للأُمَّة، و الطّاعة تعظيماً للإمامة» «۱».

و إذا كان الفقه كفيلًا بسعادة العباد فى الدارين و مبيناً لفرائضهم و وظائفهم، فقد اختار اللّه سبحانه أفضل خلائقه، و أشرف أنبيائه لإبلاغ تلك المهمة الجسيمة، فكان النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- فى حياته مرجعاً للمسلمين، فى بيان وظائفهم و ما كانوا يحتاجون إليه من أحكام، كما كان قائدهم فى الحكم و السياسة، و معلمهم فى المعارف و العقائد؟

إكمال الشريعة بتمام أبعادها

أنّ الشريعة التى جاء بها خير الرسل، هى آخر الشرائع التى أنزلها اللّه سبحانه، لهداية عبادة فهو صلوات اللّه عليه خاتم الأنبياء، كما أنّ كتابه و شريعته خاتمة الشرائع، و آخر الكتب.

قال سبحانه: (مٰا كٰانَ مُحَمَّدٌ أَبٰا أَحَدٍ مِنْ رِجٰالِكُمْ وَ لٰكِنْ رَسُولَ اللّٰهِ وَ خٰاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كٰانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) «۲» و هى شريعة كاملة الجوانب، جامعة الأطراف لم يفوتها بيان شىء، و أغنت المجتمع البشرى عن كلّ تعليم غير سماوى.

---

(۱) نهج البلاغة، قسم الحكم، الحكمة رقم ۲۵۲.

(۲) الأحزاب: ۴۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۵۲

قال تعالى: (اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلٰامَ دِيناً) «۱».

و ظاهر قوله: (اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) أنّه سبحانه أكمل دينه النازل على نبيّه- صلى الله عليه و آله و سلم- من جميع الجوانب، و كافة الجهات.

فهذا الدين كامل فى معارفه و عقائده، كامل فى وظائفه و أحكامه، كامل فى مقومات استمراره، و موجبات خلوده، و متطلبات بقائه، على مدى الأيام و الدهور.

فلا وجه اذن لقصر الآية على الكمال من ناحية دون ناحية، و جانب دون آخر، فهى بإطلاقها تنبئ عن كمال الشريعة فى جميع جوانبها، و مجالاتها من غير اختصاص بالايمان، أو بالحج، أو بغيره.

على أنّ حديث الإكمال الوارد فى هذه الآية، لا يختص بإكمال الدين من حيث بيان العقيدة و تبليغ الشريعة، بل يعم الإكمال بقاء الشريعة و استمرارها طيلة الأعوام، إذ ليس حديث الدين كالمناهج الفلسفية و الأدبية و ما يشبه ذلك، فإنّ الإكمال فى هذه المناهج يتحقّق بمجرّد بيان نظامها و توضيح خطوطها الفكرية، سواء تحققت على الصعيد العملى أم لا و سواء دامت أو اندثرت، بل الدين شريعة إلهية أنزلت بغية تحقيقها فى الخارج ابتداء و استمراراً حسب الأجل الذى أُريد لها.

فتشريع الدين من دون الأخذ بنظر الاعتبار عوامل استمراره يعد ديناً ناقصاً.

و لأجل ذلك دلت السنّة على نزول الآية (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ) يوم غدير خم عند ما قام النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- بنصب على- عليه السلام- للولاية و الخلافة «۲».

---

(۱) المائدة: ۳.

(۲) راجع الغدير: ۱ ۲۱۷- ۲۱۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۵۳

و العجب أنّ ابن جرير أخرج عن ابن جريج، قال: مكث النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد ما نزلت هذه الآية (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ..) احدى و ثمانين ليلة «۱».

و بما أنّ الجمهور أطبقوا على أنّ وفاة النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- كانت فى الثانى عشر من ربيع الأوّل، فينطبق أو يقارب يوم نزول هذه الآية على الثامن عشر من شهر ذى الحجّة، و هو يوم الغدير الذى قام النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيه بنصب على- عليه السلام- للخلافة و الولاية.

و قد بلغت هذه الآية من الأهمية بمكان حتى روى المحدّثون عن طارق بن شهاب، قال: قالت اليهود للمسلمين: إنّكم تقرأون آية فى كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: و أىّ آية؟ قال: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى).

أخرج ابن جرير، عن عيسى بن حارثة الأنصارى قال: كنّا جلوساً فى الديوان، فقال لنا نصرانى: يا أهل الإسلام: لقد أُنزلت عليكم آية لو أُنزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم، و تلك الساعة عيداً ما بقى اثنان، و هى قوله: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ).

و كما روى ابن جرير، عن ابن جريج، عن السدى أنّه لم ينزل بعد هذه الآية حرام و حلال، و رجع رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم- فمات «۲».

بماذا يتحقّق الكمال؟

لا شكّ أنّ الشريعة الإسلامية اكتملت بأمرين أحدهما: كتاب اللّه سبحانه، و الآخر سنّة نبيّه الكريم.

أمّا الأوّل فقد عرّف سبحانه مكانته، و سعة معارفه بقوله: (وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ) «۳».

---

(۱) الدر المنثور: ۲- ۲۵۷ و ۲۵۹.

(۲) الدر المنثور: ۲- ۲۵۷.

(۳) النحل: ۸۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۵۴

فلا شكّ أنّ المراد من لفظة (كلّ شىء) هو كلّ شىء أُنيط بيانه إلى سفرائه و أنبيائه سبحانه من العلوم و المعارف، و المناهج و التعاليم التى لا يصل الفكر الإنسانى إلى الصحيح منها مهما بلغ من الكمال.

فهذه الأُمور تكفّل الكتاب الكريم ببيانها و ذكر خصوصياتها، و أمّا بقية العلوم كالهندسة و الرياضيات و الفيزياء و الكيمياء، فهى خارجة عن رسالة ذلك الكتاب، و ليس بيانها من مهامه و وظائفه.

نعم ربّما يحتمل أن يكون للآية معنى أوسع ممّا ذكر، غير أنّ هذا الاحتمال على فرض صحته لا يصحح أن يكون (القرآن الكريم) مصدراً لتلك المعارف، حتى يرجع إليه كافة العلماء الإخصاء فى هذه العلوم، و إنّما يتيسر استخراج هذه العلوم و المعارف لمن له

قابلية علمية إلهية غيبية، حتى يتسنّى له استخراج هذه الحقائق و المعارف من بطون الآيات.

و أمّا مكانة السنّة فيكفى فيها قوله سبحانه: (وَ مٰا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ) «۱» و قوله سبحانه: (وَ مٰا آتٰاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) «۲» و غير ذلك من الآيات التى تنص على لزوم اقتفاء أثر النبى، و تصريح على وجوب اتّباعه، و عدم مخالفته و معصيته.

و على ذلك تكون الشريعة الإسلامية شريعة كاملة الجوانب، قد بيّنت معارفها، و أحكامها بكتاب اللّه العزيز و سنّة نبيّه الكريم، فلم يبق مجال للرجوع إلى غير الوحى الإلهى و إلى غير ما صدر عن النبى الكريم.

و هذه الحقيقة التى تكشف عنها الآية بوضوح و أنّ الدين اكتمل فى حياة النبى بفضل كتابه و سنته، مما أطبقت عليه كلمة العترة الطاهرة بلا خلاف، نأتى ببعض ما ورد عنهم فى ذلك المجال.

---

(۱) النجم: ۳.

(۲) الحشر: ۷.

تذكرة الأعيان، ص: ۵۵

لكلّ شىء أصل فى الكتاب و السنّة

لقد صرّح أئمّة أهل البيت و العترة الطاهرة بأنّه ما من شىء فى مجالى العقيدة و الشريعة إلّا و له أصل فى الكتاب و السنّة و هذا هو ما يظهر من كلماتهم و نصوصهم الوافرة.

روى مرازم، عن الصادق- عليه السلام- أنّه قال: «إنّ اللّه تبارك و تعالى أنزل فى القرآن الكريم تبيان كلّ شىء حتى و اللّه ما ترك اللّه شيئاً يحتاج إليه العباد إلّا بيّنه للناس حتى لا يستطيع عبدٌ يقول: لو كان هذا نزل فى القرآن إلّا و قد أنزل اللّه فيه» «۱».

و روى عمرو بن قيس، عن الامام الباقر- عليه السلام- قال: سمعته يقول: «إنّ اللّه تبارك و تعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأُمّة إلى يوم القيامة، إلّا أنزله فى كتابه و بيّنه لرسوله، و جعل لكلّ شىء حدّا و جعل عليه دليلًا يدلّ عليه» «۲».

و روى سليمان بن هارون قال: سمعت أبا عبد اللّه- عليه السلام- يقول: «ما خلق اللّه حلالًا و لا حراماً إلّا و له حدّ كحدّ الدار، فما كان من الطريق فهو من الطريق، و ما كان من الدار فهو من الدار، حتى أرش الخدش فما سواه، و الجلدة و نصفا لجلدة» «۳».

و روى حماد، عن أبى عبد اللّه- عليه السلام- قال: سمعته يقول: «ما من شىء إلّا و فيه كتاب أو سنّة» «۴» و عن المعلّى بن خنيس، قال: قال أبو عبد اللّه- عليه السلام-: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا و له أصل فى كتاب اللّه عزّ و جلّ، و لكن لا تبلغه عقول الرجال» «۵».

---

(۱) الكافى: ۱- ۵۹ ح ۱.

(۲) الكافى: ۱- ۵۹ ح ۲ من كتاب فضل العلم.

(۳) الكافى: ۱ ۶۰- ۵۹ ح ۳ و ۴ و ۶ من كتاب فضل العلم.

(۴) الكافى: ۱ ۶۰- ۵۹ ح ۳ و ۴ و ۶ من كتاب فضل العلم.

(۵) الكافى: ۱ ۶۰- ۵۹ ح ۳ و ۴ و ۶ من كتاب فضل العلم.

تذكرة الأعيان، ص: ۵۶

و عن سماعة، عن أبى الحسن موسى- عليه السلام- قال: قلت له: أ كلّ شىء فى كتاب اللّه و سنّة نبيّه- صلى الله عليه و آله و سلم- أو تقولون فيه؟ قال: «بل كلّ شىء فى كتاب اللّه و سنّة نبيّه- صلى الله عليه و آله و سلم-» «۱».

هـذا هو حال الكتاب و السـنّة عنـد أئمّـة العترة الطاهرة، فلو لم نجـد حكم كثير من الموضوعات و الحوادث، فى الكتاب و السـنّة و لا وقفنـا على جملـة من المعـارف و العقائـد فيهمـا، فمـا ذلـك إلّا لأجل قصور فهمنا و قلّـة بضاعتنا، لأنّ فى الكتاب رموزاً و إشارات، و تنبيهات و تلويحات منها تستنبط أحكام الحوادث و الموضوعات، و يهتدى بها الإنسان إلى المعارف و العقائد و قد اختص علمها بهم دون غيرهم.

كما أنّ عندهم سنّة النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- التى لم تصل كثير منها إلى أيدى الناس، هذه هى حقيقة الحال عن أئمّة العترة الطاهرة، و على ذلك اقتفت شيعتهم أثرهم فى تشييد صرح المعارف و العقائد، و إرساء فقههم، و فروعهم و أُصولهم.

إنّ القارئ الكريم لو راجع الجوامع الحديثـة و التفسيرية، و وقف على كيفيـة اسـتدلال الأئمّـة الطاهرين، بالآيات و السـنّة النبوية على كثير من المعارف و الأحكام لأذعن بصحة ما قلناه، و هو أنّ عندهم علم الكتاب بالمعنى الجامع الوسيع، كما أنّ عندهم السنّة النبوية بعامتها.

و هـذا لا ينـافى أن يكون الكتـاب هاديـاً للأُمّـة جمعـاء، و أن تكون السـنّة فى متنـاول أيـدى النـاس، غير أنّ الاكتناه برموز الكتاب و إشاراته، و الإحاطة بعامة سننه، من خصائص العترة الطاهرة.

و قـد قـام بعض الأفاضـل بجمع الأحـاديث، التى اسـتدل فيها الأئمّـة الطاهرون بالكتاب و السـنّة على أُمور و أحكام، ممّا لم تصل إليه أفهام الناس، و إنّما خصّ علم ذلك بهم.

---

(۱) الكافى: ۱- ۶۲ ح ۱۰ من كتاب فضل العلم.

تذكرة الأعيان، ص: ۵۷

فإذا كان الشارع قـد أعلن عن خاتمية الرسالة و كمال الشـريعة الإسـلامية، وجب أن تتقارب الخطى و المواقف بين المسـلمين، و يقل حـدة الخلاـف و النقـاش بينهم، و يجتمـع الكـل على مائـدة القرآن و السـنّة من دون أن يختلفوا فى عقائـدهم، و لاـ أن يتشـاجروا فى تكاليفهم و وظائفهم.

و لكنّنا مع الأسف نشاهد فى حياة المسـلمين أمراً خلاف ذلك، بل يضاده، و ينادى بأنّ الرسول- صلى الله عليه و آله و سلم- لم يأت بشريعة كاملة جامعة الأطراف شاملة لكلّ شىء.

و تلك الحقيقـة المرّة و الخلافات المتجـذرة التى حـدثت بين المسـلمين بعـد وفاة رسول اللّه- صـلى الله عليه و آله و سـلم- بل قبيلها أيضاً.

فقد نشب النزاع بينهم فى أبسط المسائل إلى أعقدها، و افترقوا فرقتين أو فرقاً حتى انتهوا إلى سبعين فرقة.

فهـذا هو التاريـخ يحـدّثنا أنّ أوّل نزاع نشب فى مرضه (عليه الصـلاة و السـلام) روى البخارى بإسـناده عن عبد اللّه بن عباس، قال: لما اشـتدّ بالنبىّ مرضه الذى مات فيه، قال: «ائتونى بدواة و قرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضـلّوا بعدى»، فقال عمر: إنّ رسول اللّه- صـلى الله عليه و آله و سلم- قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب اللّه، و كثر اللغط، فقال النبى- صلى الله عليه و آله و سلم-: «قوموا عنّى لا ينبغى عندى التنازع» قال ابن عباس: الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول اللّه و بين كتابه «۱».

و لم ينحصـر الخلاف فى أُخريات حياته، بل ظهر الخلاف أيضاً عند تجهيز جيش أُسامة، حيث إنّه- صـلى الله عليه و آله و سـلم- أمر أُسامة بأن يسير إلى المكان التى سار إليها أبوه من قبل، و جهز له جيشاً و عقد له راية، فتثاقل أكابر الصحابة عن

---

(۱) صحيح البخارى: ۱- ۲۹، باب كتابـة العلم؛ و ج ۴- ۶۹، كتاب الجهاد، باب جوائز الوفد؛ و صـحيح مسلم: ۵- ۷۶، كتاب الوصية، باب ترك الوصية.

تذكرة الأعيان، ص: ۵۸

المسير معه لمّا رأوا مرض النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- و هو يصرّ على مسيرهم، حتى أنّه خرج معصب الجبين، و قال: جهزوا جيش أُسامة، لعن اللّه من تخلف عنه «۱».

و أمّا اتساع رقعة الخلاف، و دائرة الاختلاف بعد لحوقه صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم بالرفيق الأَعلى فحدث عنه و لا حرج.

فقد اختلفوا فى موته- صلى الله عليه و آله و سلم- قال عمر بن الخطاب: من قال إنّ محمّداً قد مات قتلته بسيفى هذا، و إنّما رفع إلى السماء كما رفع عيسى عليه السَّلام.

و لمّا جاء أبو بكر بن أبى قحافة من السُّنْح، و قرأ قول اللّه سبحانه: (وَ مٰا مُحَمَّدٌ إِلّٰا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مٰاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلىٰ أَعْقٰابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّٰهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِى اللّٰهُ الشّٰاكِرِينَ) «۲» رجع عمر عن قوله، و قال: كأنّى ما سمعت هذه الآية حتى قرأها أبو بكر «۳».

و أخطر الخلافات و أعظمها هو الاختلاف فى الإمامة، و إدارة شئون الأُمّة الإسلامية، فمنهم من قال بتعدد الأُمراء فأمير من الأَنصار و أمير من المهاجرين، و من قائل بلزوم انتخابه عن طريق الشورى، و من قائل ثالث بالتنصيص بالولاية و الأمارة.

و لأَجل ذلك يقول الشهرستانى فى «ملله و نحله»: ما سل سيف فى الإسلام على قاعدة دينيّة مثل ما سلّ على الإمامة فى كلّ زمان «۴».

و لم يقف الخلاف و الاختلاف عند هذا الحدّ، فقد اتّسع نطاقه بعد الاختلاف فى الزعامة السياسية، حتى شمل القيادة الفكريّة، فحدثت مذاهب

---

(۱) الملل و النحل للشهرستانى: ۱- ۲۳، المقدمة الرابعة؛ و شرح نهج البلاغة: ۲- ۲۰.

(۲) آل عمران: ۱۴۴.

(۳) الملل و النحل: ۱- ۲۳.

(۴) الملل و النحل: ۱- ۲۴.

تذكرة الأعيان، ص: ۵۹

و اتّجاهات، و وجدت مناهج متباينة فى المعارف الاعتقاديّة، التى تشكل دعامة الدين و أُصوله و جذور الإسلام و أسسه.

فاختلف المسلمون فى هذا المجال إلى معتزلة و جبريّة.

و انقسمت الأولى إلى: واصليّة، هذليّة، نظاميّة، خابطيّة، بشريّة، معمريّة، مردارية، ثماميّة، هشاميّة، جاحظيّة، خياطيّة.

كما انقسم خصوم المعتزلة (أعنى الجبريّة) إلى: جهمية، نجارية، ضرارية.

و قد كان هذا الاختلاف فى إطار خاص، أى فى معنى الإسلام و الإيمان و ما يرجع إلى فعل اللّه سبحانه، ثمّ اختلفوا فى صفاته سبحانه إلى: أشعرية، و مشبّهة و كراميّة.

و نشبت حروب طاحنة على إثر تلك الاختلافات و النقاشات أسفر عنها سفك دماء الابرياء من المسلمين.

غير أنّ اطار الاختلاف لم يقف عند هذا الحدّ، فقد حدث اختلاف فى مصير الإنسان و ما يؤَول إليه بعد موته من البرزخ و مواقفه، و يوم القيامة و خصوصياته، إلى غيرها من الاختلافات و المنازعات الفكرية، التى فرقت شمل المسلمين، و مزقت وحدتهم و كأنّهم نسوا قول اللّه تعالى: (إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وٰاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) «۱».

فصارت الأُمّة الواحدة أُمماً متعددة، و أصبحت اليد الواحدة أيدى متشتتة.

و لو أضفنا إلى ذلك ما نشب بين المسلمين من الاختلاف فى المناهج الفقهية التى أرساها الصحابة و التابعون، إلى أن وصلت النوبة

إلى الأئمّة الأربعة لهال الإنسان هذا الاختلاف الواسع المروع، و عند ذلك يسأل المرء نفسه: ترى

---

(۱) الأنبياء: ۹۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۶۰

أى الأمرين أحقّ و أصحّ؟

۱- ما نصّ به القرآن الكريم، و حدّث عنه سيّد المرسلين عن كمال الدين بأُصوله و جذوره، و شعبه و فروعه بحيث لم يبق للمسلم حاجة إلّا رفعها، و لا حادثة إلّا بيّن حكمها، و مقتضى ذلك أنّ تقليل حدّة الخلاف و النقاش إلى أقلّ حدّ ممكن.

۲- ما نلمسه و نراه بوضوح من الخلاف و التشاجر فى أبسط الأُمور و أعقدها من دقيقها و جليلها، بحيث لم يبق أصل و لا فرع إلّا و فيه رأيان بل آراء.

إنّ حديث الاختلاف الكبير هذا لا يمكن أن يعد أمراً هيناً، كيف و الإمام على عليه السلام- يعتبره دليلًا على نقصان الدين إن كان المختلفون على حق، و إلّا كان اختلافهم أمراً باطلًا، لَانّ كمال الشريعة يستلزم أن يكون كلّ شىء فيها مبيناً، فلا مبرر و لا مصحّح للاختلاف.

يقول الامام- عليه السلام- فى ذم اختلاف العلماء فى الفتيا: ترد على أحدهم القضية فى حكم من الاحكام، فيحكم فيها برأيه ثمَّ ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله، ثمّ يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذى استقضاهم فيصوب آراءهم جميعاً. و إلههم واحد، و نبيّهم واحد، و كتابهم واحد أ فأمرهم اللّه سبحانه بالاختلاف فأطاعوه؟! أم نهاهم عنه فعصوه؟! أم أنزل اللّه سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟! أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا و عليه أن يرضى؟! أم أنزل اللّه سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول- صلى الله عليه و آله و سلم- عن تبليغه و أدائه، و اللّه سبحانه يقول: (مٰا فَرَّطْنٰا فِي الْكِتٰابِ مِنْ شَيْءٍ) و فيه تبيان لكلّ شىء و ذكر أنّ الكتاب يصدق بعضه بعضاً «۱».

---

(۱) نهج البلاغة: الخطبة رقم ۱۸.

تذكرة الأعيان، ص: ۶۱

ترى أنّه- عليه السلام- بعد ما يندّد بالاختلاف، يقول أم أنزل اللّه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟ فإكمال الدين فى كافة أبعاده ينفى وجود الثانى، كما أنّ وجود الخلاف فى عامة المسائل لا يجتمع مع إكمال الدين، فما هو الحل لهذين الأمرين المتخالفين؟! الإجابة على هذا السؤال إنّ هناك تحليلين يمكن أن يستند إليهما الباحث فى حلّ تلك المعضلة: الأوّل: أنّ النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- و إن أكمل دينه فى أُصوله و فروعه غير أنّ المسلمين فى القرون الغابرة وقفوا أمام النصوص الإسلامية، فأوجدوا مناهج و مذاهب لا تلائم القرآن الكريم و لا السنّة النبويّة.

بيد انّ هذه الإجابة لا تتفق مع الواقع، بل تعتبر قسوة على الحقّ و أصحابه، لَانّ الدين كان عند المسلمين فى الصدر الأوّل من أعز الأشياء و أغلاها، فكانوا يضحون بأنفسهم و أموالهم فى سبيله.

فعند ذلك كيف يمكن أن ينسب إليهم بأنّهم قد وقفوا فى وجه النصوص الإسلامية، و قابلوها بآرائهم، و رجحوا أفكارهم و نظرياتهم على الوحى؟ كيف و القرآن الكريم يصف تلك الثلة بقوله: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدّٰاءُ عَلَى الْكُفّٰارِ رُحَمٰاءُ بَيْنَهُمْ تَرٰاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللّٰهِ وَ رِضْوٰاناً سِيمٰاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرٰاةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوىٰ عَلىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرّٰاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفّٰارَ وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً) «۱».

(۱) الفتح: ۲۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۶۲

الثانى: أن الشريعة الإسلامية قد جاءت بدقائق الأُمور و جلائلها، غير أنّ الشارع الحكيم قد أودع علم كتابه و الإحاطة بسنة نبيّه اللّذين اكتملت بهما الشريعة، و تمت بهما النعمة.

و استغنت الأُمّة بهما عن التطفل على موائد الآخرين عند أُناس منزهين عن الإثم و الذنب، مصونين عن الزلل و الخطأ، قد أحاطوا بمحكم القرآن و متشابهه، و مجمله، و مفصّله و ناسخه و منسوخه، و عامّه و خاصّه، و مطلقه و مقيده، بل بدلالاته و تنبيهاته، و رموزه و إشاراته التى لا يهتدى إليها إلّا من شملته العناية الإلهيّة، و عمّته الفيوض الربّانية.

كما و أحاطوا بسنّة نبيّهم، و شوارد أقواله، و وجوه أفعاله، و ألوان تقريره و إقراره.

فالتحق- صلى الله عليه و آله و سلم- بالرفيق الأَعلى و الحال هذه، أى أنّ العلم بحقائق الكتاب و متون سنّته مخزون عند جماعة خاصّة، قد عرّفهم صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم بصفاتهم و خصوصيّاتهم تارة، و أسمائهم و أعدادهم تارة أُخرى كما سيوافيك.

و لو أنّ الأُمّة الإسلاميّة رجعوا فى مجال العقائد و المعارف، و موارد الاحكام و الوظائف إلى تلك الثلّة الطاهرة، لَاوقفوهم على كلّ غرة لائحة، و حجّة واضحة، و قول مبين، و برهان متين، و استغنوا بذلك عن كلّ قول ليس له أصل فى كتاب اللّه و سنّة رسوله، و لمسوا إكمال الدين فى مجالى العقيدة و الشريعة بكلّ وضوح.

فحديث إكمال الدين فى جميع مجالاته أمر لا غبار عليه، و لكنّ الخلاف و النقاش حدث فى أسس الإسلام و فروعه لأَجل الاستقلال فى فهم الذكر الحكيم، و جمع سنّة الرسول من دون أن يرجعوا إلى من عنده رموز الكتاب و إشاراته، و دلائله و تنبيهاته، فهم ورّاث الكتاب «۱» و ترجمان السنّة، فافترقوا لأَجل هذا الإعراض إلى فرق كثيرة و مناهج عديدة.

(۱) إشارة إلى قوله سبحانه: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا). (فاطر- ۳۲).

تذكرة الأعيان، ص: ۶۳

إنّ الاستقلال فى فهم المعارف و الأُصول و استنباط الفروع، ألجأ المسلمين إلى الأَخذ بالقياس و الاستحسان، و تشييد قواعد و مقاييس ظنية كسد الذرائع و المصالح المرسلة، و غيرها من الأُمور التى ما أنزل اللّه بها من سلطان، و ذلك لأَنّهم واجهوا من جانب إكمال الدين من حيث الفروع و الأُصول، بحيث لا يمكن إنكاره حسب الآيات و الأَحاديث، و من جانب آخر واجهوا الحاجات و الحوادث المتجددة التى لم يجدوا لها دليلًا، لا فى الكتاب و لا فى السنّة، فلاذوا إلى العمل بهذه المقاييس حتى يسدوا الفراغ، و يبرّئوا الشريعة الإسلامية عن وصمة النقص.

قال ابن رشد مستدلًا على حجّية القياس: إنّ الوقائع بين أشخاص الأُناس غير متناهية، و النصوص و الأَفعال و الإقرارات (أى تقرير النبى) متناهية، و محال أن يقابل ما لا يتناهى بما يتناهى «۱».

و كأنّه يريد أن يقول: إنّه لولا القول بحجّية القياس لَاصبحت الشريعة ناقصة غير متكاملة.

و هذا الجواب (و هو إيداع علم الكتاب عند العترة و إحاطتهم بالسنّة) ممّا يلوح عند الغور فى غضون السنّة، و لعلّ القارئ الكريم يزعم بادئ بدء أنّ هذا الجواب غير مدعم بالبرهان، غير أن من راجع السنّة يرى النبى صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم يصرّح فى خطبة حجّة الوداع بأنّ عترته أعدال الكتاب العزيز و قرناؤه، و هم يصونون الأُمّة عن الانحراف و الضلال، و لا يفارقون الكتاب قدر شعرة، و مع الرجوع إليهم لا يبقى لقائل شك و لا ترديد.

روى الترمذى، عن جابر قال: رأيت رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم- فى حجّة يوم عرفة، و هو على ناقته القصوى يخطب

فسمعته يقول: «يا أيها النّاس إنّى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب اللّه

---

(۱) بداية المجتهد و نهاية المقتصد: ۱- ۲ راجع أيضاً المدخل الفقهى العام: ۱- ۷۷.

تذكرة الأعيان، ص: ۶۴

و عترتى أهل بيتى» «۱».

و روى مسلم فى صحيحه: «أنّ رسول اللّه قام خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة و المدينة.. ثمّ قال: ألا يا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربّى فأُجيب و انّى تارك فيكم ثقلين: أوّلها كتاب اللّه فيه الهدى و النور، فخذوا بكتاب اللّه و استمسكوا به.. و أهل بيتى» «۲».

و قد روى هذا الحديث أصحاب الصحاح و السنن بعبارات مختلفة، كما رووا أنّه نطق به النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- فى حجّة الوداع، و فى غدير خم و قبيل وفاته، فدراسة الحديث توقفنا على مكانة أهل البيت النبوى، و عترة رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم- الذين هم عدل القرآن الكريم فى الهداية و النور، و العصمة، فمن فارقهم فقد فارق الكتاب و السنّة و حاد عن جادة الحقّ إلى هاوية الضلالة.

عدد الأَئمة

إنّ النبىّ- صلى الله عليه و آله و سلم- لم يكتف بالتنصيص بالوصف، بل أخبر بأنّ عدد الأَئمّة الذين يعقبوه هو اثنا عشر، و قد رواه أصحاب الصحاح و المسانيد، فروى مسلم، عن جابر بن سمرة، أنّه سمع النبى يقول: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش» «۳».

و روى البخارى قال: سمعت النبى يقول: يكون اثنا عشر أميراً: «فقال كلمة لم أسمعها فقال أبى: قال كلّهم من قريش» «۴».

---

(۱) صحيح الترمذى: ۳- ۱۹۹، باب مناقب أهل بيت النبى.

(۲) صحيح مسلم: ۷- ۱۲۳، باب فضائل على بن أبى طالب.

(۳) صحيح مسلم: ۴۶- ۳، باب الناس تبع لقريش، من كتاب الامارة.

(۴) صحيح البخارى: ۶- ۶۵، كتاب الاحكام.

تذكرة الأعيان، ص: ۶۵

و هناك نصوص أُخرى لهذا الحديث تصرح بأنّ عدد الولاة اثنا عشر و أنّهم من قريش.

و جاء على- عليه السلام- يفسّر حديث النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- و يوضح إبهامه، و يقول: «إنّ الأَئمّة من قريش فى هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم و لا يصلح الولاة من غيرهم» «۱».

إحاطة العترة بالسنّة

ما ذكرناه آنفاً من أنّ العترة الطاهرة أحاطوا بالسنّة النبوية، التى لم تحتفظ بأكثرها الأُمّة و انّ كلّما يروون من أحاديث فى مجالى العقيدة و الشريعة، كلّها رواية عن رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم- عن طريق آبائهم.

و قد وردت فى هذا الصعيد نصوص لا مجال لنقلها برمتها، بل نكتفى بالقليل من الكثير: روى حماد بن عثمان و غيره، قالوا: سمعنا أبا عبد اللّه- عليه السلام- يقول: حديثى حديث أبى، و حديث أبى حديث جدى، و حديث جدّى حديث الحسين، و حديث الحسين

حديث الحسن، و حديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السَّلام، و حديث أمير المؤمنين حديث رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم-، و حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم- قول اللّه عزّ و جلّ» «۲».

و عن جابر قال: قلت لأَبى جعفر- عليه السلام-: إذا حدثتنى بحديث، فأسنده لى، فقال: «حدّثنى أبى عن جدّى رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم-، عن

---

(۱) نهج البلاغة، الخطبة ۱۴۲.

(۲) جامع أحاديث الشيعة: ۱ ۱۲۸- ۱۲۷.

تذكرة الأعيان، ص: ۶۶

جبرئيل- عليه السلام-، عن اللّه عزّ و جلّ و كلّ ما أحدّثك (فهو) بهذا الاسناد» و قال: «يا جابر لحديث واحد تأخذه عن صادق خير لك من الدنيا و ما فيها» «۱».

و من كتاب حفص بن البخترى، قال: قلت لأَبى عبد اللّه- عليه السلام-: نسمع الحديث منك فلا أدرى منك سماعة، أو من أبيك، فقال: «ما سمعته منّى فأروه عن أبى، و ما سمعته فاروه عن رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم-» «۲».

و عن يونس، عن عنبسة قال: سأل رجل أبا عبد اللّه- عليه السلام- عن مسألة فأجابه فيها، فقال الرجل: إن كان كذا و كذا ما كان القول فيها، فقال له: «مهما أجبتك فيه بشيء فهو عن رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم-، لسنا نقول برأينا من شيء» «۳».

كيفية بيان الفقه عند الإمامية

لقد عكفت الشيعة بعد لحوق النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- بالرفيق الأَعلى على دراسة الفقه، و جمع مسائله و تبويب أبوابه و ضم شوارده، و أقبلوا عليه إقبالًا تاماً قلّ نظيره لدى الطوائف الإِسلامية الأُخرى، حتى تخرّج من مدرسة أهل البيت و على أيدى أئمّة الهدى، عدّة من الفقهاء العظام، فبلغوا الذروة فى الفقاهة و الاجتهاد، نظراء: زرارة ابن أعين، و محمد بن مسلم الطائفى، و أبى بصير الأَسدى، و يزيد بن معاوية، و الفضيل بن يسار، و هؤلاء من أفاضل خريجى مدرسة أبى جعفر الباقر و أبى عبد اللّه عليهما السَّلام، فأجمعت العصابة على تصديق هؤلاء، و انقادت لهم بالفقه و الفقاهة.

و يليهم فى الفضل و الفقاهة ثلة أُخرى، و هم خريجو جامعة أبى عبد اللّه

---

(۱) جامع أحاديث الشيعة.

(۲) المصدر نفسه: ۱۲۹۱- ۱۲۸.

(۳) المصدر نفسه، و من أراد الوقوف على المزيد فليرجع إلى المصدر المذكور ص ۱۲۶ ۲۱۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۶۷

الصادق- عليه السلام-، نظراء: جميل بن دراج، و عبد اللّه بن مسكان، و عبد اللّه بن بكير، و حماد بن عثمان، و حماد بن عيسى، و أبان بن عثمان.

كما أقرت العصابة على فقاهة ثلة أُخرى من تلاميذ أصحاب الإِمام موسى ابن جعفر الكاظم و ابنه أبى الحسن الرضا عليهما السَّلام، نظراء: يونس بن عبد الرحمن، و صفوان ابن يحيى، و محمد بن أبى عمير، و عبد اللّه بن المغيرة، و الحسن بن محبوب و الحسين بن على بن فضال، و فضالة بن أيوب «۱».

هؤلاء أفذاذ الشيعة فى الفقه و الحديث فى القرنين: الأَوّل و الثانى من الهجرة، و قد تخرّجوا من جامعة أهل البيت- عليهم السلام- و

أخذوا منهم الفقه و أُصول الاجتهاد و الاستنباط.

نعم لا ينحصر المتخرّجون من جامعتهم فى هؤلاء الذين ذكرناهم، فقد تخرّج منها جماعة كثيرة تجاوزت المئات بل الآلاف، و قد ضبطت كتب الرجال أسماءهم و خصوصياتهم و كتبهم.

و مع أنّ كتب الرجال و الفقه تنص على مكانتهم فى الفقاهة، و مدى استنباطهم الأَحكام الشرعية، غير أنّ كتبهم فى القرون الثلاثة الأُولى كانت مقصورة على نقل الروايات بأسنادها، و الإِفتاء فى المسائل بهذا النحو، مع تمييز الصحيح عن السقيم و المتقن عن الزائف.

و تطلق على كتبهم عناوين: الأَصل، الكتاب، النوادر، الجامع، المسائل، أو خصوص باب من أبواب الفقه، كالطهارة، و الصلاة، و ما شابه ذلك.

هذه الكتب المدونة فى القرون الثلاثة بمنزلة «المسانيد» عند العامة، فكلّ كتاب من هؤلاء الرواة يعد مسنداً للراوى، قد جمع فيه مجموع رواياته عن الامام

---

(۱) راجع رجال الكشى: ۲۰۶ و ۳۲، ۴۶۶.

أو الأَئمّة فى كتابه، و كان الإِفتاء بشكل نقل الرواية بعد إعمال النظر و مراعاة ضوابط الفتيا.

و مع إطلالة القرن الرابع خرج لون جديد فى الكتابة و الفتيا، و هو الإِفتاء بمتون الروايات مع حذف أسنادها، و الكتابة على هذا النمط مع إعمال النظر و الدقة فخرج الفقه فى ظاهره عن صورة نقل الرواية، و اتخذ لنفسه شكل الفتوى المحضة.

و أوّل من فتح هذا الباب فى وجه الشيعة على مصراعيه هو والد الشيخ الصدوق «على بن الحسين بن موسى بن بابويه» المتوفّى عام ۳۲۹ ه، فألّف كتاب «الشرائع» لولده الصدوق، و قد عكف فيه على نقل متون و نصوص الروايات، و قد بثّ الصدوق هذا الكتاب فى متون كتبه: كالفقيه، و المقنع و الهداية، كما يظهر ذلك من الرجوع إليها.

و لقد استمر التأليف على هذا النمط، فتبعه ولده الصدوق المتوفّى عام ۳۸۱، فألّف «المقنع و الهداية»، و تبعه شيخ الأُمّة و مفيدها «محمد بن محمد بن النعمان» المتوفّى عام ۴۱۳ فى «مقنعته»، و تلميذه شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسى المتوفّى عام ۴۶۰ فى «نهايته».

و لما كانت متون هذه الكتب و المؤلّفات مأخوذة من نفس الروايات و الأُصول وقعت متونها موضع القبول من قبل الفقهاء فعاملوها معاملة الكتب الحديثية، و عولوا عليها عند اعوازهم النصوص على اختلاف مشاربهم و أذواقهم.

و كان سيدنا الأُستاذ آية اللّه البروجردى (۱۲۹۲ ۱۳۸۰ ه) يسمّى تلك الكتب ب «المسائل المتلقاة»، و سماها بعض الأَجلّة ب: «الفقه المنصوص».

مبدأ تطور الفقه عند الشيعة الإِمامية

إنّ ظهور النمط الثانى (تجريد المتون عن الأَسانيد) تمخّض عنه اندثار الطريقة القديمة السائدة طيلة قرون، لكنّه لم يكن رافعاً للحاجة و سادّاً للفراغ، لأَنّ هناك وقائع و أحداث لم ترد بعينها فى متون الروايات و سنن النبى صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم، و إن كان يمكن استنباط أحكامها من العمومات و الإِطلاقات و الأُصول الواردة فى الكتاب و السنّة.

و لذلك دعت الحاجة فى أوائل القرن الرابع إلى إبداع منهج خاص فى الفقه، و هو الخروج عن نطاق عبائر النصوص و الألفاظ

الواردة فى الكتاب و السـنّة، و عرض المسائل على القواعد الكلية الواردة فى ذينك المصدرين، مع التحفظ على الأصول المنقولة عن أئمّة الشيعة من نفى القياس و الاستحسان و نفى الاعتماد على كلّ نظر و رأى ليس له دليل.

و هـذا اللون من الفقه و إن كان سائـداً بين فقهاء العامـة، لكنّه كان مبنياً على أُسـس و قواعـد زائفـة، كالعمل بالقياس و سائر المصادر الفقهية.

و أوّل من فتح هذا الباب على مصراعيه فى وجه الأُمّة، هو شيخ الشيعة و فقيهها الأَجل، الحسن بن على بن أبى عقيل أبو محمد الحذّاء عرّفه النجاشـى بقوله: فقيه متكلم ثقة، له كتب فى الفقه و الكلام منها: كتاب «المتمسك بحبل آل الرسول»، كتاب مشهور فى الطائفة، و قيـل: ما ورد الحاج من خراسان إلّا طلب و اشترى منه نسـخاً، و سـمعت شـيخنا أبا عبـد اللّه (المفيـد) رحمه اللّه يكثر الثناء على هـذا الرجل رحمه اللّه «۱».

---

(۱) رجال النجاشى: ۳۵.

و اختلف أرباب المعاجم فى كنيته و اسم أبيه لاحظ تعليقات فوائد الرجال للعلامة بحر العلوم: ۲- ۲۱۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۷۰

و هذا شـيخ الطائفة الطوسى يعرّفه و يعرّف كتابه المذكور فى فهرسته، و يقول: و هو من جملة المتكلّمين، إمامىّ المذهب، و من كتبه كتاب «المتمسك بحبل آل الرسول» فى الفقه و غيره، و هو كتاب كبير حسن «۱».

و يقول العلّامة: و نحن نقلنا أقواله فى كتبنا الفقهية، و هو من جملة المتكلّمين و فضلاء الإِمامية.

و يصف كتابه «المتمسك بحبل آل الرسول» بأنّه كتاب مشهور عندنا «۲» و قد نقل آراءه العلّامة فى «مختلف الشيعة» فى جميع أبواب الفقـه، و هـذا يكشـف عن أنّ الكتـاب المـذكور كتب على أسـاس الاسـتنباط، و ردّ الفروع إلى الأـصول، و الخروج عن دائرة ألفـاظ الحديث، عملًا بقول الصادق: علينا إلقاء الأصول إليكم، و عليكم التفريع «۳».

و لعلّه لأَجـل هـذا قال العلّامـة بحر العلوم فى «فوائـده الرجاليـة»: هو أوّل من هـذّب الفقه و اسـتعمل النظر، و فتق البحث فى الأصول و الفروع فى ابتداء الغيبة الكبرى و بعده الشيخ الفاضل «ابن الجنيد» «۴».

و قال مؤَلف «روضات الجنات» أيضاً: إنّ هـذا الشـيخ هو الـذى ينسب إليه إبـداع أساس النظر فى الأَدلّـة، و طريق الجمع بين مـدارك الاحكام بالاجتهاد الصـحيح، و لذا يعبّر عنه و عن الشـيخ أبى على ابن الجنيد فى كلمات فقهاء أصحابنا بالقديمين، و قد بالغ فى الثناء عليه أيضاً صاحب «السرائر»، و غيره و تعرضوا لبيان خلافاته الكثيرة فى مصنفاتهم «۵».

ضبط الشيخ اسم أبيه «عيسى»، و النجاشى «على»؛ و الثانى أقرب إلى الصواب.

---

(۱) الفهرست: ۷۹.

(۲) الخلاصة: ۴۰.

(۳) السرائر قسم المستطرفات: ۴۷۷ فى ما أورده من جامع البزنطى.

(۴) الفوائد الرجالية: ۲- ۲۲۹.

(۵) روضات الجنات: ۲- ۲۵۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۷۱

و التاريخ و إن لم يضـبط عام وفاته، غير أنّه من معاصرى الشيخ الكلينى المتوفّى عام ۳۲۹ ه، و من مشايـخ جعفر بن محمد بن قولويه، المتوفى عام ۳۶۹ ه، و قد ترجم له السيد الأَمين رحمه اللّه فى أعيان الشيعة ترجمة مبسوطة «۱».

و الثانى هو محمد بن أحمد بن جنيد، أبو على الكاتب الإسكافى، الذى قال النجاشى عنه: وجه فى أصحابنا، ثقة، جليل القدر، صنّف فأكثر، ثمّ ذكر فهرس كتبه و منها: كتاب «تهذيب الشيعة لأَحكام الشريعة»، و كتاب «الأَحمدى للفقه المحمدى» «۲».

و يصف الشيخ الطوسى كتاب «تهذيب الشيعة لأَحكام الشريعة»: بأنّه كتاب كبير فى عشرين مجلداً، يشتمل على عدّة من كتب الفقه على طريق الفقهاء «۳».

و قوله: على طريقة الفقهاء إشارة إلى أنّه كان كتاباً على نمط الكتب الفقهية الاستدلالية، نظير الكتب الفقهية للعامة.

و لأَجل ذلك يقول مؤَلف «روضات الجنات»: إنّ هذا الشيخ تبع الحسن ابن أبى عقيل العمانى فأبدع أساس الاجتهاد فى أحكام الشريعة.

و نقل عن «إيضاح العلامة» أنّه قال: وجدت بخط السيد السعيد محمد بن معد، ما صورته: وقع إلىّ من هذا الكتاب أى كتاب «تهذيب الشيعة» مجلد واحد، و قد ذهب من أوّله أوراق، و هو كتاب النكاح، فتصفحته و لمحت مضمونه فلم أر لأَحد من هذه الطائفة كتاباً أجود منه، و لا أبلغ و لا أحسن عبارة، و لا أدق معنى، و قد استوفى منه الفروع و الأُصول، و ذكر الخلاف فى المسائل و استدل

---

(۱) أعيان الشيعة: ۲۰۲۲۲- ۱۹۲.

(۲) رجال النجاشى: ۲۷۳.

(۳) الفهرست: ۱۶۰.

بطريق الإمامية و طريق مخالفيهم، و هذا الكتاب إذا أمعن النظر فيه و حصلت معانيه علم قدره و مرتبته، و حصل منه شىء كثير و لا يحصل من غيره.

ثمّ يقول العلّامة: قد وقع إلىّ من مصنفات هذا الشيخ المعظم الشأن كتاب «الأَحمدى فى الفقه المحمّدى»، و هو مختصر هذا الكتاب، جيد يدلّ على فضل هذا الرجل و كماله، و بلوغه الغاية القصوى فى الفقه و جودة نظره، و أنا ذكرت خلافه و أقواله فى كتاب «مختلف الشيعة فى أحكام الشريعة» «۱».

و بذلك يعلم أنّ استعمال القياس فى فقهه كان لأَجل الاستدلال على طريق المخالفين، و لعلّه إلى ذلك ينظر الشيخ حيث يقول فى «عدّته»: لما كان العمل بالقياس محظوراً فى الشريعة عندهم لم يعملوا به أصلًا، و إذا شذ واحد منهم عمل به فى بعض المسائل، على وجه المحاجة لخصمه، و إن لم يكن اعتقاده، رووا قوله و أنكروا عليه «۲».

الثالث: الشيخ الفقيه المحقّق النقّاد نابغة العراق، و نادرة الآفاق، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (۳۳۸ ۴۱۳ ه).

يقول تلميذه، أبو العباس النجاشى عنه فى رجاله: شيخنا و أُستاذنا رضى اللّه عنه، فضله أشهر من أن يوصف فى الفقه و الكلام و الرواية و الوثاقة و العلم «۳».

و يقول عنه تلميذه الآخر الشيخ الطوسى فى فهرسته: محمد بن محمد بن النعمان المفيد، يكنّى أبا عبد اللّه المعروف بابن المعلم، من جملة متكلّمى

---

(۱) روضات الجنات: ۱۴۷۶- ۱۴۵، نقلًا عن إيضاح العلّامة: ۸۸ ۸۹، ط إيران، و قد نقله بعض الأَجلّة عن خلاصة العلّامة، و هو ليس بصحيح.

(۲) عدة الأصول: ۱- ۳۳۹ الطبعة الحديثة.

لاحظ أيضاً فى ذلك ما حقّقه السيد بحر العلوم فى فوائده: ۳ ۲۲۵- ۲۱۳.

(۳) رجال النجاشي: ۳۹۹ برقم ۱۰۶۷.

تذكرة الأعيان، ص: ۷۳

الإمامية، انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، و كان مقدماً في العلم و صناعة الكلام، و كان فقيهاً متقدماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، و له قريب من مائتي مصنف كبار و صغار «۱».

و كفى في فضل الرجل و تقدّمه في الفقه و الكلام انّه تخرّج عليه و تربّى في مدرسته العلمان الكبيران: السيد المرتضى، و الشيخ الطوسي قدس اللّه أسرارهما.

و قد ذكر النجاشي من أسامي مؤلفاته نحواً من مائة و أربعة و ستين كتاباً.

و قد طبع منه في الفقه: المقنعة، (و المسائل الصاغانية «و الإعلام» فيما اتّفقت عليه الإمامية و هو كالذيل لكتاب أوائل المقالات) غير أنّ رسائله في الفقه كثيرة معروفة، يظهر لمن راجع الفهارس.

الرابع: علي بن الحسين الملقّب ب «علم الهدى» و المعروف ب «السيد المرتضى» (۳۵۵ ۴۳۶ ه).

قال عنه تلميذه الشيخ الطوسي: متوحّد في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدّم في العلوم مثل علم الكلام و الفقه و أُصول الفقه، ثمّ ذكر تصانيفه.

و قال عنه تلميذه الآخر أبو العباس النجاشي: حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحد في زمانه و سمع من الحديث فأكثر.

و ذكر تآليفه «۲».

و من تآليفه في الفقه: الانتصار في انفرادات الإمامية، صنّفه للأَمير الوزير عميد الدين في بيان الفروع التي شنّع على الشيعة لأَنّهم خالفوا فيها الإجماع فأثبت أنّ لهم فيها موافقاً من فقهاء سائر المذاهب، و انّ لهم عليها حجّة قاطعة، من الكتاب و السنّة، و قد طبع الكتاب كراراً.

---

(۱) فهرست الشيخ الطوسي: ۱۶۶.

(۲) فهرست الشيخ: ۱۲۵؛ رجال النجاشي: ۲۷۰ برقم ۷۰۸.

تذكرة الأعيان، ص: ۷۴

و كتابه هذا في الفقه، و كتابه الآخر أعني: «الذريعة في أُصول الفقه» يعربان عن أنّ السيد من الشخصيات البارزة التي يضن بها الدهر إلّا في فترات قليلة.

الخامس: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (۳۸۵ ۴۶۰ ه)، فقيه الشيعة و زعيمهم في القرن الخامس بعد السيد المرتضى الشهير بعلم الهدى، فقد قام بتأليف كتاب على هذا النمط و أسماه كتاب «المبسوط»، و ألّفه بعد كتابه المسمّى ب «النهاية» الذي كتبه على النمط الأَوّل من التأليف.

قال في مقدمة «المبسوط»: كنت عملت في قديم الوقت كتاب «النهاية»، و ذكرت جميع ما رواه أصحابنا في مصنفاتهم و أُصولها من المسائل، و فرّقوه في كتبهم، و رتبته ترتيب الفقه، و جمعت فيه النظائر.. و لم أتعرض للتفريع على المسائل و لا لتعقيد الأَبواب، و ترتيب المسائل و تعليقها و الجمع بين نظائرها، بل أوردت جميع ذلك أو أكثره بالألفاظ المنقولة، حتى لا يستوحشوا من ذلك و عملت بآخره مختصر جمل العقود، و في العبارات سلكت فيه طريق الإيجاز و الاختصار، و عقود الأَبواب في ما يتعلّق بالعبادات.. و وعدت فيه أن أعمل كتاباً في الفروع خاصة، يضاف إلى كتاب «النهاية»، و يجتمع مع ما يكون كاملًا كافياً في جميع ما يحتاج إليه.

ثمّ رأيت أنّ ذلك يكون مبتوراً يصعب فهمه على الناظر فيه، لَانّ الفرع إنّما يفهمه إذا ضبط الأَصل معه، فعدلت إلى عمل كتاب يشتمل على عدد جميع كتب الفقه التي فصلوها الفقهاء، و هي نحو من ثلاثين كتاباً، أذكر كلّ كتاب منه على غاية ما يمكن تلخيصه

من الألفاظ، و اقتصرت على مجرد الفقه دون الأدعية و الآداب، و أعقد فيه الأبواب و أقسم فيه المسائل، و أجمع بين النظائر و استوفيه غاية

تذكرة الأعيان، ص: ۷۵

الاستيفاء، و أذكر أكثر الفروع التى ذكرها المخالفون «۱».

و قد لخّصنا عبارة الشيخ فى مقدمته، و قد أوضح فيها طريقته الحديثة، التى اجتمعت فيه مزية التفريع و التكثير، و الإجابة على الحاجات الجديدة، و بيان أحكام الحوادث مع عدم الخروج عن حدود الكتاب و السنّة، بل الرجوع إليهما فى جميع الأبواب.

و قد نال هذا الكتاب القيم رواجاً خاصّاً، و هو أحد الكتب النفيسة للشيعة الإمامية فى الفقه، و قد طبع فى ثمانية أجزاء.

كما أنّ للشيخ الطوسى كتاباً آخر و هو كتاب «الخلاف»، سلك فيه مسلك الفقه المقارن.

و الحقّ أنّ شيخ الطائفة قد أُوتى موهبة عظيمة و فائقة، فخدم الفقه الإسلامى بألوان الخدمة، فتارة كتب كتاب «النهاية» على طريقة الفقه المنصوص أو المسائل المتلقاة كما كتب «المبسوط» على نهج الفقه التفريعى، و أثبت أنّ الشيعة مع نفيهم للقياس و الاستحسان، قادرون على تفريع الفروع، و تكثير المسائل، و تبيين أحكامها من الكتاب و السنّة مع التحفّظ على أُصولهم بالاجتهاد.

ثمّ ألف كتاب «الخلاف» على نمط الفقه المقارن، فأورد فيه آراء الفقهاء فى عصره و العصور الماضية، و هو من أحسن الكتب و أنفسها، كما أنّه ابتدع نوعاً رابعاً فى التأليف، فأخرج أُصول المسائل الفقهية بأبرع العبارات و أقصرها و أدرجها فى فصول خاصة، أسماها «الجمل و العقود»، و قد أشار إليها فى مقدمته إذ قال و أنا مجيب إلى ما سأل الشيخ الفاضل أدام اللّه بقاه فى إملاء مختصر، يشتمل على ذكر كتب العبادات، و ذكر عقود و أبواب و حصر جملها، و بيان أفعالها، و أقسامها إلى الأفعال و التروك و ما يتنوع من الوجوب و الندب، و أضبطها بالعدد، ليسهل على

---

(۱) المبسوط: ۳۱- ۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۷۶

من يريد حفظها، و لا يصعب تناولها و يفزع إليه الحافظ عند تذكّره، و الطالب عند تدبّره.

فهذه الألوان الأربعة فى كتب الشيخ يسدّ كلّ منها ناحية من النواحى الفقهية.

السادس: الشيخ سعد الدين أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير «۱» بن عبد العزيز بن براج الطرابلسى، تلميذ السيد المرتضى، و زميل الشيخ الطوسى أو تلميذه المعروف بالقاضى تارة و بابن البراج أُخرى، فقيه عصره و قاضى زمانه، و خليفة الشيخ فى الشامات.

و هو أحد الفقهاء الافذاذ فى القرن الخامس بعد شيخيه: المرتضى و الطوسى، صاحب كتاب «المهذب» فى الفقه و غيره من الآثار الفقهية فهو قدَّس سرَّه اقتفى خطوات شيخ الطائفة من حيث التبويب و التفريع، و يعد الكتاب من الموسوعات الفقهية البديعة فى عصره.

و قبل كلّ شىء نذكر أقوال أئمّة الرجال و التراجم فى حقّه، فنقول: ۱- يقول الشيخ منتجب الدين فى الفهرست: القاضى سعد الدين أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج، وجه الأصحاب، و فقيههم، و كان قاضياً بطرابلس، و له مصنفات منها: «المهذب» و «المعتمد» و «الروضة» و «المقرب» و «عماد المحتاج فى مناسك الحاج» أخبرنا بها الوالد، عن والده، عنه «۲».

۲- و يقول ابن شهرآشوب فى «معالم العلماء»: أبو القاسم عبد العزيز بن

---

(۱) نقل السيد بحر العلوم فى فوائده: ۳- ۶۱ إنّ فى نسختين من نسخ إجازة العلّامة لأبناء زهرة «بحر» مكان نحرير و جعله أصحّ لكون «بحر» أكثر فى الأسماء من «نحرير».

(۲) بحار الأنوار: ۱۰۵- ۴۴۱، و قد طبع فهرست منتجب الدين فى هذا الجزء من أجزاء البحار.

تذكرة الأعيان، ص: ۷۷

نحرير بن عبد العزيز، المعروف بابن البراج، من غلمان «۱» المرتضى رضى اللّه عنه، له كتب فى الأصول و الفروع، فمن الفروع: الجواهر، المعالم، المنهاج، الكامل، روضة النفس فى أحكام العبادات الخمس، المقرب، المهذب، التعريف، شرح جمل العلم و العمل للمرتضى رحمه اللّه «۲».

۳- و قال العلّامة الحلّى فى إجازته لأَولاد زهرة المدرجة فى كتاب الإِجازات للمجلسى الملحق بآخر أجزاء البحار، قال: و من ذلك جميع كتب الشيخ عبد العزيز بن نحرير البراج «۳».

۴- و قال الشهيد فى بعض مجاميعه فى بيان تلامذة السيد المرتضى: و منهم أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن البراج، و كان قاضى طرابلس، ولّاه القاضى جلال الملك رحمه اللّه و كان أُستاذ أبى الفتح الصيداوى، و ابن رزح] كذا [، من أصحابنا.

۵- و قال ابن فهد فى اصطلاحات المهذب: و القاضى عبد العزيز بن البراج تولى قضاء طرابلس عشرين سنة.

و قال فى رموز الكتاب: و بكتابى القاضى: إلى المهذب و الكامل «۴».

۶- و قال الشيخ على الكركى فى إجازته للشيخ برهان الدين أبى إسحاق إبراهيم بن على فى حقّ ابن البراج: الشيخ السعيد، خليفة الشيخ الإِمام أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى بالبلاد الشامية، عز الدين عبد العزيز بن نحرير ابن البراج قدَّس سرَّه «۵».

---

(۱) المراد من الغلمان فى مصطلح الرجاليين هو الخصيص بالشيخ، حيث إنّه تلمذ عليه و صار من بطانة علومه.

(۲) معالم العلماء: ۸۰.

(۳) البحار: ۱۰۵- ۲۶۵.

(۴) الفوائد الرجالية: ۳- ۶۳.

(۵) رياض العلماء: ۳- ۱۴۴، و ما نقلناه من الشهيد آنفاً نقلناه من ذاك المصدر.

تذكرة الأعيان، ص: ۷۸

۷- و ذكره الشهيد الثانى فى إجازته، قال:».. و عن السيد المرتضى علم الهدى، و عن الشيخ سلار و القاضى عبد العزيز بن البراج، و الشيخ أبى الصلاح بجميع ما صنفوه و رووه».

و قال فى حاشية هذا الموضع: وجدت بخط شيخنا الشهيد انّ ابن البراج تولّى قضاء طرابلس عشرين سنة أو ثلاثين «۱».

۸- و قال بعض تلامذة الشيخ على الكركى، فى رسالته المعمولة فى ذكر أسامى مشايخ الأَصحاب: و منهم الشيخ عبد العزيز بن البراج الطرابلسى، صنف كتباً نفيسة منها: المهذب، و الكامل، و الموجز، و الإِشراق، و الجواهر، و هو تلميذ الشيخ محمد بن الحسن الطوسى.

۹- و قال الأَفندى التبريزى فى الرياض: و قد وجدت منقولًا عن خطّ الشيخ البهائى، عن خط الشهيد أنّه تولّى ابن البراج قضاء طرابلس عشرين سنة أو ثلاثين سنة، و كان للشيخ أبى جعفر الطوسى أيام قراءته على السيد المرتضى كلّ شهر اثنا عشر ديناراً و لابن البراج كل شهر ثمانية دنانير، و كان السيد المرتضى يجرى على تلامذته جميعاً.

۱۰- و نقل عن بعض الفضلاء أنّ ابن البراج قرأ على السيد المرتضى فى شهور سنة تسع و عشرين و أربعمائة إلى أن مات المرتضى، و أكمل قراءته على الشيخ الطوسى، و عاد إلى طرابلس فى سنة ثمان و ثلاثين و أربعمائة، و أقام بها إلى أن مات ليلة الجمعة لتسع خلون من شعبان سنة إحدى و ثمانين و أربعمائة و قد نيف على الثمانين «۲».

---

(۱) و لاحظ الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم: ۳- ۶۲.

(۲) رياض العلماء: ۳ ۱۴۲- ۱۴۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۷۹

۱۱- و نقل صاحب الروضات عن «أربعين الشهيد»، نقلًا عن خط صفى الدين المعد الموسوى: أنّ سيدنا المرتضى رضى اللّه عنه كان يجرى على تلامذته رزقاً فكان للشيخ أبى جعفر الطوسى رحمه اللّه أيّام قراءته عليه كلّ شهر اثنا عشر ديناراً و للقاضى كلّ شهر ثمانية دنانير، و كان وقف قرية على كاغذ الفقهاء «۱».

۱۲- و قال عنه التفريشى فى رجاله: فقيه الشيعة الملقّب بالقاضى، و كان قاضياً بطرابلس «۲».

۱۳- و قال المولى نظام الدين القريشى فى نظام الأَقوال: عبد العزيز بن البراج، أبو القاسم، شيخ من أصحابنا، قرأ على السيد المرتضى فى شهور سنة تسع و عشرين و أربعمائة و كمل قراءته على الشيخ الطوسى، و عبر عنه بعض كالشهيد فى الدروس و غيره بالقاضى، لأَنّه ولى قضاء طرابلس عشرين سنة أو ثلاثين، مات ليلة الجمعة لتسع خلون من شعبان سنة إحدى و ثمانين و أربعمائة «۳».

۱۴- و قال الشيخ الحرّ العاملى فى أمل الآمل:.. وجه الأَصحاب و فقيههم، و كان قاضياً بطرابلس، و له مصنفات، ثمّ ذكر نفس ما ذكره منتجب الدين فى فهرسته، و ابن شهرآشوب فى معالمه، و التفريشى فى رجاله «۴».

۱۵- و قال المجلسى فى أوّل البحار: و كتاب المهذب و كتاب الكامل و كتاب جواهر الفقه للشيخ الحسن المنهاج، عبد العزيز بن البراج، و كتب الشيخ الجليل ابن البراج كمؤَلفها فى غاية الاعتبار «۵».

---

(۱) روضات الجنات: ۴- ۲۰۳.

و انظر رجال السيد بحر العلوم: ۳- ۱۰۵.

(۲) نقد الرجال: ۱۸۹.

(۳) رياض العلماء: ۳- ۱۴۵، نقلًا عن نظام الأَقوال.

(۴) أمل الآمل: ۲ ۱۵۳- ۱۵۲.

(۵) بحار الأَنوار: ۱- ۲۰ و ۳۸.

تذكرة الأعيان، ص: ۸۰

۱۶- و فى مجمع البحرين.

مادة «برج»: و ابن البراج: أبو القاسم عبد العزيز من فقهاء الإِمامية و كان قاضياً بطرابلس.

۱۷- و قال التسترى فى مقابس الأَنوار: الفاضل الكامل، المحقّق المدقق، الحائز للمفاخر و المكارم و محاسن المراسم: الشيخ سعد الدين و عز المؤمنين، أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج الطرابلسى الشامى نوّر اللّه مرقده السامى، و هو من غلمان المرتضى، و كان خصيصاً بالشيخ و تلمذ عليه و صار خليفته فى البلاد الشامية، و روى عنه و عن الحلبى، و ربما استظهر تلمذته على الكراجكى و روايته عنه أيضاً «۱».

و صنف الشيخ له بعد سؤَاله جملة من كتبه معبراً عنه فى أوائلها بالشيخ الفاضل، و هو المقصود به و المعهود، كما صرح به الراوندى فى «حل المعقود»، و كتب الشيخ أجوبة مسائل له أيضاً، و كان من مشايخ ابن أبى كامل، و الشيخ حسكا، و الشيخ عبد الجبار، و الشيخ محمد بن على بن محسن الحلبى، و روى عنه ابناه الأُستاذان: أبو القاسم و أبو جعفر اللّذان يروى عنهما القطب الراوندى و ابن شهرآشوب السروى و غيرهم، و له كتب منها: المهذب، و الجواهر، و شرح جمل المرتضى، و الكامل، و روضة النفس، و المعالم، و المقرب، و المعتمد، و المنهاج، و عماد المحتاج فى مناسك الحاج، و الموجز، و غيرها، و لم أقف إلّا على الثلاثة الأُول، و يعبر عنه كثيراً بابن البراج «۲».

۱۸- و قال المتتبع النورى:.. الفقيه العالم الجليل، القاضى فى طرابلس الشام فى مدّة عشرين سنة، تلميذ علم الهدى و شيخ الطائفة، و كان يجرى السيد عليه فى كلّ شهر دينار (الصحيح ثمانية دنانير)، و هو المراد بالقاضى على الإِطلاق

---

(۱) سيوافيك من صاحب رياض العلماء خلافه و أنّ الذى تتلمذ عليه هو تلميذ القاضى لا نفسه، و أنّ الاشتباه حصل من وحدة الاسم و اللقب.

(۲) مقابس الأَنوار: ۷ ۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۸۱

فى لسان الفقهاء، و هو صاحب المهذب و الكامل و الجواهر و شرح الجمل للسيد و الموجز و غيرها.. توفّى رحمه اللّه ليلة الجمعة لتسع خلون من شعبان سنة ۴۸۱ ه و كان مولده و منشأه بمصر «۱».

۱۹- و قال السيد الأَمين العاملى: وجه الأَصحاب، و كان قاضياً بطرابلس، و له مصنفات،.. كتاب فى الكلام، و كان فى زمن بنى عمار «۲».

۲۰- و قال الحجّة السيد حسن الصدر عنه: القاضى ابن البراج، هو الشيخ أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج، وجه الأَصحاب و فقيههم إمام فى الفقه، واسع العلم، كثير التصنيف، كان من خواص تلامذة السيد المرتضى حضر عالى مجلس السيد فى شهور سنة ۴۲۹ إلى أن توفّى السيّد.

ثمّ لازم شيخ الطائفة أبا جعفر الطوسى حتى صار خليفة الشيخ و واحد من أهل الفقه، فولّاه جلال الملك قضاء طرابلس سنة ۴۳۸، و أقام بها إلى أن مات ليلة الجمعة لتسع خلون من شعبان سنة إحدى و ثمانين و أربعمائة، و قد نيف على الثمانين، و كان مولده بمصر و بها منشأه «۳».

إلى غير ذلك من الكلمات المعطرة التى فاحت بها كتب التراجم و الرجال و التى تعرب عن مكانة الرجل و مرتبته فى الفقه و انّه أحد أعيان الطائفة فى عصره، و قاضياً من قضاتهم فى طرابلس.

غير أنّ من الموسف إنّ أرباب التراجم الذين تناولوا ترجمة الرجل عمدوا إلى نقل الكلمات حوله بعضهم عن بعضهم من دون تحليل لشخصيته، و من دون إشارة إلى ناحية من نواحى حياته العلمية و الاجتماعية.

---

(۱) المستدرك: ۳- ۴۸۱.

(۲) أعيان الشيعة: ۷- ۱۸.

(۳) تأسيس الشيعة لفنون الإِسلام: ۳۰۴.

تذكرة الأعيان، ص: ۸۲

و لأَجل ذلك نحاول فى هذه المقدمة القصيرة تسليط المزيد من الإضواء على حياته، و تحليلها.

أضواء على حياة المؤَلف

ميلاده:

لم نقف على مصدر يعين تاريخ ميلاد المترجم له على وجه دقيق، غير أنّ كلمة الرجاليين و المترجمين له اتّفقت على أنّه توفى عام ۴۸۱ ه و قد نيف على الثمانين، فعلى هذا فإنّ أغلب الظن أنّه رحمه اللّه ولد عام ۴۰۰ ه أو قبل هذا التاريخ بقليل.

هو شامی لا مصری و أمّا موطنه فقد نقل صاحب «ریاض العلماء» عن بعض الفضلاء أنّ مولده کان بمصر، و بها منشأه «۱».

و أخذ منه صاحب «المقابیس» و السید الصدر کما عرفت، و لکنّه بعید جدّاً.

و الظاهر أنّه شامی لا- مصری، و لو کان من الدیار المصریة لزم عادة أن ینتحل المذهب الاسماعیلی، و ینسلک فی سلک الاسماعیلیین، لَانّ المذهب الرائج فی مصر یومذاک کان هو المذهب الاسماعیلی، و کان الحکام هناک من الفاطمیین یروّجون لذلک المذهب، فلو کان المترجم له مصری المولد و المنشأ فهو بطبیعة الحال إذا لم یکن سنیاً، یکون إسماعیلیاً، و بما أنّه یعد من أفذاذ فقهاء الشیعة الإمامیة لزم أن یشتهر انتقاله من مذهب إلی مذهب، و لذاع و بان، مع انّه لم یذکر فی حقّه شیء من هذا القبیل.

---

(۱) ریاض العلماء: ۳- ۱۴۳.

تذکرة الأعیان، ص: ۸۳

هذا هو القاضی أبو حنیفة النعمان بن محمد التمیمی المغربی، الفقیه الفاطمی الاسماعیلی، مؤَلف کتاب «دعائم الإسلام» المتوفّی فی القاهرة فی جمادی الآخرة عام ۳۶۳ ه قد عاش بین الفاطمیین و ألّف علی مذهبهم، و مات علیه، و صلّی علیه المعز لدین اللّه.

و ترجمه السید بحر العلوم فی الجزء الرابع ص ۱۴۵ من فوائده، و علّق علیه المعلق تعلیقات مفیدة، فشکر اللّه مساعی المؤَلف و المعلق فلاحظ.

فالظاهر أنّ ابن البراج شامی، و قد انتقل بعد تکمیل دراسته فی بغداد إلی مولده البلاد الشامیة للقیام بواجباته، و حفظ الشیعة من الرجوع إلی محاکما لآخرین.

منزلته العلمیة

اشارة

قد وقفت فی غضون کلمات الرجالیین و المترجمین انّ السید المرتضی کان یجری الرزق علی الشیخ الطوسی اثنی عشر دیناراً و علی المؤَلف ثمانیة دنانیر، و هذا یفید أنّ المؤَلف کان التلمیذ الثانی من حیث المرتبة و البراعة بعد الشیخ الطوسی فی مجلس درس السید المرتضی، کیف و قد اشتغل الشیخ بالدراسة و التعلم قبله بخمسة عشر عاما، لَانّه ولد عام ۴۰۰ ه أو قبله بقلیل و ولد الشیخ الطوسی عام ۳۸۵ ه.

و حتی لو فرض أنّهما کانا متقاربین فی العمر و مدّة الدراسة، و لکن براعة الشیخ و توقده و نبوغه ممّا لا یکاد ینکر، و علی کلّ تقدیر فالظاهر أنّ هذا السلوک من السید بالنسبة لتلمیذیه کان بحسب الدرجة العلمیة.

تذکرة الأعیان، ص: ۸۴

زمالته للشیخ

لقد حضر المؤَلف درس السید المرتضی رحمه اللّه عام ۴۲۹ ه و هو ابن ثلاثین سنة أو ما یقاربه فقد استفاد من بحر علمه و حوزة درسه قرابة ثمان سنین، حیث إنّ المرتضی لبّی دعوة ربّه لخمس بقین من شهر ربیع الأوّل سنة ۴۳۶ ه «۱».

فعند ما لبّی الأُستاذ دعوة ربّه، حضر درس الشیخ إلی أن نصب قاضیاً فی طرابلس عام ۴۳۸ ه، و علی ذلک فقد استفاد من شیخه

الثانی قرابة ثلاث سنوات، و مع ذلک کلّه فالحقّ أنّ القاضی ابن البراج زمیل الشیخ فی الحقیقة، و شریکه فی التلمذ علی السید المرتضی، و أنّه بعد ما لبّی السید المرتضی دعوة ربّه و انتهت رئاسة الشیعة فی بغداد إلی الشیخ الطوسی، حضر درس الشیخ الطوسی توحیداً للکلمة، و تشرفاً و افتخاراً، أوّلًا، و استفادة ثانیاً کما قبل من جانبه الخلافة و النیابة فی البلاد الشامیة.

و تدل علی أنّ ابن البراج کان زمیلًا صغیراً للشیخ لا تلمیذاً له أُمور: ۱- عند ما توفی أُستاذه السید المرتضی رحمه اللّه، کان القاضی ابن البراج قد بلغ مبلغاً کبیراً من العمر، یبلغ الطالب فی مثله مرتبة الاجتهاد، و هو قرابة الأَربعین، فیبعد أن یکون حضوره فی درس الشیخ الطوسی من باب التلمذ المحض بل هو لأَجل ما ذکرناه قبل قلیل.

۲- انّ السید المرتضی عمل کتاباً باسم «جمل العلم و العمل» فی الکلام و الفقه علی وجه موجز، ملقیاً فیها الأصول و القواعد فی فن الکلام و الفقه.

و قد تولّی شیخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسی شرح القسم الکلامی منه و هو ما یعبّر عنه ب «تمهید الأصول» و قد طبع الکتاب بهذا الاسم و انتشر.

---

(۱) رجال النجاشی: ۱۹۳.

بینما تولّی القاضی ابن البراج المترجم له شرح القسم الفقهی و من هذا یظهر زمالة هذین العلمین، بعضهما لبعض فی المجالات العلمیة، فکلّ واحد یشرح قسماً خاصاً من کتاب أُستاذهما.

۳- أنّ شیخنا المؤَلّف ینقل فی کتابه «شرح جمل العلم و العمل» عند البحث عن جواز إخراج القیمة من الأَجناس الزکویة ما هذا عبارته: «و قد ذکر فی ذلک ما أشار إلیه صاحب الکتاب رضی اللّه عنه من الروایة الواردة، من الدرهم أو الثلثین، و الأَحوط إخراجها بقیمة الوقت، و هذا الذی استقر تحریرنا له مع شیخنا أبی جعفر الطوسی و رأیت من علمائنا من یمیل إلی ذلک» «۱».

و هذه العبارة تفید زمالتهما فی البحث و التحریر.

۴- نری أنّ المؤَلّف عند ما یطرح فی کتابه «المهذب» آراء الشیخ یعقبه بنقد بنّاء و مناقشة جریئة، مما یدل علی زمالته للشیخ لا تلمیذاً آخذاً، و نأتی لذلک بنموذجین: أوّلًا: فهو یکتب فی کتاب الایمان من «المهذب» إذا ما حلف الرجل علی عدم أکل الحنطة، فهل یحنث إذا أکلها دقیقاً أو لا، ما هذا عبارته: کان الشیخ أبو جعفر الطوسی رحمه اللّه قد قال لی یوماً فی الدرس: أن أکلها علی جهتها حنث، و إن أکلها دقیقاً أو سویقاً لم یحنث.

فقلت له: و لم ذلک؟ و عین الدقیق هی عین الحنطة، و إنّما تغیرت بالتقطیع الذی هو الطحن.

فقال: قد تغیرت عمّا کانت علیه.

و إن کانت العین واحدة، و هو حلف أن لا یأکل ما هو مسمی بحنطة لا ما یسمی دقیقاً.

---

(۱) شرح جمل العلم و العمل: ۲۶۸، و قد حقق نصوصه الأُستاذ مدیر شانه‌چی دام ظله.

فقلت له: هذا لم یجز فی الیمین، فلو حلف: لا أکلت هذه الحنطة ما دامت تسمّی حنطة، کان الأَمر علی ما ذکرت، فإنّما حلف أن لا یأکل هذه الحنطة أو من هذه الحنطة.

فقال: علی کلّ حال قد حلف أن لا یأکلها و هی علی صفة، و قد تغیّرت عن تلک الصفة، فلم یحنث.

فقلت: الجواب هاهنا مثل ما ذکرته أوّلًا، و ذلک: إن کنت تریدأنّه حلف أن لا یأکلها و هی علی صفة.

أنّه أراد و هى على تلك الصفة، فقد تقدّم ما فيه، فإن كنت لم ترد ذلك فلا حجّة فيه.

ثمّ يلزم على ما ذكرته أنّه لو حلف أن لا يأكل هذا الخيار و هذا التفاح، ثمّ قشره و قطعه و أكله إلّا يحنث و لا شبهة فى أنّه يحنث.

فقال: من قال فى الحنطة ما تقدم، يقول فى الخيار و التفاح مثله.

فقلت له: إذا قال فى هذا مثل ما قاله فى الحنطة علم فساد قوله بما ذكرته: من أنّ العين واحدة، اللّهمّ إلّا إن شرط فى يمينه أن لا يأكل هذا الخيار أو هذا التفاح و هو على ما هو عليه، فأنّ الأَمر يكون على ما ذكرته؟ و قد قلنا إنّ اليمين لم يتناول ذلك.

ثمّ قلت: على إنّ الاحتياط يتناول ما ذكرته، فأمسك «۱».

ثانياً: ما جاء فى كتاب الطهارة، فى الماء المضاف إذا اختلط بالماء المطلق و كانا متساويين فى المقدار، فذهب القاضى إلى أنّه لا يجوز استعماله فى رفع الحدث، و لا إزالة النجاسة، و يجوز فى غير ذلك، ثمّ قال: و قد كان الشيخ أبو جعفر الطوسى رحمه اللّه قال لى يوماً فى الدرس: هذا

---

(۱) المهذب: ۲- ۴۱۹ و ۴۲۰، كتاب الكفارات.

الماء يجوز استعماله فى الطهارة و إزالة النجاسة.

فقلت له: و لم أجزت ذلك مع تساويهما؟ فقال: إنّما أجزت ذلك لَانّ الأَصل الإِباحة.

فقلت له: الأَصل و إن كان هو الإِباحة، فأنت تعلم أنّ المكلّف مأخوذ بأن لا يرفع الحدث و لا يزيل النجاسة عن بدنه أو ثوبه إلّا بالماء المطلق، فتقول أنت بأنّ هذا الماء مطلق؟! فقال: أ فتقول أنت بأنّه غير مطلق؟ فقلت له: أنت تعلم أنّ الواجب أن تجيبنى عمّا سألتك عنه قبل أن تسألنى ب «لا» أو «نعم» ثمّ تسألنى عمّا أردت، ثمَّ إنّنى أقول بأنّه غير مطلق.

فقال: أ لست تقول فيها إذا اختلطا و كان الأَغلب و الأَكثر المطلق فهما مع التساوى كذلك؟ فقلت له: إنّما أقول بأنّه مطلق إذا كان المطلق هو الأَكثر و الأَغلب، لَانّ ما ليس بمطلق لم يؤَثر فى إطلاق اسم الماء عليه، و مع التساوى قد أثر فى إطلاق هذا الاسم عليه، فلا أقول فيه بأنّه مطلق، و لهذا لم تقل أنت بأنّه مطلق، و قلت فيه بذلك إذا كان المطلق هو الأَكثر و الأَغلب، ثمّ إنّ دليل الاحتياط تناول ما ذكرته، فعاد إلى الدرس و لم يذكر فيه شيئاً «۱».

و هذا النمط من البحث و النقاش و الأَخذ و الرد فى أثناء الدروس يرشد إلى مكانة القاضى فى درس الشيخ الطوسى، و انّ منزلته لم تكن منزلة التلميذ بل كان رجلًا مجتهداً ذا رأى و نظر ربما قدر على إقناع أُستاذه و إلزامه برأيه.

۵- انّ الناظر فى ثنايا كتاب «المهذب» يرى بأنّ المؤَلف المترجم له يعبر عن أُستاذه السيد المرتضى بلفظة «شيخنا» بينما يعبر عن «الشيخ الطوسى»

---

(۱) المهذب: ۲۵۱- ۲۴، كتاب الطهارة.

بلفظة «الشيخ أبو جعفر الطوسى» لا ب «شيخنا» و الفارق بين التعبيرين واضح و بيّن.

و هذا و إن لم يكن قاعدة مطردة فى هذا الكتاب إلّا انّها قاعدة غالبة.

نعم عبّر فى «شرح جمل العلم و العمل» عنه ب «شيخنا» كما نقلناه.

۶- ينقل هو رأى الشيخ الطوسى فى مواضع كثيرة بلفظ «ذكر» أى قيل، و قد وجدنا موارده فى مبسوط الشيخ رحمه اللّه و نهايته.

و لا شكّ أنّ هذا التعبير يناسب تعبير الزميل عن الزميل لا حكاية التلميذ عن أُستاذه.

و على كلّ تقدير فرحم اللّه الشيخ و القاضى بما أسديا إلى الأمة من الخدمات العلمية، و وفقنا للقيام بواجبنا تجاه هذين العلمين، و الطودين الشامخين.

استمرار الاجتهاد و المناقشة فى آراء الشيخ

لقد نقل صاحب المعالم عن والده الشهيد الثانى رحمه اللّه بأنّ أكثر الفقهاء الذين نشئوا بعد الشيخ كانوا يتبعونه فى الفتوى تقليداً له لكثرة اعتقادهم فيه و حسن ظنّهم به، فلمّا جاء المتأخرون وجدوا أحكاماً مشهورة قد عمل بها الشيخ و متابعوه فحسبوها شهرة بين العلماء، و ما دروا أنّ مرجعها إلى الشيخ و أنّ الشهرة إنّما حصلت بمتابعته.

قال الوالد قدّس اللّه نفسه: و ممّن اطّلع على هذا الذى تبيّنته و تحقّقته من غير تقليد: الشيخ الفاضل المحقّق سديد الدين محمود الحمصى، و السيد رضى الدين ابن طاوس، و جماعة.

و قال السيد رحمه اللّه فى كتابه المسمّى ب «البهجة لثمرة المهجة»: أخبرنى جدى الصالح قدّس اللّه روحه ورام بن أبى فراس قدّس روحه أنّ الحمصى حدّثه

تذكرة الأعيان، ص: ۸۹

أنّه لم يبق مفت للإمامية على التحقيق بل كلّهم حاك.

و قال السيد عقيب ذلك: و الآن فقد ظهر لى أنّ الذى يفتى به و يجاب على سبيل ما حفظ من كلام المتقدمين «۱».

و لكن هذا الكلام على إطلاقه غير تام، لما نرى من أنّ ابن البراج قد عاش بعد الشيخ أزيد من عشرين سنة، و ألّف بعض كتبه كالمهذّب بعد وفاة الشيخ و ناقش آراءه بوضوح، فعند ذلك لا يستقيم هذا القول على إطلاقه: «لم يبق مفت للإمامية على التحقيق بل كلّهم حاك».

و خلاصة القول: إنّ فى الكلام المذكور نوع مبالغة، لوجود مثل هذا الفقيه البارع.

منزلته عند الشيخ الطوسى

قد عرفت مكانة الشيخ و منزلته العلمية، فقد كان الشيخ الطوسى ينظر إليه بنظر الاكبار و الإجلال، و لأجل ذلك نرى أنّ الشيخ ألف بعض كتبه لأجل التماسه و سؤاله.

فها هو الشيخ الطوسى يصرّح فى كتابه «المفصح فى إمامة أمير المؤمنين» بأنّه ألّف هذا الكتاب لأجل سؤال الشيخ (ابن البراج) منه فيقول: سألت أيها الشيخ الفاضل أطال اللّه بقاءك و أدام تأييدك إملاء كلام فى صحّة إمامة أمير المؤمنين، على بن أبى طالب، صلوات اللّه عليه «۲».

كما أنّه ألف كتابه «الجمل و العقود» بسؤاله أيضاً حيث قال: أمّا بعد فأنا مجيب إلى ما سأل الشيخ الفاضل أدام اللّه بقاءه، من إملاء مختصر يشتمل على

---

(۱) معالم الدين: ۴۰۸ الطبعة الجديدة المطلب الخامس فى الإجماع.

(۲) الرسائل العشر: ۱۱۷.

تذكرة الأعيان، ص: ۹۰

ذكر كتب العبادات «۱».

و نرى أنّه ألّف كتابه الثالث «الإيجاز فى الفرائض و المواريث» بسؤَال الشيخ أيضاً فيقول: سألت أيدك اللّه إملاء مختصر فى الفرائض و المواريث «۲».

و لم يكتف الشيخ بذلك، فألف رجاله بالتماس هذا الشيخ أيضاً إذ يقول: أمّا بعد فإنّى قد أجبت إلى ما تكرر سؤَال الشيخ الفاضل فيه، من جمع كتاب يشتمل على أسماء الرجال الذين رووا عن النبى- صلى الله عليه و آله و سلم-، و عن الأَئمّة من بعده إلى زمن القائم- عليهم السلام-، ثمّ أذكر من تأخر زمانه عن الأَئمّة من رواة الحديث «۳».

و يقول المحقّق الطهرانى فى مقدمته على «التبيان» عند البحث عن «الجمل و العقود»: قد رأيت منه عدّة نسخ فى النجف الأَشرف، و فى طهران، ألّفه بطلب من خليفته فى البلاد الشامية، و هو القاضى ابن البراج، و قد صرح فى هامش بعض الكتب القديمة بأنّ القاضى المذكور هو المراد بالشيخ، كما ذكرناه فى الذريعة ج ۵ ص ۱۴۵ «۴».

و يقول المحقّق الشيخ محمد واعظ زاده فى تقديمه على كتاب «الرسائل العشر»: و فى هامش النسخة من كتاب «الجمل و العقود» التى كانت بأيدينا، قد قيد أنّ الشيخ هو ابن البراج.

و على ذلك يحتمل أن يكون المراد من الشيخ الفاضل فى هذه الكتب الثلاثة هو الشيخ القاضى ابن البراج، كما يحتمل أن يكون هو المراد فى ما ذكره فى

---

(۱) الرسائل العشر: ۱۵۵.

(۲) الرسائل العشر: ۲۶۹.

(۳) رجال الشيخ: ۲.

(۴) التبيان، ج ۱، مقدمة المحقق الطهرانى ص (ث).

تذكرة الأعيان، ص: ۹۱

أوّل كتاب الفهرست حيث قال: و لما تكرر من الشيخ الفاضل أدام اللّه تأييده الرغبة فى ما يجرى هذا المجرى و توالى منه الحث على ذلك، و رأيته حريصاً عليه، عمدت إلى كتاب يشتمل على ذكر المصنفات و الأُصول و لم أفرد أحدهما عن الآخر..، و ألتمس بذلك القربة إلى اللّه تعالى، و جزيل ثوابه، و وجوب حقّ الشيخ الفاضل أدام اللّه تأييده و أرجو أن يقع ذلك موافقاً لما طلبه إن شاء اللّه تعالى «۱».

و نرى نظير ذلك فى كتابه الخامس أعنى «الغيبة» حيث يقول: فانّى مجيب إلى ما رسمه الشيخ الجليل (أطال اللّه بقاه) من إملاء كلام فى غيبة صاحب الزمان «۲» و ربما يحتمل أن يكون المراد من الشيخ فى الكتاب الخامس، هو الشيخ المفيد، و لكنّه غير تام لوجهين: أوّلًا: انّه قدَّس سرَّه قد عين تاريخ تأليف الكتاب عند البحث عن طول عمره حيث قال: فإن قيل: ادعاؤكم طول عمر صاحبكم أمر خارق للعادات، مع بقائه على قولكم كامل العقل تام القوة و الشباب، لَانّه على قولكم فى هذا الوقت الذى هو سنة سبع و أربعين و أربعمائة..

و من المعلوم انّ الشيخ المفيد قد توفى قبل هذه السنة ب ۳۴ عاما.

أضف إلى ذلك أنّه يصرّح فى أوّل كتاب الغيبة بأنّه (رسمه مع ضيق الوقت و شعث الفكر، و عوائق الزمان، و طوارق الحدثان)، و هو يناسب أُخريات إقامة الشيخ فى بغداد، حيث حاقت به كثير من الحوادث الموسفة المؤلمة، حتى ألجأت الشيخ إلى مغادرة بغداد مهاجراً إلى النجف الأَشرف، لما دخل طغرل بك

---

(۱) فهرست الشيخ: ۲۴.

(۲) الغيبة: ۷۸.

تذكرة الأعيان، ص: ۹۲

السلجوقى بغداد عام ۴۴۷، و اتّفق خروج الشيخ منها بعد ذلك عام ۴۴۸، فقد أحرق ذلك الحاكم الجائر مكتبة الشيخ و الكرسى الذى يجلس عليه فى الدرس، و كان ذلك فى شهر صفر عام ۴۴۸ «۱».

أضف إلى ذلك أنّ شيخ الطائفة ألف كتاباً خاصاً باسم «مسائل ابن البراج» نقله شيخنا الطهرانى فى مقدمة «التبيان» عن فهرس الشيخ «۲».

أساتذته

لا شكّ أنّ ابن البراج رحمه اللّه أخذ أكثر علومه عن أُستاذه السيد المرتضى رحمه اللّه و تخرج على يديه، قال السيد بحر العلوم: و قد تلمذ على السيد المرتضى و أخذ عنه العلم و الفقه، الجم الغفير من فضلاء أصحابنا و أعيان فقهائنا منهم.. و القاضى السعيد «عبد العزيز بن البراج».

و حضر بحث شيخ الطائفة على النحو الذى سمعت، غير أنّنا لم نقف على أنّه عمّن أخذ أوليات دراساته فى الأَدب و غيره «۳».

و ربّما يقال إنّه تتلمذ على المفيد، كما فى «رياض العلماء» «۴» و هو بعيد جدّاً، لَانّ المفيد توفّى عام ۴۱۳ ه، و القاضى بعد لم يبلغ الحلم لَانّه من مواليد ۴۰۰ أو بعام قبله، و مثله لا يقدر على الاستفادة عادة من بحث عالم نحرير كالمفيد رحمه اللّه.

و قد ذكر التسترى صاحب المقابيس أنّه تلمذ على الشيخ أبى الفتح محمد ابن على بن عثمان الكراجكى أحد تلاميذ المفيد ثمّ السيد، و مؤَلف كتاب «كنز

---

(۱) لاحظ المنتظم لابن الجوزى: ۸- ۱۷۳، الكامل لابن الأَثير: ۸- ۸۱.

(۲) التبيان ص أ ب.

و نص به أيضاً العلّامة الطباطبائى فى فوائده الرجالية لاحظ: ۳- ۲۳۳.

(۳) الفوائد الرجالية: ۳- ۱۳۹.

(۴) رياض العلماء: ۳- ۱۴۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۹۳

الفوائد» و غيره من المؤَلفات البالغة ثلاثين تأليفاً «۱».

و قال فى الرياض نقلًا عن المجلسى فى فهرس بحاره: إنّ عبد العزيز بن البراج الطرابلسى من تلاميذ أبى الفتح الكراجكى، ثمّ استدرك على المجلسى بأنّ تلميذه هو القاضى عبد العزيز بن أبى كامل الطرابلسى، لا عبد العزيز بن نحرير «۲» غير أنّ التسترى لم يذكر على ما قاله مصدراً، نعم بحسب طبع الحال فقد أخذ عن مثله.

و ربّما يقال بتلمذه على أبى يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفرى، صهر الشيخ المفيد و خليفته، و الجالس محله الذى وصفه النجاشى فى رجاله بقوله: بأنّه متكلّم فقيه قيم بالأَمرين جميعاً «۳».

و لم نقف على مصدر لهذا القول، سوى ما ذكره الفاضل المعاصر الشيخ كاظم مدير شانه‌چى فى مقدمة كتاب «شرح جمل العلم و العمل» للقاضى ابن البراج.

و ربّما عدّ من مشايخه أبو الصلاح تقى الدين بن نجم الدين (۳۴۷ ۴۴۷ ه)، عن عمر يناهز المائة، و هو خليفة الشيخ فى الديار الحلبية،

كما كان

---

(۱) ريحانة الأدب: ۵- ۴۰.

(۲) رياض العلماء: ۳- ۱۴۲.

(۳) رجال النجاشي: ۲۸۸، و هذا الشيخ هو الذي اشترك مع النجاشي في تغسيل السيد المرتضى، يقول الشيخ النجاشي عند ترجمة المرتضى: و توليت غسله و معي الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن ابن حمزة الجعفري و سالار بن عبد العزيز، و بذلك يظهر أنّه كان حياً عام وفاة المرتضى، و هو ۴۳۶ و الأخير هو الحقّ الحقيق بالتصديق لاحظ مقال العلّامة الحجّة السيد موسى الزنجاني دام ظله في مجلة «نور علم» العدد ۱۱ و ۱۲.

و ليعلم أنّ الشيخ أبا يعلى غير محمد بن علي بن حمزة الطوسي المشهدي، و هو الذي يقول فيه الشيخ منتجب الدين: فقيه، عالم، واعظ له تصانيف منها: الوسيلة، الواسطة، الرائع في الشرائع، المعجزات، مسائل في الفقه (البحار: ۱۰۲- ۲۷۱).

تذكرة الأعيان، ص: ۹۴

القاضي خليفته في ناحية طرابلس.

كما يحتمل تلمّذه على حمزة بن عبد العزيز الملقّب بسلّار صاحب المراسم، المتوفّى عام ۴۶۳ ه، المدفون بقرية خسرو شاه من ضواحي تبريز، و لم نجد لذلك مصدراً و إنّما هو و ما قبله ظنون و احتمالات، و تقريبات من الشيخ الفاضل المعاصر «مدير شانه‌چي» و على ذلك فقد تلمذ المترجم له على الشيخ أبي عبد اللّه جعفر بن محمد الدوريستي الذي هو: «ثقة عين، عدل، قرأ على شيخنا المفيد، و المرتضى علم الهدى» «۱».

و قد ذكر الفاضل المعاصر من مشايخه عبد الرحمن الرازي، و الشيخ المقرى ابن خشاب، و نقله عن فهرست منتجب الدين، غير أنّا لم نقف على ذلك في فهرست منتجب الدين و إنّما الوارد فيه غير ذلك «۲».

فقد قال الشيخ منتجب الدين: الشيخ المفيد أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين النيسابوري الخزاعي، شيخ الأصحاب بالري، حافظ، ثقة، واعظ، سافر في البلاد شرقاً و غرباً، و سمع الأحاديث عن المؤالف و المخالف، و قد قرأ على السيدين: علم الهدى المرتضى، و أخيه الرضي، و الشيخ أبي جعفر الطوسي، و المشايخ: سالار، و ابن البراج، و الكراجكي رحمهم اللّه جميعاً و قال أيضاً: الشيخ المفيد عبد الجبار بن عبد اللّه بن علي المقرى الرازي فقيه الأصحاب بالري، قرأ عليه في زمانه قاطبة المتعلمين من السادة و العلماء، و قد قرأ على الشيخ أبي جعفر الطوسي جميع تصانيفه و قرأ على الشيخين سالار و ابن البراج «۳».

---

(۱) فهرست منتجب الدين: ۲۱۵ ۲۱۶.

(۲) و قد رفعنا رسالة في هذا الموضوع إلى الفاضل المعاصر «مدير شانه‌چي» فتفضل بالجواب مصرّحاً بأنّ الحق انّهما من تلاميذه لا من مشايخه.

(۳) بحار الأنوار: ۱۰۵- ۲۴۲ عن فهرست منتجب الدين.

تذكرة الأعيان، ص: ۹۵

عام تأليف الكتاب

قد ذكر القاضي في كتاب الإجارة تاريخ اشتغاله بكتابة باب الإجارة و هو عام ۴۶۷ ه «۱».

فالكتاب حصيلة ممارسة فقهية، و مزاولة طويلة شغلت عمر المؤلف مدّة لا يستهان بها، و على ذلك فهو ألّف الكتاب بعد تخلّيه عن

القضاء، لَانّه اشتغل بالقضاء عام ۴۳۸ ه و مارسها بين عشرين و ثلاثين عاما، فعلى الأوّل كتبها بعد التخلّى عنه، و على الثانى اشتغل بالكتابة فى أُخريات ممارسته للقضاء.

و على ذلك فالكتاب يتمتع بأهمية كبرى، لَانّه رحمه اللّه وقف فى أيّام تولّيه للقضاء على موضوعات و مسائل مطروحة على صعيد القضاء، فتناولها بالبحث فى الكتاب و أوضح أحكامها، فكم فرق بين كتاب فقهى يؤَلّف فى زوايا المدرسة من غير ممارسة عملية للقضاء، و كتاب يؤَلّف بعد الممارسة لها أو خلالها.

و لأَجل ذلك يعتبر الكتاب الحاضر «المهذب» من محاسن عصره.

تلاميذه

كان شيخنا المترجم له يجاهد على صعيد القضاء بينما هو يؤَلف فى موضوعات فقهية و كلامية، و فى نفس الوقت كان مفيداً و مدرساً، فقد تخرج على يديه عدة من الاعلام نشير إلى بعضهم:

۱- الحسن بن عبد العزيز بن المحسن الجبهانى (الجهيانى) المعدل بالقاهرة، فقيه، ثقة، قرأ على الشيخ أبى جعفر الطوسى، و الشيخ ابن البراج

---

(۱) راجع الجزء الثانى، كتاب الإِجارة، ص ۴۷۶ قال: إذا استأجر داراً فقال الموجر و هو مثلًا فى رجب: آجرتك هذه الدار فى شهر رمضان، أو كان فى مثل هذه السنة و هى سنة سبع و ستين و أربعمائة، فقال: أجرتك هذه الدار سنة ثمان و ستين و أربعمائة، إلى آخره.

تذكرة الأعيان، ص: ۹۶

رحمهم اللّه جميعاً «۱».

۲- الداعى بن زيد بن على بن الحسين بن الحسن الافطسى الحسينى الآوى، الذى عمّر عمراً طويلًا كما ذكره صاحب المعالم فى إجازته الكبيرة، و هو يروى عن المرتضى، و الطوسى، و سلّار، و ابن البراج، و التقى الحلبى جميع كتبهم و تصانيفهم و جميع ما رووه و أُجيز لهم روايته «۲».

۳- الشيخ الامام شمس الإِسلام الحسن بن الحسين بن بابويه القمى، نزيل الرى المدعو حسكا، جدّ الشيخ منتجب الدين الذى يقول نجله فى حقه: فقيه، ثقة، قرأ على شيخنا الموفق أبى جعفر قدّس اللّه روحه جميع تصانيفه بالغرى على ساكنه السلام و قرأ على الشيخين: سلّار بن عبد العزيز، و ابن البراج جميع تصانيفهما «۳».

۴- الشيخ المفيد أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين النيسابورى الخزاعى.

۵- الشيخ المفيد عبد الجبار بن عبد اللّه بن على المقرى الرازى، و قد توفّى بطرابلس، و دفن فى حجرة القاضى، كما حكى عن خط جدّ صاحب المدارك، عن خط الشهيد و كان حياً إلى عام ۵۰۳ ه «۴».

و قد عرفت نصّ الشيخ منتجب الدين فى حقّ الرجلين.

۶- الشيخ أبو جعفر محمد بن على بن المحسن الحلبى، فقيه، صالح، أدرك الشيخ أبا جعفر الطوسى رحمه اللّه «۵».

---

(۱) فهرست منتجب الدين المطبوع فى الجزء ۱۰۵ من البحار، ص ۲۱۹.

(۲) المستدرك: ۳- ۴۴۴؛ طبقات أعلام الشيعة فى القرن الخامس: ۷۵.

(۳) فهرست منتجب الدين المطبوع فى بحار الأَنوار: ۱۰۵- ۲۱۹.

(۴) طبقات أعلام الشيعة فى القرن الخامس: ۱۰۳ و ۱۰۷.

(۵) فهرست منتجب الدين المطبوع فى بحار الأَنوار: ۱۰۵- ۲۶۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۹۷

و قال فى «الرياض»: انّه يظهر من إجازة الشيخ على الكركى للشيخ على الميسى و غيرها من المواضع، انّه يروى عن القاضى عبد العزيز بن البراج قدّس اللّه روحه الشيخ أبو جعفر محمد بن محسن الحلى «۱» ينقل عنه.

و قال فى تلك الإِجازة فى مدح ابن البراج هكذا: الشيخ السعيد الفقيه، الحبر العلامة، عزّ الدين، عبد العزيز بن البراج قدَّس سرَّه «۲».

۷- عبد العزيز بن أبى كامل القاضى عزّ الدين الطرابلسى، سمّى شيخنا المترجم له، يروى عن: المترجم له، و الشيخ الطوسى، و سلّار، و يروى عنه: عبد اللّه بن عمر الطرابلسى كما فى «حجّة الذاهب» «۳».

۸- الشيخ كميح والد أبى جعفر، يروى عن ابن البراج «۴».

۹ و ۱۰- الشيخان الفاضلان الأُستاذان ابنا المؤَلف: أبو القاسم «۵» و أبو جعفر اللّذان يروى عنهما الراوندى و السروى و غيرهم «۶».

۱۱ و ۱۲- أبو الفتح الصيداوى و ابن رزح، من أصحابنا «۷».

هؤلاء من مشاهير تلاميذ القاضى وقفنا عليهم فى غضون المعاجم و ليست تنحصر فيمن عددناهم.

---

(۱) و وصفه الشيخ منتجب الدين: بالحلبى كما نقلناه آنفاً.

(۲) رياض العلماء: ۳- ۱۴۴.

(۳) طبقات أعلام الشيعة فى القرن الخامس: ۱۰۶.

(۴) طبقات أعلام الشيعة فى القرن السادس: ۴.

(۵) و بما أنّ كنية القاضى هو أبو القاسم، فلازم ذلك أن يكون اسم ابنه القاسم لا أبا القاسم، و من جانب آخر فإنّ التسمية بنفس القاسم وحده بلا ضمّ كلمة الأَب إليه قليل فى البيئات العربية، فيحتمل وحدة الكنية فى الوالد و الولد.

(۶) المقابيس: ۹۰.

(۷) رياض العلماء: ۳- ۱۴۳ و ۱۴۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۹۸

و قال السيد بحر العلوم: و له كتاب الموجز فى الفقه، قرأ عليه الفقيه شمس الإِسلام الحسن بن الحسين بن بابويه «۱» و الشيخ الفقيه الحسين بن عبد العزيز «۲»، و شيخ الأَصحاب عبد الرحمن بن أحمد الخزاعى «۳» و فقيه الأَصحاب عبد الجبار بن عبد اللّه الرازى «۴» و عبيد اللّه «۵» عن الحسن بن بابويه «۶».

و فى خاتمة المطاف ننبه على أُمور: ۱- انّه كثيراً ما يشتبه الأُستاذ بالتلميذ لأَجل المشاركة فى الاسم و اللقب، فتعد بعض تصانيف الأُستاذ من تآليف التلميذ.

قال فى «رياض العلماء»: و عندى أنّ بعض أحوال القاضى سعد الدين عبد العزيز ابن البراج هذا، قد اشتبه بأحوال القاضى عز الدين عبد العزيز بن أبى كامل الطرابلسى «۷».

و يظهر من الشهيد الأَوّل فى كتابه «الأَربعين» فى سند الحديث الثانى و الثلاثين، و سند الحديث الثالث و الثلاثين مغايرة الرجلين.

قال الشهيد الأَوّل فى سند الحديث الثانى و الثلاثين:.. حدثنا الشيخ الامام قطب الدين أبو الحسين المعروف بالقطب الراوندى، عن الشيخ أبى جعفر محمد ابن على بن المحسن الحلى «۸».

---

(۱) و هو جدّ الشيخ منتجب الدين المدعو ب «حسكا» تجد ترجمته فى فهرست منتجب الدين.

(۲) ترجمه الشيخ منتجب الدين فى فهرسته ص ۴ و قال: «الموفق الشيخ أبو محمد الحسين بن عبد العزيز ابن الحسن الجهانى المعدل بالقاهرة.

فقيه، ثقة، قرأ على: الشيخ أبى جعفر الطوسى، و الشيخ ابن البراج».

(۳) ترجمه الشيخ منتجب الدين فى فهرسته: ۷، و نص على تلمذه على ابن البراج.

(۴) لاحظ المصدر نفسه.

(۵) لاحظ المصدر أيضاً، ص ۱۵.

(۶) الفوائد الرجالية: ۳- ۲۳.

(۷) رياض العلماء: ۳- ۱۴۳ و ۱۴۵.

(۸) و قد عرفت أنّ الصحيح هو «الحلبى».

تذكرة الأعيان، ص: ۹۹

قال: حدّثنا الشيخ الفقيه الامام سعد الدين أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن البراج الطرابلسى، قال: حدّثنا السيد الشريف المرتضى علم الهدى أبو القاسم على بن الحسين الموسوى، إلى آخره، و فى سند الحديث الثالث و الثلاثين.. حدّثنا الشيخ أبو محمد عبد اللّه بن عمر الطرابلسى، عن القاضى عبد العزيز بن أبى كامل الطرابلسى، عن الشيخ الفقيه المحقّق أبى الصلاح تقى بن نجم الدين الحلبى، عن السيد الامام المرتضى علم الهدى.. إلى آخره «۱».

و لاحظ الذريعة ج ۲۳، ص ۲۹۴ فلا شكّ كما ذكرنا فإنّ القاضى عبد العزيز ابن أبى كامل، تلميذ القاضى بن نحرير.

۲- يظهر من غضون المعاجم أنّ بعض ما ألّفه القاضى فى مجالات الفقه كان مركزاً للدراسة، و محوراً للتدريس، حيث إنّ الشيخ سعيد بن هبة اللّه بن الحسن الراوندى الشهير بالقطب الراوندى كتب بخطه إجازة لولده على كتاب «الجواهر فى الفقه» لابن البراج عبد العزيز و هذه صورتها: قرأه علىّ ولدى نصير الدين أبو عبد اللّه الحسين أبقاه اللّه و متّعنى به، قراءة إتقان، و أجزت له أن يرويه عن الشيخ أبى جعفر محمد بن المحسن الحلبى عن المصنف «۲».

و لم تكن الدراسة لتقتصر على كتاب «الجواهر»، بل كان كتابه الآخر و هو (الكامل) كتاباً دراسياً أيضاً.

و لذلك نرى أنّ الشيخ أبا محمد عبد الواحد الحبشى، من تلاميذ القاضى عبد العزيز بن أبى كامل الطرابلسى، قرأ الكامل عليه.

---

(۱) الأَربعون للشهيد، فى شرح الحديث الثانى و الثلاثين و الثالث و الثلاثين: ۲۳ ۲۴، فيظهر من السندين مغايرة الرجلين و تعاصرهما.

(۲) قد مضى أنّه من تلاميذ القاضى.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۰۰

و الكامل من مؤَلفات شيخنا المترجم له «۱».

۳- نقل صاحب الرياض أنّه تولّى القضاء فى طرابلس، لدفع الضرر عن نفسه بل عن غيره أيضاً، و التمكن من التصنيف، و قد عمل أكثر الخلق ببركته بطريق الشيعة، و قد نصبه على القضاء جلال الملك عام ۴۳۸ ه «۲».

۴- و قال صاحب الروضات: إنّ المستفاد من كتاب (الدرة المنظومة) لسيدنا العلّامة الطباطبائى انّه يعبر عن القاضى بالحافى، و لم نجد له مصدراً قبله.

قال فى منظومته:

و سنّ رفع اليد بالتكبير و المكث حتى الرفع للسرير

و الخلع للحذاء دون الاحتفا و سن فى قضائه الحافى الحفا «۳»

تآليفه

خلّف المترجم له ثروة علمية ضخمة فى الفقه و الكلام، تنبئ عن سعة باعه فى هذا المجال، و تضلّعه فى هذا الفن.

و إليك ما وقفنا عليه من أسمائها فى المعاجم: ۱- الجواهر: قال فى رياض العلماء: رأيت نسخة منه فى بلدة ساری، من بلاد مازندران، و هو كتاب لطيف، و قد رأيت نسخة أُخرى منه بأصفهان عند الفاضل الهندى، و قد أورد قدِّس سرُّه فيه المسائل المستحسنة المستغربة

---

(۱) طبقات أعلام الشيعة فى القرن السادس: ۱۶۸.

(۲) رياض العلماء: ۳- ۱۵۲؛ و تأسيس الشيعة: ۳۰۴.

(۳) روضات الجنات: ۴- ۲۰۵، لكن من المحتمل أن يكون «الحافى» مصحف «القاضى» لقرابتهما فى الكتابة فلاحظ.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۰۱

و الأَجوبة الموجزة المنتخبة «۱».

۲- شرح جمل العلم و العمل.

۳- المهذب، و هو الكتاب الذى بين يديك.

۴- روضة النفس.

۵- المقرب فى الفقه (الذريعة ۲۲، ص ۱۰۸).

۶- المعالم فى الفروع (الذريعة ج ۲۱، ص ۱۹۷).

۷- المنهاج فى الفروع (الذريعة ج ۲۳، ص ۱۵۵).

۸- الكامل فى الفقه، و ينقل عنه المجلسى فى بحاره (الذريعة ج ۱۷، ص ۲۵۷).

۹- المعتمد فى الفقه (الذريعة ج ۲۱، ص ۲۱۴).

۱۰- الموجز فى الفقه، و ربما ينسب إلى تلميذه ابن أبى كامل الطرابلسى (لاحظ الذريعة ج ۲۳، ص ۲۵۱).

۱۱- عماد المحتاج فى مناسك الحاج (لاحظ الذريعة ج ۱۵، ص ۳۳۱).

و يظهر من الشيخ ابن شهرآشوب فى «معالم العلماء» أنّ كتبه تدور بين الأصول و الفروع كما أنّ له كتاباً فى علم الكلام.

و لكنّه مع الأَسف قد ضاعت تلك الثروة العلمية، و ذهبت إدراج الرياح و لم يبق إلّا الكتب الثلاثة: الجواهر، المهذب، شرح جمل العلم و العمل.

و يظهر من ابن شهرآشوب أنّه كان معروفاً فى القرن السادس بابن البراج، مما يؤَكد على أنّ ابن البراج كان شخصية من الشخصيات، حتى أنه نسب القاضى إلى هذا البيت.

---

(۱) رياض العلماء: ۳- ۱۴۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۰۲

هذه هى كتبه و قد طبع منها «الجواهر» ضمن «الجوامع الفقهية» على وجه غير نقى عن الغلط، فينبغى لرواد العلم إخراجه و تحقيق متنه على نحو يلائم العصر «۱».

كما أنّه طبع من مؤَلفاته «شرح جمل العلم و العمل» بتحقيق الأستاذ كاظم مدير شانه‌چى.

و قد كان سيدنا الأُستاذ آية اللّه العظمى البروجردى قدس سره يحث الطلاب على مراجعة المتون الفقهية المؤَلّفة على يد الفقهاء القدامى، و كان يعتبر الشهرة الفتوائية على وجه لا يقل عن الإِجماع المحصّل.

و كان من نواياه قدس سره طبع بعض الكتب الفقهية الاصيلة منها: ۱- الكافى، للفقيه أبى الصلاح الحلبى.

۲- الجامع للشرائع، ليحيى بن سعيد الحلى.

۳- كشف الرموز، للفقيه عز الدين الحسن بن أبى طالب اليوسفى الآبى، تلميذ المحقّق و شارح كتاب «النافع» شرحاً حسناً متوسطاً و قد أسماه كما عرفت ب «كشف الرموز».

۴- المهذب، للقاضى ابن البراج.

---

(۱) و قد أنجز هذه الأُمنية الشيخ المحقق البهادرى فقد حققه و انتشر و قدمنا له مقالًا سيوافيك فيما بعد.

الشيعة و التشريع الإِسلامى تدويناً و تطويراً

اشارة

«۱» الكتاب و السنّة هما المصدران الرئيسيّان للتشريع الإِسلامى لدى المسلمين، فالكتاب نور و هداية للأُمّة فى شتى حقول الحياة، قال سبحانه: (وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ) «۲» فلو شكّكنا فى عمومية الشىء فى الآية الشريفة و سعته لكل ما يصدق عليه، فلا يُشك فى أنّالتشريع أعنى وظيفة الإِنسان امام اللّه و أمام أخيه المسلم من أوضح مصاديقه، فهو مبيّن لكلّ ما يحتاج إليه الإِنسان فيما يرجع إلى المبدأ و المعاد، و إلى ما يحتاج إليه فى حياته الفرديّة و الاجتماعيّة من السنن و القوانين.

فإذا كانت هذه مكانة الكتاب، فما هى مكانة السنّة فى ذلك الحقل؟ إنّ السنّة أوّلًا مبيِّنة لإِجمال الكتاب و إبهامه، و موضحة لتنزيله و تفسيره.

قال سبحانه: (وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) «۳».

و ثانياً: انّ الرسول هو الأُسوة و القدوة، فهو بقوله و فعله يبيّن عزائم الشرع و رخصه، فرائضه و نوافله.

قال سبحانه:

---

(۱) طبعت هذه المقالة كمقدمة لكتاب جواهر الفقه لابن البراج.

(۲) النحل: ۹۸.

(۳) النحل: ۴۴.

(لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللّهَ كَثِيراً «۱» (، و قال سبحانه: (وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) «۲».

و قال الرسول الأَعظم- صلى الله عليه و آله و سلم-: ألا إنّى أُوتيت الكتاب و مثله معه، ألا إنّى أُوتيت القرآن و مثله معه، أ لا يوشك رجل ينثنى شبعاناً على أريكته، يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم من حلال فاحلّوه و ما وجدتم من حرام فحرّموه..» «۳».

و فى ظل هـذين المصدرين المباركين استغنت الأمّة عن كلّ تقنين بشرى و تشريع غير إلهى إلى يوم القيامة فقد كان لهم فى هدى الكتاب و السنّة غنى و كفاية.

كيف لا و قد أطلق سبحانه حكم الجاهلية على كلّ تشريع غير إلهى، و قال: (أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) «۴».

فإذا كان هذه منزلة السنة النبوية، كان من الواجب على الأُمّة القيام بضبط كلّ دقيق و جليل أُثر عنه- صلى الله عليه و آله و سلم-، و لكن يا لَلاسف تقاعست الأُمّـة الإسلامية عن تدوين السنّة و جمعها و ضبطها فى حياة صاحبها و بعد رحيله، و توانت عن القيام بهذا الواجب إلى منتصف القرن الثانى بعد ضياع قسم كبير من السنّة و تسرّب الاسرائيليات و الأحاديث الموضوعة إلى أوساط المسلمين عامة و المحدثين خاصة، و بعد ان ألمّ بهم الندم قاموا بواجبهم و لما ينفعهم الندم.

روى السيوطى، قال: أراد عمر بن الخطاب أن يكتب السنن و استشار فيها أصحاب رسول اللّه فأشار إليه عامّتهم بذلك فلبث عمر بن الخطاب شهراً يستخير اللّه تعالى فى ذلك شاكاً فيه، ثمّ أصبح يوماً و قد عزم اللّه تعالى له، فقال:

---

(۱) الأحزاب: ۲۱.

(۲) الحشر: ۷.

(۳) مسند أحمد: ۴- ۱۳۱.

(۴) المائدة: ۵۰.

إنّى كنت فكرت لكم من كتابة السنن ما قد علمتم، ثمّ تذكرت فإذا أُناس من أهل الكتاب كتبوا مع كتاب اللّه كتباً فاكبوا عليها و تركوا كتاب اللّه، و انّى و اللّه لا البس كتاب اللّه بشىء فترك كتابة السنن.

و روى ابن سعد بسنده عن الزهرى قال: لمّا أراد عمر بن الخطاب أن يكتب السنن فاستخار اللّه شهراً ثمّ أصبح و قد عزم اللّه له فقال: ذكرت قوماً كتبوا كتاباً فأقبلوا عليه و تركوا كتاب اللّه «۱».

هذا قرظة بن كعب الأنصارى، قال: أردنا الكوفة فشيَّعنا عمر إلى صرار، و قال: تدرون لم شيّعتكم؟ قلنا: نعم.

نحن أصحاب رسول اللّه، فقال: إنّكم تأتون أهل قرية لهم دويٌّ بالقرآن كدوىّ النحل، فلا تصدّوهم بالأحاديث، فتشغلوهم، جرّدوا القرآن، و أقلّوا الرواية عن رسول اللّه، و امضوا و أنا شريككم «۲».

و قد جرت السيرة فى ظل هذا الحظر على ترك كتابة السنّة نجم عنها حرمان الأُمّة من عدل الكتاب و قرينه، و لو صحّ ما ذكره الخليفة من التعليل، لوجب على الأُمّة فى جميع الاجيال و القرون تمزيق الصحاح و المسانيد و القضاء على السنّة النبوية، و لا ينتج ذلك إلّا البُؤس و الشقاء و التجاءها إلى القوانين الموضوعة فى مجال التشريع و الأخلاق و السياسة و النظم الاجتماعية.

نعم أحس الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز (المتوفّى ۱۰۱ ه) بخطورة الموقف و ضرورة تدوين الحديث، فكتب إلى عالم المدينة أبى بكر بن حزم و قال: انظر ما كان من حديث رسول اللّه فاكتبه، فانّى خفت دروس العلم و ذهاب العلماء و لا تقبل إلّا أحاديث النبىّ- صلى الله عليه و آله و سلم- و لتفشوا العلم

---

(۱) السيوطى: تنوير الحوالك فى شرح موطإ مالك الفائدة الثانية: و راجع: فتح البارى بشرح صحيح البخارى المقدمة: ۶، ط دار المعرفة.

(۲) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ۶- ۷؛ الحاكم: المستدرك: ۱- ۱۰۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۰۶

و لتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فانّ العلم لا يهلك حتى يكون سراً «۱».

و مع هذا الإصرار المؤَكَّد من الخليفة حالت رواسب الحظر السابق من جانب الخلفاء الماضين عن قيام ابن حزم بمهمته الملقاة على عاتقه، فلم يكتب شيء من أحاديث النبى إلّا صحائف غير منظمة و لا مرتبة إلى ان دالت دولة الأُمويّين و قامت دولة العباسيين و أخذ أبو جعفر المنصور بمقاليد الحكم، فقام المحدّثون عام ۱۴۳، بتدوين الحديث، فهذا هو السيوطى يشرح تلك المأساة و يقول: «شرع علماء الإسلام فى هذا العصر فى تدوين الحديث و الفقه و التفسير فصنّف ابن جريج بمكة، و مالك الموطأ بالمدينة، و الأَوزاعى بالشام، ابن أبى عروبة و حماد بن سلمة و غيرهما فى البصرة، و معمر باليمن، و سفيان الثورى بالكوفة و صنّف ابن إسحاق المغازى، و صنّف أبو حنيفة الفقه و الرأى إلى أن قال: و قبل هذا العصر كان الأَئمّة يتكلّمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة «۲».

و قد أدى ذلك التقاعس و التوانى إلى أنّه لما تكثرت الفروع بسبب اختلاط المسلمين بغيرهم و لم يجدوا فى السنة النبوية نصّاً فيها، مال قسمٌ من العلماء إلى القول بالرأى و الاستحسان، فافتوا بآرائهم فيما لا يجدون نصّاً فيه فاشتهروا بأصحاب الرأى و القياس، و كان أكثر أهل العراق من أتباع هذه المدرسة، كما أنّ أكثر أهل الحجاز كانوا يتجنّبون عنه، و قد روى انّه لما سأل ربيعة بن عبد الرحمن (المتوفّى ۱۳۶ ه) سعيد بن المسيب عن علّة الحكم، فأجاب: أ عراقى أنت؟ «۳» و لم تكن إحدى الطائفتين أولى من الأُخرى فى أداء الوظيفة، فإذا كان العمل بالرأى و القياس أمراً محظوراً فالتزمت بالنصوص المحدودة و عدم هداية الأُمّة إلى

---

(۱) البخارى: الصحيح، كتاب العلم، ج ۱، ص ۲۷.

(۲) السيوطى: تاريخ الخلفاء: ۲۶۱.

(۳) أحمد أمين: فجر الإسلام: ۱- ۲۹۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۰۷

واجبها فى مجال الفروع و التكاليف محظورٌ مثله، و ما ذلك إلّا أنّ الحظر الذى فرضه الخليفة بعد رحلة النبى أدّى إلى ذلك و قسم العلماء و الفقهاء إلى قسمين بين معتمد على المقاييس و المعايير الظنية كالقياس و الاستحسان و سدّ الذرائع و شرع من قبلنا إلى غير ذلك ممّا لم ينزل اللّه بها من سلطان، و متزمت حصر التشريع الإلهى فى النصوص المحدودة التى لا تتجاوز عن أربعمائة حديث أو ما يقرب من ذلك «۱».

و قد ظهر أثر ذلك التقاعس فى ضبط الحديث فى عصر الخلفاء فضلًا عن الأَعصار المتأخرة فلنأت بنموذج أو نموذجين من ذلك:

۱- انّ مسألة العول شغلت بال الصحابة فترة من الزمن و كانت من المسائل المستجدة التى واجهت جهاز الحكم بعد الرسول، قد طرحت أيّام خلافة عمر بن الخطاب، فتحيّر فأدخل النقص على الجميع استحساناً، و قال: و اللّه ما أدرى أيّكم قدّم اللّه و أيّكم أخّر. ما أجد شيئاً أوسع لى من ان أُقسم المال عليكم بالحصص، و ادخل على ذى حقّ ما أدخل عليه من عول الفريضة «۲».

أو يصح الاعتماد فى الفتيا على هذا التعليل الوارد عن الخليفة أو يجب أن يصدر المفتى عن دليل شرعى إلهى يقنعه بأنّه قام بواجبه؟

۲- سُئل عمر بن الخطاب عن رجل طلّق امرأته فى الجاهلية تطليقتين و فى الإسلام تطليقة واحدة فهل تُضم التطليقتان إلى الثالثة أو لا؟ فقال للسائل: لا آمرك و لا أنهاك «۳».

و قد أدّى ذلك إلى القول بحجّية قول الصحابىّ و فعله و تقريره و عومل معه معاملة المعصوم فى حجّية أقواله و أفعاله و تقريراته، يقول محمد بن عمر

(۱) محمّد رشيد رضا: الوحى المحمّدى: ۱۲۵.

(۲) الجصاص: أحكام القرآن: ۲- ۱۰۹؛ الحاكم: المستدرك: ۴- ۳۴۰.

(۳) المتقى الهندى: كنز العمال: ۵- ۱۱۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۰۸

الأَسلمى: و كلّ أصحاب رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم- كانوا أئمّة يقتدى بهم و يحفظ عليهم ما كانوا يفعلون و يستفتون فيفتون «۱» و هذا يناقض موقف أهل السنّة من حصر العصمة فى النبى- صلى الله عليه و آله و سلم-.

موقف الشيعة من السنّة النبوية:

اشارة

هذا حال الأُمّة المنتسبة إلى السنّة و هم الجمهور الأَعظم من المسلمين، و لكن كان حال أئمّة الشيعة و قادتهم و متابعيهم على خلاف ذلك فهم لم يتقاعسوا عن أداء الواجب بل عمدوا إلى ضبط سنّة النبى دقيقها و جليلها، فهذا أمير المؤمنين كتب ما أملى عليه رسول اللّه، فى الحلال و الحرام و العزائم و الرخص، أخرج الحموينى بسنده عن الامام محمد الباقر عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين- عليهم السلام- قال: قال رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم-: يا على؛ اكتب ما أملى عليك، قلت: يا رسول اللّه أ تخاف علىَّ النسيان؟ قال: لا، و قد دعوت اللّه عزّ و جلّ أن يجعلك حافظاً، و لكن اكتب لشركائك الأَئمة من ولدك، بهم تسقى أُمتى الغيث، و بهم يستجاب دعاؤهم، و بهم يصرف اللّه عن الناس البلاء، و بهم تنزل الرحمة من السماء، و هذا أوّلهم و أشار إلى الحسن عليه السَّلام.

ثمّ قال: و هذا ثانيهم و أشار إلى الحسين- عليه السلام-.

ثمّ قال: و الأَئمّة من ولده «۲».

و قد ورث هذا الكتاب أئمّة أهل البيت- عليهم السلام- واحداً تلو واحد فيصدرون عنه، و هذا هو عذافر الصيرفى، قال: كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبى جعفر- عليه السلام-، فكان يسأله و كان أبو جعفر- عليه السلام- له مكرماً، فاختلفا فى شىء، فقال أبو جعفر- عليه السلام-: «هذا خط على- عليه السلام- و إملاء رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم-» و أقبل على الحَكَم، و قال:

---

(۱) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ۲- ۳۷۶.

(۲) القندوزى: ينابيع المودة: ۲۰ ط عام ۱۳۰۱ ه؛ بحار الأَنوار: ۳۶- ۲۳۲، الحديث ۱۴.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۰۹

«يا أبا محمّد اذهب أنت و سلمة و أبو المقداد حيث شئتم يميناً و شمالًا، فواللّه لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل» «۱».

نعم كان لأَمير المؤمنين غير هذا كتبٌ أُخرى مثل كتاب الفرائض، و كتاب الآداب و غيرهما ممّا ورد فى الكتب الحديثية.

الطبقة الأولى

ثمّ إنّ الطبقة الأولى من الشيعة اقتدوا بإمامهم أمير المؤمنين- عليه السلام- فألّفوا فى ذلك كتباً و رسائل حفظوا بذلك السنّة النبوية، و استقوا العلم من نميره العذب و قد ذكرهم أصحاب المعاجم فى طبقاتهم و إليك أسماء لفيف منهم: ۱- أبو رافع مولى رسول اللّه و خازن بيت المال فى عهد أمير المؤمنين، صنّف كتاب السنن و الأَحكام و القضايا «۲».

۲- عبيد اللّه بن أبى رافع مؤَلف كتاب «من شهد حروب أمير المؤمنين من أصحاب النبى» «۳».

۳- على بن أبى رافع، كاتب أمير المؤمنين، صنّف كتاباً فى فنون من الفقه: الوضوء و الصلاة و سائر الأَبواب «۴».

۴- ربيعة بن سميع صنّف كتاب زكاة النعم على ما سمعه من أمير المؤمنين «۵».

۵- سليم بن قيس مؤَلف الأَصل المعروف المطبوع المنتشر «۶».

---

(۱) النجاشى: الرجال: ۲- ۲۶۰ برقم ۹۶۷، ذكره فى ترجمة محمّد بن عذافر الصيرفى.

(۲) النجاشى: الرجال: ۱- ۶۴ برقم ۱.

(۳) الطهرانى: الذريعة: ۱- ۱۴.

(۴) النجاشى: الرجال: ۱- ۶۵ برقم ۱.

(۵) النجاشى: الرجال: ۱- ۶۷ برقم ۲.

(۶) المصدر نفسه: برقم ۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۱۰

۶- الأَصبغ بن نباتة المجاشعى، قد كتب عهد أمير المؤمنين إلى مالك الأَشتر النخعى و وصيته إلى ابنه محمّد بن الحنفية «۱».

۷- سلمان الفارسى الصحابى الجليل، ذكر ابن شهرآشوب له كتاب خبر جاثليق «۲».

۸- أبو ذر الغفارى، قال ابن شهرآشوب: له خطبة يشرح فيما الأُمور بعد النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم- «۳» كتاب وصايا النبىّ، و قد شرحه العلّامة المجلسى و أسماه عين الحياة.

۹- أبو الأَسود الدؤَلى، التابعى المعروف، أخذ النحو عن أمير المؤمنين و كتبه فى كرأس و عرضه على أمير المؤمنين، فقال: نعم ما نحوت «۴».

۱۰- زيد بن وهب الجهنى الكوفى، جامع خطب أمير المؤمنين- عليه السلام- على المنابر فى الجمع و الأَعياد «۵».

الطبقة الثانية

ثمّ إنّ الطبقة الثانية نهجوا منهاج سلفهم، حذو القذة بالقذة و ألّفوا كتباً و رسائل فى الحديث و الفقه و التفسير، فبلغوا الذروة فى فهم الحديث و فقهه و استنباط الاحكام من المصادر، نظراء: زرارة بن أعين (المتوفّى ۱۵۰ ه)، و محمّد ابن مسلم الطائفى، و أبى بصير الأَسدى (المتوفّى ۱۵۰ ه) و بريد بن معاوية،

---

(۱) المصدر نفسه: برقم ۴.

(۲) ابن شهرآشوب: معالم العلماء: ۵۷ برقم ۳۸۲.

(۳) المصدر نفسه: ۳۲ برقم ۱۸۰.

(۴) التسترى: قاموس الرجال: ۵- ۱۷۱ نقله عن الذهبى.

(۵) ابن شهرآشوب: معالم العلماء: ۵۱ برقم ۳۴.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۱۱

و الفضيل بن يسار من تلاميذ مدرسة أبى جعفر الباقر (المتوفّى ۱۱۴ ه) و الإمام الصادق (المتوفّى ۱۴۸ ه).

و يليهم فى الفضل ثلة أُخرى و هم خريجو مدرسة الامام الصادق، نظراء: جميل بن دراج، و عبد اللّه بن مسكان، و عبد اللّه بن بكير، و حماد بن عثمان، و حماد بن عيسى، و أبان بن عثمان، و هم أصحاب الأصول و الكتب المذكورة فى المعاجم.

و هناك طبقة رابعة من خريجى مدرسة الامام الكاظم و أبى الحسن الرضا- عليه السلام- ذكرت أسماؤهم و آثارهم فى المعاجم.

و كفاك فى عنايتهم بحديث رسول اللّه المروى عن طريق العترة الطاهرة الذين هم أعدال الكتاب و قرناؤه فى حديث الثقلين انّ أبان بن تغلب (المتوفّى ۱۴۱ ه) و هو من خريجى مدرسة الباقر و الصادق- عليه السلام-، حدّث عن الصادق- عليه السلام بثلاثين ألف حديث «۱»

لا قياس و لا استحسان و لا..

و فى ظلّ أحاديث العترة الطاهرة المروية عن النبى صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم استغنى فقهاء الشيعة عن القياس و الاستحسان و الاعتماد على كلّ دليل ظنى ما لم يدل دليلٌ قطعىٌ على حجّيته، حيث إنّهم دوّنوا الأصول و الفروع فى حياة أئمّتهم و جاءوا بجوامع حديثية عديدة فى أعصارهم «۲» و بعدهم «۳» إلى أن وصلت النوبة إلى المحمدين الثلاثة: أبى جعفر الكلينى (المتوفّى ۳۲۹ ه)

---

(۱) البهائى: الوجيزة: ۶، الطبعة الحجرية.

(۲) كجامع الحسين بن سعيد الأَهوازى المعروف بالثلاثين.

(الرجال للنجاشى ۱۷۲، برقم ۱۳۵).

و جامع على بن مهزيار من أصحاب الإمام الجواد.

(الرجال للنجاشى ۶۲۲ برقم ۶۶۵).

(۳) كنوادر الحكمة لمحمّد بن أحمد بن يحيى، يقول النجاشى: و هو كتاب كبير حسن، ج ۲- ۲۴۴ برقم ۹۴۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۱۲

و الشيخ الصدوق (۳۰۶ ۳۸۱ ه) و الشيخ الطوسى (۳۸۵ ۴۶۰ ه) فألفوا الجوامع الحديثية الكبرى، فصارت مداراً فى استنباط الأَحكام، فألّف الكلينى كتاب الكافى فى الأصول و الفروع فى ثمانية أجزاء، و الصدوق كتاب «الفقيه» فى أربعة أجزاء، و الطوسى كتاب التهذيب فى عشرة أجزاء و الاستبصار فى أربعة أجزاء، شكر اللّه مساعيهم.

مراحل تدوين الفقه و تطويره

اشاذة

كان تدوين الفقه بين الشيعة بعد رحلة النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- على غرار تدوين الحديث، فالكتب الفقهية هى الكتب الحديثية، لكنّها مختصة بروايات وردت حول الفروع و الأَحكام و السنن و الآداب، فكان الفقهاء من أصحاب الأَئمّة يؤَلّفون الكتب

الفقهية و يذكرون الحديث بسنده و نصه و لا يتجاوزون ذلك.

و ربما يرون ذلك أمراً غير صحيح، إلى أن وصلت النوبة، إلى على بن الحسين بن بابويه (المتوفّى ۳۲۹ ه) فقام بتدوين الفقه على نمطٍ جديد، و أحدث فيه تطويراً، فحذف الأَسانيد، و أتى بالمتون على ترتيب الكتب الفقهية، فألّف كتاب الشرائع و قد كان عمله هذا ثورة فى ذلك المجال، و تبعه ابنه الصدوق فألف المقنع و الهداية على ذلك الغرار، و تبعه الشيخ المفيد فألف المقنعة، و الشيخُ الطوسى النهاية و راج هذا النمط فى الفقه.

و هو كان تدويناً و تطويراً للفقه تلقاها الاجيال بالقبول، و تعد تلك المرحلة، المرحلة الأُولى بالنسبة إلى التطوير، كما تعد المرحلة الثانية بالنسبة إلى تدوين الفقه، و قد كانت المرحلة للتدوين ذكر المتون مع الأَسانيد.

و لما اتسع نطاق الفقه باتساع دائرة الحاجات، لم ير فقهاء الشيعة محيصاً عن التجاوز عن متون الأَحاديث إلى صياغة فروع جديدة مستنبطة من تلك الأَحاديث و مضامينها بعبارات جديدة، انطلاقاً من قولهم- عليهم السلام- علينا إلقاء

تذكرة الأعيان، ص: ۱۱۳

الأصول و عليكم التفريع «۱».

و لعلّ أوّل كتاب خرج على هذا النمط هو كتاب «المتمسك بحبل آل الرسول» تأليف الشيخ الأَقدم الحسن بن على بن أبى عقيل المعاصر للشيخ الكلينى و كتاب «تهذيب الشيعة لأَحكام الشريعة» تأليف محمّد بن أحمد ابن الجنيد المعاصر للصدوق.

ثمّ قام شيخ الطائفة بتأليف المبسوط على ذلك الغرار فخرج فى ثمانية أجزاء، كما ألّف الخلاف فى الفقه المقارن الذى أودع فيه آراء فقهاء المذاهب الإِسلامية؛ و توالت حركة التأليف بعده على ذلك النمط إلى يومنا هذا، فألّفت مجاميع فقهية مفصلة تتجاوز المئات و الألوف.

و تشكل هذه المرحلة الثالثة من تدوين الفقه، و بما أنّ الشيعة الإِمامية التزمت بانفتاح باب الاجتهاد و وجوب رجوع العامىّ إلى المجتهد الحى لم يزل هذا النوع يتكامل من صورة إلى أُخرى يقف عليها السائر فى الكتب الفقهية لهذه الطائفة.

و شتان ما بين استنباط الاحكام و الفروع من الكتاب و السنّة و بين الرجوع فيها إلى المقاييس الظنية.

و قد قامت مؤَسسة النشر الإِسلامى فى الآونة الأَخيرة بنشر آثار فقهية و كلاميّة لثلاثة من كبار فقهاء الشيعة فى القرن الخامس: ۱- جواهر الفقه، للقاضى عبد العزيز بن البراج (۴۰۰ ۴۸۱ ه) مؤَلف المهذب و الكامل فى الفقه الإِمامى، و هو من اعلام الفقه فى عصره و تلميذ المرتضى و زميل شيخ الطائفة.

۲- المسائل الميافارقية، للسيّد الشريف المرتضى (۳۵۵ ۴۳۶ ه) صاحب

---

(۱) الحرّ العاملى: وسائل الشيعة: ۱۸، كتاب القضاء، الباب ۶، الحديث ۵۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۱۴

التآليف الممتعة فى مجال الفقه و الأُصول و الكلام.

۳- العقائد الجعفرية، لشيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسى (۳۸۵ ۴۶۰ ه).

و هو أُستاذ الشيعة فى عصره و مهذب أُصولهم و فروعهم و له يد بيضاء على العلم و أهله.

و الرسالتان الأُوليان فى الفقه و الثالثة فى عقائد الإِمامية يجمعها كونها من آثار القدماء و من تراث الشيعة الخالد قام بتأليفها أُستاذٌ بعد أُستاذ، فالمرتضى أُستاذ شيخ الطائفة و هو أُستاذ ابن البراج، و لإِيقاف القارئ على حياتهم نذكر شيئاً يسيراً منها.

القاضى ابن البرّاج

«۱» الشيخ سعد الدين أبو القاسم، عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج الطرابلسى، يعرّفه الشيخ منتجب الدين بقوله: «وجه الأَصحاب و فقيههم و كان قاضياً بطرابلس، و له مصنفات، منها: «المهذّب» و «المعتمد» و «الروضة» و «المقرب»: و «عماد المحتاج فى مناسك الحاج» أخبرنا بها الوالد عن والده عنه «۲».

يقول ابن شهرآشوب: «أبو القاسم المعروف بابن البراج، من غلمان المرتضى رضى اللّه عنه له كتب فى الأُصول و الفروع، فمن الفروع: الجواهر، المعالم، المنهاج، الكامل، روضة النفس فى أحكام العبادات الخمس، المقرب، المهذب، التعريف، شرح جمل العلم و العمل للمرتضى رحمه اللّه «۳».

---

(۱) قدّمنا ذكره لكون كتابه أبسط من التأليفين الآخرين، و لأَجل ذلك قدم فى الطبع على الآخرين.

(۲) منتجب الدين: الفهرست: ۱۰۷، برقم ۲۱۸.

(۳) ابن شهرآشوب: معالم العلماء: ۸۰ برقم ۵۴۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۱۵

و قد أثنى عليه كلّ من تأخر عنه كالعلّامة الحلّى فى إجازته لبنى زهرة، و الشهيد الأَوّل فى بعض مجاميعه، و ابن فهد فى مهذّبه، و المحقّق الثانى فى إجازته، و الشهيد الثانى فى إجازته، إلى غير ذلك من أئمّة الفقه، تراهم أثنوا عليه ثناء بليغاً كاملًا «۱».

و قد تعرفت على أسماء تآليفه فقد طبع منها ثلاثة: ۱- شرح جمل العلم و العمل، و هو شرح كتاب جمل العلم و العمل للسيّد المرتضى على وجه موجز، ألقى فيها الأصول و القواعد فى فنى الكلام و الفقه و قد تولّى شيخ الطائفة شرح القسم الكلامى منه و انتشر باسم تمهيد الأُصول، بينما تولى القاضى ابن البراج شرح القسم الفقهى، و نشر و حقق نصوصه الأُستاذ الشيخ كاظم مدير شانه‌چى دام ظلّه.

۲- المهذب، و هو أبسط كتاب فقهى استدلالى بعد كتاب المبسوط للشيخ الطوسى، و قد اشتغل به عام ۴۶۷، فالكتاب حصيلة ممارسة فقهية شغلت عمر المؤَلف و قد انتشر فى جزءين ضخمين: ۳- جواهر الفقه، و هو كتاب فقهى اقتصر فيه المؤَلف على ذكر الفتيا، لعلها كانت رسالة عملية لمن كان يرجع إليه فى الشامات.

الشريف المرتضى (۳۵۵ ۴۳۶ ه)

هو السيد المرتضى، علم الهدى، ذو المجدين، أبو القاسم على بن الحسين ابن موسى بن محمّد بن موسى بن إبراهيم بن الامام موسى الكاظم- عليه السلام- مفخرة من مفاخر العترة الطاهرة، و إمام من أئمّة العلم و الحديث و الأَدب، و بطل من أبطال الدين و العلم و المذهب، و هو بعد أُستاذ الكلام و محقّقه، و إمام الفقه

---

(۱) راجع للوقوف على نصوصهم تقديمنا لكتاب المهذب لابن البراج: ۱ ۳۶- ۳۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۱۶

و مؤَسس أُصوله.

و لأَجل إيقاف القارئ على منزلته العلمية نأتى ببعض ما ذكره علماء الفريقين فى حقّه: قال النجاشى (۳۷۲ ۴۵۰ ه): أبو القاسم المرتضى، حاز من العلوم ما لم يدانه أحد فى زمانه، و سمع من الحديث فأكثر، و كان متكلماً شاعراً أديباً، عظيم المنزلة فى العلم و

الدين و الدنيا «۱».

و قال تلميذه الآخر شيخنا الطوسى (۳۸۵ ۴۶۰ ه): إنّه أكثر أهل زمانه أدباً و فضلًا، متكلم، فقيه، جامع العلوم كلّها مدّ اللّه فى عمره «۲».

و قال فى فهرسته: المرتضى متوحّد فى علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدم فى العلوم، مثل علم الكلام، و الفقه، و أُصول الفقه، و الأَدب و النحو، و الشعر، و معانى الشعر، و اللغة، و غير ذلك، له من التصانيف و مسائل البلدان شىء كثير مشتمل على ذلك فهرسته المعروف «۳».

و قال الثعالبى: و قد انتهت الرسالة اليوم ببغداد إلى المرتضى فى المجد و الشرف و العلم و الأَدب و الفضل و الكرم، و له شعر فى نهاية الحسن «۴».

و قال ابن خلكان (۶۰۸ ۶۸۱ ه): كان إماماً فى علم الكلام و الأَدب و الشعر، و له تصانيف على مذهب الشيعة

---

(۱) النجاشى: الرجال: ۱- ۱۰۲ برقم ۷۰۶.

(۲) الطوسى: الرجال: ۴۸۴ برقم ۵۳، باب فى من لم يرو عنهم.

قم ۵۴۵.

(۳) الطوسى: الفهرست: ۹۹.

(۴) الثعالبى: تتميم يتيمة الدهر: ۱- ۵۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۱۷

و مقالة فى أُصول الدين، و ذكره ابن بسام فى الذخيرة، و قال: كان هذا الشريف إمام أئمّة العراق بين الاختلاف و الاتفاق، إليه فزع علماؤها و عنه أخذ عظماؤها، صاحب مدارسها و جمّاع شاردها و آنسها، ممن سارت أخباره و عرفت له إشعاره، و حمدت فى ذات اللّه مآثره و آثاره، إلى تآليفه فى الدين و تصانيفه فى أحكام المسلمين ممّا يشهد أنّه فرع تلك الأصول و من أهل ذلك البيت الجليل «۱».

ترى نظير هذه الكلمات كثيرة مبثوثة فى طيات الكتب و المعاجم كلّها تشير إلى مكانته المرموقة و مآثره الجليلة.

و يشهد على ذلك: التراث العلمى الذى خلفه السيّد المرتضى و كان و لم يزل مرجعاً لإعلام الدين، و هى تربو على ۸۶ كتاباً و رسالة فى مجالات مختلفة و حيث لا- يمكن لنا سرد أسمائها و الإِشادة بأبعادها نكتفى فى المقام بكتبه الفقهية و الأُصولية، و من أراد التفصيل، فليرجع إلى المعاجم.

۱- الذريعة فى أُصول الفقه، و هو أبسط كتاب فى أُصول الفقه، فرغ منه فى نهاية القرن الرابع (سنة ۴۰۰ ه) على ما شاهدت فى بعض النسخ الخطية فى مدينة قزوين، و طبع الكتاب فى جزءين.

۲- مفردات فى أُصول الفقه.

۳- الخلاف فى الفقه.

۴- الناصريات فى الفقه.

۵- الانتصار فيما انفردت به الإِمامية.

ثمّ إنّ للسيد رسائل وافرة فى الكلام و الفقه و فنون شتى، و منها رسالة «المسائل الميافارقية» و تشتمل على ۶۵ مسألة فقهية و غير فقهية ذكرها

---

(۱) ابن خلّكان: وفيات الأَعيان: ۳- ۳۱۳ برقم ۴۴۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۱۸

ابن شهرآشوب فى ترجمته.

و للسيد رسائل أُخرى فى مسائل فقهية و كلامية و أُصولية، نطوى الكلام عنها رعاية لِلايجاز.

هذا هو السيد المرتضى و هذه كلمات الثناء من العلماء فى حقّه و هذه آثاره، و أمّا تلاميذه فكفى انّه قد أنجبت مدرسته أفذاذاً يفتخر بهم الدهر، و إليك أسماؤهم: ۱- شيخ الطائفة، أبو جعفر الطوسى (ت ۴۶۰ ه).

۲- أبو يعلى سلّار بن عبد العزيز الديلمى مؤَلف «المراسم» (ت ۴۶۳ ه).

۳- أبو الصلاح تقى بن النجم، خليفته فى بلاد حلب (ت ۴۴۷ ه).

۴- القاضى عبد العزيز بن البراج الطرابلسى (ت ۴۸۱ ه).

۵- الشريف أبو يعلى محمّد بن الحسن بن حمزة الجعفرى (ت ۴۶۳ ه).

۶- الشيخ أبو الفتح محمّد بن على الكراجكى (ت ۴۴۹ ه).

۷- أبو الصمصام ذو الفقار بن معبد الحسينى المروزى.

۸- السيد نجيب الدين أبو محمّد الحسن بن محمّد بن الحسن الموسوى.

۹- السيد التقى بن أبى طاهر الهادى النقيب الرازى.

۱۰- الشيخ أبو الحسن سليمان الصهرشتى، صاحب كتاب «قبس المصباح».

إلى غير ذلك من الشخصيات البارعة الذين استقوا من منهل علمه و معين فقهه «۱».

---

(۱) قد استقصى العلّامة الامينى فى موسوعته أسماء تلامذة السيد، فلاحظ: الغدير: ۲۷۱۴- ۲۷۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۱۹

شيخ الطائفة، محمّد بن الحسن الطوسى (۳۸۵ ۴۶۰ ه)

لا عتب على اليراع أن تهيب شخصية شيخ الطائفة، و مكانته العلمية و منزلته الرفيعة، و جهاده المتواصل فى طريق نشر العلم و الهدى، و مناهضته المخالفين و المعاندين إلى غير ذلك من مآثر و فضائل جمة لا يحيط بها القلم و لا يبلغ مداها البيان و يعجز عن تحديدها و رسمها، و بما انّ الميسور لا يسقط بالمعسور، نكتفى بتعريف بعض نواحى شخصيته، قال تلميذه الجليل النجاشى: أبو جعفر، جليل من أصحابنا، ثقة، عين، من تلامذة شيخنا أبى عبد اللّه (المفيد) «۱».

و قال العلّامة الحلّى (۶۴۸ ۷۲۸ ه): شيخ الإمامية و رئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارفٌ بالاخبار و الرجال و الفقه و الأُصول، و الكلام، و الأَدب و جميع الفضائل تُنسب إليه، صنّف فى كلّ فنون الإِسلام، و هو المهذّب للعقائد فى الأُصول و الفروع، و الجامع لكمالات النفس فى العلم و الأَدب، و كان تلميذ الشيخ المفيد، وُلدَ قدّس اللّه سرّه فى شهر رمضان سنة ۳۸۵ ه، و قدم العراق سنة ۴۰۸ ه، و توفى رضى اللّه عنه ليلة الاثنين الثانى و العشرين من محرم سنة ۴۶۰ بالمشهد المقدّس الغروى و دفن بداره «۲».

و قد ألّف شيخ الباحثين، الشيخ الطهرانى رسالة مستقلة فى ترجمة شيخنا الطوسى، أدّى فيها حقّ المقام، و لم يبق فى القوس منزعاً، و لكن نكمّل مقاله بكلمة قيمة هى:

---

(۱) النجاشي: الرجال: ۲- ۳۳۲، برقم ۱۰۶۹.

(۲) العلّامة الحلي: خلاصة الأَقوال في علم الرجال: ۱۴۸.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۲۰

كلمة السيد المحقّق البروجردي (۱۲۹۲ ۱۳۸۰ ه)

كان السيد البروجردي كثير الإعجاب بالشيخ و تآليفه القيمة، و قال في تقديمه على كتاب الخلاف ما هذا نصه: و يستفاد من أدعيته للمفيد في كتاب التهذيب «۱» عند نقل عبارة المقنعة إلى أواخر كتاب الصلاة بقوله: قال الشيخ أيّده اللّه تعالى: و منه إلى آخر الكتاب بقوله: قال الشيخ رحمه اللّه، أنّه كتب الطهارة و الصلاة من التهذيب في حياة الشيخ المفيد، و هو من أبناء أربع أو ثمان و عشرين سنة، و لكنك إذا نظرت إلى كلماته في الكتابين «۲» و ما جادل به المخالفين في المسائل الخلافية كمسألة مسح الرجلين، و ما أفاده في مقام الجمع بين الاخبار، و اختياراته في المسائل و ما يستند إليه فيها و ما يورده من الاخبار في كلّ مسألة، تخيّلته رجلًا من أبناء السبعين و صرف عمره في تحصيل العلوم الأَدبية و الأُصولين، و القراءات و التفسير، و مسائل الخلاف و الوفاق، و طاف البلاد في طلب أحاديث الفريقين و ما يتعلق بها من الجرح و التعديل حتى صار له قدم راسخة في جميع العلوم الدينية، و لو قيل لك إنّه كان شاباً حدثاً لَانكرت ذلك و لقلت «إنْ هذا لشيء عجاب» «۳».

ثمّ إنّ تآليف شيخنا الطوسي في نواح مختلفة تشهد على كونه متخصصاً في العلوم و ملمّاً بكثير منها، و قد ذكر أصحاب المعاجم فهرس كتبه «۴».

و أمّا تلاميذه فحدّث عنهم و لا حرج، و قد ذكر السيد البروجردي أسماء بعض تلاميذه ممن قرأوا عليه و صدروا عنه في تقديمه على كتاب الخلاف، و من أراد التفصيل فليرجع إليه.

---

(۱) التهذيب للشيخ الطوسي شرح استدلالي على كتاب المقنعة للشيخ المفيد.

(۲) المقصود بالكتابين، التهذيب و الاستبصار.

(۳) البروجردي: مقدمة الخلاف، ص ۱ و ۲ الطبعة الحجرية.

(۴) النجاشي: الرجال: ۲- ۳۳۲ برقم ۱۰۶۵؛ العلامة: خلاصة الأَقوال: ۱۴۸.

و قد ذكر الشيخ الطوسي، قدس سره فهرس تآليفه في فهرسته: ۱۸۸ برقم ۷۱۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۲۱

۵- أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (.. حوالي ۵۵۰ ه)

المعارف و العقائد بين التشبيه و التعطيل

اشارة

لم تزل المعارف و العقائد منذ أن صدع بها القرآن الكريم و السنّة النبويّة، يتلاعب بها رجال بين آونة و أُخرى.

فمنهم من يبني عقائده الدينيّة على أساس الحسّ، فلا يتورَّع عن وصفه سبحانه بأوصاف و أفعال لا تفترق عن التشبيه و التجسيم قدر شعرة، فيرى أنّ له صورة و جوارح، و أعضاءً، من يدٍ و رِجلٍ، و رأس و عينين.

فهذه هى المجسّمة و المشبّهة يصفونه سبحانه بما توحى إليهم القوّة الخياليّة، الاسيرة لعالم الحسّ و المادّة، و آخر ما عندهم فى ساحة التنزيه: «انّ هذه الأَعضاء له سبحانه و لكن بلا كيف، و أنّها لا تشابه ما لدى الإنسان من أعضاء».

و منهم من يعطِّل العقول عن الوصول إلى المعارف قائلًا بأنّه لا يمكن للإنسان إدراك عالم الغيب، فالواجب عليه: الإطلاق، و الإمرار، ثمّ السكوت، و هم الذين يقولون: إنّ كلّ ما وصف اللّه به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته، و السكوت عليه «۱».

---

(۱) الرسائل الكبرى لابن تيمية: ۱- ۳۲، نقله عن سفيان بن عيينة.

و ربما يتفلسف و يقول: إنّما أُعطينا العقل لإقامة العبودية لا لإدراك الربوبية، فمن شغل ما أُعطى لإقامة العبودية فى إدراك الربوبيّة، فاتته العبودية و لم يدرك الربوبية «۱».

و كأنّه يتصوّر أنّ العبودية تنحصر فى القيام و القعود لأَداء الصلاة، و الإمساك للصوم، و لكنّه غفل عن أنّ ركناً من العبودية يعود إلى العقل و القلب، و أقلّ مراتبه الايمان بالغيب.

فإذا أمكن له استشعار الغيب و ما فيه من المعارف عن طريق الامعان فى الكتاب و السنّة، و الأَقيسة العقليّة، فقد قام بوظيفة الربوبية.

و هذا يعرب عن أنّ الطائفتين تائهتان، و تسيران فى وادٍ مُظْلِم، فالأولى تؤَدّى إلى التجسيم و التشبيه، و الثانية إلى تعطيل و إيصاد باب المعرفة فى وجه الإنسان.

فلو كان التفكّر العقلى فى المعارف الإلهيّة أمراً ممنوعاً، و كانت الوظيفة منحصرة فى القراءة فحسب، كما يقوله ابن قدامة المقدسى: «و على هذا درج السلف و الخلف، فهم متّفقون على الإقرار و الإمرار و الإثبات، لما ورد من الصفات فى كتاب اللّه و سنّة رسوله من غير تعرّض لتأويله» «۲» فما بال القرآن يثير فى الإنسان التفكّر فى المعارف، و يأخذ بيده للوصول إلى غايتها الممكنة، و يقول: (لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللّهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ) «۳».

و قال سبحانه: (مَا اتَّخَذَ اللّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مَا كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِمَا خَلَقَ وَ لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ سُبْحانَ اللّهِ عَمّا يَصِفُونَ) «۴».

---

(۱) رضا نفسان، علاقة الإثبات و التفويض، نقلًا عن الحجّة فى بيان المحجة: ۳۳.

(۲) المراد من التأويل تفسيرها بما يتجاوب مع تنزيهه على ضوء سائر الآيات و الأَقيسة المنطقيّة.

(۳) الأنبياء: ۲۲.

(۴) المؤمنون: ۹۱.

و قال سبحانه: (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَ ذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ) «۱».

إنّ ثمة أُصولًا يعتقد بها الالهيّون جميعاً، و فى مقدّمتهم المسلمون، لا يمكن للعلوم الطبيعية أن تساعدهم فى فهمها و لا أن تهدى إليها البشر.

كالبحث فى أنّ المصدر لهذا العالم و المبدع له، أزلىّ أو حادث، واحد أو كثير، بسيط أو مركب، جامع لجميع صفات الجمال و الكمال أو لا؟ هل لعلمه حدّ ينتهى إليه أو لا؟ هل لقدرته نهاية أو لا؟ هل هو أوّل الأَشياء و آخرها أو لا؟ هل هو ظاهر الأَشياء و باطنها أو لا؟ فالاعتقاد بهذه المعارف عن طريق العلوم الطبيعيّة و الحسّية غير ممكن، و الاعتماد على الوحى للتعرّف عليها غير مقدور،

لَانّه يجب معرفتها قبل معرفة الوحى و حامله، فكيف يُتعرَّف عليها عن طريق النبىّ و الوحى المنزل عليه.

نرى أنّه سبحانه يذكر الفؤَاد إلى جانب السمع و البصر و يقول: (وَ اللّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) «۲».

و المراد من الشكر فى ذيل الآية: صرف النعمة فى مواضعها، فشكر السمع و البصر هو إدراك المسموعات و المبصرات بهما، و شكر الفؤَاد هو درك المعقولات غير المشهودات به، فالآية تحرّض على استعمال الفؤَاد و القلب و العقل فى ما هو خارج عن إطار الحسّ و غير واقع فى متناول أدواته.

و لأَجل أن يتّخذ القرآن فى بعض المجالات موقف المعلِّم فيعلّم المجتمعَ البشرى كيفية البرهنة العقلية على توحيد الخالقية و التدبير فيقول:

---

(۱) الأَنبياء: ۲۴.

(۲) النحل: ۷۸.

(نَحْنُ خَلَقْناكُمْ فَلَوْ لا تُصَدِّقُونَ. أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ. أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ.. أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ. أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزّارِعُونَ. لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ. إِنّا لَمُغْرَمُونَ. بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ. أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ. أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ. لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً فَلَوْ لا تَشْكُرُونَ. أَ فَرَأَيْتُمُ النّارَ الَّتِى تُورُونَ. أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ) «۱».

إنّ تعطيل العقول عن المعارف الإلهيّة يجرّ الإنسان إلى التشبيه و التجسيم، و إن تبرّأ منهما و انبرى إلى نفى هذه الوصمة عن نفسه و أهل ملّته «۲».

نظرة إجمالية فى كتابين:

إنّ هناك أثرين أُلِّفا فى عصر متقارب، قام بتأليف أحدهما الحافظ محمّد بن إسحاق بن خزيمة (۳۱۱۲۲۳) أسماه كتاب «التوحيد و إثبات صفات الربّ عزّ و جلّ»، و قد بلغ فى حشد الاسرائيليّات و الموضوعات و المجعولات بمكان أثار حفيظة الرازى عليه، و قال فى تفسير قوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ): «و اعلم أنّ محمّد ابن إسحاق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية فى الكتاب الذى سمّاه بالتوحيد و هو فى الحقيقة كتاب الشرك، و اعترض عليها، و أنا أذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات، لَانّه كان رجلًا مضطرب الكلام قليل الفهم، ناقص العقل» «۳».

و لو سبر الإنسان فهرس هذا الكتاب الذى طبع فى آخره، لوقف على

---

(۱) الواقعة: ۷۲۵۷.

(۲) لاحظ مقدّمة الجزء السادس من موسوعتنا «مفاهيم القرآن «: ۱۶۱۵.

(۳) تفسير الإمام الرازى: ۲۷- ۱۵۰.

أنّ الرجل من رءوس المشبّهة، لكنّه تستّر فى غير واحد من المقامات بقوله: «إنّا نثبت للّه ما أثبته اللّه لنفسه، نقرّ بذلك بألسنتنا، و نصدّق بذلك بقلوبنا، من غير أن نشبّه وجه خالقنا بوجه أحد المخلوقين، و عزَّ ربّنا أن يشبَّه بالمخلوقين، و جلّ ربّنا عن مقالة المعطّلين».

و هذه واجهة الرجل و الغطاء الذى تستّر خلفه، لكنّه لمّا صار بصدد نقض أهل التنزيه، وقع فى ورطة التجسيم، فقد صار فى كتابه إلى إثبات النفس و الوجه و العين و اليد و الرجْل للّه سبحانه، و استوائه على العرش، و كونه فى السماء بالمعنى الحرفى منها، و يكفيك نموذجاً قوله فى الأَخير: «قد ذكرنا استواء ربّنا على العرش فى الباب قبله، فاسمعوا الآن ما أتلو عليكم عن كتاب ربّنا الذى هو مسطور بين الدفّتين، مقروء فى المحاريب و المكاتيب، ممّا هو مصرّح فى التنزيل، انّ الربّ جلّ و علا- فى السماء، لا- كما قالت الجهميّة المعطّلة إنّه فى أسفل الأَرضين، فهو فى السماء، عليهم لعائن اللّه البالغة» «۱».

و قام بتأليف الآخر صدوق الأُمّة و محدِّثها و حافظها محمد بن على بن الحسين ابن موسى بن بابويه (۳۰۶ ۳۸۱ ه) و أسماه بالتوحيد، و الكتاب مطبوع منتشر، ترى أنّه جمع فيه الخطب و الروايات المأثورة عن الامام على أمير المؤمنين و عترته فى مجال التوحيد و سائر المعارف، فهو ينددّ بالمعطّلة الذين عطّلوا العقول عن المعارف، و يرون أنّ وظيفة الإنسان، هو توصيف الربّ بالصفات و السكوت عليها، كما ينددّ بالمشبّهة، الذين نزّلوا الربّ درجة الجسم و الجسمانيّات، و فيه بحوث عقليّة و منطقيّة تتجاوب مع الفطرة و صريح المعقول.

قارن بين الكتابين، ثمَّ اقض أيّهما ألصق بمقام الوحى و النبوّة، و أيّهما أليق

---

(۱) توحيد ابن خزيمة: ۱۱۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۲۶

بتعريف التوحيد للعالم.

إنّ كشف الحقائق و رفع الحجب عنها يتمّ بأُمور ثلاثة، دعا إليها الكتاب العزيز و قال: (ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) «۱».

و المراد من الحكمة و اللّه العالم الحجّة التى تنتج الحقّ الذى لا مرية فيه و لا وهن و لا إبهام و القرآن ملى بها، خصوصاً فى مجال التنديد بالوثنيّة، و دحض الشرك، و قد تعرّفت على بعض الآيات فى صدر المقال.

و الموعظة، هو البيان الذى تلين به النفس، و يرقّ به القلب، لما فيه صلاح حال السامع.

و الجدل هو الحجّة التى تستعمل لِافحام الخصم، عن طريق مسلّماته، أو مسلّمات الناس، فلعلّ الآية إشارة إلى ما يذكره أهل المنطق بالبرهان و الخطابة و الجدل.

غير أنّ القرآن يقيّد العظة و الجدل بالتى هى أحسن، مشيراً إلى أنّهما على قسمين، ثمّ إنّ مبدأ الكلام لو كان هو القسم الأَوّل، فتقسَّمُ بالبرهان، و إن كان هو القسم الثانى، فتوصف بالخطابة، و إن كان الثالث، فبالجدل.

و الاحتجاج مَقْسمٌ، له أقسامه الثلاثة الماضية، و بعد دعوة القرآن الكريم إلى الاحتجاج بالطرق الثلاثة لا يبقى شكّ فى مشروعية الاحتجاج فى باب المعارف، سواء كان الهدف إقناع النفس و هدايتها، أو إقناع الغير.

أضف إليه أنّ النبىّ- صلى الله عليه و آله و سلم- و العترة الطاهرة عليهم السَّلام هم الأُسوة فى المجالات كلّها، و لهم مناظرات و مراجعات يقف عليها من سبر كتب الحديث و السيرة و التاريخ.

---

(۱) النحل: ۱۲۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۲۷

نعم، ربّما يتخيّل الغافل إنّ أئمّة أهل البيت، نهوا عن المناظرة و الاحتجاج، و لكنّه لو صحّ فإنّما نَهُوا من ليس له قدم ثابت فى باب المعارف، و لا له معرفة بصناعة الكلام و إقامة البرهان، فيقع فى قلبه عند المناظرة ما لا تحمد عاقبته.

كما أنّ الغاية من النهى عن الجدل، هو الجدل المبنى على التعصّب و الأنانيّة لا التعرّف على الواقع و كشف الحجب عن وجه الحقيقة. هذا هو رئيس الشيعة و إمام مذهبهم الامام الصادق- عليه السلام-، قد ربّى فى حجره رجالًا عارفين بصناعة المناظرة، فناظروا المخالفين فى مجالات شتّى، و أفحموهم فخرجوا مرفوعى الرؤوس، و هذا هشام بن الحكم ناظر عمرو بن عبيد (المتوفّى ۱۴۲ ه) رئيس المعتزلة فى وقته، و هو جالس فى مسجد البصرة و له حلقة كبيرة، و عليه شملة سوداء من صوف متّزر بها، و شملة مرتدٍ بها، و الناس يسألونه، فاستفرج هشامُ الناسَ، فأفرجوا له، ثمّ قعد فى آخر القوم، فقال له: أيّها العالم إنّى رجل غريب، تأذن لى فى مسألة؟! و قد نقل مناظرته مع عمرو بن عبيد للإمام الصادق فضحك و قال: «يا هشام من علّمك هذا؟» قال هشام: شيء أخذته منك و ألفته «۱». لقد تخرّج على يدى الإمام الصادق- عليه السلام- رجال بارعون فى الكلام، ناظروا المخالفين مناظرة مبتيّة على أسس صحيحة من الكتاب، و السنّة و العقل كحُمران ابن أعين، و قيس بن الماصر و مؤمن الطاق المعروف بالاحول و غيرهم؛ روى الكلينى عن يونس بن يعقوب، قال: كنت عند أبى عبد اللّه، فورد عليه رجل من أهل الشام، فقال: إنّى رجل صاحب كلام و فقه، و فرائض، و قد جئت لمناظرة أصحابك.. فالتفت أبو عبد اللّه- عليه السلام- إلىّ، و قال: «يا يونس لو كنت تُحسِنُ الكلامَ كلّمتَه» قال يونس: فيا لها من حسرة.

ثمّ قال لى: «أُخرج إلى الباب فانظر من

---

(۱) الكافى: ۱- ۱۷۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۲۸

ترى من المتكلّمين فأدخله» قال: فأدخلت حُمْرانَ بن أعين، و كان يحسن الكلام، و أدخلت الأَحول، و كان يُحسِن الكلام، و أدخلت هشام بن سالم و كان يُحسِن الكلام، و أدخلت قيس بن الماصر و كان عندى أحسنهم كلاماً، و كان قد تعلّم الكلام من على بن الحسين عليهما السَّلام إلى أن قال فورد هشام بن الحكم، و هو أوّل ما اختطّت لحيته، و ليس فينا إلّا من هو أكبر سنّاً منه، قال: فوسَّع له أبو عبد اللّه و قال: «ناصرنا بقلبه و لسانه و يده ثمّ قال يا حُمران كلِّم الرجل» فكلّمه، فظهر عليه حمران، ثمّ قال: «يا طاقى كلِّمه» فكلّمه فظهر عليه الأَحول، ثمّ قال: «يا هشام بن سالم كلِّمه» فتعارفا «۱».

ثمّ قال أبو عبد اللّه لقيس الماصر: «كلِّمه» فكلّمه، فأقبل أبو عبد اللّه- عليه السلام- يضحك من كلامهما، ممّا قد أصاب الشامى «۲».

كلّ ذلك يعرب عن أنّه لو صدر نهى عن المناظرة، فإنّما هو لغايات أُخرى، لوجود ضعف فى المناظِر، و عدم وقوفه على أُصولها.

قال السيد المرتضى (۳۵۵ ۴۳۶ ه): قلت للشيخ المفيد (أدام اللّه عزّه): إنّ المعتزلة و الحشوية يزعمون أنّ الذى نستعمله من المناظرة شيءٌ يخالف أُصول الإماميه، و يخرج عن إجماعهم، لأَنّ القوم لا يرون المناظرة ديناً، و ينهون عنها، و يروون عن أئمّتهم بتبديع فاعلها، و ذمّ مستعملها، فهل معك رواية عن أهل البيت- عليهم السلام- فى صحّتها، أم تعتمد على حجج العقول، و لا تلتفت إلى من خالفها، و إن كان عليه إجماع العصابة؟ فقال: أخطأت المعتزلة و الحشوية فيما ادّعوه علينا من خلاف جماعة أهل مذهبنا فى استعمال المناظرة، و أخطأ من ادّعى ذلك من الإماميّة أيضاً، و تجاهل،

---

(۱) أى لم يظهر غلبة لأَحدهما على الآخر، و فى نسخة: فتعاركا.

(۲) الكافى: ۱ ۱۷۲- ۱۷۱، الحديث ۴، كتاب الحجّة.

لاحظ فى التعرّف على مضمون المناظرة، نفس الحديث.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۲۹

لَانّ فقهاء الإماميّة و رؤَساءهم فى علم الدين كانوا يستعملون المناظرة، و يدينون بصحّتها، و تلقّى ذلك عنهم الخلف و دانوا به، و قد

أشبعت القول فى هذا الباب، و ذكرت أسماء المعروفين بالنظر و كتبهم و مدائح الأئمّة لهم فى كتابى «الكامل فى علوم الدين»، و كتاب «الأركان فى دعائم الدين»، و أنا أروى لك فى هذا الوقت حديثاً من جملة ما أوردت فى ذلك إن شاء اللّه، ثمّ روى بسنده عن أبى جعفر محمّد ابن النعمان عن أبى عبد اللّه- عليه السلام- قال: قال لى: «خاصِمْهم و بيّنوا لهم الهدى، الذى أنتم عليه، و بيّنوا لهم ضلالهم، و باهلوهم فى علىّ عليه السَّلام» «۱».

و يظهر من ديباجة كتاب الاحتجاج أنّ هذه الفكرة قد كانت موجودة فى عصره أيضاً، و لأجل ذلك قام بتأليف كتاب الاحتجاج ردّاً عليها، قال: ثمّ إنّ الذى دعانى إلى تأليف هذا الكتاب، عدول جماعة من الأصحاب، عن طريق الحجاج جدا، و عن سبيل الجدال و إن كان حقّا، و قولهم: «إنّ النبىّ صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم و الأئمّة- عليهم السلام- لم يجادلوا قطّ، و لا استعملوه و لا للشيعة فيه إجازة، بل نهوهم عنه و عابوه» فرأيت عمل كتاب يحتوى على ذكر جمل من محاوراتهم فى الفروع و الأُصول، مع أهل الخلاف و ذوى الفضول، قد جادلوا فيها بالحقّ من الكلام، و بلغوا غاية المرام.

و انّهم- عليهم السلام- إنّما نهوا عن ذلك الضعفاء و المساكين من أهل القصور عن بيان الدين، دون المبرزين فى الاحتجاج، الغالبين لأهل اللجاج، فإنّهم كانوا مأمورين من قِبَلِهم بمقاومة الخصوم، و مداواة الكلوم، فَعَلَت بذلك منازلهم، و ارتفعت درجاتهم و انتشرت فضائلهم «۲».

---

(۱) الفصول المختارة من العيون و المحاسن: ۲۸۴) للسيد المرتضى، اختارها من كتاب العيون للشيخ المفيد).

(۲) مقدمة الاحتجاج: ۱۳.

و قد عقد العلّامة المجلسى باباً فى البحار تحت عنوان: ما جاء فى تحرير المجادلة و المخاصمة فى الدين و النهى عن المراء.

راجع البحار، ج ۲، ص ۱۲۴ حيث نقل فيه ۶۱ أثراً.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۳۰

تقييم كتاب الاحتجاج

إنّ كتاب الاحتجاج ضمَّ بين دفّتيه، احتجاجات النبىّ صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم و الأئمّة- عليهم السلام- فى شتّى المجالات، و أناروا لطلبة الحقّ و الحقيقة طريقَ الهدى، كما قطعوا الطريق على أهل اللجاج، و بذلك انتشرت علومهم، و فضائلهم و ليس لهذا الكتاب مثيل فى مؤَلفات أصحابنا، حيث جمع فى كتاب واحد ما وصل إليه من مناظراتهم، إلّا أنّه ربّما يؤخذ عليه بعض الأشياء، لا بأس بالتنويه عليها: ۱- أكثر ما أورده فى الكتاب من المناظرات مراسيل لا مسانيد.

إنّ المؤَلف يجيب عن هذا الاشكال بقوله: «و لا نأتى فى أكثر ما نورده من الاخبار بإسناده، إمّا لوجود الإجماع عليه، أو موافقته لما دلّت العقول إليه، أو لاشتهاره فى السير و الكتب بين المؤَالف و المخالف، إلّا ما أوردته عن أبى محمّد الحسن العسكرى- عليه السلام- فإنّه ليس فى الاشتهار على حدّ ما سواه، و إن كان مشتملًا على مثل الذى قدّمناه.

فلأجل ذلك ذكرتُ إسناده فى أوّل جزء من ذلك دون غيره، لأنّ جميع ما رويت عنه، إنّما رويته بإسناد واحد من جملة الأخبار التى ذكرها- عليه السلام- فى تفسيره «۱».

و السند الذى روى به احتجاجات الإمام العسكرى ذكره فى أوّل الكتاب على النحو التالى: حدّثنى السيد العالم العابد أبو جعفر مهدى بن أبى حرب الحسينى المرعشى (رضى اللّه عنه) قال: حدّثنى الشيخ الصدوق أبو عبد اللّه جعفر بن

---

(۱) مقدمة الاحتجاج: ۱- ۱۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۳۱

محمّد بن أحمد الدوريستى «۱» (رحمة اللّه عليه) قال: حدّثنى أبى محمّد بن أحمد، قال: حدّثنى الشيخ السعيد أبو جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمّى رحمه اللّه قال: حدّثنى أبو الحسن محمّد بن القاسم المفسّر الأسترآبادى «۲» قال: حدّثنى أبو يعقوب يوسف بن محمّد بن زياد و أبو الحسن على بن محمد بن سيّار و كانا من الشيعة الإمامية قالا: حدّثنا أبو محمّد الحسن بن على العسكرى..

و بهذا الإسناد الذى ذكره فى أوّل الكتاب، أخرج ما رواه عن الإمام العسكرى و أشار إليه فى الباب الخاصّ به.

سواء كان ما اعتذر به المؤلّف مقبولًا أو غير مقبول، فقد عولجت هذه النقيصة فى هذه الطبعة «۳» على القدر المستطاع، حيث قام المحقّقان لهذا الكتاب بإرجاع مراسيلها إلى المسانيد، و ذلك بالغور فى كتب مشايخنا الإمامية، كالكافى للشيخ الكلينى، و كتب الصدوق المختلفة، و غيرهما، و بذلك أصبحت جلّ أحاديثه مسندة، خارجة عن الإرسال.

على أنّ ما اعتذر به المؤلف عذر مقبول؛ و ذلك لأنّ المسائل العقائدية تختلف عن المسائل الفرعية العملية، فالمطلوب فى الثانية هو العمل و إن لم يكن هناك يقين بالصحّة، و هذا بخلاف الحال فى الأُولى، فإنّ المطلوب فيها هو الاعتقاد و الإذعان، و هو رهن قوّة البرهان و رصانة الحجّة.

فلو توفّرت فيه لنال الإنسان ضالّته المنشودة و إلّا فلا، من غير فرق بين كونه مسنداً أو مرسلًا، فلأجل ذلك ترك المؤلف الاسناد و رواها بالشكل المرسل اعتماداً على مضمون الحجّة، و قوّتها.

---

(۱) نسبة إلى «دوريست»، قرية من قرى الرى.

و يقال لها الآن «درشت»، كما فى «الكنى و الألقاب» لشيخنا المحدّث القمّى ۲: ۴۸۰.

(۲) و هو الراوى لتفسير الإمام العسكرى، روى عنه الشيخ الصدوق فى الفقيه و غيره.

(۳) طبعة منظمة الأوقاف.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۳۲

إنّ موقف النبىّ- صلى الله عليه و آله و سلم- و الأئمّة- عليهم السلام- فى عامّة المناظرات، هو موقف المعلّم المحايد، و المرشد الناصح و هو يعتمد على قوة العارضة و حصافة الرأى، لا على كونه نبيّاً موحى إليه أو وصيّاً قائماً مقام النبىّ.

و لو لا اتّخاذ ذلك الموقف لما أنتجت تلك المناظرات و صارت عقيمة، و على ضوء ذلك، فالاعتماد إنّما هو على المضمون و المحتوى، سواء أصحّ إسناده إلى المعصوم أو لا.

أضف إلى ذلك أنّه ليس علينا ردّ المراسيل بما أنّها مراسيل، و كيف يكون ذلك، فإنّ الإمام الصادق- عليه السلام- يقول: «لا تكذّبوا الحديث إذا قام به مرجئىّ و لا قدرىّ و لا حرورىّ، ينسبه إلينا فإنّكم لا تدرون لعلّه شىءٌ من الحقّ، فيكذّب اللّه فوق عرشه» «۱».

۲- نقل فى ثنايا الكتاب رواية ظاهرة فى وقوع التحريف فى الذكر الحكيم.

غير أنّه أورد ما أورد، على سبيل التأليف، و ألقى التحقيق على عاتق القارئ، كشأن كلّ كتاب كانت الغاية منه جمع الشوارد، و لَمّ المتفرّقات، بغضّ النظر عن الصحّة و عدمها.

و لعلّ ما جاء فى التعليق على هذا الموضع فى هذه الطبعة ما يروى الغليل و يقطع السبيل، فلاحظ.

هذا بعض ما يمكن أن يقال فى تقييم الكتاب، و أمّا ما يرجع إلى مادة الكتاب و ما فيه من البراهين الدامغة، و الحجج اللامعة فى أبواب المعارف و الحكم فحدّث عنه و لا حرج.

و يكفيك العيان عن البيان و لا نطيل الكلام، و أخصّ بالذكر مناظرات الامام الطاهر عليّ بن موسى الرضا عليمها السَّلام، ففيها الحجّة على رفعة منزلته و علوّ شأنه و سعة اطّلاعه على كتب العهدين.

---

(۱) المحاسن: ۱- ۲۳۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۳۳

حياة الطبرسى

اشارة

المؤَلّف هو أحمد بن علىّ بن أبى طالب المعروف بالطبرسى، من علماء القرن السادس من مشايخ ابن شهرآشوب، المتوفّى عام (۵۸۸ ه).

۱- قال فى معالم العلماء: شيخى أحمد بن علىّ بن أبى طالب الطبرسى، له كتاب الكافى فى الفقه حسن، الاحتجاج، مفاخرة الطالبية، تاريخ الأَئمّة- عليهم السلام-، فضائل الزهراء- عليها السلام-، كتاب الصلاة «۱».

۲- قال الشيخ الحرّ العاملى فى أمل الآمل: هو عالم فقيه، فاضل محدّث ثقة، له كتاب الاحتجاج على أهل اللجاج كثير الفوائد (ثمّ ذكر روايته عن الشيخ الصدوق بالطريق الذى ذكره هو فى أوّل كتاب الاحتجاج و قد عرفت نصّه) «۲».

۳- قال أيضاً فى خاتمة كتاب الوسائل عند ذكر الكتب المعتمدة: كتاب الإحتجاج تأليف الشيخ الجليل أحمد بن علىّ بن أبى طالب الطبرسى «۳».

۴- قال العلّامة المجلسى: كتاب الاحتجاج و إن كان أكثر أخباره مراسيل لكنّه من الكتب المعروفة المتداولة، و قد أثنى السيد ابن طاوس على الكتاب و على مؤَلّفه، و قد أخذ عنه أكثر المتأخّرين «۴».

۵- قال الفقيه الشيخ يوسف البحرانى: الفاضل العالم المعروف بالشيخ أبى منصور الطبرسى صاحب الاحتجاج و غيره، كان من أجلّاء العلماء و مشاهير الفضلاء «۵».

---

(۱) معالم العلماء (باب الالف (: ۲۵) برقم ۱۲۵).

(۲) أمل الآمل: ۲- ۱۷.

(۳) وسائل الشيعة: ۲۰- ۴۱.

(۴) بحار الأَنوار: ۱- ۲۸.

(۵) كشكول البحرانى: ۱ ۳۰۱- ۳۰۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۳۴

و قال أيضاً: كثيراً ما ينقل الشيخ فى شرح الإِرشاد فتاواه و أقواله، فمن ذلك ما نقله فى كتاب القصاص فى شرح الإِرشاد فى مسألة أنّ للمولى القصاص من دون ضمان الدية للديان بهذه العبارة: و جمع الشيخ أبو منصور الطبرسى بين الروايتين فى كتابه، بأنّ القائل.. «۱».

۶- قال الخونسارىّ: إنّ هذا الرجل «أحمد بن علىّ بن أبى طالب الطبرسى» من أجلّاء أصحابنا المتقدّمين، و إنّ كتاب الاحتجاج كتاب معتبر معروف بين الطائفة، مشتمل على كلّ ما اطّلع عليه من احتجاجات النبىّ و الأَئمّة، بل كثير من أصحابهم الأَماجد مع جملة من المخالفين، و فى خواتيمه توقيعات كثيرة خرجت من الناحية المقدّسة إلى بعض أكابر الشيعة «۲».

۷- و قال شيخنا المجيز الطهرانى: أحمد بن على بن أبى طالب الشيخ أبو منصور الطبرسى صاحب الاحتجاج و من مشايخ رشيد الدين محمّد بن على بن شهرآشوب (المتوفّى ۵۸۸ ه) ترجمه و ذكر تصانيفه فى معالم العلماء، و هو يروى عن السيد العابد أبى جعفر مهدى بن أبى حرب الحسينى المرعشى فى أوّل الاحتجاج «۳».

هـذه كلمات مشايخ الإِماميّة فى حقّ الرجل و كتابه، و السابر فى كتب التراجم يجد نظير هذه الاطراءات فى حقّه، اكتفينا بهذا المقدار منهـا، و على كـلّ تقـدير فلم تعلم سـنة ولادته و لا عام وفاته، فهو من علماء القرن الخامس، أدرك أوائل القرن السادس، و لعلّه توفّى حوالى عام (۵۳۰ ه) أو أزيد بقليل.

---

(۱) المصدر نفسه.

(۲) روضات الجنّات: ۱- ۶۴) رقم الترجمة ۱۴).

(۳) طبقات أعلام الشيعة (القرن السادس): ۱۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۳۵

تآليفه

إنّ لشيخنا المترجم تآليف ذكرها تلميذه ابن شهرآشوب فى معالم العلماء، و قد عرفت نصّه.

و إليك أسماءها: ۱- الاحتجاج.

۲- تاريخ الأَئمّة- عليهم السلام-.

۳- كتاب الصلاة.

۴- الكافى فى الفقه، و وصفه تلميذه بأنّه حسن.

۵- مفاخر الطالبية «۱».

و مع الأَسف أنّ الدهر قد عفا على الجميع، فلم يبق منها إلّا كتاب الاحتجاج، و لعلّ فى بعض المكتبات توجد نسخة من بعضها.

إزاحـة شـبهة و ربّما ينسب هـذا الكتاب إلى الشـيخ أبى على الطبرسـى مؤَلّف «مجمع البيان»، و يظهر من روضات الجنّات أنّ ابن أبى جمهـور الأحسـائى مؤَلّـف «الغوالى» (المتوفّى حوالى ۹۰۰ ه) و المحـدّث الأَمين الأسترآبـادى (المتـوفّى ۱۰۳۵ ه) نسـبا الكتـاب إلى صاحب التفسير «۲».

و قـال العلّامـة المجلسـىّ فى مقـدّمات البحـار: و ينسب هـذا الكتاب «الاحتجاج» إلى أبى على الطبرسـى و هو خطأ، بل هو تأليف أبى منصور أحمد بن

---

(۱) و لعلّ الصحيح: «مفاخر الطالبيين».

(۲) روضات الجنّات: ۱- ۶۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۳۶

على بن أبى طالب، كما صرّح به السيد ابن طاوس فى كتاب «كشف المحجّة» «۱» و ابن شهرآشوب فى «معالم العلماء» «۲».

و يكفى فى المقام قول تلميذه ابن شهرآشوب، حيث عدّه من تآليفه، و هو أعرف بحال أُستاذه من غيره، أضف إلى ذلك أنّ ما ذكره من السند لروايات الإِمام العسكرى على ما عرفت يدلّ على أنّه ليس من تآليف صاحب التفسير، إذ لم يعرف له مثل هذا السند.

و نقل السيد الأَمين فى «أعيان الشيعة» عن «رياض العلماء»، أنّ هذا الطبرسى المترجم غير صاحب «مجمع البيان» لكنّه معاصر له، و هما

شيخا ابن شهرآشوب و أَستاذاه، و ظنّى أنّه بينهما قرابة «۳».

المعروفون بالطبرسى

قد اشتهر لفيف من علماء الإماميّة بهذا اللقب: ۱- أبو منصور أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى، مؤَلّف «الاحتجاج».

۲- أبو على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى، مؤَلّف «مجمع البيان» (۴۷۱ ۵۴۸ ه).

۳- أبو نصر الحسن بن الفضل بن الحسن رضى الدين، صاحب «مكارم الأَخلاق»، ابن أبى علىّ صاحب «مجمع البيان».

---

(۱) ذكره فى كتاب «المجلى» على ما فى كشكول المحدّث البحرانى.

(۲) بحار الأَنوار: ۱- ۹.

(۳) أعيان الشيعة: ۱- ۲۹.

و المطبوع من رياض العلماء، فاقد لهذا النصّ، و إنّما جاء فيه ما ذكره المحدّث البحرانى من الترجمة فى حقّ الرجل.

و يظهر من السيد الأَمين، و كذا صاحب الروضات ۱: ۳۴، كون الجزء فى متناولهما.

و لكن صريح محقّق كتاب «رياض العلماء» أنّ الجزء الأَوّل و الثانى مفقودان.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۳۷

۴- أبو الفضل على بن الحسن بن الفضل بن الحسن الطبرسى، صاحب «مشكاة الأَنوار».

۵- أبو على محمّد بن الفضل الطبرسى، كما فى «أمل الآمل» و قال: كان عالماً صالحاً عابداً يروى ابن شهرآشوب عنه، من تلاميذ الشيخ الطوسى «۱».

۶- أحمد بن على بن عبد الجبار الطبرسى القاضى الراوى عن سعيد بن هبة اللّه القطب الراوندى (المتوفّى ۵۷۳ ه) «۲».

و هناك أعلام للطائفة اشتهروا بهذا الاسم لم نذكرهم روماً للاختصار.

هل الطبرسى منسوب إلى طبرستان؟

اشتهر على الأَلسن و ذاع بين الناس، و ذكرته بعض الكتب «۳» أنّ الطبرسى نسبة إلى طبرستان المعروفة اليوم باسم «مازندران» و هى تشمل أكثر ما يقع على ضفاف بحر الخزر، و لكن للنظر فيه مجال: ۱- إنّ النسبة إلى المركّب المزجى تتحقّق بحذف الجزء الثانى، و إلحاق الياء إلى الجزء الأَوّل، فيقال فى «بعلبك» «بعلىّ»، و فى «معديكرب» «معدىّ»، قال ابن مالك فى ألفيّته:

و انسب لصدر جملة و صدر ما ركِّبَ مزجاً و بثان تمّما

إضافة مبدوءة بابن أو أب أو إله التعريف بالثانى وجب

قال ابن عقيل فى شرحه: إذا نسب إلى الاسم المركّب، فإن كان مركّباً

---

(۱) أمل الآمل: ۲- ۲۹۳.

(۲) طبقات أعلام الشيعة، القرن السادس: ۱۳.

(۳) الفوائد الرضويّة للمحدّث القمّى: ۱- ۳۵۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۳۸

تركيب جملة أو تركيب مزج حذف عجزه و أُلحق صدره ياء النسبة، فتقول فى «تأبّط شرّاً» «تأبطىّ» و فى «بعلبك» «بعلىّ» و إن كان مركّباً إضافة، فإن كان صدره ابناً أو أباً، أو كان معروفاً بعجزه، حذف صدره و أُلحق عجزه ياء النسبة، فتقول فى «ابن الزبير» «زبيرى» و فى «أبى بكر» «بكرىّ» و فى «غلام زيد» «زيدىّ».. «۱».

و على ضوء ذلك، فالصحيح فى النسبة إلى طبرستان هو «الطبرىّ» لأنّها مركّبة من «طبر» الذى هو معرّب «تبر» فى الفارسية بمعنى الفأس، و من «ستان» الذى بمعنى الناحية فركّبا معاً و قيل طبرستان و معناه المنطقة التى يكثر فيها الفأس، و ذلك لأنّ أكثر أهلها كانوا يصطحبونه إمّا للدفاع عن أنفسهم من هجوم الوحوش المنتشرة فى غاباتها الكثيرة، و إمّا لقطع الأشجار، فالصحيح عند النسبة حذف العجز أعنى «ستان» و إدخال الياء على الصدر فتكون «الطبرىّ».

هذا إذا كان المتكلّم بهذه النسبة هم العرب، و أمّا غيرهم فلا يتّبعون تلك القاعدة العربيّة، فيدخلون الياء على جميع المركّب، فيقولون فى «عربستان» «عربستانى» و فى «تاكستان» «تاكستانى» و فى المقام «طبرستانى»، فهذا يدلّ على أنّ لفظ الطبرسى ليس منسوباً إلى طبرستان، لا عند العرب و لا عند غيرهم.

۲- تصريح اللغويّين بذلك، قال فى «تاج العروس» فى مادة «طبر»: طبرستان بلاد عظيمة، منها دهستان، و جرجان، و استرآباد، و آمل، و النسبة إليها «طبرى» «۲».

قال فى «معجم البلدان»: النسبة إلى طبرستان «الطبرىّ»، و أمّا «الطبريّة» فالنسبة إليها «الطبرانى» على غير قياس، فكأنّه لمّا كثرت النسبة بالطبرىّ إلى طبرستان أرادوا التفرقة بين النسبتين، فقالوا «طبرانى» إلى طبرية، كما قالوا

---

(۱) شرح ابن عقيل: ۲- ۳۹۱) طبع مصر).

(۲) تاج العروس: مادة «طبر».

تذكرة الأعيان، ص: ۱۳۹

«صنعانى» بالنسبة إلى صنعاء «۱».

فقد تحقّق بذلك أنّ الكلمة غير منسوبة إلى طبرستان، فيتعيّن كونها منسوبة إلى نفس «طبرس» و أمّا تعيين ذلك المكان و أين يقع من بلاد إيران، فيحدّثنا المؤرخ أبو الحسن على بن زيد البيهقى المعروف بابن فندق المتوفّى سنة (۵۶۵ ه) فى تاريخ بيهق المؤلّف باللغة الفارسيّة، أنّ «طبرس» رستاق واقع بين قاشان و أصفهان، و أنّ الشيخ الطبرسى صاحب التفسير من ذلك المكان «۲».

و قد ذكر الحسن بن محمّد بن الحسن القمى المعاصر لابن العميد فى تاريخ قم، تلك الناحية فعبّر عنها ب «طبرس» و أُخرى رستاق «طبرش» و لعلّ فى تبديل الشين إلى السين و التلفّظ ب «طبرس» مكان «طبرش» لأجل إكمال التعريب، و لا ينطبق هذا المكان الأعلى بلدة «تفرش» التى هى واقعة بين «قم» و «أراك» و لعلّ تعبير البيهقى بأنّها واقعة بين قاشان و أصفهان، غير دقيق.

و لكنّ الجارى على الألسن عند التعبير عن هذه البلدة هو «تفريش» بكسر الراء و إضافة الياء، و لعلّ التغيير طرأ عند التعريب «۳».

---

(۱) معجم البلدان: ۴- ۱۸) طبع دار إحياء التراث العربى).

(۲) تاريخ بيهق: ۲۴۲ ۲۴۳، و قد ذكر هذا الكلام فى ترجمته للشيخ الطبرسى مؤلّف التفسير و يظهر من عبارته أنّه كان بينهما معاشرة، حيث إنّ الشيخ الطبرسى قطن فى بيهق مدّة من الزمن، و استمرّت زمالتهما.

(۳) و من أراد التبسّط فى تحقيق الحال، فليرجع إلى تعاليق الأستاذ أحمد بهمنيار على تاريخ بيهق و مذكّرات الأستاذ محمّد القزوينى: ۵- ۲۸۵، و مقدّمة الشهيد السيد محمد على القاضى الطباطبائى على «جوامع الجامع» للشيخ أبى على الطبرسى مؤلّف مجمع البيان (طبعة تبريز).

تذكرة الأعيان، ص: ۱۴۰

۶- أبو الحسن على بن الحسن بن أبى المجد الحلبى (من أعيان القرن السادس)

العقيدة و الشريعة أو الفقه الأكبر و الفقه الأصغر

اشارة

يعتمد الإسلام فى دعوته العالمية، على العقيدة و الشريعة من دون تفريق و فصل بينهما.

فبالدعوة إلى الأُولى يغذّى العقل و الفكر، و يرفع الإنسان إلى سماء الكمال، و يصونه عن السقوط فى مهاوى الشرك و الوثنية، و عبادة غير اللّه سبحانه، و يلفت نظره إلى مبدئه و مصيره، و انّه من أين جاء و لماذا جاء، و إلى أين يذهب.

و بالدعوة إلى الثانية يمهد طريق الحياة له و يضيئ دُروبها الموصلة إلى سعادته الفردية و الاجتماعية، الدنيوية و الأُخروية.

و الجدير بالذكر هو أنّ الإسلام لا يفرّق بين العقيدة و الشريعة، و ينـدد بالذين يكرسون اهتمامهم فى العقيدة دون الشريعة، و يختصرون الدين فى الايمان المجرّد عن العمل، بل يرى أنّ ترك العمل قد يؤدى إلى زوال العقيدة، و يقول سبحانه: (ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللّهِ) «۱»

---

(۱) الروم: ۱۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۴۱

و فى نفس الوقت يندد بالذين يحطّون من شأن العقيدة و يعكفون على العمل و العبادة من دون تدبّر فى غاياتها، و مقاصدها، و التفكير فى الآمر بها، و تتلخص العبادة عندهم فى السجود و الركوع فقط و يغفلون عن قوله سبحانه: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النّارِ) «۱» و تأكيداً لهذه الصلة بين العلمين، قام لفيف من علمائنا القدامى و المتأخرين بالجمع بينهما حتى فى التأليف، فكان الفقه الأكبر (العقائد) إلى جانب الفقه الأصغر (الاحكام).

نذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر: ۱- السيد الشريف المرتضى (۳۵۵ ۴۳۶ ه) صاحب الآثار الجليلة.

فقد جمع بين العلمين فى كتابه المسمى ب «جمل العِلم و العمل».

و قد تولى شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسى (۳۸۵ ۴۶۰ ه) شرح القسم الكلامى منه و أسماه: «تمهيد الأصول» و قد طبع و نشر.

كما تولى تلميذه الآخر القاضى ابن البراج (۴۰۱ ۴۸۱ ه) شرح القسم الفقهى منه و أسماه: «شرح جمل العلم و العمل» و قد طبع أخيراً.

۲- الشيخ أبو الصلاح تقى الدين الحلبى (۳۷۴ ۴۴۷ ه) فقد ألّف كتاباً باسم: «تقريب المعارف فى العقائد و الأحكام» و قد طبع و نشر.

۳- أبو المكارم عزّ الدين حمزة بن على بن زهرة الحلبىّ (۵۱۱ ۵۸۵ ه) مؤلف: «غنية النزوع» فقد أدرج فى كتابه العقائد و أُصول الفقه و الأحكام.

۴- علاء الدين أبو الحسن على بن الحسن بن أبى المجد الحلبى من أعلام القرن السادس الهجرى.

---

(۱) آل عمران: ۱۹۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۴۲

۵- المحقق الفقيه الشيخ جعفر النجفى المعروف بكاشف الغطاء (۱۱۵۶ ۱۲۲۸ ه) مؤلف كتاب «كشف الغطاء» حيث ضم إلى جانب

الفقه مباحث هامة كلامية و أصولية لا يستغنى عنها الباحث، و بذلك أثبت أنّ العمل ثمرة العقيدة، و قرينها تكويناً و تشريعاً.

إلى غير ذلك من تآليف على هذا النمط يطول الكلام بذكرها.

فقد ألّف كتابه هذا المسمى ب «إشارة السبق إلى معرفة الحق» على هذا المنوال، و قد طبع الكتاب فى ضمن «الجوامع الفقهية» عام ۱۲۷۶ ه بالطبعة الحجرية، و أعيد طبعه بصورةٍ محقّقةٍ مصححة بهيّة.

ترجمة المؤلّف:

إنّ التاريخ قد بَخس المؤلف حقّه حيث لم يذكر عنه شيئاً جديراً بشخصيته العلميّة الممتازة، و لم يكن المؤلف هو الوحيد الذى أصابه هذا البخس، فكم له من نظير فى تاريخ علمائنا.

هذا هو الفقيه الطائر الصيت عز الدين الحسن بن أبى طالب اليوسفى الآبىّ مؤلّف «كشف الرموز» «۱» شرحاً على كتاب «النافع» للمحقق، فلا تجد لذلك الفقيه الكبير الذى يعرب كتابه عن تضلّعه فى الفقه ترجمة ضافية لائقة بشخصيته، إلّا جملًا عابرة فلا عتب علينا إذا لم نوفق لأداء حق مؤلفنا فلنذكر ما وقفنا عليه من جمل الإطراء و عبارات الثناء عليه:

۱- قال المحقق الشيخ أسد اللّه التسترى (المتوفّى ۱۲۳۴ ه) صاحب المقابس:

---

(۱) فرغ من تأليف كتابه عام ۶۷۲ ه و لا نعلم من ترجمته غير أنّه تلميذ المحقّق (المتوفى عام ۶۷۶ ه).

تذكرة الأعيان، ص: ۱۴۳

و منها ابن أبى المجد الشيخ الفقيه المتكلّم النبيه علاء الدين أبو الحسن على ابن أبى الفضل بن الحسن بن أبى المجد الحلبى نور اللّه مرقده و هو صاحب كتاب «إشارة السبق إلى معرفة الحق» فى أُصول الدين و فروعه إلى الأمر بالمعروف، و تاريخ كتابة نسخته الموجودة عندى سنة ثمان و سبعمائة، و يظهر من الأمارات أنّها كانت عند صاحب «كشف اللثام» و أنّ هذا الكتاب هو الذى يعبّر عنه فيه بالإشارة «۱» ۲- و قال الخوانسارى: أنّ «إشارة السبق إلى معرفة الحق» الذى يعبر عنها لمتأخرون بالإشارة، هو مختصر فى أُصول الدين و فروعه إلى باب الأمر بالمعروف فهو بنصّ الفاضل الهندى، و صاحب الرياض و غيرهما تصنيف الشيخ علاء الدين أبى الحسن بن أبى الفضل الحسن بن أبى المجد الحلبى، ثم نقل عبارة صاحب «مقابس الأنوار» التى تقدمت «۲» ۳- و قال الشيخ حبيب اللّه الكاشانى: منهم علاء الدين و هو على بن أبى الفضل بن الحسن بن أبى المجد الحلبى، كان متكلماً و من مصنفاته كتاب «إشارة السبق» «۳» ۴- قال شيخنا الطهرانى: على بن الحسن ابن أبى المجد الحلبى علاء الدين أبو الحسن مؤلف كتاب «إشارة السبق إلى معرفة الحق» المطبوع فى مجموعة «الجوامع الفقهية» فى ۱۲۷۶ ه.

قال صاحب المقابس: إنّ تاريخ كتابة النسخة الموجودة عنده ۷۰۸ ه و كنية والده أبو الفضل بن أبى المجد «۴»

---

(۱) مقابس الأنوار: ۱۲ مؤسسة آل البيت، قم.

(۲) روضات الجنات: ۲- ۱۱۴، و أوعز إليه أيضاً فى ج ۴ ص ۳۵۶.

(۳) لباب الألقاب فى ألقاب الأطياب: ۲۱.

(۴) طبقات أعلام الشيعة النابس فى القرن الخامس: ۱۱۹.

و كان اللازم أن يذكره فى قسم سادس القرون لا خامسها.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۴۴

۵- و قال فى الذريعة: «إشارة السبق إلى معرفة الحق» فى أُصول الدين و فروعه العبادية من الطهارة إلى آخر الأمر بالمعروف و النهى

عن المنكر، للشيخ علاء الدين أبى الحسن على بن أبى الفضل الحسن بن أبى المجد الحلبى.

ترجمه سيدنا الحسن صدر الدين فى التكملة «۱» و ذكر صاحب الروضات تصريح الفاضل الهندى، و صاحب رياض العلماء بنسبة الكتاب إليه، و ذكر أنّ نسبته إلى الشيخ تقى الدين بن نجم الدين الحلبى كما ذكر البعض نشأت من الاشتراك فى النسبة إلى حلب، و قال الشيخ أسد اللّه فى المقابس: إنّ النسخة الموجودة عندى من هذا الكتاب تاريخ كتابتها سنة ۷۰۸، و طبع ضمن مجموعة تسمى «الجوامع الفقهية» سنة ۱۲۷۶ ه «۲».

و الإمعان فى الكتاب يُورث الاطمئنان بأنّه كان من فقهاء القرن السادس الذين ظهروا بعد الشيخ الطوسى و عاصروا الشيخ الطبرسى (المتوفّى ۵۴۸ ه) و عمادالدين محمد بن على بن حمزة الطوسى (المتوفّى بعد سنة ۵۶۶ ه)، و قطب الدين الراوندى (المتوفّى ۵۷۳ ه) مؤلف «فقه القرآن»، و قطب الدين محمد بن الحسن الكيدرى البيهقى الذى كان حيّاً إلى سنة ۵۷۶ ه، مؤلف كتاب «الإصباح»، و رشيد الدين محمد بن على بن شهرآشوب (المتوفّى ۵۸۸ ه).

إلى غير ذلك من نوابغ القرن السادس الذى احتفل التاريخ، و كتب التراجم بأسمائهم و أسماء كتبهم و تآليفهم.

و المؤلف من مدينة حلب الشهباء أكبر مدينة سؤرية بعد دمشق التى تبعد عن الحدود التركية قرابة خمسين كيلو متراً، و قد فتحها المسلمون سنة ۱۶ ه، و قد أنشأ سيف الدولة الحمدانى الدولة الحمدانية فيها، و جعل عاصمتها حلب،

---

(۱) و هذا القسم من التكملة بعد مخطوط، و أمّا المطبوع فيرجع إلى علماء جبل عامل.

(۲) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ۲- ۹۹.

و دخلت مدينة حلب آن ذاك فى عهد جديد و هو عهد أمجادها التى لم تشهد لها مثيلًا، و أصبحت مركزاً ثقافياً و علمياً و عسكرياً من أعظم المراكز التى عرفها الإسلام، و قد وفد كبار الشعراء و العلماء على بلاط سيف الدولة، فصار ملتقى رجال العلم و الفكر الذين وجدوا فى العاصمة حامياً لهم.

و ينسب إلى حلب من رواة الشيعة الأقدمين آل أبى شعبة، فى أواسط المائة الثانية، و هذا البيت بيت كبير نبغ فيه محدّثون كبار، منهم الحسن بن على (المعروف بابن شعبة) من علماء القرن الرابع مؤلف «تحف العقول».

و كان فى حلب سادات آل زهرة و كانوا نقباء، و خرج منهم جملة من العلماء منهم السيد أبو المكارم: صاحب «الغنية» و قبره بسفح جبل «جوشن» إلى اليوم، و ذرية بنى زهرة موجودة إلى الآن فى قرية الفوعة من قرى حلب «۱» و قد طلع من تلك المدينة فى القرنين الرابع و الخامس فحول من فقهاء الشيعة نذكر أسماء بعضهم:

۱- على بن الحسن بن شعبة، من أعلام القرن الرابع، مؤلف «تحف العقول».

۲- أبو الصلاح تقى الدين، (۳۷۴ ۴۴۷ ه) مؤلف كتاب «الكافى».

۳- حمزة بن على بن زهرة (۵۱۱ ۵۸۵ ه) صاحب «غنية النزوع».

۴- السيد جمال الدين أبو القاسم عبد اللّه بن علىّ بن حمزة (۵۳۱ ۵۸۰ ه) أخو أبى المكارم حمزة بن على.

إلى غيرهم من الفطاحل الاعلام الذين أنجبتهم تلك التربة الخصبة بالفكر و الفضيلة.

---

(۱) دائرة المعارف الشيعية: ۳ ۳۶- ۱۷.

الماع إلى كتاب إشارة السبق:

الكتاب مجموعة من المعارف و الأَحكام و قد بسط الكلام فى الأَوّل و اختصر فى الثانى، فحرر أحكام الطهارة و الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و الأَمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و ختم الكلام مشعراً بأنّه قد فرغ عمّا قصده، و يعرب أنّ الكتاب كان رسالة عملية للمؤلف و قد كتبه بصورة واضحة و إن كانت براهينه فى المعارف مشرقة عالية لا يتحملها إلّا الأَمثل فالأَمثل.

و ختاماً، نرجو من اللّه سبحانه أن يتغمد المؤَلف الفقيه برحمته الواسعة.

كما نرجو منه سبحانه أن يوفق المسلمين للعودة إلى إحضان الفقه الإِسلامى، و الأَخذ بأحكام الشريعة فى جميع المجالات، و نبذ القوانين الوضعية الكافرة المستوردة.

و قد تمّ تحقيق الكتاب فى مؤَسسة الامام الصادق- عليه السلام- و قامت بنشره مؤَسسة النشر الإِسلامى المعروفة بغزارة الإِنتاج العلمى.

حيّا اللّه رجال العلم و الفقه، و الاجتهاد من أبناء أُمّتنا الإِسلامية المجيدة.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۴۷

۷- السيد أبو المكارم حمزة بن على الحسينى ابن زهرة الحلبى (۱۱۵- ۵۸۵ ه)

التشيّع فى حلب عبْر القرون و ترجمة المؤَلف

اشارة

انتشر الإِسلام فى عصر النبىّ- صلى الله عليه و آله و سلم- فى الجزيرة العربية، كما انتشر بعد رحيله فى شتّى الأَقطار و ما ذلك إلّا لأنّه دين الفطرة، يدعو إلى عبادة ربّ واحدٍ، لا شريك له، و نبذ عبادة الأَصنام، و الحجر و البشر، و إلى العدل و المساواة، و كلّ عمل و خلق حسن، و ينهى عن كلّ خلق و عمل قبيح، إلى غير ذلك ممّا يرفع الإِنسانَ عن حضيضِ الحيوانيّة إلى ذروة الكمال.

و والاه التشيّع فى الانتشار بسرعة فى الأَقطار الإِسلامية، و ما ذلك إلّا لأَنّ أكثر المهاجرين و الأَنصار كانوا يشايعون عليّاً- عليه السلام- و يحاربون معه لا سيما فى الحروب التى نشبت أيام خلافته.

فبعد ما نزل الإِمام بالكوفة، انتشر التشيّع فى العراق.

و لما غادر الامام الصادق- عليه السلام- المدينةَ المنورة و نزل بالكوفة أيّام أبى العباس السفاح حيث مكث فيها مدّة سنتين، فعمِد الإِمام إلى نشر علومه، و تخرج على يديه الكثير من العلماء.

فقويت شوكةُ التشيّع و هذا الحسن الوشّاء يحكى لنا

تذكرة الأعيان، ص: ۱۴۸

ازدهار مدرسة الإِمام فى العراق فى تلك الظروف و يقول: أدركتُ فى هذا المسجد يعنى مسجدَ الكوفة تسعمائة شيخ كلّ يقول: حدثنى جعفر بن محمد «۱» و قد كان لهذه المدرسة العظيمة للإِمام أكبر الأَثر فى انتشار التشيّع فى أقطار العالم و إن كانت جذوره موجودة قبل الامام الصادق- عليه السلام- فى الشام و مصر و غيرهما و قد انتشر التشيّع بواسطة مدرسة الإِمام فى معظم الأَمصار الإِسلامية خصوصاً فى ثالث القرون و ما بعده.

و مع انّ الشام كانت معقلَ الأُمويين و دارَ خلافتهم نرى انّ التشيّع قد دبّ فيها دبيبَ الماء فى الورد، فما من بلدة أو قرية إلّا و فيها نجم لا- مع من علماء الشيعة يقتفى أثر أهل البيت و ينادى بموالاتهم التى نصّ القرآن الكريم عليها و قد كان لسماع كلمات أهل البيت- عليهم السلام- جاذبيّة خاصة فى قلوب المسلمين حيث يحنُّون إليهم حنانَ العاشق للمعشوق، لا سيما إنّهم كانوا يصلون على أهل بيت

محمّد و آله و عترته فى كلّ يوم و ليلة تسعَ مرات.

و هذا الأَمر يدفعهم إلى التعرف عليهم و الاعتناء بشأنهم.

و لهذا و ذاك، قوى انتشار التشيّع و الموالاة لأَئمّة أهل البيت فى أكثر الأَقطار الإِسلامية حتى فى معاقل الاعداء و دار خلافتهم.

حلب الشهباء و جمالها الطبيعى

من المناطق التى اعتنقت التشيعَ منذ عصور قديمة هى الشام و أخصّ منها بالذكر حلب الشهباء التى نبغ فيها كثير من بيوتات الشيعة، و تربّى فى أحضانها جيل كبير من المحدثين و الفقهاء و المتكلمين و الأُدباء من الشيعة التى ستمرّ عليك أسماء بعضهم.

و قبل التعرف عليهم، نذكر شيئاً عن هذه المدينة الزاهرة.

---

(۱) النجاشى، الرجال: ۱- ۱۳۷ رقم ۷۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۴۹

يقول ياقوت الحموى: «حَلَب» بالتحريك مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيّبة الهواء صحيحة الأَديم و الماء «۱».

و قد وصف الشعراء و الأُدباء أزهارها و أثمارها، و أشاروا إلى ضواحيها و نواحيها و ما فيها من جمال الطبيعة و كمال الصنع، و كأنّك ترى ماءها الفضيّ يجرى على تراب كالذهب.

و ترى فيها أنواعاً من الأَزهار و الفواكه كلّها تسقى بماء واحد و كأنّ الشاعر بشعره يقصد تلك البلدة إذ يقول:

صُبغت بلون ثمارها أوراقها فتكاد تُحسبُ أنّهن ثمار

و للشاعر أبى بكر الصنوبرىّ قصيدة تبلغ مائة و أربعة أبيات يصف فيها منتزهات حلب و قراها مستهلّها:

احبسا العيس احبساها و سلا الدار سلاها

و من جملتها:

أنا أحمى حلباً داراً و أحمى من حماها

أى حسن ما حوته حلبٌ أو ما حواها

إلى أن يقول:

حلب أكرم مأوى و كريم من أواها

بسط الغيثُ عليها بسط نورٍ، ما طواها

و كساها حللا، أب دع فيها إذ كساها

حللا لُحْمتها السُّوسن و الوَرْدُ سَداها

«۲»

---

(۱) ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ۲، ص ۲۸۲ و ۲۸۶.

(۲) ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ۲، ص ۲۸۲ و ۲۸۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۵۰

قال السيد الخوانسارى نقلًا عن كتاب تلخيص الآثار: انّ حلب مدينة عظيمة بأرض الشام كثيرة الخيرات، طيّبة الهواء، صحيحة التربة، لها سور حصين، و كان الخليل- عليه السلام- يحلب غنمه، و يتصدق بلبنها يوم الجمعة، و لقد خصّ اللّه هذه المدينة ببركة عظيمة من

حيث يُزرع بأرضها القطن، و السمسم، و الدخن، و الكرم، و المشمش، و التين، يسقى بماء المطر، و هى مسورة بحجر أسود، و القلعة بجانب السور لأنّ المدينة فى وطأ من الأَرض، و القلعة على جبل مدور، لها خندق عظيم، وصلَ حفره إلى الماء، و فيها مقامان للخليل- عليه السلام يزاران إلى الآن، و فى بعض ضياعها بئر إذا شرب منها من عضَّه الكلب الكلِيب برأ.

و من عجائبها سوق الزجاج لكثرة ما فيها من الظرائف اللطيفة، و الآلات العجيبة «۱».

التشيّع فى حلب عبْر القرون

دخل التشيّع فى حلب قبل عهد الحمدانيين (۲۹۳ ۳۹۲ ه) و لكنّه انتشر و قوى فيها على عهدهم و ذلك لانّ الدولة الحمدانيّة كانت من الدول الشيعيّة، يجاهرون بالتشيّع و ينصرونه و كانوا يكرمون الأُدباء و الشعراء و العلماء و المحدثين، لا سيما الذين يجاهرون منهم بالتشيّع و ولاء أهل البيت.

و من أبرز شعراء الحمدانيّين أبو فراس الحمدانى (۳۲۰ ۳۵۷ ه) و له القصيدة الميميّة الطائرة الصيت التى مستهلّها:

الحق مهتضم و الدين مخترم و فىء آل رسول اللّه مقتسم

---

(۱) السيد الخوانسارى، روضات الجنات: ۲- ۱۱۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۵۱

إلى أن قال:

قام النبى بها يوم الغدير لهم و اللّه يشهد و الاملاك و الأُمم

حتى إذا أصبحت فى غير صاحبها باتت تنازعها الذوَبان و الرخم

و صيّروا أمرهم شورى كأنّهم لا يعلمون ولاةَ الحقّ أيّهم

تاللّه ما جهل الأَقوامُ موضعها لكنّهم ستروا وجهَ الذى علموا

ثمّ ادعاها بنو العباس ملكهم و لا لهم قَدَم فيها و لا قِدَم

و لأَجل تلك المناصرة، و وجود المناخ المساعد، أصبح التشيّع مذهباً رائجاً فى تلك البلدة الخصبة ممتداً إلى ضواحيها كالموصل و تشهد بذلك نصوص كثير من المؤَرخين.

۱- يقول ياقوت الحموى و هو يذكر حلب: و الفقهاء يفتون على مذهب الإِمامية «۱».

۲- و قال ابن كثير الشامى فى تاريخه: كان مذهب الرفض فيها فى أيّام سلطنة الأَمير سيف الدولة بن حمدان رائجاً رواجاً تاماً.

۳- و قال مؤَلف نهر الذهب: لم يزل الشيعة بعد عهد سيف الدولة فى تصلّبهم حتى حلّ عصبتَهم و أبطل أعمالهم نورُ الدين الشهيد (۵۴۳) و من ذلك الوقت ضعف أمرهم غير انّهم ما برحوا يجاهرون بمعتقداتهم إلى حدود (۶۰۰) فأخفوها.

ثمّ ذكر أنّ مصطفى بن يحيى بن حاتم الحلبى الشهير ب «طه زاده» فَتك بهم فى حدود الالف فاخفوا أمرهم، و ذكر بعض ما يفعله الحلبيّون مع الشيعة من

---

(۱) ياقوت الحموى، معجم البلدان: ج ۲، ص ۲۷۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۵۲

الأَعمال الوحشية و المخازى و القبائح التى سوّدت وجه الإِنسانية و يخجل القلم من نقلها.

و قال القاضى المرعشى: «أهل حلب كانوا فى الأَصل شيعة و إلى أواخر زمان الخلفاء العباسية كانوا على مذهب الإِمامية، و قد أُجبروا

فى زمان انتقال تلك الولاية إلى حكم السلاطين العثمانية على ترك مذهبهم» و ما مرّ من فعل (طهزاده) يؤَيد ذلك فإن استيلاء العثمانيين على حلب كان فى أوائل المائة العاشرة.

و قال مؤَلّف نهر الذهب: انّه لم يزل يُوجد فى حلَب عدّة بيوت معلومة يقذفهم بعض الناس بالرفض و التشيّع و يتهابون الزواج معهم مع أنّ ظاهرهم على كمال الاستقامة و موافقة أهل السنة «۱».

۴- و قال ابن كثير: لما سار صلاح الدين إلى حلب فنزل على جبل جوشن، نُودى فى أهل حلب بالحضور فى ميدان باب العراق فاجتمعوا فأشرف عليهم ابن الملك نورُ الدين فتودّد إليهم و تباكى لديهم و حرّضهم على قتال صلاح الدين و ذلك عن إشارة الأُمراء المقدّمين فأجابه أهل البلد بوجوب طاعته على كلّ أحد و شرط عليه الروافض منهم أن يعاد الأَذانَ بحيّ على خير العمل، و أن يذكر فى الأَسواق و أن يكون لهم فى الجامع، الجانبَ الشرقى، و أن يذكر أسماء الأَئمّة الاثنى عشر بين يدى الجنائز، و أن يكبروا على الجنازة خمساً، و أن تكون عقود أنكحتهم إلى الشريف أبى طاهر أبى المكارم حمزة بن زاهر «۲» الحسينى فأجيبوا إلى ذلك

---

(۱) السيد الأَمين، أعيان الشيعة: ج ۱، ص ۲۰۱.

(۲) كذا فى المصدر و الصحيح «زهرة».

تذكرة الأعيان، ص: ۱۵۳

كلّه، فأذِّن بالجامع و سائر البلد بحيّ على خير العمل «۱».

و نقل السيد الأَمين عن أعلام النبلاء عن كتاب الروضتين، عن ابن أبى طى انّه قال: فأذّن المؤَذنون فى منارة الجامع و غيره بحيّ على خير العمل، و صلّى أبى فى الشرقى مُسبّلا، و صلّى وجوه الحلبيين خلفه و ذكروا فى الأَسواق و قُدام الجنائز أسماء الأَئمّة و صلّوا على الأَموات خمس تكبيرات، و أُذن للشريف ابن زهرة أن يكون عقود الحلبيين من الإمامية إليه و فعلوا جميع ما وقعت الايمان عليه «۲».

۵- قال ابن كثير: إنّ بدر الدولة أبا الربيع سليمان بن عبد الجبار بن أرتق صاحب حلب لما أراد بناء أوّل مدرسة للشافعية بحلب لم يمكِّنه الحلبيون، إذ كان الغالب عليهم التشيَع.

إنّ ابتداء إمرة سليمان هذا فى حلب نيابة عن عمّه «ايلغارى» بن ارتق، كان سنة ۵۱۵ ه و انتهاؤها ۵۱۷ و إنّ تلك المدرسة تسمى «الزجاجية» و انّه كلما بنى فيها شىء نهاراً خرّبه الحلبيون ليلًا إلى أن أعياه ذلك، فاحضر الشريف زهرة بن على بن إبراهيم الاسحاقى الحسينى و التمس منه أن يباشر بناءها فكفّ العامة عن هدم ما يبنى، فباشر الشريف البناء ملازماً له حتى فرغ منها «۳».

و خرج من حلب عدّة من علماء الشيعة و فقهائهم منهم الشيخ كردى بن عكبرى بن كردى الفارسى الفقيه الثقة الصالح، كان يقول: بوجوب الاجتهاد عيناً

---

(۱) ابن كثير: البداية و النهاية: ۱۲- ۳۰۹ حوادث سنة ۵۷۰ و فى غير واحد من المعاجم، كالرياض ۲- ۲۰۸.

تبعاً لمجالس المؤمنين: ۱- ۶۳ و قد صحِّف فيهما لفظ السبعين بسبع فلاحظ.

(۲) السيد الأَمين: أعيان الشيعة: ج ۶، ص ۲۵۰، ترجمة ابن زهرة.

(۳) السيد محسن الأَمين: أعيان الشيعة: ۷- ۶۹، و زهرة المذكور جدّ المؤَلّف فيعرب عن مكانة المؤَلف فى عصره حيث كان رئيساً مطاعاً.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۵۴

و عدم جواز التقليد قرأ على الشيخ الطوسى و بينهما مكاتبات و سؤالات و جوابات «۱».

و منهم الفقيه المقدام أبو الصلاح تقى بن نجم الحلبى (۳۷۴ ۴۴۷) مؤَلف «الكافى»، و «التهذيب» و «المرشد» و «تقريب المعارف»، و

قد طبع الأول و الأخير و غيرها.

و قد كانت الصلة بين شيعة حلب و شيعة الكوفة وثيقة جدّاً و لأجل ذلك نرى انّ بعض البيوت العراقية ينتسب إلى حلب و ما ذلك إلّا لوجود الصلة التجارية أو العلمية بين البلدين، فهذا هو عبيد اللّه بن على بن أبى شعبة المعروف بالحلبى و ما هو إلّا أنّه كان يتجر هو و أبوه و اخوته إلى حلب فاشتهروا بالحلبيّين.

و عبيد اللّه هذا من فقهاء الشيعة فى القرن الثانى و له كتاب يرويه أصحابنا عنه «۲» و رواياته مبثوثة فى المعاجم الحديثية.

هذا بعض ما كان للشيعة من الشأن فى تلك التربة الزاهرة و أمّا مصيرهم فى القرون فقد حدّث عند المؤَرخون و قد مرّ تصريح بعضهم بما جرى على شيعة آل البيت من المجازر فيها.

و لنشير إلى النزر اليسير منها و نترك الكثير إلى مجال آخر.

إنّ تاريخ الشيعة تاريخ حافل بالتضحيات حيث إنّهم عاشوا بين الخوف و الرجاء، و بين الحجر و المدر، و قد تعامل معهم الأُمويّون و العباسيّون بشكل يَندى له جبين البشرية، فلم يكن السبب وراء ذلك إلّا عدم تحالفهم مع الظالمين، و مع ذلك فبقاء الشيعة اليوم يعدّ من أكبر المعاجز و من خوارق العادات، إذ لم يشهد التاريخ أُمة أصابها النوائب و المظالم و القتل الذريع مثل ما أصابت شيعة أهل البيت و مواليهم، و لو انّك وقفت على ما فى طيات كتب التاريخ لضُقتَ ذرعاً

---

(۱) الخوانسارى: روضات الجنات ج ۲، ص ۱۱۵.

(۲) النجاشى، الفهرست ترجمة عبيد اللّه، رقم ۶۴۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۵۵

و لملئت ممّا جاء فيها رُعباً.

۶- قال كرد على فى خطط الشام: كان أهل حلب سنة حنفية، حتى قدم الشريف أبو إبراهيم الممدوح فى عهد سيف الدولة فصار فيها شيعة و شافعية، و أتى صلاح الدين، و خلفاؤه فيها على التشيّع، كما أتى عليه فى مصر، و كان المؤَذن فى جوامع حلب الشهباء يؤَذّن بحيّ على خير العمل، و حاول السلجوقيون مرات، القضاء على التشيّع، فلم يوفَّقوا إلى ذلك، و كان حكم بنى حمدان و هم شيعة، من جملة الأَسباب الداعية إلى تأصل التشيّع فى الشمال، و لا يزال على حائط صحن المدفن الذى فى سفح جبل «جوشن» بظاهر حلب ذكر الأَئمّة الاثنى عشر، و قد خرب الآن «۱».

۷- و قال ابن جبير: للشيعة فى هذه البلاد أُمور عجيبة، و هم أكثر من السنيين بها، و قد عموا البلاد بمذاهبهم «۲».

دخل صلاح الدين الايوبى إلى حلب عام ۵۷۹ و حمل الناس على التسنن و عقيدة الأَشعرى و لا يُقدَّم للخطابة و لا للتدريس إلّا من كان مقلِّداً لأَحد المذاهب الأَربعة، و وضع السيف على الشيعة فقتلهم و أبادهم مثل عمله فى مصر، إلى حدّ يقول الخفاجى فى كتابه: «فقد غالَ الايوبيّون فى القضاء على كلّ أثر للشيعة» «۳».

و بما انّه سبحانه شاء أن يبقى التشيّع فى حلب، نرى أنّ الدولة الايوبيّة لم تتمكن من القضاء على التشيّع فيها تماماً بل بقى مع ما أصابه من الكوارث و المحن.

---

(۱) كرد على خطط الشام: ۶- ۲۵۸.

(۲) ابن جبير، الرحلة، ص ۲۵۰ ط مصر.

قام برحلته هذه عام ۵۸۱ و استغرقت ثلاث سنوات.

(۳) الخفاجى: الأَزهر فى ألف عام: ۱- ۵۸.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۵۶

۸- هذا هو ياقوت الحموى يكتب عن حلب عام ۶۳۶ ه أى بعد دخول الايوبى لها بسبع و خمسين سنة ما لفظه: و عند باب الجنان مشهد على بن أبى طالب رضى اللّه عنه، رُئى فيه فى النوم، و داخل باب العراق مسجدُ غوث، فيه حجر عليه كتابة زعموا انّها خطّ على بن أبى طالب- عليه السلام- و فى غربى البلد فى سفح جبل جوشن قبر المحسِن بن الحسين يزعمون انّه سقط لما جيء بالسبى من العراق ليُحْمَل إلى دمشق، أو طفل كان معهم بحلب فدفن هنالك، و بالقرب منه مشهد مليح العمارة تعصب الحلبيون، و بنوه أحكمَ بناءٍ، و أنفقوا عليه أموالًا، يزعمون أنّهم رأوا علياً عليه السلام- فى المنام فى ذلك المكان «۱».

هكذا استمر التشيّع فى حلب رفيع البناء، لم يقلعه تلك الهزّاتُ العنيفة، و لم تقوّضه تلك العواصف الشديدة، إلى أن أفتى الشيخ نوح الحنفى «۲» بكفر الشيعة و استباحة دمائهم و أموالهم، تابوا أو لم يتوبوا، فزحفوا على شيعة «حلب» و أبادوا منهم أربعين ألفاً أو يزيدون، و انتهبتْ أموالهم، و أُخرج الباقون منهم من ديارهم إلى «نبل» و «النغاولة» و «أُمّ العمد» و «الدلبوز» و «الفوعة» و غيرها من القرى، و اختبأ التشيّع فى أطراف حلب فى هذه القرى و البلدان.

۹- هاجم الأَمير ملحم بن الأَمير حيدر، بسبب هذه الفتوى جبل عامل عام ۱۰۴۸ فانتهك الحرمات و استباح المحرمات يوم وقعة قرية «أنصار» فلا تسأل عمّا أراق من دماء، و استَلب من أموال، و انتهك من حريم، فقد قتل ألفاً و خمسمائة، و أسر ألفاً و أربعمائة، فلم يرجعوا حتى هلك فى الكنيف ببيروت.

فياللّه من هذه الجرأة الكبرى على النفوس و الأَعراض، و من تلك الفتيا، الّتى غرّرت بأُولئك على تلك الفظائع و الجرائم «۳».

---

(۱) ياقوت الحموى، معجم البلدان: ۲- ۲۸۴.

(۲) كان مفتى قونية فى عصر الخلافة العثمانية توفى عام ۱۰۷۰.

اقرأ ترجمته فى الإعلام للزركلى: ۸- ۵۱.

(۳) محمد حسين المظفر، تاريخ الشيعة، ص ۱۴۷.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۵۷

۱۰- و لم يكن ذلك الفتك الذريع أوّل تصفية جسدية للشيعة، بل صُبّت عليهم قوارع فى دار الخلافة، قبل قرنين بالوحشية التامة يَنْدى لها جبين الإِنسانية.

فقد قتل السلطان سليم فى الاناضول وحدها أربعين ألفاً، و قيل سبعين لا لشيء إلّا أنّهم شيعة «۱».

ما أقبحها من عصبية و ما أقساها.

ترى أ كان يسوغ فى شريعة الإِنصاف أن يُسام قوم يدينون بدين الحقّ، و يتّبعون أوصياء النبيّ الشرعيين الّذين أوصى النبيّ- صلى الله عليه و آله و سلم بموالاتهم و محبتهم، و يمنعوا من أبسط حقوقهم الإِنسانية و هى حرّية الرأى و المعتقد، خاصة إذا كان ذلك المعتقد من النوع الذى يأخذ بصاحبه إلى الفضيلة و الطهر، و الإِنسانية و الكمال؟! ترى أ كان يسوغ أن تمنع جماعة يحترمون وصية النبيّ صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم فى ذريته و خلفائه الأَبرار، من أداء شعائرهم النابعة من الكتاب و السنة إلّا فى غطاء التقية؟! و إذا كانت التقية أمراً قبيحاً فعمل من حملهم عليها أقبح.

و هذا هو العالم الشاعر إبراهيم يحيى «۲» يصف مظالم «جزار» والى عكا و فظائعه على الشيعة فى جبل عامل تلك المنطقة الخصبة بالعلم و الفضل، و جمال الطبيعة و كانت و لم تزل داراً للشيعة منذ عصور، تلمع كشقيقتها «حلب» فى خريطة الشامات و قد صوّر الشاعر ما جرى عليهم فى قصيدته على وجه يدمى الأَفئدة و القلوب، و قد هاجر من موطنه إلى دمشق و نظم فيها القصيدة الميميّة نقتطف منها ما يلى:

(۱) محمد جواد مغنية، الشيعة و الحاكمون، ص ۱۹۴ نقلًا عن أعيان الشيعة.

(۲) اقرأ ترجمته فى الجزء الثانى من دائرة المعارف اللبنانية لرئيس الجامعة اللبنانية فؤَاد البستانى.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۵۸

يعزّ علينا أن نروحَ و مصرنا لفرعونَ مغنى يصطفيه و مغنم

منازلُ أهل العدل منهم خليّة و فيها لأَهل الجور جيش عرمرم

و عاثت يدُ الأَيام فينا و مجدنا و بالرغم منى أن أقول مهدَّم

و لست ترى إلّا قتيلًا و هارباً سليباً و مكبوباً يغلّ و يزغم

و كم علَم فى عامل طُوّحت به طوائح خطب جرحها ليس يلَام

و أصبح فى قيد الهوان مكبّلًا و أعظمُ شيء عالم، لا يعظّم

و كم من عزيز ناله الضيم فاغتدى و فى جيده حبل من الذلّ محكم

و كم هائم فى الأَرض تهفوا بلبّه قوادم أفكار تغور و تتهم

و لما رأيتُ الظلم طال ظلامه و انّ صباح العدل لا يتبسم

ترحلتُ عن دار الهوان و قلما يَطيب الثوى فى الدار و الجار، أرقم

تملكها و الملك للّه فاجر سواء لديه ما يحلّ و يحرم

عتلّ زنيم، يُظهر الدين كاذباً و هيهات أن يخفى على اللّه مجرم «۱»

نسب المؤَلف

اشارة

اتّفقت كلمة المترجمين على أنّ نسبَه ينتهى إلى الامام الصادق- عليه السلام-، و لكن اختلفوا فى عددِ الوسائط فذكر الأَفندىّ التبريزى نسبَه بالنحو التالى: السيد عز الدين أبو المكارم حمزة بن على، بن أبى المحاسن زهرة، بن أبى على الحسن، بن أبى المحاسن زهرة، بن أبى المواهب على، بن أبى سالم محمد، بن

(۱) محمد جواد مغنية، الشيعة و الحاكمون، ص ۱۹۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۵۹

أبى إبراهيم محمد النقيب، بن على، بن أبى على أحمد، بن أبى جعفر محمد، بن أبى عبد اللّه الحسين، بن أبى إبراهيم إسحاق المؤتمن، بن أبى عبد اللّه جعفر بن محمد الصادق- عليهم السلام- الحسينى الحلبى، و قال: هذا الذى ذكرناه، من نسبه هو الموجود فى المواضع المعتبرة، و رأيت فى أواخر بحث أُصول الفقه من بعض نسخ الغنية له، نسبه هكذا: السيد أبو المكارم حمزة، بن على، بن زهرة، بن على، بن محمد، بن أحمد، بن محمّد، بن الحسين، بن إسحاق بن جعفر الصادق- عليه السلام-، و لعلّ فيه اختصاراً كما هو الشائع فى الأَنساب «۱» و على ما ذكره يصل نسب المؤَلف إلى الامام الصادق- عليه السلام- باثنتى عشرة واسطة.

و قد ذكر شيخ الباحثين الطهرانى نسبه بالنحو المتقدم و كأنّه تبع صاحب الرياض «۲».

و يقول السيد الخوانساری: السيد بن زهرة الحلبی ينتهی نسبه إلی الامام جعفر بن محمد الصادق باثنتی عشرة واسطة سادات أجلاء «۳».

نعم حكی السيد الأَمين عن كتاب اعلام النبلاء «أنّه قد أبقت أيدی الزمان قبر المترجم فی تربته الكائنة فی سفح جبل جوشن جنوبیّ المشهد، و بينها و بين التربة أذرع و قد كانت تلك التربة مردومة فاكتشفت فی جمادی الأُولی سنة ۱۲۹۷ و قد حاط جميل باشا ما بقی من هذه التربة بجدران حفظاً لها، و قبر المترجم ظاهر فيها و علی أطرافه كتابة حسنة الخط هذا نصه: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم: هذه تربة الشريف الأَوحد ركن الدين أبی

---

(۱) الأَفندی التبريزی، الرياض: ج ۲، ص ۲۰۲.

(۲) الطهرانی، طبقات أعلام الشيعة القرن السادس، ص ۸۷.

(۳) الخوانساری، روضات الجنات: ج ۲، ص ۳۷۴.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۶۰

المكارم حمزة، بن علی، بن زهرة، بن علی، بن محمد، بن محمد، بن أحمد، بن محمد، بن الحسين، بن إسحاق بن جعفر الصادق صلوات اللّه عليه و علی آبائه و أبنائه الأَئمّة الطاهرين و كانت وفاته فی رجب سنة ۵۸۵ ه رضی اللّه عنه «۱».

و علی ما ذكره ينتهی نسبه إلی الامام الصادق- عليه السلام- بوسائط تسع.

و ذكر العمری نسب أبی إبراهيم محمد الذی هو الجدّ السادس للمؤلف إلی الامام الصادق- عليه السلام- بالنحو التالی: أبو إبراهيم: محمد، بن جعفر، بن محمد، بن أحمد، بن الحسين، بن إسحاق، ابن جعفر الصادق- عليه السلام- «۲».

قال: و كان أبو إبراهيم لبيباً عاقلًا و لم تكن حاله واسعة، فزوجه الحسين الحرّانی، بنته خديجة المعروفة بأُمّ سلمة إلی أن قال: فأمدَّ أبا إبراهيم، الحسين الحرّانی بماله وجاهة، و نبغ أبو إبراهيم و تقدّم و خلف أولاداً سادة فضلاء، و لهم عقب منتشر بحلب «۳».

و قال الزبيدی فی تاج العروس: بنو زهرة شيعة بحلب بل سادة نقباء، علماء، فقهاء، محدثون كثر اللّه أمثالهم و هو أكبر بيت من بيوت الحسين و هم: أبو الحسن زهرة، بن أبی المواهب علی، بن أبی سالم محمد، بن أبی إبراهيم محمد الحرّانی و هو المنتقل إلی حلب و هو ابن أحمد الحجازی، بن محمد، بن الحسين، (و هو الذی وقع إلی حرّان) بن إسحاق، بن محمد «۴» المؤتمن، ابن الامام جعفر الصادق- عليه السلام- الحسينی الجعفری، و جمهور عقب إسحاق بن جعفر ينتهی إلی أبی إبراهيم المذكور» «۵».

---

(۱) السيد الأَمين، أعيان الشيعة: ۶- ۲۴۹.

(۲) العمری المجدی، ص ۹۹.

(۳) العمری المجدی، ص ۹۹.

(۴) كذا فی المصدر و الصحيح «أبو محمد»، إذ لا واسطة بين إسحاق، و الإِمام الصادق عليه السَّلام.

(۵) الزبيدی، تاج العروس: ج ۳، ص ۲۴۸) مادة زهرة).

تذكرة الأعيان، ص: ۱۶۱

و لأَجل التعرف علی بعض الشخصيات الذين شادوا هذا البيت الرفيع نذكر شيئاً من ترجمة أبيه و جدّه و نترك ترجمة الباقين من أجداده إلی مجال آخر فإنّ الإشارة إلی حياتهم تحوجنا إلی القيام بتأليف مفرد.

أبوه: علی بن زهرة

قال فى الرياض: و كان على، والـد السيد ابن زهرة هـذا من أجلة العلماء بحلب، و يروى هو عن والده زهرة الحلبى المذكور، و يروى عنه ولـده السيد ابن زهرة المذكور على ما رأيته بخطّ بعض الأَفاضل نقله عن خط الشيخ سديد الدين يوسف والد العلّامة قدّ س اللّه سرّه، و صرّح بذلك محمد بن جعفر المشهدىّ فى مزاره الكبير أيضاً.

و قـال الكفعمى فى أواخر فرج الكرب و فرج القلب: إنّ السيد العـالم على بن زهرة الحسينى طـاب ثراه ألف فى التغـاير كتاباً سـماه آداب النفس، و مراده بالتغاير ما هو مصطلح علماء البديع أعنى به ما سماه بعضهم التلطيف.

ثمّ قال: و اعلم انّ هذا السيد و أباه زهرة و أولاده يحيى و حمزة و سائر سلسلته المعروفين، كلّهم من أكابر العلماء ببلاد حلب «۱».

جدّه أبو المحاسن «۲» زهرة

قـال فى الريـاض: كان من أكابر العلماء بحلب، و يروى عنه ولـده علىّ المـذكور، و هو يروى عن ابن قولويه على ما رأيته بخطّ بعض الأَفاضل نقلًا عن خطّ الشيخ سديد الدين يوسف والد العلّامة قدّس سرّه و به صرّح الشيخ

---

(۱) الأَفنـدى التبريزى، رياض العلماء، ج ۴، ص ۹۷ و لاحـظ روضات الجنات، ج ۲، ص ۳۷۴ و طبقـات الاعلام القرن السادس، ص ۱۸۱.

(۲) اختلفت كلمـة أصـحاب المعـاجم فى كنيته، فصـاحب الرياض على أنّه «أبو المحاسن» بينما يصـرّ السـيد الأَمين على انّ كنيته «أبو الحسن» و أن الأَوّل كنية «زهرة» الثانى.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۶۲

محمد بن جعفر المشهدىّ فى المزار الكبير أيضاً، لكنّه قال: انّه يروى عن الصدوق.

و السيد زهرة الحلبى هذا هو الذى ينسب إليه سبطه حمزة المعروف بالسيد ابن زهرة و سائر أولاد زهرة و بنو زهرة معروفون «۱».

و لو كان يروى عن ابن قولويه المتوفى عام ۳۶۹ ه أو الصدوق المتوفى عام ۳۸۱ ه، فقد عاش (جدّ المؤلف) فى العقد الثانى من القرن الرابع و أدرك سنين كثيرة من القرن الخامس.

و لعلّ فى هذا الإلمام العابر، غنى و كفايةً للقارىَ فى التعرف على حياة والد المؤَلف و جدّه بوجه موجز.

لقـد ظلّ البيت، عامراً بالعلم و الفضل، و الفقه و الحديث، مُشـعاً عبْر القرون، حتى بعد مضـى مؤَلفنا الجليل الذى عاش بين (۵۱۱ ۵۸۵ ه) و مع مـا أصـابته من نكبات و نوائب تـدمى القلوب، و تهزّ المشاعر فى أواخر القرن السادس على ما عرفت فما برح البيت ساعياً فى تربية نوابغ العلم و أبطال الفقه و جهابذة الحديث حتى القرن السابع و الثامن و بعدهما و يكفيك ما نذكره فى المقام من استجازة عدّة من أعلام البيت و فقهائهم، علّامة عصره و فقيه دهره الحسن بن يوسف بن المطهر الحلى (۶۴۸ ۷۲۶ ه)، المشتهر بالعلّامة على الإِطلاق و هذا نصّ إجازته لبنى زهرة نقتطف منه ما يلى قال: بعد البسـملة و التحميد و المقدمة: و بلغنا فى هذا العصـر، ورود الأَمر الصادر من المولى الكبير، و السيد

---

(۱) الأَفندى التبريزى، الرياض، ج ۲، ص ۳۵۶ و لاحظ أعيان الشيعة، ج ۷، ص ۶۹.

أقول: نقل الجدّ عن الصدوق فضـلًا عن ابن قولويه بعيد جدّاً، لَانّ حفيده المترجم له المتوفى عام ۵۸۵ ه ينقل عنه، فكيف يصحّ لشيخه أن ينقـل عن الصـدوق المتوفى عام ۳۸۱ ه أو عن ابن قولـويه المتوفى عـام ۳۶۹ ه، إذ لاـزم ذلـك أن يكون الجـدّ من المعمّرين و لم

يذكر فى عدادهم!.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۶۳

الجليل، الحسيب النسيب، نسل العترة الطاهرة، و سلالة الأَنجم الزاهرة، المخصوص بالنفس القدسيّة، و الرياسة الإنسية، الجامع بين مكارم الأَخلاق، و طيب الاعراق، أفضل أهل عصره على الإِطلاق، علاء الملّة و الحقّ و الدين، أبى الحسن على، «۱» بن أبى إبراهيم محمد، ابن أبى على الحسن، بن أبى المحاسن زهرة، بن أبى المواهب على، بن أبى سالم محمد، بن أبى إبراهيم محمد النقيب، بن أبى على أحمد، بن أبى جعفر محمد، بن أبى عبد اللّه الحسين، بن أبى إبراهيم إسحاق المؤتمن، ابن أبى عبد اللّه جعفر الصادق صلوات اللّه و سلامه عليه ابن أبى جعفر محمد الباقر صلوات اللّه و سلامه عليه ابن أبى الحسن على زين العابدين صلوات اللّه و سلامه عليه ابن أبى عبد اللّه الحسين السبط الشهيد صلوات اللّه و سلامه عليه ابن أمير المؤمنين أبى الحسن على بن أبى طالب صلوات اللّه و سلامه عليه.

نسب تضاءلت المناسبُ دونه فضياؤه لصباحه فى فجره

أيّده اللّه تبارك و تعالى بالعنايات الإِلهية، و أمَدّه بالسعادات الربانية، و أفاض على المستفيدين من جزيل كماله كما أسبغ عليهم من فواضل نواله.

يتضمن سبب اجازة صادرة من العبد له و لأَقاربه السادات الأَماجد، المؤَيّدين من اللّه تعالى فى المصادر و الموارد، و أجوبة عن مسائل دقيقة لطيفة،

---

(۱) هكذا فى البحار المطبوع، الجزء ۱۰۴- ۶۱.

فلو حذفنا الكنى يكون نسب المستجيز هكذا: على بن محمد بن الحسن، بن زهرة و على هذا، تكون الواسطة بينة و بين زهرة اثنين و لا يخفى بعده لانّه يُصبح المستجيز تِرْب ولد المؤَلف الذى كان يعيش فى أوائل القرن السابع، و من البعيد أن يروى عن العلّامة عام ۷۲۳.

و فى البحار الجزء ۲۶- ۲۱ المطبوع عام ۱۳۱۵» علاء الدين أبو الحسن، على بن إبراهيم، بن محمد، بن أبى الحسن، بن أبى المحاسن زهرة فيكون نسبه بعد حذف الكنى هكذا: على بن إبراهيم بن محمد بن الحسن بن زهرة، فتكون الواسطة بينهما ثلاث، و لا يخلو عن بعد أيضاً.

أضف إليه ما فيه من الغلط فانّ محمّداً والد إبراهيم هو الحسن لا ابن الحسن.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۶۴

و مباحث عميقة شريفة، فامتثلت أمره رفع اللّه قدره، و بادرتُ إلى طاعته و إن استلزمت سوءَ الأَدب، المغتَفر فى جنب الاحتراز عن مخالفته، و إلّا فهو معدن الفضل و التحصيل، و ذلك غنى عن حجّة و دليل.

و قد أجزت له أدام اللّه أيّامه.

و لولده المعظم و السيد المكرم، شرف الملة و الدين أبى عبد اللّه الحسين.

و لأَخيه الكبير الامجد و السيد المعظم الممجّد بدر الدين أبى عبد اللّه محمد.

و لولديه الكبيرين المعظمين أبى طالب أحمد أمين الدين، و أبى محمد عز الدين حسن عضدهما اللّه تعالى بدوام أيّام مولانا.

أن يروى هو و هم، عنى جميعَ ما صنفته فى العلوم العقلية و النقلية أو أنشأته أو قرأته أو أُجيز لى روايته أو سمعته من كتب أصحابنا السابقين، رضوان اللّه عليهم أجمعين، و جميع ما أجازه لى المشايخ الذين عاصرتهم و استفدت من أنفاسهم.. إلى آخرها «۱».

و الإجازة مفصّلة جديرة بالمطالعة، تعرب عن تضلّع العلّامة فى غالب الفنون و العلوم، و اتصاله المستمر بالمشايخ و استجازته عن

أساتذته العلوم و الحديث و الفقه و قد أرّخها ب ۲۵ شعبان ۷۲۳.

و هذا الثناء العاطر الذى سمعناه عن العلّامة على أبناء زهرة فى القرن الثامن يُوقفنا على انّ ذلك البيت العلوى لم يزل باقياً على ذروة العلم و كان كشجرة طيّبة تؤتَى أُكلها كلّ حين بإذن ربّها إلى حدّ نرى انّ العلامة الحلى، يتواضع للمستجيز، و يعدّ سؤَاله، أمراً صادراً منه، فإذا كان هذا حال البيت فى الأَثمار و الإضاءة فى القرن الثامن فكيف حاله فى عصر المؤَلف و بعده؟ و لذلك نشير إلى شخصيات معاصرة للمؤلف كلّهم من نتاج بيته الرفيع.

---

(۱) المجلسى: البحار: ۱۰۴ ۶۲- ۶۱.

) ط بيروت).

تذكرة الأعيان، ص: ۱۶۵

أقطاب الطائفة فى عصر المؤَلّف

۱- الشريف زهرة بن على بن زهرة بن الحسن الحسينى و هو أخو الشريف أبى المكارم مؤَلفنا الجليل.

قال المقريزى فى خططه: أنشد الشريف زهرة بن على بن زهرة بن الحسن الحسينى و قد اجتاز بالمعشوق يريد الحج:

قد رأيت المعشوقَ و هو من المهجر بحال تبْو النواظر

عنه أثر الدهر فيه آثار سوء قد أدالت يد الحوادث منه

و «المعشوق» كما فى معجم البلدان: قصر عظيم بالجانب الغربى من دجلة قبالة سامراء فى وسط البرية عمره المعتمد «۱».

۲- عبد اللّه بن على بن زهرة إخوة الآخر ولد عام ۵۳۱ و توفى عام ۵۸۰.

و قد قرأ النهاية على أخيه أبى المكارم، و له كتاب التجريد لفقه الغنية عن الحجج و الأَدلة، و لعلّه لخّص كتاب أخيه «الغنية»، و له ترجمة فى غير واحد من الكتب «۲».

۳- السيد محى الدين أبو حامد محمد بن عبد اللّه بن على بن زهرة و هو ابن أخى المؤَلف، و يروى عنه، يحيى بن سعيد مؤَلف الجامع للشرائع المتوفّى عام ۶۹۰ ه، و على بن موسى بن طاوس المتوفّى سنة ۶۶۴ ه، و المحقّق الحلّى المتوفّى سنة ۶۷۶ ه، و قد قرأ مقنعة المفيد على عمّه أبى المكارم سنة ۵۸۴ ه، و له من العمر أقلّ منا لعشرين فيكون من مواليد حوالى عام ۵۶۵ ه، و له ترجمة

---

(۱) المقريزى، الخطط: ج ۳، ص ۲۵۹، لاحظ أعيان الشيعة: ج ۷، ص ۷۰.

(۲) الطهرانى، طبقات أعلام الشيعة القرن السادس، ص ۱۶۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۶۶

فى طبقات أعلام الشيعة «۱».

۴- أحمد بن محمد بن جعفر الشريف النقيب أبو طالب أمين الدين الحسينى، يروى عنه: السيد محى الدين أبو حامد، محمد بن عبد اللّه بن زهرة فى «الأَربعين»، و ابن أخى السيد أبى المكارم كما مرّ، و قد صرّح بأنّ الشريف خال والده عبد اللّه بن على بن زهرة، و الظاهر انّه من السادة العلماء النقباء بحلب من بنى زهرة «۲».

هؤلاء بعض الشخصيات البارزة الذين تخرجوا من هذا البيت فهم بين متقدم على المؤَلّف أو معاصر له أو متأخر عنه، و هناك فقهاء أجلاء نبغوا من هذا البيت عبر العصور فالقيام بترجمتهم و لو بصورة المامة عابرة يحوجنا إلى تأليف مفرد.

حياة المؤَلف و أشواطه العلمية

اشارة

أظنّ انّه قد حان الوقت لاستعراض ترجمة مؤَلفنا الكبير أبى المكارم حمزة بن على بن زهرة.

و ننقل قبل كل شىء كلمات الاعلام فى حقّه:

۱- قال ابن شهرآشوب (۴۸۸ ۵۸۸ ه): حمزة بن على بن زهرة الحسينى الحلبى، له كتاب قبس الأَنوار فى نصرة العترة الأَخيار، و غنية النزوع حسن «۳».

۲- و قال العلّامة الحلى: حمزة بن على بن زهرة الحسينى (بضم الزاى) الحلبى، قال السيد السعيد صفى الدين معد (رحمه اللّه): انّ له كتاب قبس الأَنوار

---

(۱) لاحظ الجزء المختص بالقرن السابع باسم الأَنوار الساطعة فى المائة السابعة، ص ۱۶۰.

(۲) السيد الأَمين: أعيان الشيعة: ۳- ۹۱.

(۳) ابن شهرآشوب، معالم العلماء: ص ۴۶ برقم ۳۰۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۶۷

فى نصرة العترة الاطهار و كتاب غنية النزوع «۱».

۳- قال الزبيدى: فمِنْ وُلْد على، الشريف أبو المكارم حمزة بن على المعروف بالشريف الطاهر، قال ابن العديم فى تاريخ حلب: كان فقيهاً أُصولياً نظّاراً على مذهب الإِمامية، و قال ابن أسعد الجوانى: الشريف الطاهر عز الدين أبو المكارم حمزة ولد فى رمضان سنة ۵۱۱ و توفى بحلب سنة ۵۸۵ «۲».

۴- و قال الطباخ الحلبى فى إعلام النبلاء: الشريف حمزة بن زهرة الاسحاقى الحسينى أبو المكارم السيد الجليل، الكبير القدر، العظيم الشأن، العالم، الكامل، الفاضل، المدرس، المصنف، المجتهد، عين أعيان السادات و النقباء بحلب، صاحب التصانيف الحسنة و الأَقوال المشهورة، له عدّة كتب، و قبره بحلب بسفح جبل جوشن، عند مشهد الحسين، له تربة معروفة مكتوب عليها اسمه و نسبه إلى الامام الصادق عليه السلام- و تاريخ موته أيضاً «۳».

۵- و قال نظام الدين القرشى فى كتاب نظام الأَقوال: حمزة بن على بن زهرة الحسينى، أبو المكارم المعروف بابن زهرة، عالم فاضل، متكلّم من أصحابنا، له كتب: منها غنية النزوع فى الأُصول و الفروع، و كتاب قبس الأَنوار فى نصرة العترة الاطهار، ولد فى شهر رمضان فى سنة إحدى عشرة و خمسمائة، و توفى سنة خمس و ثمانين و خمسمائة، و روى عنه ابن أخيه محمد بن عبد اللّه بن على بن زهرة و محمد بن إدريس «۴».

۶- و قال الشيخ الحر العاملى: هو فاضل عالم ثقة جليل القدر له مصنفات

---

(۱) العلّامة الحلى، إيضاح الاشتباه: ۱۶۸ ۱۶۹.

(۲) الزبيدى، تاج العروس: ج ۳، ص ۲۴۹) مادة زهرة).

(۳) أعلام النبلاء: ۴- ۲۶۹ برقم ۱۳۲.

(۴) الأَفندىّ التبريزى، الرياض: ج ۲، ص ۲۰۶ نقله عن نظام الدين القرشى.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۶۸

كثيرة، ثمّ ذكر تآليفه التى ستوافيك «۱».

۷- و قال القاضى نور اللّه ما هذا خلاصته: إنّ السيد أبا المكارم حمزة بن زهرة كان من مجتهدى علماء الإمامية، و صاحب التصانيف الكثيرة و كان رئيساً كبيراً بحلب ثمّ قال: و كان من أفاضل المتأخرين، المناظرين و من هذه السلسلة السيد علاء الدين أبو الحسن على بن أبى إبراهيم محمد بن أبى على الحسن بن أبى المحاسن زهرة بن أبى على الحسن، ثمّ ساق نسب علاء الدين إلى الامام أمير المؤمنين- عليه السلام- «۲».

۸- و قال العلّامة المجلسى: و كتاب «غنية النزوع فى علم الأصول و الفروع» للسيد العالم الكامل أبى المكارم حمزة بن على بن زهرة الحسينى «۳».

و قال فى الفصل الثانى من فهرس البحار: و كتاب الغنية مؤَلفه غنى عن الإطراء و هو من الفقهاء الأَجلّاء، و كتبه معتبرة مشهورة لا سيما هذا الكتاب «۴».

۹- و قال السيد الخوانسارى: السيد أبو المكارم من كبار فقهائنا الأَصفياء النبلاء، و كلما أطلق السيد ابن زهرة ينصرف الإطلاق إليه و له كتاب «غنية النزوع إلى علم الأصول و الفروع» تعرض بتبيين مسائل الأُصولين ثمّ الفقه فى نحو من أربعة آلاف بيت، و هو غير «غنية» أخيه، و النزوع (بضم النون) بمعنى الاشتياق «۵».

۱۰- و قال المحدّث النورى: السيد عز الدين أبو المكارم حمزة بن على بن زهرة الحسينى الحلبى الفقيه الجليل المعروف صاحب الغنية و غيرها المتولد فى الشهر المبارك سنة إحدى عشر و خمسمائة، المتوفّى سنة خمس و ثمانين

---

(۱) الحر العاملى، أمل الآمل: ۲- ۱۰۵ رقم ۲۹۳.

(۲) القاضى نور اللّه المرعشى، مجالس المؤمنين: ۱- ۵۰۸.

(۳) المجلسى: بحار الأَنوار: ۱- ۲۱ و ۴۰.

(۴) المجلسى: بحار الأَنوار: ۱- ۲۱ و ۴۰.

(۵) السيد الخوانسارى، روضات الجنات: ج ۲، ص ۳۷۴ ۳۷۵ رقم الترجمة ۲۲۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۶۹

و خمسمائة، هو و أبوه و جدّه و أخوه و ابن أخيه من أكابر فقهائنا، و بيتهم بيت جليل بحلب «۱».

۱۱- و قال المحدّث القمى: أبو المكارم حمزة بن على بن زهرة الحسينى الحلبى العالم الفاضل الجليل الفقيه الوجيه صاحب المصنفات الكثيرة فى الإمامة و الفقه و النحو و غير ذلك.

ثمّ ذكرت تئاليفه «۲».

۱۲- و قال شيخنا المدرس فى موسوعته: ابن زهرة حمزة بن على بن أبى المحاسن زهرة، عالم فاضل جليل القدر من أكابر علماء الإمامية و متكلميهم و فقهائهم، و يروى بواسطة واحدة عن أبى على ولد الشيخ الطوسى المتوفّى سنة ۵۱۵ ه «۳».

إلى غير ذلك من الكلمات المماثلة التى تعرب عن مكانة المؤَلف العليا، و لعلّ فى ما ذكرناه من الكلمات غنى و كفاية.

آثاره و تآليفه:

إنّ أحسن ما يستدل به على مكانة الإنسان و سعة باله و كثرة اطّلاعه و رصانة تفكيره، هو الآثار التى يتركها الإنسان بعد رحيله فإنّها مرآة لما كان ينطوى عليه من المواهب و الطاقات و قد ترك مؤَلفنا الجليل آثاراً قيمة، خالدة على جبين الدهر مشرقة عبر القرون و الأَجيال لا تندرس بمرّ الحقب و الأَيام، وها هو أثره القيم الذى يزفه الطبع إلى القراء لم يزل مصدراً للعلم و مرجعاً للفقهاء منذ تأليفه إلى يومنا هذا و قد كان محور الدراسة فى عصره و بعد رحيله حتى انّ المحقق الطوسى قرأه على معين الدين المازنى المصرىّ، و

كتب أَستاذه إجازة له فى خاتمة الكتاب

---

(۱) النورى، المستدرك، الخاتمة، ۳- الفائدة الثالثة، ص ۴۷۵.

(۲) القمى، الكنى و الأَلقاب، ج ۱، ص ۲۹۴.

(۳) المدرس التبريزى، ريحانة الأَدب، ج ۷، ص ۵۵۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۷۰

و سيوافيك نصّها.

وها نحن نذكر صورة موجزة من تصانيفه: ۱- الاعتراض على الكلام الوارد من حمص «۱» ۲- الجواب عمّا ذكره مطران «۲» نصيبين.

۳- الجواب عن الكلام الوارد من ناحية الجبل.

۴- جواب الكتاب الوارد من حمص، رواها عنه ابن أخيه السيد محيى الدين محمد و غيره و يحتمل اتحاده مع الأَوّل.

۵- جواب المسائل الواردة من بغداد «۳».

۶- قبس الأَنوار فى نصرة العترة الأَخيار.

و قد رد عليه بعض المخالفين من معاصرى العلامة الحلى أسماه «المقتبس» ثمّ رد عليه الشيخ على بن هلال بن فضل (المتوفّى ۸۷۴ ه) و أسماه الأَنوار الجالبة لظلام الغلس من تلبيس صاحب المقتبس (الذريعة: ۱۷- ۳۱).

۷- مسائل فى الرد على المنجمين تبلغ ۲۱ مسألة، و للشريف المرتضى أيضاً كتاب بهذا الاسم (الذريعة: ۲- ۳۸۷).

۸- مسألة فى انّ النظر الكامل على انفراده كاف فى تحصيل المعارف العقلية.

۹- مسألة فى نفى الرؤيَة و اعتقاد الإِمامية و مخالفيهم ممن ينسب إلى السنة

---

(۱) حِمْص: بالكسر ثمّ السكون بلد مشهور قديم و هى بين دمشق و حلب، بناها رجل يقال له حمص بن المهر، معجم البلدان، ج ۲، ص ۳۰۲.

و فى الذريعة ۵- ۱۸۵ جواب الكتاب الوارد من حمص.

(۲) مطران: بفتح الميم و سكون الطاء رئيس الكهنة، و هو فوق الأُسقف و دون البطريرك و الكلمة أصلها يونانية.

المنجد مادة «مطر».

و فى الذريعة ۵- ۱۹۳ جواب المسألة الواردة من نصيبين.

(۳) و فى الذريعة (۵- ۲۱۶ جواب المسائل البغدادية).

تذكرة الأعيان، ص: ۱۷۱

و الجماعة.

و عبر عنها فى الروضات (۲- ۳۷۵) ب «الشافية»، تلك المسألة التى تفترق فيها العدلية عن الأَشاعرة فالطائفة الأُولى ينزهون الربّ عنها فى الدنيا و الآخرة و الأَشاعرة ينفونها فى الدنيا و يثبتونها فى الآخرة.

۱۰- مسألة فى كونه تعالى جباراً حيّاً.

۱۱- المسألة الشافية فى ردّ من زعم أنّ النظر على انفراده غير كاف فى تحصيل المعرفة به تعالى «۱».

۱۲- مسألة فى أنّ نية الوضوء عند المضمضة و الاستنشاق.

۱۳- مسألة فى تحريم الفقاع.

۱۴- مسألة فی الرد علی من ذهب إلی انّ الحسن و القبح لا یعلمان إلّا سمعاً.

و هذه المسألة تعبر عنها، بأنّ الحسن و القبح عقلیّان کما علیه العدلیة أو شرعیّان کما علیه الأَشاعرة.

۱۵- مسألة فی الردّ علی من قال فی الدین بالقیاس.

۱۶- مسألة فی إباحة نکاح المتعة.

۱۷- نقض شبه الفلاسفة.

۱۸- النکت فی النحو.

۱۹- غنیة النزوع إلی علمی الأصول و الفروع «۲».

---

(۱) قد کتب غیر واحد من علمائنا رسالة فی هذا الموضوع لاحظ الذریعة ج ۵- ۱۹۲ برقم ۸۸۲.

(۲) الحر العاملی: أمل الآمل: ۲- ۱۰۵ رقم ۲۹۳، ذکر فهرس تصانیفه، بالنحو الذی ذکرنا، و ذکرنا موارد اختلافه مع الذریعة فی الهامش و المتن.

و العجب أنّ بعض ما ذکر فی أمل الآمل، لم نعثر علیه فی الذریعة و لعلّه ذکره تحت عنوان آخر.

تذکرة الأعیان، ص: ۱۷۲

و ذکر فی الذریعة ما یلی:

۲۰- جوابات مسائل البلدان للسید أبی المکارم عز الدین حمزة بن زهرة (الذریعة ۵- ۲۱۶).

۲۱- مسائل البلدان أوعز إلیه فی ج ۵- ۲۱۶ قائلًا بأنّه یأتی فی المیم.

و لم یذکرها فی محلّها و یحتمل اتحادهما.

و الظاهر انّ الزمان قد لعب بتصانیفه، إذ لم نجد فی المعاجم شیئاً یدلّ علی وجود نسخة من کتبه فی المکتبات و المتاحف، غیر کتاب «الغنیة» الذی نحن بصدد التقدیم له، فما ظنّک بکتب عالم أو طائفة أُغیر علیها بخیل و رکاب، و قُتلوا فی عقر دارهم، أو أجبروا علی ترک دیارهم، و النزول فی الجبال و القری النائیة؟!

مشایخه و أساتذته

إنّ ولید بیت العلم و الفضل کابن زهرة یتخذ بطبع الحال مشایخ بیته، سناداً و عماداً لرقیّه.

و أساتذة لعلومه و لذلک قرأ سیدنا المترجم علی لفیف منهم، و إلیک أسماء من وقفنا علیهم من أساتذته.

۱- والده: علی بن زهرة الحلبی «۱».

۲- جدّه: السید أبو المحاسن زهرة الحلبی «۲».

۳- أبو منصور محمد بن الحسن بن منصور النقاش الموصلی تلمیذ أبی علی ولد شیخ الطائفة «۳».

---

(۱) السید الخوانساری: الروضات: ۲- ۳۷۴.

(۲) السید الخوانساری: الروضات: ۲- ۳۷۴.

(۳) السید الأَمین: أعیان الشیعة: ۶- ۲۵۰ و هو یصرّ بأنّ کنیته «أبو الحسن».

تذکرة الأعیان، ص: ۱۷۳

۴- أبو عبد اللّه الحسین بن طاهر بن الحسین، و هو یروی عن الشیخ أبی الفتوح «۱».

تلامذته و من يروى عنه

يروى عنه لفيف من الأَكابر.

۱- الشيخ معين الدين المصرى «۲».

۲- الشيخ شاذان بن جبرئيل القمى الّذى كان حياً سنة ۵۸۴ ه «۳».

۳- الشيخ محمد بن جعفر المشهدى صاحب «المزار» المشهور «۴».

۴- ابن أخيه السيد محيى الدين محمد «۵».

۵- محمد بن إدريس الحلى مؤَلف السرائر (المتوفّى ۵۹۸ ه) و لو صحّ فهو من مشايخ روايته لا انّه تتلمذ عليه كما يظهر من تعبيره عنه فى السرائر «۶».

و قال السيد حسين البروجردى فى نخبة المقال:

و ابن على بن زهرة الأَجل ذو غنية عنه ابن إدريس نقل

و لعل من سبر الكتب و المعاجم يعثر على أسماء أُخرى تروى عن المؤَلف أو يروى هو عنهم.

---

(۱) الأَفندى التبريزى، الرياض: ۲- ۲۰۵ و فى المصدر المعرى مكان المصرى و الصحيح ما أثبتناه.

(۲) السيد الخوانسارى: الروضات: ۲- ۳۷۵ و أمل الآمل: ۲- ۱۰۶.

(۳) السيد الخوانسارى: الروضات: ۲- ۳۷۵ و أمل الآمل: ۲- ۱۰۶.

(۴) الحرّ العاملى: أمل الآمل: ۲- ۱۰۶ و لاحظ ريحانة الأَدب: ۷- ۵۵۱.

(۵) طبقات أعلام الشيعة، القرن السابع: ۱۶۰.

(۶) ذكره فى أمل الآمل و الروضات و غيرهما لاحظ السرائر: ۲، ص ۴۴۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۷۴

غنية النزوع إلى علمى الأصول و الفروع

هذا الكتاب مشتمل على العلوم الثلاثة:

أ- الفقه الأَكبر: و هذا القسم مشتمل على مهمات المسائل الكلامية من التوحيد إلى المعاد.

ب- أُصول الفقه: و هو حاو لبيان القواعد الأصولية التى يستنبط منها الأَحكام الشرعية، ألفه على غرار أُصول القدماء، و من فصوله النافعة، بحثه عن القياس، و آثاره السلبية فى الفقه.

و قد خلت كتب المتأخرين من أصحابنا من طرح هذه المسألة و دراسة أدلّة المثبتين و النافين، و ما هذا إلّا لأنّ عدم حجّيته هو الأَصل المسلّم فى فقه أهل البيت.

ج- الفروع و الأَحكام الشرعية: و هو دورة فقهية كاملة، استدلالية، يستدل بالكتاب و السنة النبوية و أحاديث العترة الطاهرة و الإِجماع، و هذا القسم من محاسن الكتب و جلائلها و إليك مواصفاته: ۱- يستمد من الكتاب العزيز فى مسائل كثيرة على وجه ليس له مثيل فيما بأيدينا من كتب القدماء فقد استدل، بقرابة مائتين و خمسين آية، فى موارد مختلفة فهو بحقّ جدير بالتقدير.

۲- يعتمد على أحاديث نبوية وافرة إمّا استدلالًا على المطلوب، أو احتجاجاً على المخالف و هو الغالب على أسلوب الكتاب فهى عنده

أشبه بأُصول موضوعية تلقاها المخالف بالقبول و لأجل هذا الامتياز صار الكتاب فقهاً مقارناً، سدّ به الفراغ الموجود فى المكتبة الفقهية فى عصره.

۳- يعتمد على الإِجماع فى مسائل كثيرة تبلغ قرابة ستمائة و خمسين مسألة و مراده من الإِجماع ليس الإِجماع المصطلح، و هو اتّفاق الأُمة أو الإِمامية على

تذكرة الأعيان، ص: ۱۷۵

الحكم بشرائطه الخاصة، بل المصطلح الخاصّ له فى هذا الكتاب و قبله للشيخ الطوسى فى كتاب الخلاف، و قد صرّح بهذا الاصطلاح فى القسم الثانى من الكتاب فى مبحث الإِجماع و حاصله: «انّ المراد منه فى مقام الاحتجاج هو قول المعصوم.

لَانّ ملاك حجّية الإِجماع عند الإِمامية هو اشتماله على قوله، و ليس الإِجماع إلّا طريقاً إلى كشفه، فإذا اكتشفناه عن غير ذاك الطريق، يطلق عليه الإِجماع، توسعاً و مجازاً».

و لا شكّ انّه استعمال على خلاف الاصطلاح الدارج، لكنّه التجأ إليه لأَجل المجاراة مع المخالف فى مقام الاحتجاج على المدّعى، و سيوافيك تعبيره فى مبحث الإِجماع فى القسم الثانى من الكتاب.

و بذلك يعلم، أن ما يساق إليه من الاعتراض من عصر صاحب الجواهر و الشيخ الأَنصارى إلى يومنا، من أنّه كيف يدّعى الإِجماع فى مسائل غير معنونة، أو مختلفة، فهو ناشئ عن عدم الرجوع إلى مصطلحه فى الكتاب.

و قد كان سيد مشايخنا المحقّق البروجردى قدَّس سرَّه يبرِّر بذلك الإِجماعات الواردة فى كتاب الخلاف لشيخ الطائفة، فى درسه الشريف الذى كنّا نحضره عام ۱۳۶۹ عند البحث عن حجّية الإِجماع المنقول بخبر الواحد.

۴- انّ المؤَلف يسير على ضوء كتاب الانتصار و الناصريات للسيد المرتضى، و كتاب الخلاف و المبسوط للشيخ الطوسى، و قد استفاد المحقّق بالرجوع إليها فى تحقيق نصّ الكتاب و تصحيحه.

۵- انّ المؤَلف كان فقيهاً متضلّعاً عارفاً بفقه أهل السنّة كعرفانه بفقه الإِمامية، و لم يكن اطلاعه على الأَوّل أقلّ من الثانى و بذلك أضفى على كتابه صبغة السعة و الشمول.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۷۶

۸- يحيى بن الحسن الأَسدى الحلى ابن البطريق (۵۲۳- ۶۰۰ ه)

العمدة لِابن البطريق

لقد قامت الإِمامية بتدوين مناقب أهل البيت من أقدم العصور إلى زماننا هذا، فألّفوا فى هذا المضمار كتباً حافلة و رسائل ذات أهميّة بصور متنوّعة.

و من أحسن ما أُلّف فى هذا الباب فى أُخريات القرن السادس، هو كتاب «العمدة» لمحدّث عصره، و علّامة زمانه، الحافظ: يحيى بن الحسن بن البطريق الأَسدى الحلى (۵۲۳ ۶۰۰ ه) فقام بتدوين الفضائل و المناقب لوصىّ المختار، بصورة بديعة لم يسبقه إليها أحد من أصحابنا الإِمامية حتّى شيخه العلّامة الحافظ: محمد بن على بن شهرآشوب السروى (۴۸۸ ۵۸۸ ه) فقد دوّن جلّ ما رواه أصحاب الصحاح و المسانيد بشكل ممتاز، موضحاً لمشكلاته، و مبيّناً لمعضلاته، معلّقاً عليها كلّما استدعت الحاجة، و يقف الباحث على موقع المؤَلّف و مكانته العلمية، من خلال الثناء عليه من أعلام الطائفة، و إليك بعض ما وقفنا عليه: ۱- قال العلامة فى إجازته لبنى زهرة: و من ذلك جميع مصنّفات الشيخ أبى زكريا: يحيى بن على البطريق، و رواياته عنّى عن والدى قدّس اللّه روحه عن

تذكرة الأعيان، ص: ۱۷۷

السيّد فخار عن المصنف «۱» و على ذلك فيروى العلّامة (۶۴۸ ۷۲۶ ه) عن شيخنا المترجم بواسطتين: والده و السيد فخار.

۲- قال الشيخ الحر العاملى: الشيخ أبو الحسين يحيى بن الحسن ابن الحسين بن على بن محمد بن البطريق الحلى، كان عالماً، فاضلًا، محدّثاً، محقّقاً، ثقة، صدوقاً، ثم ذكر كتبه «۲» ۳- و قال المتتبع الخبير عبد اللّه الأفندى التبريزى: الشيخ الأجل شمس الدين أبو الحسين يحيى بن (الحسن بن الحسين بن على بن محمد بن) البطريق الحلّى الأسدى، المتكلم الفاضل، العالم، المحدث الجليل، المعروف بابن البطريق: صاحب كتاب العمدة و غيره من الكتب العديدة فى المناقب، و قد رأيت فى بعض المواضع فى مدحه هكذا: الامام الأجل شمس الدين جمال الإسلام، العالم الفقيه، نجم الإسلام، تاج الأنام مفتى آل الرسول «۳» ۴- و قال العلامة المجلسى فى أول البحار: و كتاب العمدة، و كتاب المستدرك، كلاهما فى أخبار المخالفين فى الإمامة للشيخ أبى الحسين يحيى (بن الحسن بن الحسين بن على بن محمد) بن البطريق الأسدى «۴»

---

(۱) إجازة العلّامة لبنى زهرة المطبوعة فى البحار: ۱۰۷ ۱۳۷- ۶۰، و هذه الإجازة الكبيرة من العلّامة لبنى زهرة الحلبيين توصف بالإجازة الكبيرة كتبها عام ۷۲۳، و هم عبارة عن: علاء الملة و الحق و الدين أبى الحسن على بن أبى إبراهيم محمد بن أبى على الحسن بن أبى المحاسن بن زهرة، و ولده المعظم شرف الملة و الدين أبى عبد اللّه الحسين، و أخيه بدر الدين أبى عبد اللّه محمد، و ولديه أبى طالب أحمد أمين الدين و أبى محمد عز الدين الحسن رحمهم اللّه.

(۲) أمل الآمل: ۲- ۴۵.

(۳) رياض العلماء: ۵- ۳۵۸.

(۴) بحار الأنوار: ۱- ۱۰ و ۲۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۷۸

ثم قال: و كتاب العمدة و مؤلّفه مشهوران مذكوران فى أسانيد الإجازات، و أمّا المستدرك فعندنا منه نسخة قديمة نظن أنّها بخط مؤلّفها «۱» ۵- و قال فى الروضات بعد نقل ما ذكره الشيخ الحر فى أمله فى حقه: و فى بعض كتب الإجازات اكتناء الرجل بأبى زكريا و فى بعضها تلقّبه بشمس الدين، شرف الإسلام.

ثم قال: و يروى فى الأغلب عن عماد الدين محمد بن القاسم الطبرى، و هو يروى عن الشيخ أبى على، ولد شيخنا الطوسى «۲».

۶- و قال الميرزا الأسترآبادى فى رجاله الكبير: يحيى بن الحسن.. كان عالماً فاضلًا، محدثاً، محققاً، ثقة، صدوقاً، له كتب.. الى آخر ما ذكره الشيخ الحر العاملى فى أمله «۳» ۷- و قال المحدّث النورى: الشيخ الأجل شمس الدين أبو الحسين أو أبو زكريا كما فى إجازة العلّامة لبنى زهرة: يحيى بن الحسن بن الحسين بن على بن محمد بن بطريق الحلّى الأسدى مؤلف كتاب «العمدة» الذى جمع فيه ما فى الصحاح الستة، و تفسير الثعلبى، و مناقب ابن المغازلى من مناقب أمير المؤمنين- عليه السلام بحيث لم يغادر شيئاً من ذلك، و لم يذكر فيه شيئاً من غيرها، و لم يسبقه الى هذا التأليف البديع أحد من أصحابنا، و مؤلف كتاب المستدرك بعد العمدة، أخرج فيه قريباً من ستمائة حديث من كتب أُخرى لهم، عثر عليها بعد تأليف العمدة، كالحلية لأبى نعيم، و المغازى لابن إسحاق، و الفردوس لابن شيرويه الديلمى، و مناقب الصحابة للسمعانى و غير ذلك من المؤلفات «۴».

---

(۱) بحار الأنوار: ۱- ۱۰ و ۲۹.

(۲) روضات الجنات: ۸- ۱۹۶.

(۳) منهج المقال: ۵۱۳.

(۴) المستدرك: ۳- ۱۳، ط مؤسسة آل البيت.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۷۹

۸- قال السيد الصدر: أبو الحسين يحيى بن الحسن بن الحسين بن على ابن محمد بن البطريق الأَسدى، المتكلم الفاضل، المحدث الجليل، المعروف بابن البطريق، يروى عن ابن شهرآشوب سنهٔ خمس و تسعين «۱» و خمسمائهٔ و هو صاحب «كتاب العمدهٔ فى مناقب الأَئمهٔ» و «الخصائص» فى مناقب أمير المؤمنين- عليه السلام-، و هو أشهر من أن تشرح أحواله، من كبار شيوخ الشيعهٔ رضى اللّه عنه «۲».

۹- و قال شيخنا الطهرانى: الشيخ شمس الدين أبو الحسين يحيى بن الحسن بن الحسين بن على بن محمد الراوى عن محمد بن على بن شهرآشوب فى ۵۷۵، و قد أرّخ فى «كشف الحجب» وفاته سنهٔ ۶۰۰ عن سبع و سبعين سنهٔ، و هو صاحب كتاب «العمدهٔ» المعروف بعمدهٔ ابن البطريق و له «رجال الشيعهٔ» الذى نقل عنه ابن حجر فى «لسان الميزان» الذى كتبه فى ما زاد على «ميزان الاعتدال» للذهبى «۳» هذا ما ذكره أعلام الإماميهٔ فى حق المترجم له، و ترجمه من غيرهم، ابن حجر العسقلانى.

۱۰- قال فى لسان الميزان نقلًا عن تاريخ ابن النجّار «۴»: يحيى بن الحسن

---

(۱) هكذا فى النسخهٔ المطبوعهٔ، و الظاهر انّه مصحّف سبعين، و قد توفى الشيخ ابن شهرآشوب عام ۵۸۸ فكيف يمكن أن يروى عنه المترجم عام ۵۹۵؟! و قد نقل شيخنا الطهرانى عام الروايهٔ كما ذكرناه.

(۲) تأسيس الشيعهٔ لعلوم الإِسلام ۱۳۰.

(۳) مصفى المقال: ۵۰۲.

(۴) و هو غير ابن النجار الشيعى، أعنى: أبا الحسن محمد بن جعفر بن محمد التميمى النحوى المعروف بابن النجار المتوفّى سنهٔ ۴۰۲ ه مؤَلف تاريخ الكوفهٔ، الموسوم بالمصنف، الذى ينقل عنه السيد عبد الكريم بن طاوس المتوفّى سنهٔ ۶۹۲ ه فى كتابه فرحهٔ الغرى، و هو يروى عن أبى بكر الدارمى الذى أجاز التلعكبرى سنهٔ ۳۳۰ ه و هذا الكتاب من أنفس الكتب، نسأل اللّه تعالى أن يوفقنا للعثور عليه و نشره.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۸۰

بن الحسين بن على الأَسدى الحلّى الربعى المعروف بابن البطريق، قرأ على أخمص الرازى الفقه و الكلام على مذهب الإِماميهٔ و قرأ النحو و اللغهٔ و تعلّم النظم و النثر، و جدّ حتى صارت إليه الفتوى فى مذهب الإِماميهٔ، و سكن بغداد مدهٔ، ثم واسط و كان يتزهّد و يتنسّك، و كان وفاته فى شعبان سنهٔ ۶۰۰ و له سبع و سبعون سنهٔ «۱».

أقول: و على ذلك يكون المترجم له من مواليد عام ۵۲۳ ه، و قد نصّ بذلك شيخنا المجيز الطهرانى فى الثقات العيون ص ۳۳۸.

و القارى الكريم يجد نظير هذه الكلمات من الثناء على المؤَلف و كتبه فى المعاجم و التراجم مثل أعيان الشيعهٔ ج ۱۰ ص ۲۸۹، و الفوائد الرضويهٔ ص ۷۰۹، و هديهٔ العارفين ج ۲ ص ۵۲۲، و ريحانهٔ الأَدب ج ۷ ص ۴۱۵.

و الكلّ متّفقون على جلالهٔ قدر الرجل فى الأَدب و غيره من الفنون الإسلاميهٔ و فى ما ذكرنا من الكلمات حول الآثار العلميهٔ التى خلّفها أقوى شاهد عليه و إليك هذه الآثار.

آثاره العلمية

أنّ حياهٔ شيخنا المترجم له كانت مفعمهٔ بالتأليف و التصنيف و التربيهٔ و التدريس فخلّف آثاراً مشرقهٔ تدل على نبوغ الرجل و تضلّعه فى فنون الحديث و الرجال، و إليك أسماء ما وقفنا عليه منها فى المعاجم و كتب التراجم: ۱- اتفاق صحاح الأَثر فى إمامهٔ الأَئمّهٔ الاثنى عشر و اسمه يحكى عن مسمّاه، و عنوانه يكشف عن محتواه.

(۱) لسان الميزان: ۶- ۲۴۷.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۸۱

۲- تصفّح الصحيحين فى تحليل المتعتين و المراد من المتعتين متعة الحج و متعة النساء اللتين دلّت نصوص الكتاب و السنّة على جوازهما فى العصر النبوى، و بعده الى أن نهى عنهما نهياً سياسياً، فبقيتا متروكتين بين أبناء السنّة دون غيرهم.

۳- خصائص الوحى المبين فى مناقب أمير المؤمنين- عليه السلام و قد قام بهذا التأليف بعد كتابى العمدة و المستدرك، قال فى الرياض: «و رأيت منه نسخة عتيقة بتبريز و عندنا منه نسخة» قد أورد فيه أخبار المخالفين فى تفسير الآيات التى نزلت فى شأن على عليه السلام طبع فى إيران سنة ۱۳۱۱ ه طبعة حجرية.

۴- الرد على أهل النظر فى تصفّح أدلّة القضاء و القدر و لعلّ الكتاب حول إبطال استنتاج نظرية الجبر من القول بالقضاء و القدر.

۵- العمدة من عيون الاخبار فى مناقب إمام الأَبرار أمير المؤمنين على بن أبى طالب وصىّ المختار- صلى الله عليه و آله و سلم- و على الأَئمة من ذريته الاطهار ۶- عيون الاخبار قال فى الرياض: نسبه إليه المولى محمد طاهر القمى فى مقدمة كتاب الأَربعين نقلًا عن كتاب الصراط المستقيم.

۷- المستدرك المختار فى مناقب وصىّ المختار و الكتاب استدراك لكتاب العمدة «۱»

(۱) قال فى البحار عندنا منه نسخة قديمة، و ذكر الطهرانى فى الذريعة وجود نسخة فى المكتبات.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۸۲

۸- نهج العلوم إلى نفى المعدوم المعروف بسؤَال أهل حلب «۱» ۹- رجال الشيعة و ينقل عنه ابن حجر فى لسان الميزان كما مر.

مشايخه و أساتذته

قرأ شيخنا المترجم له على لفيف من علماء الفريقين و أخذ عنهم الحديث و التفسير و الفقه.

فمن الخاصة يروى عن عدة من الاعلام: ۱- الشيخ عماد الدين الطبرى صاحب بشارة المصطفى، كما يظهر من إجازة الشيخ محمد سبط الشهيد الثانى، للمولى محمد أمين الأسترآبادى.

و الشيخ عماد الدين الطبرى هو العالم الجليل الواسع الرواية، يروى فى كتابه: «البشارة» عن عدة من مشايخه، من سنة ۵۰۳ ه إلى سنة ۵۱۷ ه منهم نجل شيخنا الطوسى و الفقيه «حسكا» الحسن بن الحسين بن بابويه «۲» ۲- محمد بن شهرآشوب (۴۸۸ ۵۸۸ ه) صاحب «المناقب» و «المعالم» و غيرهما من المؤَلّفات «۳» هؤلاء بعض مشايخه من أعلام الطائفة، و أمّا مشايخه من العامة فقد ذكر أسماءهم عند ذكر طرقه إلى الصحاح الستة فى مقدمة كتاب «العمدة» و «الخصائص» و إليك بعض من ذكرهم:

(۱) هذه الكتب ذكرها الشيخ الحر العاملى فى أمل الآمل: ۲- ۳۴۵، و نقلها عنه صاحب رياض العلماء: ۵- ۳۵۴، و غيره من المؤَلفين.

(۲) لاحظ رياض العلماء: ۵- ۳۵۸.

(۳) الثقات العيون: ۲۷۸ و ۳۳۸.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۸۳

۳- أبو جعفر إقبال بن المبارك بن محمد العكبرى الواسطى، روى عنه فى جمادى الأولى من شهور عام ۵۸۴ ه.

۴- الشيخ الإِمام المقرى أبو بكر عبد اللّه بن منصور بن عمران الباقلانى، روى عنه فى شهر رمضان سنة ۵۷۹ ه، و هو يروى صحيح

البخارى عن طريقيهما معاً كما يروى صحيح مسلم عن طريق الأخير فقط.

۵- فخر الإسلام أبو عبد اللّه أحمد بن الطاهر و هو يروى مسند أحمد عن طريقه.

۶- السيد الأجل محمد بن يحيى بن محمد بن أبى السطلين العلوى الواعظ البغدادى يروى عنه تفسير الثعلبى الموسوم بالكشف و البيان فى سنة ۵۸۵ ه.

هؤلاء بعض مشايخه و أساتذة حديثه و قد أتى بأسمائهم و خصوصياتهم فى مقدمة كتابى «العمدة» و «الخصائص».

الراوون عنه

لقد تتلمذ على يد شيخنا المترجم له، و روى عنه لفيف من المشايخ و العلماء فى الحديث و الرجال، و قد جاءت أسماؤهم فى غضون المعاجم نأتى بما وقفنا عليه: ۱- على بن يحيى بن الحسن ولد المؤلف المكنّى بأبى الحسن الكاتب.

قال الحافظ ابن كثير فى «البداية و النهاية» ما لفظه: أبو الحسن على بن يحيى ابن الحسن بن الحسين بن على بن محمد البطريق بن نصر بن حمدون بن ثابت الأسدى الحلّى، ثم الواسطى، ثم البغدادى، الكاتب الشاعر الشيعى، فقيه الشيعة..

تذكرة الأعيان، ص: ۱۸۴

ثم قال: كان فاضلًا ذكيا جيد النظم و النثر، لكنّه مخذول محجوب عن الحق، و قد أورد ابن الساعى قطعة جيدة من إشعاره الدالة على غزارة مادته فى العلم و الذكاء رحمه اللّه «۱» و العجب من ابن كثير يصفه بأنّه «مخذول محجوب عن الحق» و هو يعترف بفضله و علو كعبه فى العلم و الأدب!! أ فهل يكون حب أهل البيت الذين أمر اللّه بحبّهم و مودّتهم موجباً لخذلان من يتولّاهم؟! أ فهل يكون المتّبع لآثارهم بعيداً عن الحق و قد أمر النبى صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم بطاعتهم؟! نعم هكذا يرى ابن كثير، فمن تولّى أعداء الرسالة هو العزيز، و من أحبّ خصوم أهل البيت هو الواقف على الحق؟!! و قد قرأ الشيخ كمال الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم العفيف الموصلى كتاب «العمدة» عليه، و كتب عليه إجازة، و هذه صورتها: قرأ علىّ الأجل الأوحد العالم العامل الورع كمال الدين عزّ الإسلام كهف الطائفة أبو العباس أحمد بن الأجل تاج الدين إبراهيم بن أحمد بن الأجل العفيف الموصلى أدام اللّه سعادته و بلغه إرادته، من أوّل هذا الكتاب و هو كتاب العمدة فى عيون صحاح الأخبار تأليف والدى رحمه اللّه إلى فصل: «انّه عليه السلام أوّل من أسلم» و أذنت له أن يروى ذلك عنّى و عن والدى المصنّف بالقراءة «۲» و سيوافيك ما نقله الشارح الحديدى منه.

۲- على بن يحيى بن على الخياط الشيخ الفقيه أبو الحسن السوراوى،

---

(۱) البداية و النهاية: ۱۳- ۱۶۴.

(۲) الأنوار الساطعة فى القرون السابعة: ۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۸۵

يروى عن ابن إدريس المتوفّى عام ۵۹۸ ه و عن يحيى بن البطريق «۱» ۳- فخار بن معد بن فخار بن أحمد شرف الدين أبو على العلوى الموسوى الحائرى المتوفّى عام ۶۳۰ ه، و هو يروى عن جماعة منهم والده معد بن فخار و أبو المكارم حمزة بن زهرة و يحيى بن على بن البطريق «۲» ۴- السيد نجم الدين محمد بن أبى هاشم العلوى قرأ رجال الكشى على شيخنا المترجم له و كتب شهادة القراءة له فى عدّة مواضع من النسخة و هى موجودة عند العلّامة الورع الشيخ حسن المصطفوى «۳» ۵- محمد بن معد بن على و هو صفى الدين أبو جعفر الموسوى من تلاميذ ابن البطريق و مشايخ سديد الدين الحلّى (والد العلّامة الحلى) و ابن طاوس كما صرّح به فى كتاب اليقين عند روايته عنه فى العشر الأخير من صفر عام ۶۱۶ ه «۴» ۶- محمد بن عبد اللّه بن على بن زهرة الكبير المعروف بابن زهرة، و هو ابن أخ أبى المكارم حمزة بن زهرة صاحب كتاب الغنية المتوفّى عام ۵۸۵ ه، و هو يروى عن شيخنا المترجم له.

قال فی الریاض: و یروی عنه محمد بن عبد اللّه بن زهرة الحسینی الحلبی، کما یظهر من إجازة الشیخ محمد سبط الشهید الثانی، للمولی محمد أمین الأسترآبادی «۵».

---

(۱) الأَنوار الساطعة: ۱۱۸.

(۲) الأَنوار الساطعة: ۱۳۰.

(۳) الثقات العیون: ۳۱۰.

(۴) المصدر نفسه: ۳۳۸، الأَنوار الساطعة: ۱۷۶.

(۵) ریاض العلماء: ۵- ۳۵۸، و لاحظ الثقات العیون: ۳۳۸.

تذکرة الأعیان، ص: ۱۸۶

۷- الفقیه مجد الدین أبو المکارم أحمد بن الحسین بن علی أبی الغنائم کما یظهر من أسانید بعض أحادیث کتبه «۱» هذا و فی أمل الآمل: و یروی الشهید عن محمد بن جعفر المشهدی عن ابن البطریق، و قد قرأ کتبه علیه «۲» أقول: و ما ذکره غیر صحیح، لَانّ محمد بن المشهدی مؤَلف المزار ولد حوالی سنة ۵۱۰ و ابن البطریق ولد عام ۵۳۳ و قراءة الأَکبر علی الأَصغر، و الروایة عنه بعیدة.

أضف إلی ذلک انّ شیخنا المجیز الطهرانی استخرج مشایخ المشهدی الذین یروی عنهم فی کتاب «المزار» فبلغ خمسة عشر رجلًا، و لم یذکر ابن البطریق فیهم، بل ذکر من مشایخه، نظراء: أبی المکارم حمزة بن زهرة الحسینی الحلبی المتوفی عام ۵۸۴ ه، و الشیخ الفقیه عماد الدین محمد بن أبی القاسم الطبری المتوفّی عام ۵۵۳ ه، و محمد بن علی بن شهرآشوب المتوفّی ۵۸۸ ه «۳» ثمّ إنّ روایة الشهید عن ابن المشهدی غیر صحیحة قطعاً، لَانّ الشهید من أعلام القرن الثامن، و قد ولد عام ۷۳۴ ه، و توفّی عام ۷۸۶ ه، فکیف یمکن له الروایة عن ابن محمد المشهدی الذی هو من موالید حوالی سنة ۵۱۰ ه؟! کما أنّ ما فی الریاض ج ۵ ص ۴۹ من أنّ صاحب المزار یروی عن نصیر الدین الطوسی غیر صحیح جدّاً، لأَنّ الطوسی توفّی عام ۶۷۲ ه، فکیف یصح لابن المشهدی أن یروی عنه؟ و ما فی أعیان الشیعة من أنّ صاحب المزار توفّی فی ۴ ذی الحجة سنة

---

(۱) ریاض العلماء: ۵- ۳۵۸.

(۲) أمل الآمل: ۲- ۳۴۵.

(۳) راجع الذریعة: ۲۰- ۳۲۴.

تذکرة الأعیان، ص: ۱۸۷

۳۳۶ ه بالحلّة و نقل إلی مشهد الحسین- علیه السلام- و دفن فیه، غیر تام جدّاً.

هذا هو ما وقفنا علیه من تلامیذ المترجم له و من یروون عنه.

أولاده

خلّف المترجم له ولدین کریمین فاضلین هما: ۱ علی بن یحیی بن البطریق نجم الدین أبو الحسن الحلّی الکاتب.

قال محمد بن شاکر فی فوات الوفیات ما لفظه: علی بن یحیی بن بطریق: نجم الدین أبو الحسن الحلّی الکاتب، کتب بالدیار المصریة أیام الدولة الکاملیة، ثم اختلَّت حاله، فعاد إلی العراق، و مات ببغداد سنة اثنتین و أربعین و ستمائة، و کان فاضلًا أُصولیاً.

ثم نقل طرفاً من إشعاره «۱» و یظهر من الشارح الحدیدی وجود الخلطة و الصداقة بینهما حیث ینقل عنه فی شرحه، و یقول: کان صدیقنا علی بن یحیی البطریق (رحمه اللّه)، یقول: لولا خاصة النبوّة و سرّها، لما کان مثل أبی طالب و هو شیخ قریش و رئیسها و ذو

شرفها يمدح ابن أخيه محمداً و هو شاب قد رُبِّى فى حجره و هو يتيمة و مكفوله، و جار مجرى أولاده، بمثل قوله:

و تلقوا ربيع الابطحين محمّدا على ربوة فى رأس عنقاء عيطل

و تأوى إليه هاشم، إنّ هاشماً عرانين كعب آخر بعد أوّل

و مثل قوله:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأَرامل

يطيف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمة و فواضل

---

(۱) فوات الوفيات: ۳- ۱۱۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۸۸

فإنّ هذا الأُسلوب من الشعر لا يمدح به التابع و الذنابى من الناس، و إنّما هو من مديح الملوك و العظماء، فإذا تصوّرت انّه شعر أبى طالب، ذاك الشيخ المبجّل العظيم فى محمد- صلى الله عليه و آله و سلم- و هو شاب مستجير به، معتصم بظلّه من قريش، قد ربّاه فى حجره غلاماً و على عاتقه طفلًا، و بين يديه شابّاً، يأكل من زاده، و يأوى إلى داره علمت موضع خاصّية النبوّة و سرّها، و انّ أمره كان عظيماً و انّ اللّه تعالى أوقع فى القلوب و الأَنفس له منزلة رفيعة و مكاناً جليلًا «۱».

۲- محمد بن يحيى بن البطريق، انظر ترجمته فى تأسيس الشيعة: ۱۳۰.

نكات يجب التنبيه عليها

۱- قد أطبقت كلمة المترجمين لشيخنا المؤَلّف على أنّ اسمه هو: يحيى ابن الحسن بن الحسين فما فى تعليقات بعض الأَعاظم بترجمته، بالحسن بن الحسين محمول على سهو القلم و يصحّح بسقوط لفظ «يحيى» قبل الحسن.

كما أنّ عد شيخنا المترجم له من علماء أهل السنّة كما صدر عنه سهو آخر حيث قال: و انّ كتاب العمدة من الكتب المعتبرة المعتمدة لديهم «۲» و كيف خفى على مثله أنّه من أعيان الطائفة المحقّة و محدّثيهم و من المتفانين فى حب أهل البيت المقتفين آثارهم؟! ۲- قال السيد الصدر فى تأسيس الشيعة: آل البطريق بيت جليل بالحلّة من الشيعة الإمامية، بيت علم و فضل و أدب، اشتهر منهم صاحب الترجمة و ابناه: على بن يحيى و محمد بن يحيى «۳»

---

(۱) شرح نهج البلاغة: ۱۴- ۶۳، طبع مصر.

(۲) لاحظ إحقاق الحق: ۲- ۴۰۶ و ۵۰۹ و ۳- ۶.

(۳) تأسيس الشيعة: ۱۳۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۸۹

۳- قال فى القاموس: البطريق كالكبريت: القائد من قوّاد الروم، تحت يده عشرة آلاف رجل، ثم الطرخان على خمسة آلاف، ثم الفومس على مائتين.

۴- قال شيخنا المجيز الطهرانى: و لعل المؤَلّف من ولد البطريق الذى عدّه ابن النديم مع ابنه يحيى بن بطريق من السريان المترجمين إلى العربية فى عهد المنصور العباسى و إليه تعزى ترجمة «تيماوس» لَافلاطون، فيكون انتماؤه إلى بنى أسد بالولاء «۱» ۵- المشهور انّ المترجم له توفّى عام ۶۰۰ عن عمر يبلغ ۷۷، غير أنّ إسماعيل باشا فى هدية العارفين ج ۲ ص ۵۲۲ ذكر أنّ المترجم له توفى حدود ۶۰۵ و لم يذكر مصدره.

۶- إنّ شيخنا الطهرانى قد عنون المترجم له فى الثقات العيون فى سادس القرون، و ذكر أنّه ولد عام ۵۲۳ و توفّى عام ۶۰۰.

و مع ذلك قد عنونه فى الأَنوار الساطعة فى المائة السابعة و أرّخ ميلاده و وفاته (۶۲۳ ۷۰۰ ه).

و الصحيح هو ما ذكره فى الثقات العيون، و لعلّه تصحيف لتاريخه الصحيح و هو ۵۲۳ ۶۰۰، بتبديل خمسة إلى ستة فى الميلاد و ستة إلى سبعة فى الوفاة، و مع ذلك لم يعلم وجه لتكراره فى الأَنوار الساطعة، لأَنّه لم يكن من علماء القرن السابع بل كان من علماء القرن السادس.

تعريف بكتاب العمدة

لقد قام المؤَلّف فى كتاب العمدة بجمع و تدوين مناقب الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب- عليه السلام- الواردة فى الصحاح و السنن و المسانيد لأَهل السنّة

---

(۱) طبقات أعلام الشيعة: ۲- ۳۳۷: القرن السادس.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۹۰

على نسق خاص و ترتيب مبتكر.

و قد استخرج هذه المناقب من: صحيحى البخارى و مسلم، و من الجمع بين الصحيحين للحميدى، و من كتاب الجمع بين الصحاح الستة لجامعه الشيخ أبى الحسن رزين بن معاوية بن عمار العبدرى و مسند أحمد بن حنبل الشيبانى، و تفسير الثعلبى الموسوم بالكشف و البيان لأَبى إسحاق أحمد ابن محمد بن نعيم الثعلبى، و مناقب الفقيه أبى الحسن بن على بن محمد الطيب المعروف بابن المغازلى الواسطى، و مناقب أحمد بن حنبل المعروف بفضائل الصحابة، إلى غير ذلك من الكتب التى أشار إليها المؤَلّف فى ديباجة الكتاب، و خلال فصوله.

و قد كان هذا الكتاب خير بداية لهذا النوع من التأليف و التصنيف أعنى «جمع المناقب من الصحاح و المسانيد أو السنن المعتبرة عند أهل السنة» و توالت التآليف و المصنّفات على هذا النمط من بعد.

هذا و الكتاب الحاضر، يشتمل على تسعمائة و ثلاثة عشر حديثاً فى ستة و ثلاثين فصلًا ثم ذيّله بعدة أُمور ترى تفصيلها فى فهرس الكتاب و لم يخصّها بالفصل، و قد ذكر عدد أحاديث كل فصل فى مقدّمته.

كما ذكر المؤَلّف أسانيده و طرقه إلى مؤَلّفيها و رواتها فى صدر الكتاب، و هو يعرب عن مكانته فى الحديث و تضلّعه فيه، و كثرة مشايخه و أساتذته، و بلوغه الذروة فى الإِحاطة بالمناقب و الفضائل.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۹۱

۹- محمد بن الحسين البيهقى قطب الدين الكيدرى (كان حياً سنة ۶۱۰ ه)

الشريعة الإِسلامية و دورها فى الحياة البشرية

اشارة

بُعث النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- بكتاب مبين، و سنّة زاهرة، و شريعة جامعة، فأحدث رجّة فى كافة جوانب الحياة الإِنسانية، و لم يبق مظهر للحياة إلّا اهتزّ و ظهرت معالم التطوّر فيه.

كانت الشريعة الإِسلامية زلزالًا فى حقل الدين و العقيدة فعصفت بالشرك و جعلت من الإِنسان المشرك، موحّداً ضحّى بنفسه و

نفيسه فى سبيل التوحيد و مكافحة الوثنية.

كانت زلزالًا فى جانب العادات و التقاليد و الآداب و الأَخلاق، فقد أبادت الرسوم الجاهلية و ذهبت بأعرافها فأصبح الإِنسان العاكف على الخرافات الموروثة منا لآباء، فرداً موضوعياً رافضاً لما يخالف الفطرة و العقل السليم.

كانت هزّة عنيفة فى مجال العلم و المعرفة بعالم الوجود و فسيح الكون و قد دعت إلى النظر فى بديع الصنع و خاطبت الإِنسان، بقوله: (قُلِ انْظُرُوا مٰا ذٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ) «۱» فعاد الجاهل عالماً بالسنن الكونية، سابحاً فى بحار

---

(۱) يونس: ۱۰۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۹۲

المعرفة بتأسيسه علوماً و فنوناً لم يكن لها مثيل من ذى قبل، كما أكمل فنوناً موروثة من المتقدّمين.

و من أعجب ما أحدثته فى الحياة الإِنسانية تشريع أُسُس و نُظُم فى حقل التكاليف و الحقوق مبنية على الفطرة و الخلقة البشرية لا تحيد عنها قيد شعرة، و لم يرتحل صاحب الدعوة و حامل الشريعة حتى أرسى دعائم أعظم حضارة عرفتها البشرية فكان رائدها و موجدها حيث لم ير التاريخ مثلها فيما عبر و غبر فى الشمولية و العمومية.

فصارت الشريعة الإِسلامية كشجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها فى السماء تؤتَى أُكلها كلّ حين بإذن ربّها، و صار المسلمون مراجع فى الكلام و العقيدة، و أساتذة فى الأَخلاق و عباقرة العلوم، و علماء شامخين فى الحقوق، استغنوا فى ظل التشريع الإِسلامى عن أى تشريع سواه.

و من مميزاتها البارزة شموليّتها و عموميّتها بحيث لم يبق موضوع إلّا و تناولته تشريعاً و تقنيناً، و هذا إن دل على شىء فإنّما يدلّ على أنّ الشريعة الإِسلامية ليست وليدة الفكر البشرى المتناهى و إنّما هى أثر العلم و القدرة الواسعين غير المتناهيين.

حفّاظ الشريعة و حملتها:

لنّبى النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- دعوة ربّه و ترك كنزين ثمينين و وديعتين كريمتين عرّفهما فى حديثه الخالد المعروف بحديث الثقلين، و قال: «إنّى تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه و عترتى» فكان الكتاب شمساً ساطعة، و العترة الطاهرة أقماراً منيرة أناروا الطريق للمهتدين.

و من حسن الحظ أنّ جيلًا كبيراً من الأُمّة الإِسلامية قد استضاءوا بنورهم و وصلوا القمة فى مجال العلم و العمل، و معالم الفقه و مكارم الأَخلاق، فصاروا نجوماً فى سماء العلم يهتدى بهم الناس فى حياتهم فحملوا الشريعة دقيقها

تذكرة الأعيان، ص: ۱۹۳

و جليلها إلى الآخرين إلى أن تواصلت حلقات العلم و الحديث و التفسير و الفقه إلى العصر الحاضر.

فسلام اللّه على العترة الطاهرة حملة السنّة النبويّة و حفظة الشريعة، و على أصحابهم المتربّين فى حجورهم الطاهرة، الحافظين لعلومهم و أسرارهم، و الناقلين لَامانتهم إلى الاجيال اللاحقة، فهم كما قال رسول اللّه: «يحمل هذا الدين فى كلّ قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين و تحريف الغالين و انتحال الجاهلين كما ينفى الكير خبث الحديد» «۱» و لو عرضنا أسماء من تخرّجوا من مدرستهم فى القرون الإِسلامية الأولى و بالأَخص فى القرن الثانى و الثالث لطال بنا الكلام و طال موقفنا مع القرّاء الكرام، و بما أنّ مؤَلف هذا الكتاب من علماء القرن السادس و من كبار المجتهدين على مذهب العترة الطاهرة فى ذلك العصر، نذكر أسماء مشاهير فقهاء ذلك القرن من الإِمامية بوجه موجز مقتصراً على اسمهم و عصرهم، كى يقف القارئ الكريم على أنّ الفقه الشيعى الإِمامى قد بلغ القمة فى تلك العصور و نبغ فيها فطاحل الفقه و أبطال الاجتهاد عند ما تجمد الفقه و انحسر عن التطور على مذهب الجمهور، فلو كان القرن

السادس و السابع عصر الجمود و الركود لفقههم، فقد كان ذانك القرنان عصر ازدهار الفقه الشيعى و تطوره، و قد كثر الفقهاء و المحقّقون فى الفقه فيهما، كما كثر التأليف أيضاً بمختلف الألوان و شتى الوجوه، و إليك قائمة مشاهير الفقهاء فى القرن السادس: ۱- الحسن بن محمّد بن الحسن الطوسى المجاز عن والده شيخ الطائفة فى سنة ۴۵۵ ه.

الراوى عن والده و عن سلار الديلمى (المتوفّى ۴۶۳ ه) و يروى عنه جمع كثير، منهم: أبو الرضا فضل اللّه بن على الراوندى و كان حياً عام ۵۱۵ ه.

---

(۱) رجال الكشّى: ۱۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۹۴

۲- الإمام فضل اللّه بن على بن هبة اللّه المعروف بالسيد الامام ضياء الدين أبى الرضا الحسنىّ الراوندى الكاشانى، جمع مع علو النسب، كمال الفضل و الحسب، و كان أُستاذ أئمّة عصره، كان حياً سنة ۵۴۸ ه.

۳- الإمام الطبرسى: الفضل بن الحسن بن الفضل (۴۷۱ ۵۴۸ ه) صاحب «مجمع البيان فى تفسير القرآن» و هو غنى عن التعريف و آراؤه فى الفقه معروفة.

۴- الحسين بن على بن محمد جمال الدين أبو الفتوح النيسابورى الخزاعى، نزيل الرى صاحب التفسير الكبير باسم «روض الجنان» من مشايخ ابن شهرآشوب و كان حياً عام ۵۵۲ ه.

۵- الامام قطب الدين سعيد بن هبة اللّه الراوندى مؤَلف «فقه القرآن» المتوفّى ۵۷۳ ه.

۶- عبد اللّه بن حمزة بن عبد اللّه بن حمزة أُستاذ مؤَلف هذا الكتاب قطب الدين الكيدرى، و ستوافيك اجازته للمترجم.

۷- عبد اللّه بن على بن زهرة أخو أبى المكارم صاحب «الغنية» (۵۳۱ ۵۸۰ ه) له «التجريد لفقه الغنية عن الحجج و الأدلّة» و غيره.

۸- الشيخ الامام رشيد الدين محمد بن على بن شهرآشوب (۴۸۸ ۵۸۸ ه) صاحب المناقب و المتشابهات.

۹- حمزة بن على بن زهرة المعروف ب «ابن زهرة» (۵۱۱ ۵۸۵ ه) له «غنية النزوع فى علمى الأصول و الفروع» فقيه شهير.

۱۰- محمد بن المنصور المعروف ب «ابن إدريس العجلى» (۵۴۳)

تذكرة الأعيان، ص: ۱۹۵

(۵۹۸ ه) صاحب كتاب «السرائر و الحاوى لتحرير الفتاوى»، أحد الفقهاء الكبار المعروف بالجرأة على الخلاف.

۱۱- سديد الدين محمود بن على بن الحسن، علّامة زمانه فى الأُصولين، له «المصادر فى أُصول الفقه» توفى سنة ۶۰۰ ه.

۱۲- على بن الحسن بن أبى المجد الحلبىّ مؤَلف كتاب «إشارة السبق» المحقّق المنتشر أخيراً.

هؤلاء نماذج من مشاهير فقهاء القرن السادس الذى نبغ فيه شيخنا المؤَلف قطب الدين الكيدرى البيهقى، و إليك ترجمته حسب ما وقفنا عليه فى كتب التراجم و غيرها.

الإقليم الخصب بالمواهب و القابليات:

إنّ إقليم خراسان إقليم خصب، بالمواهب و الاستعدادات، بل كانت و لم تزل تربّى فى أحضانها رجالًا كباراً و أفذاذاً فى العلم و الحديث.

و لقد كانت هذه المنطقة فى القرن السادس و لا سيما منطقة بيهق بيئة شيعية، خرج منها العديد من الفقهاء منهم الشيخ قطب الدين البيهقى الذى نحن بصدد ترجمته.

قال فى معجم البلدان: و قد أخرجت هذه الكورة من لا يحصى من الفضلاء و العلماء و الفقهاء و الأدباء و مع ذلك و الغالب على

أهلها مذهب الرافضية «۱».

---

(۱) ياقوت الحموى: معجم البلدان: ۱- ۵۳۸.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۹۶

حياة المؤَلف و مشايخه و مؤَلفاته:

[أما حياة المؤلف]

هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن تاج الدين الحسن بن زين الدين محمد ابن الحسين بن أبى المحامد البيهقى النيسابورى.

كل من ذكر شيخنا المترجم له فقد أطراه و أثنى عليه، و إن كان ما ذكر فى حقّه من الكلمات لا تستطيع أن ترسم لنا حياته منذ شبابه إلى شيخوخته، أو تحدد ميلاده و وفاته، أو تضبط مشايخه فى الروايهٔ و الدرايهٔ، و تلامذته و الرواهٔ عنه، و مع هذا النقص الذى ابتلى به كثير من أكابر الطائفهٔ نذكر ما عثرنا عليه من الكلمات فى حقّه: ۱- قال الشيخ الحر العاملى: الشيخ قطب الدين محمد بن الحسين بن أبى الحسين القزوينى فقيه صالح، قاله منتجب الدين «۱».

۲- قال السيد بحر العلوم: محمد بن الحسين بن أبى الحسين بن أبى الفضل القزوينى المعروف ب «قطب الدين القزوينى»، فقيه فاضل من أهل بيت العلم و الفقه، ذكره الشيخ منتجب الدين و ذكر أباه و أخويه إلى أن قال: و لعل الشيخ قطب الدين محمد بن الحسين القزوينى المذكور، هو الشيخ قطب الدين الكيدرى المشهور أحد الفضلاء الاعلام و الفقهاء المنقول عنهم الاحكام «۲».

و هذان النّصان مأخوذان من عبارهٔ الشيخ منتجب الدين و إليك نصه: المشايخ: قطب الدين محمد، و جلال الدين محمود، و جمال الدين مسعود، أولاد الشيخ الإمام أوحد الدين، الحسين بن أبى الحسين القزوينى كلّهم فقهاء صلحاء «۳».

---

(۱) الحرّ العاملى: أمل الآمل: ۲- ۲۶۶ برقم ۷۷۰.

(۲) بحر العلوم: الرجال: ۳ ۲۴۱- ۲۴۰.

(۳) منتجب الدين: الفهرست: ۱۸۷ برقم ۸۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۹۷

غير أنّ الشك يساور انطباق ما ذكره الشيخ منتجب الدين على شيخنا الكيدرى، و ذلك من جهتين: ۱- أنّه منسوب إلى «بيهق» و «كيدر» من مضافاته، و كلاهما تعرفان اليوم ب «سبزوار» و «بيهق» من أعمال خراسان و أين هما من بلدهٔ قزوين الواقعهٔ فى غرب طهران؟! ۲- أنّ الشيخ الفقيه عبد اللّه بن حمزهٔ من أساتذهٔ شيخنا و قد أجاز له و ذكر اسمه فى إجازته هكذا: محمد بن الحسين بن الحسن الكيدرى البيهقى، كما سيوافيك، و هو يغاير الموجود فى فهرست منتجب الدين.

كلّ ذلك يورث الظّن القوىّ بأنّ المترجم فى الفهرست، غير شيخنا الكيدرى.

نعم قال الحموى فى معجم البلدان: كندر: موضعان: أحدهما: قريهٔ من نواحى نيسابور من أعمال طريثيث «۱» و الثانى: قريهٔ قريبهٔ من قزوين «۲».

و لعل صاحب المعجم لم يقف على «كيدر» بتاتاً، و لأَجل ذلك لم يذكره فى معجم البلدان و إنّما ذكر «كندر».

و احتمال أنّ «كيدر» مصحف «كندر» و المترجم من منطقهٔ «كندر» فى قزوين حتى ينطبق عليه ما ذكر فى الفهرست بعيد جدّاً، كيف و قد وصفه أُستاذه ابن حمزهٔ المشهدى بالكيدرى لا بالكندرى؟! كما أنّ العلّامهٔ الحلى أكثر عنه النقل فى مختلف الشيعهٔ و أسماه

بقطب الدين الكيدرى.

كل ذلك يدل على أنّ عبارة منتجب الدين فى فهرسته لا تمتُّ للمترجم

---

(۱) كذا فى المصدر.

(۲) معجم البلدان: ۴- ۴۸۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۹۸

بصلة فلا محيص لنا من التتبع فى سائر المعاجم حتى نقف على ترجمته.

۳- وصفه شيخه عبد اللّه بن حمزة فى إجازته له بقوله: الامام الأَجل، العالم الزاهد، المحقّق المدقّق، قطب الدين تاج الإِسلام فخر العلماء و مرجع الأَفاضل محمد بن الحسين بن الحسن الكيدرى البيهقى وفّقه اللّه لما يتمنّاه فى دنياه و عقباه «۱».

۴- قال صاحب الروضات (المتوفّى ۱۳۱۳ ه): كان من أكمل علماء زمانه فى أكثر الافنان، و أكثرهم إفادة لدقائق العربية فى جموعه الملاح الحسان «۲» ۵- و قال المحدّث النورى نقلًا عن صاحب الرياض: إنّ قطب الدين يطلق على جماعة كثيرة: الأَوّل: على قطب الدين الراوندى.

و الثانى: على الشيخ أبى الحسن قطب الدين محمد بن الحسن بن الحسين الكيدرى السبزوارى صاحب «مناهج النهج» بالفارسية و غيره «۳» ۶- و قال شيخنا الطهرانى: محمد بن الحسين بن الحسن البيهقى الشيخ قطب الدين أبو الحسن النيسابورى الشهير ب «قطب الدين الكيدرى» شارح نهج البلاغة سنة ۵۷۶ ه، ثم ذكر تآليفه «۴» ۷- و قال المحدّث القمى: أبو الحسن محمد بن الحسين بن الحسن البيهقى النيسابورى الإِمامى الشيخ الفقيه، الفاضل الماهر و الأَديب الاريب، البحر الزاخر

---

(۱) سوف يوافيك نصّ الإِجازة فى أثناء المقال.

(۲) الخوانسارى: روضات الجنات: ۶- ۲۹۵ رقم الترجمة ۵۸۷.

(۳) النورى: المستدرك: ۳- ۴۴۸.

و لكن الصحيح فى اسمه: الحسين بن الحسن.

(۴) الطهرانى: طبقات أعلام الشيعة (القرن السادس (: ۲۵۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۱۹۹

صاحب «الإِصباح» فى الفقه، و أنوار العقول فى جمع أشعار أمير المؤمنين عليه السَّلام و شرح النهج «۱» ۸- و ذكر شيخنا المدرس فى ريحانته قريباً ممّا ذكر «۲»

مشايخه:

روى عن جمع من مشايخ الإِمامية، و إليك أسماءهم: ۱- الشيخ الامام نصير الدين أبو طالب عبد اللّه بن حمزة بن عبد اللّه الطوسى الشارحى المشهدى و عرفه منتجب الدين فى فهرسته بقوله: فقيه، ثقة، وجه «۳».

۲- المفسّر الكبير الفضل بن الحسن الطبرسى (۴۷۱ ۵۴۸ ه) قال شيخنا الطهرانى: يظهر نقله عنه من أثناء كتابه هذا (أنوار العقول) عند ذكر الحرز المشهور عن أمير المؤمنين- عليه السلام- فى قوله: «ثلاث عصى طفقت بعد خاتم» «۴» ۳- الإِمام أبو الرضا فضل اللّه بن على بن هبة اللّه المعروف بضياء الدين أبى الرضا الحسنىّ الراوندى الكاشانى ذكر العماد الكاتب الأصفهانى فى خريدة القصر أنّه رآه فى كاشان سنة ۵۳۳ ه و هو يعظ الناس فى المدرسة المجدية.

نقل شيخنا المجيز الطهرانى رواية الكيدرى عنه و أنّه يروى عنه بغير

---

(۱) الكنى و الأَلقاب: ۳- ۷۴.

(۲) المدرس التبريزى: ريحانة الأَدب: ۴- ۴۷۳.

(۳) منتجب الدين: الفهرست: ۲۶۹ برقم ۲۷۲.

(۴) الذريعة: ۲- ۴۳۱ برقم ۱۶۹۷، تحت عنوان أنوار العقول.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۰۰

واسطة، و ربّما يروى عنه بواسطة أُستاذه الشيخ عبد اللّه بن حمزة بن عبد اللّه الطوسى «۱» و لعل الثانى أقرب.

۴- محمد بن سعيد بن هبة اللّه الراوندى المعروف ب «ظهير الدين» (المتوفّى ۵۷۳ ه) فقد ترجمه منتجب الدين فى فهرسته و قال: فقيه ثقة، عدل، عين.

ذكر شيخنا الطهرانى أنّ صاحب الترجمة يروى عنه فى كتابه «بصائر الأُنس بحظائر القدس» نقله البياضى فى الصراط المستقيم «۲»

تآليفه:

اشارة

إنّ لشيخنا الكيدرى تآليف فى موضوعات مختلفة يظهر أنّه كان ميّالًا لأَكثر من فن واحد، نذكرها حسب ترتيب حروف الهجاء: ۱- إصباح الشيعة بمصباح الشريعة: و هذا هو الكتاب الذى يزفّه الطبع إلى القراء و سوف نبرهن على أنّه من تآليفه، لا من تأليف الفقيه الصهرشتى.

۲- أنوار العقول من أشعار وصىّ الرسول: و هو ديوان أشعار منسوبة إلى الامام أمير المؤمنين- عليه السلام- مرتبة قوافيها ترتيب حروف الهجاء، قال شيخنا الطهرانى: من جمع قطب الدين الكيدرى أوّله: «الحمد للّه لأنت لعزته الجبابرة، و تضعضعت دون عظمته الأَكاسرة» ذكر فى أوّله أنّه جمع أوّلًا خصوص إشعاره المشتملة على الآداب و الحكم و المواعظ و العبر و سمّاه «الحديقة الانيقة»، ثم جمع إشعاره- عليه السلام- جمعاً عاما فى هذا الكتاب الّذى سمّاه «أنوار العقول» «۳».

---

(۱) طبقات أعلام الشيعة (سادس القرون (: ۲۶۰، و هو غير محمد بن على بن حمزة الطوسى الفقيه مؤَلف «الوسيلة» و ان كانا معاصرين.

و يظهر منا لمحقق السيد عبد العزيز الطباطبائى كونه صاحب الوسيلة.

تراثنا: العدد: ۳۹- ۳۰۳.

و الحق خلافه.

(۲) طبقات أعلام الشيعة (سادس القرون (: ۲۶۵، و لاحظ أيضاً ص ۲۶۰.

(۳) الطهرانى: الذريعة: ۲- ۴۳۱ برقم ۱۶۹۷) أنوار العقول).

تذكرة الأعيان، ص: ۲۰۱

۳- البراهين الجليّة فى إبطال الذوات الأَزليّة: ذكره صاحب الروضات و شيخنا الطهرانى فى الذريعة «۱» ۴- بصائر الأُنس بحظائر

القدس «۲» ۵- تنبيه الأنـام لرعايـة حقّ الامام: ذكره المؤَلف فى كتاب إصباح الشيعة «۳» ۶- حدائق الحقائق فى تفسير دقائق أفصح الخلائق: شرح على كتاب نهج البلاغة و فرغ منه عام ۵۷۶ ه، ذكر صاحب الروضات أنّه وجد فى آخر نسخة عتيقة من الشرح المذكور صورة خط لبعض أعـاظم فضـلاء عصر الشارح المعظم، بهـذه الصورة: وافق الفراغ من تصـنيف الامام العالم الكامل المتبحر الفاضـل قطب الـدين نصير الإِسـلام مفخر العلماء مرجع الأَفاضل محمد بن الحسين بن الحسن الكيدرى البيهقى تغمده اللّه تعالى برضوانه فى أواخر الشـهر الشـريف شـعبان سنة ست و سبعين و خمسمائة «۴» و قـد ألّفه بعـد شـرح ظهير الدين البيهقى المعروف بابن فندق (۴۹۳ ۵۶۵ ه) «۵» و قد أسماه معارج نهج البلاغة طبع عام ۹۰۴۱ ه، بتحقيق «محمد تقى دانش پژوه» و نشرته مكتبة السيد المرعشى فى قم، و شرح شـيخه قطب الدين الراوندى، و قد أسمى شرحه بمنهاج البراعة، و طبع بتحقيق المحقق العطاردى عام ۱۴۰۳ ه، ثمّ أُعيدت طبعته فى ثلاثة أجزاء عام ۱۴۰۶ ه، بتحقيق السيّد عبد اللطيف القرشى.

و قد ذكر صاحب الروضات ملامح الكتاب و قد نقل شيئاً من مقدّمة الكتاب و أنّه قال فى ديباجته:

---

(۱) نفس المصدر: ۳- ۸۰ برقم ۲۴۱.

(۲) طبقات أعلام الشيعة سادس القرون، ص ۲۶۵ و لاحظ أيضاً ص ۲۶۰.

(۳) إصباح الشيعة: ۱۲۸.

(۴) الخوانسارى: روضات الجنات: ۶- ۲۹۸، الأَمين: أعيان الشيعة: ۸- ۲۴۵.

(۵) ياقوت الحموى: معجم الأدباء: ۵- ۲۰۸.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۰۲

«إنّه كامـل بـإيراد فوائـد على ما فيهما (يريـد كتابى المنهاج لابن فنـدق و المعارج لأُسـتاذه قطب الـدين الراونـدى) زوائـد، لا كزيادة الأَديم، بل كما زيد فى العقل من الدرر اليتيم، و متمم ما تضمّناه بتتمة لا تقصر فى الفضل دونهما، إن لم ترب عليهما، و أنّه قد اندرج فيه من علوم نوادر اللغـة و الأَمثال، و دقائق النحو و علم البلاغـة، و ملـح التواريخ و الوقائع، و من غوامض الكلام لمتكلمى الإِسـلام، و علوم الأَوائـل، و أُصول الفقه و الأَخبار، و آداب الشـريعة و علم الأَخلاق و مقامات الأَولياء، و من علم الطب و الهيئـة و الحساب، على ما اشتمل عليه المعارج، كل ذلك لا على وجه التقليد و التلقين، بل على وجه يجدى بلج اليقين «۱».

و قد نقل عنه المحقّق ابن ميثم فى شرحه على نهج البلاغة فى تفسير الخطبة الشقشقية «۲» و قد نقل عنه العلّامة المجلسى فى بحاره فى أجزاء السماء و العالم «۳» ۷- الحديقة الانيقة: و قد مضى أنّه ألّفه قبل تأليف أنوار العقول.

۸- الدرر فى دقائق علم النحو: ذكره شيخنا المدرس فى موسوعته «۴» ۹- شرح الإِيجاز فى النحو: لاحظ مجلة تراثنا العدد: ۳۹- ۳۰۲.

۱۰- شريعة الشريعة: ذكره فى حدائق الحقائق: ۳- ۱۴۵۱.

---

(۱) روضات الجنات: ۶- ۲۹۵ برقم ۵۸۷.

و ذكر شيخنا الطهرانى أن منه نسخة فى المدرسة الفاضلية الذريعة: ۶- ۲۸۵.

(۲) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ۱ ۲۷۱- ۲۶۹.

(۳) بحار الأَنوار: ۵۵- ۲۷۹، و قد ذكر السيد بحر العلوم بعض مواضع النقل، لاحظ الفوائد الرجالية: ۳- ۲۴۲.

و العجب أن المحدّث النورى ذكر انّ اسم شرحه على النهج هو «الإِصباح» لاحظ المستدرك: ۳- ۵۱۳.

أضف أنّه ذكره تارة باسم «أبى الحسن البيهقى» و اخرى باسم «أبى الحسين».

(۴) ريحانة الادب: ۴- ۴۷۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۰۳

۱۱- كفاية البرايا فى معرفة الأَنبياء: ذكره شيخنا الطهرانى فى الذريعة قال: و قد نقل جملة من عباراته شيخنا النورى فى خاتمة المستدرك «۱» ۱۲- لبّ الأَلباب فى بعض مسائل الكلام: ذكره الطهرانى فى الذريعة، و المدرس فى موسوعته «۲» ۱۳- مباهج المهج فى مناهج الحُجج (بالفارسية): ذكر شيخنا الطهرانى أن له منتخباً فارسياً باسم «بهجة المناهج» فى فضائل النبى و الأَئمة و معجزاتهم «۳» و ذكر السيد المحقّق الطباطبائى فى مذكّراته أنّ منه نسخة فى مكتبة المسجد الأَعظم فى قم المشرفة ذكرت فى فهرستها ص ۳۸۳، و مخطوطة أُخرى فى مكتبة مدرسة السيّد الگلپايگانى فى قم رقم ۲۱۲۵ ذكرت فى فهرستها: ۳- ۱۶۹.

إصباح الشيعة من مؤَلفات الكيدرى:

إنّ هذا الكتاب من تأليف شيخنا المحقّق الكيدرى بلا ريب، و إنّ نسبته إلى الشيخ سليمان بن الحسن بن سليمان الصهرشتى خطأ، و ذلك بالأَدلّة التالية: أوّلًا: أنّ الشيخ منتجب الدين الذى قام فى فهرسته بترجمة علماء الإِمامية من بعد عصر الشيخ إلى زمانه (۴۶۰ ۶۰۰ ه) ترجم شيخنا الصهرشتى و ذكر تآليفه و لم يذكر له ذلك الكتاب و قال: الشيخ الثقة أبو الحسن سليمان بن الحسن ابن سليمان الصهرشتى فقيه، وجه، دين، قرأ على شيخنا الموفق أبى جعفر الطوسى و جلس فى مجلس درس سيدنا المرتضى علم الهدى (ره) و له تصانيف،

---

(۱) الذريعة: ۸- ۸۹ برقم ۸۱۲، و ذكره شيخنا المدرس فى ريحانة الادب: ۴- ۴۷۵، و لم نعثر عليه فى المستدرك.

(۲) الذريعة: ۱۸- ۲۸۲ برقم ۱۱۷، و ريحانة الادب: ۴- ۴۷۵.

(۳) الذريعة: ۱۹- ۴۶۰ برقم ۲۴۱، و رياض العلماء: ۲- ۴۴۵ و ذكره فى الذريعة: ۲۲- ۳۴۹ باسم «مناهج المنهج» و قال: و الظاهر أن الصحيح «مباهج المهج فى مناهج الحجج».

تذكرة الأعيان، ص: ۲۰۴

منها: كتاب النفيس، كتاب التنبيه، كتاب النوادر، كتاب المتعة أخبرنا بها الوالد عن والده عنه «۱» و لو كان له ذلك الكتاب الرائع لما غفل عن ذكره.

و ثانياً: أنّ العلّامة الحلى (۶۴۸ ۷۲۶ ه) قد نقل عن ذلك الكتاب شيئاً كثيراً و نسبه إلى المحقّق الكيدرى، و ذلك فى مواضع كثيرة و النصوص المنقولة موجودة فى هذا الكتاب «۲» و ثالثاً: أنّ نفس الكتاب ينفى أنّه تأليف الصهرشتى الذى هو من تلاميذ المرتضى و الشيخ الطوسى و يبدو أنّه قد توفى فى أواخر القرن الخامس و كان حياته بين (۴۰۰ ۵۰۰ ه) و ذلك لَانّه ينقل فى ذلك الكتاب «۳» من السيد الجليل حمزة ابن على بن زهرة المعروف ب «ابن زهرة» المشهور بكتابه «غنية النزوع إلى علمى الأصول و الفروع» و قد ولد كما فى نظام الأَقوال فى رمضان ۵۱۱ ه، و توفى سنة ۵۸۵ ه، فكيف يمكن أن يكون الكتاب أثراً للصهرشتى الذى أجازه النجاشى سنة ۴۴۲؟! قال صاحب الرياض: إنّ الشيخ الصهرشتى قال فى أواخر «قبس المصباح»: فصل: أخبرنا الشيخ الصدوق أبو الحسن أحمد بن على بن أحمد النجاشى و الصيرفى المعروف ب «ابن الكوفى» يعنى النجاشى صاحب الرجال ببغداد فى آخر شهر ربيع الأَوّل سنة اثنتين و أربعين و أربعمائة و كان شيخاً، بهيّاً، ثقة، صدوق اللسان عند المؤالف و المخالف رضى اللّه عنه، ثم ذكر رواياته عن أبى يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفرى المتوفّى عام ۴۶۳ ه و غيره «۴»

---

(۱) منتجب الدين: الفهرست: ۸۵ برقم ۱۸۴، و رياض العلماء: ۲- ۴۴۵.

(۲) لاحظ مختلف الشيعة كتاب زكاة الفطرة: ۱۹۹، كتاب الخمس: ۲۰۵، كتاب الشفعة: ۴۰۳، كتاب الوقف: ۴۹۱ و ۴۹۴، كتاب النكاح: ۵۴۳ و ۵۵۳ و ۵۵۶ و ۵۵۹، نكاح المتعة: ۵۶۰ و ۵۶۴، كتاب الفرائض: ۷۳۳ فى ميراث العمّ و الخال؛ ۷۳۵، و غير ذلك كلّه من الطبعة القديمة الحجرية.

(۳) لاحظ إصباح الشيعة: ۹۹ و ۱۰۰.

(۴) رياض العلماء: ۲- ۴۴۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۰۵

و رابعاً: أنّ من سبر الكتاب يقف على أنّ المؤَلف سار على ضوء كتاب الغنية، ترتيباً للكتب، تبويباً للأَبواب غالباً، و ربما يستخدم من عباراتها شيئاً فى طرح المسائل و شرحها.

و هذه الوجوه تثبت بوضوح أنّه من تأليف شيخنا المؤَلف الذى بخس التاريخ حقّه، فلم يذكر عن حياته إلّا شيئاً قليلًا.

ثم إنّ أوّل من نسب الكتاب إلى الشيخ الصهرشتى هو شيخنا العلّامة المجلسى عند ذكر مصادر بحار الأَنوار حيث قال: و كتاب «قبس المصباح» من مؤَلّفات الشيخ الفاضل أبى الحسن سليمان بن الحسن الصهرشتى من مشاهير تلامذة شيخ الطائفة إلى أن قال: و كتاب إصباح الشيعة بمصباح الشريعة له أيضاً «۱».

و لمّا كان ذلك العزو غير مرضى عند صاحب الرياض قال: و نسَبه الأُستاذ الاستناد فى البحار إليه و ينقل عنه فيه، و الذى يظهر من كتب الشهيد، أنّ الإِصباح المذكور من مؤَلّفات قطب الدين الكيدرى، لأَنّ العبارات التى ينقلها عن القطب المذكور هى مذكورة فى الإِصباح المزبور «۲» و تبع صاحب البحار، شيخنا المجيز الطهرانى فى طبقات أعلام الشيعة فى ترجمة شيخنا الصهرشتى و قال: و له «إصباح الشيعة بمصباح الشريعة» كذا فى فهرست منتجب ابن بابويه «۳» و ما نسبه إلى فهرست منتجب الدين ليس بموجود فيه إذ لم يذكر الكتاب فى ترجمة الصهرشتى «۴» و منهم: السيد الأَمين فقد تبع صاحب الذريعة فنسب الإِصباح إلى

---

(۱) المجلسى، البحار: ۱- ۱۵.

(۲) رياض العلماء: ۲- ۴۴۶.

(۳) طبقات أعلام الشيعة (القرن الخامس): ۸۸.

(۴) منتجب الدين: الفهرست: ۸۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۰۶

الصهرشتى «۱».

و لم يبق فى المقام سوى احتمال أنّ المؤَلفين الجليلين ألّفا كتابين مسمّين باسم إصباح الشيعة بمصباح الشريعة، غير أنّه وصل إلينا أحدهما دون الآخر، و قد عرفت أنّ الواصل إلينا ليس إلّا تأليف الشيخ الكيدرى.

نعم اشترك المؤَلفان فى اسم كتاب آخر و هو التنبيه غير أنّ ما ألّفه الصهرشتى أسماه «تنبيه الفقيه» «۲» و ما ألّفه شيخنا المؤَلف أسماه ب «تنبيه الأَنام لرعاية حق الإِمام».

إجازة ابن حمزة للمؤلف:

إنّ شيخنا المؤَلف لما فرغ من كتاب «حدائق الحقائق» الذى ألّفه شرحاً لنهج البلاغة، على غرار ما ألّفه ابن فندق البيهقى، و شيخه قطب الدين الراوندى، عرضه على أُستاذه الشيخ عبد اللّه بن حمزة، فاستحسنه و كتب تقريظاً له، و أجازه فيه أن يروى عنه ما صحت له روايته و نص الإجازة موجودة على ظهر مصورة كتاب إصباح الشيعة بمصباح الشريعة فى مكتبة المرعشى المسجل برقم ۱۲۷ و

إليك نصها: هذا الكتاب الموسوم ب «حدائق الحقائق فى شرح نهج البلاغة» كتاب جامع لبدائع الحكم، و روائع الكلم، و زواهر المبانى و جواهر المعانى، فائق ما صنّف فى فنّه من الكتب، حاوٍ فى فنون من العلم لبابَ الألباب، و نكت النخب، ألفاظه رصينة متينة، و معانيه واضحة مستبينة، فبالحرى أن يُمسى لكلام أفصح العرب بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم- شرحاً، و يقابل بالقبول و الإقبال، و لا يعرض عنه صفحاً، و صاحبه الامام الأجل العالم الزاهد، المحقّق المدقق، قطب الدين تاج الإسلام، مفخرُ العلماء، مرجعُ الأفاضل، محمد بن الحسين بن

---

(۱) الأمين: أعيان الشيعة: ۷- ۲۹۷.

(۲) ابن شهرآشوب: معالم العلماء: ۵۶ برقم ۳۷۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۰۷

الحسن الكيدرى البيهقى، وفّقه اللّه لما يتمناه فى دنياه و عقباه، قد عبّ فى علوم الدين من كل بحر و نهر، و قلب كل فن ممّا انطوى عليه الكتاب بطناً لظهر، و لم يأل جهداً فى اقتناء العلوم و الآداب، و أدأب نفسه فى ذلك، غاية نهار عمره كل الإدآب، حتى ظفر بمقصوده، و عثر على منشوده، وها هو منذ سنين يقتفى آثارى و يعشو إلى ضوء نارى، يغتذى ببقايا زادى، و يطأ مصاعد جوادى.

و قد صح له و ساغ رواية جميع ما سمعته و جمعته من الكتب الأصولية و الفروعية و التفاسير و الأخبار و التواريخ و غير ذلك على ما اشتمل عليه فهارس كتب أصحابنا و غيرهم، من مشايخى المشهورة لا سيما الكتاب الذى شرحه هو، و هو نهج البلاغة.

و له أن يرويه بأجمعه عنّى، عن السيد الشريف السعيد الأجل أبى الرضا فضل اللّه بن على الحسين الراوندى، عن مكى بن أحمد المخلّطى، عن أبى الفضل محمد بن يحيى الناتلى، عن أبى نصر عبد الكريم بن محمد الديباجى، المعروف بسبط بشر الحافى، عن السيد الشريف الرضى رضى اللّه عنه، و عن غير هؤلاء من مشايخى.

و هو حرى بأن يؤخذ عنه، و موثوق بأن يعول عليه.

و هذا خط العبد المذنب المحتاج إلى رحمة اللّه عبد اللّه بن حمزة بن عبد اللّه الطوسى فى شهر رمضان عظم اللّه بركته سنة ست و تسعين و خمسمائة.

و أظنّ أنّ التسعين مصحّف السبعين، لمقاربتهما كتابةً، و يبدو أنّ المؤلف لمّا فرغ من شرحه على النهج عام ۵۷۶ ه، عرض على أُستاذه فى هذه السنة أو وقف أُستاذه عليه عفواً، و من البعيد أن يقف عليه بعد الفراغ بعشرين سنة، أو يعرضه عليه مؤلّف الكتاب بعد تلك الفترة من تأليفه.

فالإجازة دليل على حياة ابن حمزة فى تلك السنة، كما هى دالة على أنّ شيخنا المؤلف كان أحد المؤلّفين الافذاذ الكبار فى ذلك العصر.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۰۸

ثم إنّ شيخنا قطب الدين المجاز صرّح بقراءته على أُستاذه ابن حمزة فى بعض كتبه الذى ألّفه عام ۵۷۳ ه قال المحدّث النورى: قال محمد بن الحسين القطب الكيدرى تلميذه فى كتاب كفاية البرايا فى معرفة الأنبياء و الأوصياء: حدّثنى مولاى و سندى الشيخ الأفضل، العلّامة، قطب الملّة و الدين نصير الإسلام و المسلمين، مفخر العلماء، مرجع الفضلاء، عمدة الخلق، ثمال الأفاضل عبد اللّه بن حمزة بن عبد اللّه بن حمزة الطوسى أدام ظل سموّه و فضله للأنام، و أهله ممدوداً، و شرّع نكته و فوائده لعلماء العصر مشهوداً قراءة عليه ب «ساتروار بهق» «۱» فى شهور سنة ثلاث و سبعين و خمسمائة «۲»

وفاته:

لم تحدّد وفاته بالضبط، لكنه كان حيّاً فی سنة ۶۱۰ ه، لَانّه كتب فی هذا التاريخ اجازةً علی ظهر كتاب «الفائق» لمن قرأه عليه، أورد ابن الفوطی صورتها فی ترجمة الكيدری «۳»

كلمة فی الكتاب و مؤَلّفه:

۱- إنّ مؤَلّفنا الجليل ينقل فی كتابه هذا عن كتاب «المبسوط» و «النهاية» لشيخ الطائفة و كتاب «المراسم» لسلّار الديلمی، و «الغنية» لابن زهرة، و كثيراً ما ينقل آراء السيد المرتضی و ابن البراج الطرابلسی و لا يذكر مصادر رأيهما.

۲- إنّ المعروف أنّ القرن السادس قرن الجمود و التقليد لما ورث الفقهاء من الآراء عن الشيخ الطوسی قدَّس سرَّه و أن أوّل من نهض لرفض الجمود هو الشيخ محمد بن إدريس الحلی (المتوفّی ۵۹۸ ه) و لكن ذلك زعم غير صحيح،

---

(۱) معرب «سبزوار بيهق».

(۲) النوری: المستدرک: ۳- ۴۷۲.

(۳) مجلة تراثنا: العدد ۳۹- ۳۰۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۰۹

و هذا هو الشيخ ابن البراج الطرابلسی (۴۰۰ ۴۸۱ ه) قد خالف فی كتابه «المهذّب» آراء أستاذه أبی جعفر الطوسی، و قد ذكرنا بعض مناظراته الفقهية مع الشيخ الطوسی.

و النموذج البارز لبطلان ذلك الزعم هو كتاب «إصباح الشيعة» لشيخنا الكيدری، فمع أنّ الرأی المنقول عن الشيخ، و الموجود فی كتابه «النهاية» فی فريضة الخمس هو دفنه أو الوصاية حيث قال: و لو أنّ إنساناً استعمل الاحتياط و عمل علی أحد الأَقوال المقدّم ذكرها من الدفن أو الوصاية لم يكن مأثوماً «۱» مع أنّ هذا كان هو رأی شيخنا الطوسی لكن يتراءی أنّ مؤَلّفنا أبدی بشجاعة علمية خاصة رأياً آخراً و ألّف كتاباً فيه، و قال: فأمّا ما عدا ذلك من أخماسهم، فلا يجوز لأَحد التصرّف فيه، و حكمه فی أيدی شيعتهم و من اشتغل به ذمتهم، حكم ودائع المسلمين و أماناتهم.

و قد أمليت فی ذلك مسألةً مستوفاةً مستقصاةً و سميتها «تنبيه الأَنام لرعاية حق الامام» يطلع بها علی ثنايا هذه المسألة و خباياها «۲» ۳- لم يكن كتاب إصباح الشيعة كتاباً مهجوراً عند العلماء كيف و قد نقل عنه لفيف من المتأَخّرين منهم شيخنا صاحب «الجواهر» فی مبحث الأقارير المبهمة «۳» و الفاضل الهندی فی «كشف اللثام» فی مبحث آداب الخلوة «۴»، كما نقل عنه المتقدّمون عليهما كالعلّامة فی «المختلف» كما نقل غيره.

۴- قد سبق أن شيخنا المؤَلف كانت له شجاعة أدبية فی التعبير عن آرائه و كان لا يأبه بمخالفة المشهور، نری أنّه ربّما يفتی بخلاف المشهور، فقد أفتی فی صلاة الاحتياط بالتخيير بين قراءة الحمد و التسبيح «۵» مع أنّ المشهور بين الفقهاء قراءة الحمد.

---

(۱) الطوسی: النهاية: ۲۰۱.

(۲) إصباح الشيعة: ۱۲۸.

(۳) النجفی: الجواهر: ۳۵- ۳۹.

(۴) الفاضل الهندی، كشف اللثام: ۱- ۱۹.

(۵) لاحظ إصباح الشيعة: ۸۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۱۰

۱۰- الشيخ يحيى بن سعيد الحلى الهذلى (۶۰۱- ۶۹۰ ه)

لمحة عن تاريخ تدوين الحديث

اشارة

لقد رحل النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- بعد ان عانى ما عانى من المشاق و تحمل ما تحمل من المتاعب، و قد خلف فى أُمّته الإسلامية وديعتين عظيمتين هما: «الكتاب و العترة» و أمر بالتمسك بهما إلى يوم القيامة حيث قال: «إنّى تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه و عترتى أهل بيتى، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدى أبداً».

و تواتر هذا الحديث، و استفاضته و صحّة متنه و سنده تغنينا عن الإفاضة حوله «۱».

و قد أخرجه علماء الفريقين فى موسوعاتهم الحديثية و التفسيرية و التاريخية.

و هذا الحديث يعرب عن أنّ العترة كالقرآن الكريم فى العصمة عن الخطاء و الزلل.

---

(۱) و يكفى فى المقام انّ العالم المحقّق المتتبع السيد مير حامد حسين قد جمع أسناد الحديث، و طرقه فى كتابه القيم «عبقات الأنوار» و طبع فى ۶ مجلدات، و قد نشرت جماعة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية رسالة حول أسناد الحديث و متنه المستفيض.

و قد وصف اللّه سبحانه كتابه بقوله: (وَ إِنَّهُ لَكِتٰابٌ عَزِيزٌ. لٰا يَأْتِيهِ الْبٰاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لٰا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) «۱» فلو كانت العترة من حيث العصمة كما وصفناها صحّ جعلها قرينة للقرآن و صحّ قوله- صلى الله عليه و آله و سلم-: «ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبداً».

و لو كان غير ذلك و جوزنا عليهم الخطاء و الزلل لكانت المعادلة غير صحيحة و لا سديدة.

و الحديث المذكور كما يعرب عن ذلك الأمر يعرب أيضاً عن أنّ الملجأ المشروع للأُمّة الإسلامية بعد النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- هو «الكتاب و العترة»، و انّ ذينك المصدرين هما العاملان الوحيدان للوحدة و الاتفاق، و التآخى و الاتحاد.

التمسك بالكتاب و العترة عامل الوحدة

هب أنّ الأُمّة اختلفت فى أمر الخلافة إلى قائل بنظرية «التنصيص» و انّه لا بدّ أن يكون الامام بعد النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- معيناً بنصه، و من قائل بنظرية «الانتخاب» و انّ الامام ينتخب بتعيين أهل الحلّ و العقد.

إلّا أنّها لا تختلف فى هذا الحديث المبارك و مفاده و مضمونه، فيجب عليها الأخذ به، و التمسك بالكتاب و العترة، و إن اختلف سلفهم فى أمر الخلافة و الإمامة الذى مضى عصره، و انقضى دوره.

و لأجل هذا يعد الرجوع إلى مذهب العترة الطاهرة سبباً للوفاق و الوئام، و وسيلة لجمع شمل الأُمّة.

الشيعة و تدوين الحديث

كانت الشيعة ممن أخذت السنة عن لسان العترة و اعتنت بها كاعتنائها

---

(۱) فصلت: ۴۱ ۴۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۱۲

بالقرآن الكريم، و من هنا كان حرصهم على تسجيل كل ما صدر عن العترة كحرصهم على تسجيل كل ما صدر عن النبى- صلى الله عليه و آله و سلم-، و اعتبارهما مفسرين للكتاب العزيز، و مبينين لأَحكامه و تعاليمه.

و لما كانت أهميهٔ هذا الموقف لا تتضح إلّا بعد الوقوف على سير تدوين الحديث فى التاريخ الإِسلامى، كان لا بدّ من إلقاء الضوء على هذه المسألهٔ.

لا ريب أنّ النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- بحكم القرآن الكريم، لا ينطق عن الهوى، فحديثه حجّهٔ كقرآنه الذى أتى به من عند اللّه، دون فرق بينهما، إلّا أنّ القرآن معجزهٔ خالدهٔ، و حديثه حجّهٔ كذلك كما انّ أحاديث عترته بنص النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- أيضاً حجج خالدهٔ، بيد انّ بعض الحوادث عاقت المسلمين عن كتابهٔ حديث النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- و ذلك لأَمر صادر عن أحد الخلفاء بعد النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- بأنّ «من كتب حديثاً فليحرقه»!! «۱» ث و ربّما برر بعضهم هذا النهى بما نسبوه إلى رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم- من قوله: «لا تكتبوا عنّى شيئاً سوى القرآن، و من كتب عنّى غير القرآن فليمحه» «۲».

و لا يتردد المحقّق الباحث فى أنّ هذا الأَمر قد صدر لأَغراض سياسيهٔ و انّما نسب إلى النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- إنّما هو من الأَوهام الباطلهٔ التى لا تصح نسبتها إليه- صلى الله عليه و آله و سلم-.

و اللّه وحده يعلم كم خسر الإِسلام و المسلمون بسبب هذا القرار، و كم فقد من الحديث النبوى بسبب النهى عن كتابهٔ الحديث.

و لأَجل التقليل من الإضرار الناجمهٔ عن المنع قام الخليفهٔ «عمر بن عبد العزيز» بإصدار أمر بتدوين الحديث بعد مضى قرن من هجرهٔ الرسول الأَعظم- صلى الله عليه و آله و سلم- حيث كتب من الشام إلى «أبى بكر بن حزم» و هو من

---

(۱) كنز العمال: ۵- ۲۳۹.

(۲) رواه الدارمى فى مقدمهٔ سننه.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۱۳

كبار المحدّثين بالمدينهٔ: «انظر من حديث رسول اللّه فاكتبه فانّى خفت دروس العلم و ذهاب العلماء» «۱».

غير انّ الشيعهٔ اقتفوا أثر أمير المؤمنين على- عليه السلام-، فقاموا بكتابهٔ الحديث المروى عن رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم- و عترته الطاهرهٔ غير مكترثين بذلك النهى.

فقد قام الإِمام أمير المؤمنين على- عليه السلام- بتأليف عدّهٔ كتب فى حياهٔ النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- حيث أملى رسول اللّه كثيراً من الأَحكام الإِسلاميهٔ على على- عليه السلام-، و دوّن ما أملاه رسول اللّه عليه فى حياته الشريفهٔ، و اشتهر ذلك بكتاب على، و قد روى عنه البخارى فى صحيحه فى باب «كتابهٔ الحديث» و باب «إثم من تبرأ من مواليه» «۲».

و قد اقتفت شيعته النهج الذى سار عليه فجمعوا شذرات الحديث و شوارد السير، و أُصول الأَخلاق، و قد جمع الشيخ أبو العباس النجاشى كغيره فى أوّل فهرسته أسماء عدّهٔ منهم، و إليك هذه الأَسماء:

۱- أبو رافع مولى رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم- و صاحب بيت مال أمير المؤمنين على- عليه السلام- صنف كتاب السنن و الأَحكام و القضايا.

۲- عبيد اللّه بن أبى رافع كاتب أمير المؤمنين و أوّل من ألّف فى الرجال.

۳- على بن أبى رافع كاتب أمير المؤمنين- عليه السلام- صنف كتاباً فى فنون من الفقه: الوضوء و الصلاهٔ و سائر الأَبواب.

۴- ربيعة بن سميع صنف كتاب زكاة النعم على ما سمعه عن أمير المؤمنين- عليه السلام- فى صدقات النعم و ما يؤخذ من ذلك.

۵- أبو صادق سليم بن قيس الهلالى صاحب أمير المؤمنين- عليه السلام- ألّف أصله المعروف المطبوع.

---

(۱) صحيح البخارى: ۱- ۲۷، كتاب العلم.

(۲) صحيح البخارى: ۱- ۲۹، كتاب العلم.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۱۴

۶- الأَصبغ بن نباتة المجاشعى من خيار أصحاب أمير المؤمنين و من شرطة الخميس، له كتاب عهد أمير المؤمنين إلى مالك الأَشتر النخعى، و وصيته إلى ابنه محمد ابن الحنفية.

۷- أبو عبد اللّه سلمان الفارسى، له كتاب خبر جاثليق، و قد أملى الخطبة الطويلة و الاحتجاجات.

۸- أبو ذر الغفارى، له كتاب وصايا النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- و شرحه العلامة المجلسى و أسماه عين الحياة.

هذا حال الطبقة الأُولى منهم، و أمّا الّذين أعقبوهم فالرواة المعاصرون للأئمّة الهداة خلال القرنين منذ قبض الإِمام أمير المؤمنين- عليه السلام إلى عصر العسكرى- عليه السلام- لم يُوْثر عنهم فتور فى تدوين العلوم و ضبط الحديث، و جمع قواعد الفقه و تنسيق طبقات الرجال، و ضم حلقات التفسير و إتقان مبانى و أُسس الكلام إلى غير ذلك من الموضوعات و اللّه وحده يعلم عدد المؤَلفين و تصانيفهم فى ذينك القرنين.

و تشهد بذلك الفهارس الموجودة التى ذكرت مصنفات الشيعة و مؤَلفاتهم فى ذلك العصر لا سيما الجوامع الرجالية الأَربعة: (كرجال ابن عمرو الكشى المعاصر للشيخ الكلينى (المتوفّى عام ۳۲۹ ه) و رجال النجاشى (۳۷۲ ۴۵۰ ه) و فهرست شيخ الطائفة الطوسى (۳۸۵ ۴۶۰ ه) فهذه الفهارس و غيرها كفهرس أبى غالب الزرارى و بالأَخص ما ألفه الشيخ المتتبع الطهرانى فى موسوعته الخالدة (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) يدلّ على مدى ما بذلوه من جهد فى تدوين الحديث و جمعه، كيف و قد أدرك الحسن بن على الوشاء فى عصر واحد ۹۰۰ رجل فى مسجد الكوفة كلّهم يقول حدثنى جعفر بن محمد عليهما السَّلام «۱».

---

(۱) رجال النجاشى، ترجمة الحسن الوشاء، ص ۲۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۱۵

و قد أحصى الشيخ أبو العباس «ابن عقدة» الثقات من أصحاب الإِمام الصادق فصاروا أربعة آلاف «۱».

حتى قام جماعة من المحدّثين فى عهد الامام الرضا- عليه السلام- بتأليف مجاميع حديثية كبيرة تسمى بالجوامع الأَوّلية أمثال: ۱- يونس بن عبد الرحمن، و قد وصفه ابن النديم فى فهرسته بعلّامة زمانه، له جوامع الآثار، و الجامع الكبير، و كتاب الشرائع.

۲- صفوان بن يحيى البجلى الذى كان أوثق أهل زمانه، صنّف ثلاثين كتاباً.

۳- الحسن و الحسين ابنا سعيد بن حماد الأَهوازى، صنّفا الكتب الثلاثين.

۴- أحمد بن محمد بن خالد البرقى، له كتاب «المحاسن».

إلى غير ذلك من أصحاب الجوامع الحديثية المسماة بالجوامع الأَوّلية التى ترك استنساخها بعد تأليف الجوامع الثانوية بيد أعلام هذه الطائفة، حيث ألفوا جوامع متقنة استمدت موادها من الجوامع السابقة و هذبوها و هذه الجوامع عبارة عن: ۱- الكافى لثقة الإِسلام الكلينى.

۲- من لا يحضره الفقيه لأَبى جعفر الصدوق محمد بن على بن موسى بن بابويه، نزيل الرى، المتوفّى عام ۳۸۱ ه.

۳ و ۴- الاستبصار و التهذيب لشيخ الطائفة الطوسى.

ثمّ وصلت النوبة فى التدوين و التصنيف و التحقيق و التهذيب للحديث إلى المشايخ المتأخرين فجاءوا بجوامع أوسع من الجوامع السابقة الأُولى و الثانية و هى عبارة عن:

---

(۱) راجع المناقب: ۱- ۲۴۷ و غيره، و قد أوردنا نصوص علمائنا حول هؤلاء الرواة فى كتاب «كليات فى علم الرجال».

تذكرة الأعيان، ص: ۲۱۶

۱- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة لمحمد بن الحسن الحر العاملى، المتوفّى عام ۱۱۰۴ ه، و يقع فى ۲۰ مجلداً من القطع الوزيرى.

۲- الوافى فى الأصول و الفروع و السنن و الأَحكام فى عدة أجزاء، و هو للمحدّث المحقّق الفيض الكاشانى، و قد اقتصر فيه على النقل من الكتب الأَربعة.

۳- بحار الأَنوار للعلّامة المحقّق محمد باقر المجلسى الذى طبع مؤَخراً فى ۱۱۰ مجلدات.

إلى غيرها من الجوامع الحديثية الأُخرى التى يضيق المجال بذكرها.

و قد قام أخيراً سيّد الطائفة الأُستاذ الأَكبر الحاج حسين البروجردى بتشكيل لجنة من ذوى الفضل و التحقيق لجمع أحاديث الشيعة بترتيب خاص فى موسوعة كبيرة و قد توفق رحمه اللّه فى ذلك كلّ التوفيق و كانت نتيجة جهود تلك اللجنة تأليف كتاب «جامع أحاديث الشيعة» و قد طبع فى ستّة و عشرين جزءاً تحت رياسة العالم الكبير الشيخ إسماعيل المعزّى دامت إفاضاته.

و المتتبع لحالات علماء الحديث و الرجال يقف على مدى عنايتهم بجمع الحديث و لم شعثه و تحقيقه و تهذيبه و تعريف رجاله بالاستقامة و الضعف إلى غير ذلك ممّا يرجع إلى الحفاظ على تلك الوديعة النبوية فى الأُمّة الإِسلامية.

و من الموسف أن يظهر فى الآونة الأَخيرة ممّن ينصب العداء لأَهل البيت النبوى و لأَحاديثهم و آثارهم و يبادر إلى أضعاف أحاديث الشيعة بحجّة انّ كلّ ما يرويه الشيعة الإِمامية يرجع إلى الضعفاء من الرواة فقام بجمع أسمائهم فى كتاب خاص أسماه «رجال الشيعة فى الميزان» «۱».

و قد بدأ كتابه هذا بقوله: «أمّا بعد فقد استفحل خطر التشيع فى غفلة من أهل الحقّ».

---

(۱) و هو تأليف عبد الرحمن بن عبد اللّه، و قامت دار الارقم بنشره بالكويت.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۱۷

و فى الحقيقة ليس خطر الشيعة إلّا خطر منطقهم القوى و حجّتهم الدامغة، و إلّا فليست الشيعة إلّا الحفظة الأُمناء لآثار الرسول- صلى الله عليه و آله و سلم- و آثار عترته، فقد عزب عن الكاتب انّ ما وقف عليه بعد تتبع كتب الشيعة و مصنفاتهم من وجود ۱۳۰ راوياً ضعيفاً فى اسناد أحاديث الشيعة الذين صرح بضعفهم علماؤهم بعد تسليم ادّعائه و صحّة استنتاجاته، لهو خير دليل على أنّ الشيعة كانوا بالمرصاد لكلّمن كان يحاول الدس و التحريف، أو يزاول الحديث من دون أهلية لازمة.

أجل انّ تصريح علماء الرجال الشيعة بهذا المقدار من الضعاف خير شاهد على مدى حرصهم على سلامة الحديث من كلّ ما يسقط اعتباره.

و الكاتب بعد ما تصعد و تصوب، فقد أتى بأسماء ۱۳۰ راوياً يعدّون من الضعاف عند محدثى الشيعة، فلو كان وجود الضعفاء دليلًا على سقوط أحاديث الشيعة جمعاء، فليكن وجود الكذابين و الوضّاعين و الدّجّالين فى أحاديث أهل السنّة دليلًا على كون صحاحهم و مسانيدهم موضوعة مكذوبة أيضاً، فإنّ وجود الكذابين و الوضاعين فى رجال أحاديث أهل السنة ممّا لا ينكر، فقد جمع العلّامة الامينى طائفة منهم فى موسوعته «الغدير» فبلغت سلسلة الوضاعين و الكذابين إلى سبعمائة رجل «۱».

أضف إلى ذلك انّ كثيراً ممّن وصفهم بالضعف إنّما هى نظرية شخصية للكاتب لا يوافقه فيها أحد من علماء الرجال من الشيعة، و ما ذلك إلّا لأَجل عدم وقوفه على ما هو الهدف من تضعيف الشخصيات العظيمة، كزرارة من جانب أئمّة أهل البيت، فلم يكن الهدف إلّا حفظ دمائهم بالتبرّى منهم.

و الكاتب و إن كان يهدف فى الظاهر إلى تضعيف مجموعة من رواة الشيعة غير انّ له وراء هذا الادّعاء هدفاً آخر، و هو تضعيف جميع رجال الشيعة

---

(۱) لاحظ الغدير الجزء الخامس.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۱۸

و اتّهامهم بأنواع التهم.

غير انّه عزب عنه انّه لو صحّ ما رآه من الأَحلام لزم أضعاف صحاح أهل السنّة و مسانيدهم أيضا، لأَنّ أصحابها رووا عن الشيعة كثيراً «۱».

إنّ ما ارتكبه الكاتب لا يثير العجب، بل انّما يثير الدهشة و الحزن و الأَسى هو أن ينبرى من يدّعى التشيع و الولاء إلى تأليف كتاب يحاول فيه أضعاف جملة كبيرة من أحاديث الشيعة و قد أسماه ب «معرفة الحديث و تاريخ نشره و تدوينه و ثقافته عند الشيعة الإمامية».

و ما أكثر الأَسماء التى لا تنطبق على المسمى، فليس الكتاب إلّا مجموعة من النظريات الشخصية المسبقة حول رجال أحاديث الشيعة، و ليست حجّة حتى على صاحبها، و ما حاول من الاستدلال عليها بالنصوص التاريخية و الرجالية ليست إلّا محاولة سخيفة لا يركن إليها، و لأَجل أن يقف القارئَ على بعض ما فى هذا الكتاب من النظريات الساقطة، نعرض ما ذكره فى مقدمة الكتاب و حسب انّها كبيت القصيد من كتابه حيث كرر فى مقدمته و فى ثناياها صحيحة حمّاد و نظرية الكاتب حولها.

صحيحة حماد و نظرية الكاتب حولها

لقد زعم الكاتب انّ الحديث المروى فى الفقيه بسند صحيح عن حمّاد بن عيسى عن أبى عبد اللّه- عليه السلام- موضوع، و الحديث جزء من الأَحاديث البيانية لأَجزاء الصلاة و شرائطها، و قد رواه صاحب الوسائل «۲» و قد أقام دلائل

---

(۱) لاحظ كتاب المراجعات للإمام شرف الدين: ۴۲ ۱۰۵، فقد جمع أسماء مجموعة كبيرة من رواة الشيعة الذين احتج بهم أصحاب الصحاح و المسانيد.

(۲) الوسائل: ۴- ۶۷۳، الباب الأَوّل من أبواب أفعال الصلاة، الحديث ۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۱۹

ثلاثة على كون الحديث موضوعاً و مكذوباً على حماد، و إليك بيانها: ۱- قال أبو الحسين أحمد بن العباس بن النجاشى فى فهرسته ص ۱۹: قال حماد بن عيسى: «سمعت من أبى عبد اللّه- عليه السلام-، سبعين حديثاً، فلم أزل أدخل الشك على نفسى حتى اقتصرت على هذه العشرين» و هذه العشرون حديثاً هى التى نراها فى كتاب قرب الاسناد ص ۱۵۱۲ طبعة النجف.

رواها عبد اللّه بن جعفر الحميرى عن محمد بن عيسى بن عبيد و الحسن ابن ظريف و على بن إسماعيل كلّهم عن حماد بن عيسى الجهنى، و ليس فيها هذه الرواية المذكورة عن حماد عن أبى عبد اللّه- عليه السلام-.

فإذا كانت رواياته عن أبى عبد اللّه محصورة فى تلك العشرين حديثاً و ليس منها هذه الرواية المذكورة فلا بدّ و انّها موضوعة عليه.

۲- مات حمّاد بن عيسى سنة ۲۰۹، و له نيف و سبعون سنة، نصّ على ذلك شيخنا أبو عمرو الكشى، و نقله عنه شيخنا أبو جعفر الطوسى فى اختياره ص ۳۱۷، و نص على ذلك شيخنا ابن داود الحلى أيضاً كما فى رجاله ص ۵۵۶، فيكون مولد حماد حوالى سنة ۱۳۵، و لم يكن له حين وفاة الصادق- عليه السلام- إلّا ثلاثة عشر سنة أو نحوها، فإذا كان لقاؤه لأبى عبد اللّه الصادق- عليه السلام- فى صغره، فكيف يقول أبو عبد اللّه الصادق- عليه السلام- لغلام ليس له إلّا اثنى عشر سنة و نحوها: «ما أقبح بالرجل أن يأتى عليه ستون سنة أو سبعون سنة فما يقيم صلاة واحدة بحدودها تامة»؟ ۳- حماد بن عيسى الجهنى، هو راوية كتاب حريز فى الصلاة و لا يروى أصحابنا كتاب حريز إلّا عن حماد بن عيسى الجهنى هذا، بعد ما قال حماد لأبى عبد اللّه الصادق- عليه السلام-: «يا سيدى أنا أحفظ كتاب حريز» فلم يعبأ أبو عبد اللّه بمقاله و ادّعائه و قال: «لا عليك.

قم فصلّ».

لا بد و انّ حماداً قام و صلّى بين يديه- عليه السلام- بأحسن الآداب التى كان قد حفظها من كتاب حريز فى الصلاة،

تذكرة الأعيان، ص: ۲۲۰

و نحن راجعنا روايات حريز فى الصلاة برواية حماد بن عيسى الجهنى هذا فوجدنا يروى عن حريز عن زرارة عن أبى جعفر الباقر- عليه السلام- نفس هذه الآداب المذكورة فى هذا الحديث بل و أحسن منها و أتم و أوفى، و إذا كان حماد حفظ نفس هذه الآداب بل حفظ أتمها و أوفاها و تأدب بها فى صلاته بين يدى أبى عبد اللّه الصادق- عليه السلام-، كيف يرد عليه الإمام أبو عبد اللّه الصادق عليه السَّلام و يقول له: «يا حماد، لا تحسن أن تصلى، ما أقبح بالرجل أن يأتى عليه ستون سنة أو سبعون سنة فما يقيم صلاة واحدة بحدودها تامة»؟ «۱» ربما يتبادر إلى ذهن القارئ الكريم أنّ لما استنتجه لمسة من الحقيقة أو مسحة من الصدق، و لا يدرى أنّ فى ما ذكره خلطاً و إغفالًا و أخذاً بما يؤيد نظريته، و تركاً لما لا يوافقه، و إليك بيان ذلك: ۱- انّما نقله عن ابن النجاشى صحيح غير انّ ما رتب عليه من النتيجة باطل و النتيجة المذكورة هى عبارة عن قوله: «و هذه العشرون حديثاً هى التى نراها فى قرب الاسناد ص ۱۵۱۲ طبع النجف رواها عبد اللّه بن جعفر الحميرى.. عن حماد بن عيسى، و ليس فيها هذه الرواية المذكورة عن حماد عن أبى عبد اللّه عليه السَّلام، فإذا كانت رواياته عن أبى عبد اللّه محصورة فى تلك العشرين حديثاً و ليس منها هذه الرواية المذكورة فلا بدّ و انّها موضوعة عليه».

فنحن نسأل الكاتب بأىّ دليل يقول: إنّما اقتصر عليه حماد من عشرين حديثاً هى نفس ما وردت فى قرب الاسناد عنه فى الصحائف المذكورة، مع أنّ لحمّاد روايات عن أبى عبد اللّه بلا واسطة تقرب الستين فى الجوامع الحديثية من الكافى و الفقيه و التهذيب و الاستبصار و غيرها من الكتب الحديثية.

فلما ذا لا تكون تلك الأحاديث العشرون ما ورد فى تلك الجوامع الحديثية

---

(۱) معرفة الحديث و تاريخ نشره و تدوينه: ۳ ۵ المقدمة.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۲۱

دون ما ورد فى قرب الاسناد؟ لماذا لا تكون مبثوثة بين تلك الجوامع و بين قرب الاسناد؟ فإنّ مجرّد ورود عشرين حديثاً فى قرب الاسناد لا يكون دليلًا على أنّما اقتصر عليه حماد هى تلك الأحاديث العشرون مع أنّ أحاديثه التى تقرب عن الستين حديثاً مبثوثة فى الجوامع الحديثية و كلّها عن الامام الصادق بلا واسطة «۱».

و أمّا ما رواه المحدثون عنه (أى عن حماد) فى مختلف الكتب من الاستبصار و أمالى الصدوق و كامل الزيارات، و الخصال، و إكمال الدين، و ثواب الاعمال و تفسير القمى، و معانى الاخبار، و بصائر الدرجات، و قصص الأنبياء للراوندى، و الإمامة و التبصرة، و أربعين الشهيد، فحدث عنه و لا حرج «۲».

إنّ بعض هذه الأحاديث و إن وردت فى تلك الكتب بصورة مكررة إلّا أنّ

---

(۱) و حتى يقف الكاتب على تلك الأَحاديث نأتى بإجمال ما وقفنا عليه: لاحظ الكافى الاجزاء و الصفحات و الأَحاديث التالية: ۱- ۲۸۶ الحديث ۲- ۴، ۴۶۷ الحديث ۲- ۵، ۶۱۳ الحديث ۵- ۲، ۳۷۶ الحديث ۶ ۱۶۷- ۵، ۴۶ ۴۷۹ ۴۹۴ ۴۹۶ الحديث ۲ و ۲ و ۶ و ۵ و ۸- ۷، ۳۰۳ الحديث ۴۶۶.

و لاحظ الفقيه الاجزاء و الصفحات و الأَحاديث التالية: ۲- ۲۹۶ الحديث ۳- ۲۵۰۵، ۴۲۹ الحديث ۴- ۴۴۸۷، ۱۰۱ الحديث ۵۱۸۲.

و لاحظ التهذيب الاجزاء و الصفحات و الأَحاديث التالية: ۱- ۳۷۴ الحديث ۲- ۴، ۸۱ الحديث ۳ ۱۷۰- ۶۹، ۲۳ الحديث ۸۱ و ۴- ۱، ۳۳۱ الحديث ۵ ۲۳۲ ۳۸۶ ۴۳۰ ۴۴۷ ۴۸۷- ۱۰۷، ۱۶۳ الحديث ۷۱ و ۱۲۵ و ۲۶۱ و ۱۴۰ و ۲۰۴ و ۶ ۲۸۷- ۳۸۲، ۲۷۵ الحديث ۱۵۳ و ۷- ۲۰، ۶۱ الحديث ۹ ۴۳۳- ۷، ۲۰ الحديث ۸۱ و ۳۹.

(۲) لاحظ الموسوعة الحديثية الكبيرة: «معجم الأَسانيد لأَحاديث الشيعة» للعلّامة الحجّة السيد محمد باقر الابطحى الأصفهانى دام ظله الوارف، و قد تفضل علينا بما ذكرناه حول روايات حماد فى الكتب الحديثية.

مجموع أحاديثها عن الصادق- عليه السلام- بلا واسطة يتجاوز و يفوق ما نقله فى «قرب الاسناد» من العشرين حديثاً، و عند ذلك فمن أين و كيف وقف الكاتب بأنّما اقتصر عليه من العشرين حديثاً هى نفس ما وردت فى «قرب الاسناد»، و ليس شىء ممّا ورد فى هذه الجوامع و الكتب من جملة تلك العشرين، فهل هذا إلّا رجم بالغيب، و رمى الكلام على عواهنه؟! أعاذنا اللّه منه.

ثمّ إنّ ما نقله النجاشى من أنّ حماداً قال: «سمعت من أبى عبد اللّه سبعين حديثا، فلم أزل أدخل الشكّ على نفسى حتى اقتصرت على هذه العشرين» إنّما ذكره النجاشى مرسلًا لا مسندا، فلا يمكن الاحتجاج بهذا المرسل.

نعم نقله الكشى عن حماد مسنداً بواسطة محمد بن عيسى العبيدى، و هو ممّن اختلفت أنظار علماء الرجال فى حقّه، و الكاتب ممّن بالغ فى تضعيفه فى كتابه ص ۲۲۲، فكيف يحتج بحديث روى عن مثل العبيدى؟! فإسقاط صحيحة حماد بمثل هذه الرواية عند الكاتب أمر عجيب، و هذا يعرب عن أنّ هدفه ليس إلّا إسقاط روايات الشيعة عن الحجية بأىّ وسيلة ممكنة و إن كانت باطلة.

۲- نقل فى الدليل الثانى عن أبى عمرو الكشى أنّ حماداً مات و له نيف و سبعون سنة، فاستنتج منها أنّ حماد كان حين وفاة الصادق- عليه السلام- فى السنة الثالثة عشرة من عمرة أو نحوها، ثمّ رتب عليه بأنّه لا يصحّ أن يخاطب الامام غلاماً كهذا بالجملة التالية: ما أقبح بالرجل أن يأتى عليه ستون أو سبعون إلخ.

إنّ ما نقله عن أبى عمرو الكشى صحيح، غير انّا نسأله كيف غفل (أو تغافل) عن نقل ما فى رجال النجاشى فإنّه قال: «مات حماد بن عيسى غريقاً بوادى قناة و هو واد يسيل من الشجرة إلى المدينة، و هو غريق الجحفة فى سنة تسع و مائتين، و قيل ثمان و مائتين، و له نيف و تسعون سنة رحمه اللّه» «۱»

---

(۱) لاحظ رجال النجاشى: ۱۴۲ برقم ۳۷۰.

و على ذلك يكون عمره حين خاطبه الامام- عليه السلام- فى الحديث على الأَقل (۳۴ سنة) و على حمل «نيف» على الثمانية يكون (۳۷ سنة).

و حينها يصح مخاطبة الرجل الكامل الذى يقارب عمره «الأَربعين» بهذا الكلام.

و ليس ابن النجاشى وحيداً فى هذا النقل، فقد نقل شيخنا المفيد بأنّ حماداً عاش نيفاً و تسعين «۱».

فلو كان من نيهٔ الكاتب هو تحقيق الحقّ، فلما ذا نقل قول الكشى الذى يتوافق مع ما يتبناه و تغافل عن ذكر قول ابن النجاشى و الشيخ المفيد الذى يخالف ما يتبناه.

أ هكـذا يكون أدب العلم و نهج التحقيق؟! مع أنّ المحتمل أن يكون «سبعين» فى نسـخهٔ الكشـى مصـحف «تسـعين» و قد يتفق ذلك كثيراً.

على أنّه إذا دار الأَمر بين مـا ينقله الكشـى و ابن النجاشـى فالأَخـذ بالثانى هو المتعين لدقـهٔ الثانى دون الأَوّل و اشـتماله على أغلاط و اشتباهات هذبها شيخنا الطوسى و أسماه «باختيار الرجال».

۳- نقل فى الدليل الثالث قول حماد لأَبى عبد اللّه الصادق- عليه السلام-: يا سيدى أنا أحفظ كتاب حريز فى الصلاهٔ، فلم يعبأ أبو عبد اللّه بمقاله و قال له: لا عليك قم فصلّ.

إلى هنا صحّ ما نقله من متن الروايهٔ.

غير انّه رتب على ذلـك نتيجـهٔ واهيـهٔ حيث قـال: لا بـدّ و انّ حماداً قام و صـلّى بين يـديه- عليه السـلام- بأحسن الآداب التى كان قد حفظها من كتاب حريز فى الصلاهٔ.

فأنّا نسأل الكاتب كيف وصل إلى هذه النتيجهٔ؟ أو ليس معروفاً انّ بين

---

(۱) لاحظ معجم رجال الحديث: ۶- ۲۲۷.

العلم و العمل بوناً شاسعاً، فانّ كثيراً من المصلين مع وقوفهم على أحكام الصلاهٔ و واجباتها و آدابها و سننها لا يراعون ذلك.

أو ليس من المحتمل أنّ حماداً لم يأت فى الصلاهٔ بما حفظه من كتاب حريز، و لأَجل ذلك وبّخه الامام بقوله: ما أقبح بالرجل منكم.. إلخ.

و ما ذكرناه من الاحتمال، و إن لم يكن إلّا احتمالًا غير انّه يكفى فى الأَخـذ بالحـديث و عـدم جواز الرد إلّا إذا قام الـدليل القاطع على بطلانه.

أضف إلى ذلك انّ الكاتب حذف لفظهٔ «منكم» من قوله- عليه السـلام-: «ما أقبح بالرجل منكم..» التى تعرب عن أنّ التوبيخ لم يكن متوجهاً إلى حماد وحده، بل لعلّه من باب «إياك أعنى و اسمعى يا جارهٔ».

و أمّا ما ذكره من أنّ ما ورد فى كتاب حريز من الآداب أحسن و أتم و أوفى ممّا ورد فى روايـهٔ حماد فهو أيضاً بعيـد عن الصواب بل النسبهٔ بين الروايتين عموم و خصوص من وجه، و يظهر ذلك بمقارنهٔ الروايتين.

إنّ الكاتب يـدّعى انّ الزنادقـهٔ كانوا يدسّون فى أحاديث الشـيعهٔ، و اسـتدل لذلك بما يحكى عن عبد الكريم بن أبى العوجاء، من انّه لما قبض عليه محمـد بن سـليمان و هو والى الكوفهٔ من قبل المنصور، و احضـره للقتل، و أيقن بمفارقهٔ الحياهٔ قال: «لئن قتلتمونى، فقد وضعت فى أحاديثكم أربعهٔ آلاف حديث مكذوبهٔ مصنوعهٔ» «۱».

إنّ الاسـتدلال بقول (عبـد الكريم بن أبى العوجاء) ذلك الزنـديق الملحـد من عجائب الاسـتدلالات أ فيصح الاسـتدلال بقول الفاسـق فضـلًا عن الكـافر؟! فمن أين وقف الكـاتب على صـدق مقـاله و حقيّـهٔ كلامـه؟! انّ من المعلوم انّ الإِنسان الآيس من حياته، المحكوم بالقتل و الصلب يطلق الكلام على عواهنه و يأتى بالغث

---

(۱) أمالى المرتضى: ۱- ۱۲۸.

و السمين ليثير غضب الحاكم من غير أن يكون ملتزماً بصدق مقاله و نعم ما قال القائل:

إذا يئس الإنسان طال لسانه كسنور مغلوب يصول على الكلب

و القارى الكريم جد عليم بأنّه لو صحّ ما نقله عن المرتضى فإنّما يتوجه ذلك إلى الأَحاديث غير الشيعية، فإنّه قال ما قال لمحمد بن سليمان الذى كان والياً من قبل المنصور، و الكتب التى دس فيها كتب لا تمت إلى الشيعة بصلة.

و يدلُّ على ذلك ما ذكره ابن الجوزى فى كتاب الموضوعات فى حقّ الرجل «ابن أبى العوجاء» من انّه كان ربيباً لحماد بن سلمة، و قد دس فى كتب حماد بن سلمة «۱» و قد نص بذلك أيضاً الذهبى فى ميزان الاعتدال ج ۱ ص ۵۹۰ ۵۹۵، و ابن حجر فى تهذيب التهذيب ج ۳ ص ۱۱ ۱۶.

فالكلّ ينص بأنّ الرجل دسّ ما دسّ فى كتب أبى سلمة البصرى المشتهر بحماد بن سلمة الذى كان يعدّ من محدّثى السنة، فأين ذلك من الدس فى كتب الشيعة؟ كما نبه بذلك العلّامة مرتضى العسكرى فى بعض المنشورات «۲».

هذا غيض من فيض، و قليل من كثير ممّا فى هذا الكتاب من الجرأة و الإساءة إلى هذه الطائفة و أُصولها و فروعها، و نعوذ باللّه من سبات العقل و قبح الزلل.

هذا و انّ العلّامة الحجّة السيد موسى الزنجانى أحد أساتذة الحوزة العلمية الخبير فى علمى الرجال و الدراية، قد أخذ على عاتقه نقد هذا الكتاب و تبيين زلاته كما حدثنى هو بذلك شفهياً.

---

(۱) راجع الموضوعات ص ۳۷، طبع المدينة المنورة.

(۲) لاحظ دور الأَئمّة فى إحياء الدين، ج ۷ قسم المستدرك.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۲۶

مميزات الفقه الإمامى و أُسسه

اشارة

من أهمّ ما يمتاز به الفقه الإمامى الشيعى الإسلامى هو استناده بعد الكتاب العزيز إلى السنّة المروية من لدن حياة النبى- صلى الله عليه و آله و سلم بواسطة عترته الطاهرة و أتباعهم الصادقين الضابطين بلا انقطاع، فى الوقت الذى فقد الآخرون مثل هذا المنبع الصافى مدّة تزيد على مائة سنة، و لهذا اضطروا إلى استعمال القياس و الاستحسان و الاستصلاح و قاعدة المصالح المرسلة إلى غير ذلك من الاستنباطات الظنية لأَجل قلّة النصوص و كثرة الاحتياج إلى الفروع الفقهية الجديدة.

كما أنّ من أهمّ ما يمتاز به هو سعة منابعه الحديثية بفضل عطاء العترة الذى دام ۲۵۰ سنة بعد وفاة الرسول، فيما كان يفقد الآخرون مثل هذا المنبع الواسع، الزاخر المستمر.

كما أنّ من أهمّ ما يمتاز به، هو نقاوة المصدر الذى كان يشكل الركيزة الاساسية للفقه الإمامى بعد القرآن الكريم بفضل ما تتمتع به العترة الطاهرة من العصمة التى جعلها ثقلًا قريناً للقرآن كما عرفت.

و من هذه الشجرة الطيبة، الراسخة الجذور، المتصلة بالنبوة، نتجت هذه الثمرة و هى «الفقه الإمامى».

و امتاز أيضاً بالسعة و الشمولية، و العمق و الدقة، و الانسجام الكامل مع الروح الإسلامية، و النقاوة، و البرهنة الساطعة، و القدرة على مسايرة مختلف العصور و مستجداتها فى الإطار الإسلامى دون تخطّى الحدود المرسومة لها.

هذا عن مميزات هذا الفقه.

و أمّا عن الأسس التى يعتمد عليها أو بالاحرى المصادر التى يستمد منها هذا الفقه مادته، فهى قبل كلّ شىء، القرآن الكريم، الذى استمد منه منذ الأيام الأولى من تاريخه.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۲۷

و أمّا مصدره الثانى فهو الحديث النبوى و أحاديث عترته الطاهرة التى مرّ عليك بيان كيفية حرص الشيعة على تدوينها و تسجيلها بدقة و أمانة، منذ العهد النبوى إلى يومنا هذا، انطلاقاً من حديث الثقلين السالف ذكره.

ثمّ إنّ الفقه الإمامى الشيعى الإسلامى كما يستمد مادته من ذينك المصدرين، كذلك يستمد من العقل فى إطار خاص مثل باب الملازمات العقلية، كالملازمة بين وجوب الشىء و وجوب مقدمته، و حرمة الشىء و حرمة ضدّه، و حرمة الشىء و فساده، و توقف تنجز التكليف على البيان و قبح العقاب بدونه، و استلزام الاشتغال اليقينى البراءة القطعية إلى غير ذلك ممّا يبحث عنه فى الملازمات العقلية.

كما انّه يستمد مادته أيضاً من الإجماع الكاشف عن وجود النص الوارد فى المسألة و إن لم يصل إلى يد الباحث فى العصور اللاحقة.

هذه هى أهمّ الأسس التى يقوم عليها صرح الفقه الإمامى الشيعى الإسلامى.

و قد ألّفت الشيعة الإمامية حول الفقه و أُصوله و مبادئه و مقدماته مؤَلفات كثيرة لا- تحصى كثرة، و لا تعد وفرة، و لا يفى بذكر أسمائها الفهارس المطولة غير أنّا لَمامر الذى يجب التنبيه عليه هو انّ مؤَلفات فقهاء الإمامية الأَقدمين الذين جاءوا بعد وفاة الإمام العسكرى إلى زمان الشيخ الطوسى (المتوفّى ۴۶۰ ه) اتّسمت بأنّها كانت نفس متون الأَحاديث و عين عباراتها بحذف الاسناد.

و كأنّهم كانوا حريصين على أن لا يتخطوا العبارات التى جاءت فى الأَحاديث حفاظاً على الأَصالة، و تجنباً من أية زيادة أو نقيصة.

و يعد كتاب الفقه الرضوى و المقنع للصدوق، و نهاية الشيخ الطوسى من هذا النوع.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۲۸

غير انّه لما اتسع نطاق الفقه باتساع دائرة الحاجات الّتى أدّت بدورها إلى اتساع دائرة الاستنباط، و تجدد الفروع، اضطر فقهاء الإمامية إلى الكف عن الالتزام بنفس متون الأَحاديث و عينها فى كتابة المؤَلفات الفقهية و إلى صياغة فروع جديدة مستنبطة من نفس تلك الأَحاديث و مضامينها بعبارات جديدة انطلاقاً من قولهم: «علينا إلقاء الأصول و عليكم التفريع» «۱».

و يعد كتاب المبسوط و الخلاف فى الفقه للشيخ الطوسى شيخ الطائفة أبرز و أقدم نموذج من هذا النوع.

و تشكل هذه المرحلة، المرحلة الثانية فى تطور الفقه الإمامى الشيعى الإسلامى، بعد المرحلة الأُولى التى اتسمت كما قلنا بالتزام نفس عبارات الأَحاديث فى صياغة المتون الفقهية.

و يعد من أبرز رواد هذه المرحلة الفقهاء التالية أسماؤهم: ۱- الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد (المتوفّى ۴۱۳ ه).

۲- الشريف المرتضى على بن الحسين (المتوفّى عام ۴۳۶ ه).

۳- الشيخ محمد بن الحسن الطوسى (۳۸۵ ۴۶۰ ه).

۴- الفقيه البارع أبو الصلاح الحلبى صاحب الكافى فى الفقه (۳۷۴ ۴۴۷ ه).

۵- القاضى الشيخ عبد العزيز بن نحرير بن البراج (المتوفّى سنة ۴۸۱ ه) صاحب المهذب البارع الذى هو كالمبسوط فى غزارة الفروع.

هؤلاء هم أعيان علماء المرحلة الثانية فى تاريخ الفقه الإمامى.

و قد كان سيد الطائفة آية اللّه البروجردى قدّس سرّه يسمى القسم الأَوّل: «الأصول المتلقاة من الأَئمّة- عليهم السلام-».

---

(۱) الوسائل: الجزء ۱۸، كتاب القضاء، الباب ۶، الحديث ۵۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۲۹

و قد استمر البحث و التنقيب حول المسائل الفقهية بين علماء الشيعة فى جميع القرون التى مضت إلى يومنا هذا، و لم يكن ذلك إلّا لأجل انفتاح باب الاجتهاد لديهم، و وجوب رجوع العامى إلى المجتهد الحى، و هم يرون أنّ إفتاء علماء المذاهب الأربعة بإقفال باب الاجتهاد، خسارة جسيمة للعلم و ما جاءوا به من التعليلات لتوجيه هذا الاغلاق وجوه عقيمة لا جدوى لها «۱».

و لم يكن لذلك الاغلاق إلّا حافز سياسى قد أوضحناه فى كتابنا «مفاهيم القرآن» «۲».

عصر الجمود أو عصر الازدهار

يصف «مصطفى أحمد الزرقاء» القرن السابع بأنّه قرن الانحطاط و الجمود، و يقول: «فى هذا الدور أخذ الفقه بالانحطاط، فقد بدأ فى أوائله بالركود، و انتهى فى أواخره إلى الجمود، و قد ساد فى هذا العصر الفكر التقليدى المغلق، و انصرفت الأفكار عن تلمس العلل و المقاصد الشرعية فى فقه الاحكام إلى الحفظ الجاف و الاكتفاء بتقبل كلّ ما فى الكتب المذهبية دون مناقشة، و طفق يتضاءل و يغيب ذلك النشاط الذى كان لحركة التخريج و الترجيح و التنظيم فى فقه المذاهب، و أصبح مريد الفقه يدرس كتاب فقيه معيّن من رجال مذهبه، فلا ينظر إلى الشريعة و فقهها إلّا من خلال سطوره بعد أن كان مريد الفقه قبلًا يدرس القرآن و السنّة و أُصول الشرع و مقاصده.

و قد أصبحت المؤَلفات الفقهية إلّا القليل أواخر هذا العصر اختصاراً

---

(۱) لاحظ المدخل الفقهى العام تأليف مصطفى أحمد الزرقاء: ۱- ۱۸۷، و كتاب «الملكية و نظرية العقد فى الشريعة الإسلامية» تأليف الشيخ محمد أبو زهرة ص ۳۸ ۳۹، ترى أن الكاتبين يذكران وجوهاً عليلة لإغلاق باب الاجتهاد.

(۲) لاحظ مفاهيم القرآن: ۳ ۳۰۳- ۲۰۹ و أيضاً الخطط المقريزية: ۳۴۴۲- ۳۳۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۳۰

لما وجد من المؤَلفات السابقة أو شرحاً له، فانحصر العمل الفقهى فى ترديد ما سبق و دراسة الألفاظ و حفظها، و فى أواخر هذا الدور حل الفكر العامى محلّ الفكر العلمى لدى كثير من متأخرى رجال المذاهب الفقهية» «۱».

و فى هذا العصر نجد ازدهار الفقه الشيعى حيث اكتسب نضارة قلما نجد نظيرها فى القرون السابقة، كما أنّه بزغت فى المحافل العلمية شخصيات لامعة فى الفقه و الأُصول تعد من النوابغ القلائل الذين يضن بهم الدهر إلّا فى فترات، أمثال: ۱- الحسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة الكبير، و هو الجدّ الأعلى لبنى زهرة المجازين عن العلّامة الحلّى فى سنة ۷۲۳ ه.

قال الذهبى فى «شذرات الذهب»: رأس الشيعة بحلب و عزهم و جاههم كان عالماً بالعربية و القراءات و الأخبار و الفقه على رأى القوم و اندكت الشيعة بموته فى ۶۲۰ «۲».

۲- نجيب الدين محمد بن جعفر بن هبة اللّه بن نما الشهير بابن نما، المتوفّى سنة ۶۴۵ ه من مشايخ سديد الدين يوسف بن المطهر والد العلّامة، و المحقّق الحلى المتوفّى عام ۶۷۶ ه و قد بلغ المترجم له فى سلامة النفس و تحرّى الحقيقة مبلغاً عظيماً حيث وقّع فتوى للمحقّق الحلى و سديد الدين يوسف الحلى فى مسألة «مقدار الواجب من المعرفة» مع أنّ الأخيرين من تلاميذه.

إنّ بيت ابن نما بيت عريق فى العراق شهير بالعلم و الفضل، و قد خرج من هذا البيت علماء و فقهاء لا يدرك شأوهم و لا يشق غبارهم.

منهم نجم الدين جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة اللّه بن نما ولد المترجم.

---

(۱) المدخل الفقهى العام: ۱ ۱۸۷- ۱۸۶.

(۲) طبقات أعلام الشيعة فى المائة السابعة: ۳۸.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۳۱

و منهم ابنه الآخر نظام الـدين أحمد بن محمد بن جعفر بن هبة اللّه بن نما، فالكل يعنى الوالد و الولدين معدودون من الأَجلّاء فى هذا القرن، و كلّما أطلق ابن نما ينصرف إلى الوالد.

۳- أحمـد بن موسـى بن جعفر بن طـاوس المتوفّى عام ۶۷۳ ه و هـو من مشايـخ العلّامـة الحلّى، و تقى الـدين الحسن بن على بن داود صـاحب الرجـال، و هو يروى عن جماعـة، منهم: نجيب الـدين محمـد بن جعفر بن هبـة اللّه بن نما و فخار بن معـد بن فخار بن أحمد ترجمه تلميذه ابن داود فى رجاله، و يصفه السيد حسين البروجردى فى منظومته بقوله:

فقيه أهل البيت ذو الشمائل هو ابن طاوس أبو الفضائل

هو ابن موسى شيخ بن داود فى باخع (۶۷۳) مضى إلى الخلود

و هو أوّل من قسم أحـاديث الشـيعة إلى الصـحيح و الحسن و الموثق و الضـعيف، و كلّمـا أُطلق «ابن طاوس» فى كتب الفقه و الرجال ينصـرف إلى هذا، كما انّه كلّما أُطلق فى كتب الأَدعية و الزيارات ينصـرف إلى أخيه رضى الدين على بن موسى بن جعفر بن طاوس المتوفّى ۶۶۴ ه.

۴- جعفر بن الحسن بن يحيى الأَكبر بن الحسن بن سـعيد المشـتهر ب «نجم الدين المحقّق» على الإِطلاق (۶۰۰ ۶۷۶ ه) و هو غنى عن الإِطراء و التوصـيف له أثره الخالد «الشـرائع» و قد عكف على ذلك الكتاب العلماء بالدراسة و الشـرح و التعليق، و له شـروح و تعاليق ذكرها شيخنا الطهرانى فى موسوعته القيمة «الذريعة».

۵- الفقيه البارع أبى زكريا نجيب الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسن ابن سـعيد الهذلى الشـهير ب: يحيى بن سعيد منسوباً إلى جدّه الأَعلى، (۶۰۱ ۶۸۹ أو ۶۹۰ ه)، ذكره المترجمون مقروناً بكثير من التجليل و التكريم و الإِشادة

تذكرة الأعيان، ص: ۲۳۲

بمكانته الرفيعة التى كانت له بين علماء عصره و فضلاء زمانه، و له «الجامع للشرائع» الذى نقدّمه إلى القرّاء.

كلمات الثناء و جمل الإِطراء فى حقّ المؤَلف

اشارة

قال السيوطى فى بغية الوعاة فى طبقات اللغويين و النحاة: يحيى بن أحمد ابن سعيد الفاضل نجيب الدين الحلى الشيعى.

قال الذهبى: لغوى أديب حافظ للآثار بصـير باللغة و الأَدب، من كبار الرافضة سمع من ابن الأَخضر، ولد بالكوفة سنة إحدى و ستمائة، و مات ليلة عرفة سنة تسع و ثمانين و ستّمائة «۱».

و قال ابن داود فى رجاله: يحيى بن أحمـد بن سـعيد شـيخنا الإِمام العلّامـة الورع القـدوة، كان جامعاً لفنون العلوم الأَدبيـة و الفقهيـة و الأُصولية و كان أورع الفضـلاء و أزهدهم له تصانيف جامعة للفوائد منها كتاب «الجامع للشرائع» فى الفقه كتاب «المدخل» فى أُصول الفقه و غير ذلك، مات سنة تسع و ثمانين و ستّمائة «۲».

و قال القاضـى نور اللّه التسترى: الشـيخ الفاضل يحيى بن أحمـد بن يحيى بن سـعيد الهـذلى الحلى مجيب نـداء (يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ) و المقتبس من مشكاة الولاية و النبوة من أعاظم مجتهدى الشيعة «۳».

و قال الشـيخ الحر العاملى فى «أمل الآمل»: الشـيخ أبو زكريا يحيى بن سـعيد و هو ابن أحمد بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلى من فضلاء عصره، روى عنه السيد عبد الكريم بن أحمد بن طاوس كتاب «معالم العلماء» لابن شهرآشوب

(۱) بغية الوعاة: ۲- ۳۳۱.

(۲) لاحظ رجال ابن داود، و يقرب منه ما ذكره الأَردبيلى فى جامع الرواة: ۲- ۳۳۴، و التفريشى فى نقد الرجال: ۳۷۰.

(۳) مجالس المؤمنين: ۲۳۴.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۳۳

و غيره كما رأيته بخط ابن طاوس، و يروى عنه العلّامة، له كتاب «جامع الشرائع» و غيره، و ذكر العلّامة انّه كان زاهداً ورعاً «۱».

و قال حجّة التاريخ المتتبع الخبير عبد اللّه الأَفندى فى كتابه القيم «رياض العلماء»: كان قدس سرَّه مجمعاً على فضله و علمه بين الشيعة و عظماء أهل السنة أيضاً «۲».

و قال الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن صالح السيبى القسينى تلميذ فخار بن معد الموسوى، و ابن نما فى إجازة للشيخ المحقّق الفاضل نجم الدين طمان بن أحمد العاملى الشامى، انّه قال بعد ذكر جماعة من مشايخه المعظمين: رويت عن الفقيه المعظم السعيد الشيخ نجم الدين جعفر بن سعيد جميع ما صنفه و ألفه و رواه، و كنت فى زمن قراءتى على شيخنا الفقيه نجيب الدين محمد بن نما أتردد إليه أواخر كلّ نهار و حفظت عليه كتابه المسمى ب «نهج الأصول إلى معرفة الأصول» فى أُصول الفقه و شرحه لى قال: و قرأت كتاب الجامع فى الشرائع تصنيف الفقيه السعيد المعظم شيخ الشيعة فى زمانه نجيب الدين أبى زكريا يحيى ابن أحمد بن سعيد، عليه أجمع، و سمع بقراءتى جماعة منهم النقيب الطاهر العالم الزاهد جلال الدين محمد بن على بن طاوس و الفقيه جمال الدين يوسف بن حاتم الشامى و الوزير شرف الدين أبو القاسم على الوزير المعظم بن مؤَيد الدين محمد بن العلقمى..

و قال صاحب الروضات بعد نقل هذه العبارة: يظهر منه انّ الشيخ نجيب الدين يحيى بن أحمد الذى هو ابن عم المحقّق من غير واسطة لو لم يكن فى زمانه بأشهر منه فى الفقه و متقدماً لدى الفضلاء لما كان بأنقص منه «۳».

(۱) أمل الآمل: ۲ ۳۴۷- ۳۴۶.

(۲) رياض العلماء: ۵- ۳۳۶.

(۳) روضات الجنات: ۲- ۱۸۸ و قد ترجم المؤَلف فى كتابه أيضاً لاحظ: ۷ ۱۹۹- ۱۹۸، و قد سقط لفظة «بن» فى «بن مؤَيد الدين» من النسخة المطبوعة، فلاحظ.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۳۴

إلى غير ذلك من جمل الإِطراء و كلمات الثناء التى يطول المقام بذكرها و نقلها.

تأليفات المؤَلف

قد ترك المؤَلف ثروة علمية بين أبناء أُمّته نذكر منها ما يلى:

۱- «الجامع للشرائع» و هو ثمرة غنية و ناضجة من تلك الدوحة الفقهية (دوحة الفقه الإِمامى) الذى سبق الحديث عن مميزاته و أُسسه و قواعده، و شىء من تاريخ نشوية و تطوره، و بعض أدواره و رجاله.

و قد مدحه بعض الفضلاء بقوله:

ليس فى الناس فقيه مثل يحيى بن سعيد

صنف الجامع فقهاً قد حوى كلّ شريد

و مدحه بعض آخر بقوله:

يا سعيد الجدود يا ابن سعيد أنت يحيى و العلم باسمك يحيى

ما رأينا كمثل بحثك بحثا ظنه العالم المحقّق وحيا

«۱» و يظهر من ثنايا الكتاب انّ الكتاب أُلّف حوالى ۶۵۴ ه، قال: و فى هذه السنة و هى سنة أربع و خمسين و ستّمائة فى شهر رمضان احترق المنبر و سقوف المسجد إلى آخر ما ذكره «۲».

۲- نزهة الناظر فى الجمع بين الأَشباه و النظائر:

---

(۱) رياض العلماء: ۵ ۳۴۱- ۳۴۰.

(۲) لاحظ الجامع للشرائع: ۴۸۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۳۵

وصفه صاحب الروضات بأنّه: كتاب لطيف فى الفقه ينوف على ثلاثة آلاف بيت تقريباً، و قد طبع أخيراً بتحقيق العلّامة السيد أحمد الحسينى و نور الدين الواعظى عام ۱۳۸۸ ه، و أثبت المحقّقان انّ هذا التأليف للمؤلف لا- للشيخ مهذب الدين، و ناقشا ما ذكره صاحب الرياض فى هذا المقام.

۳- «المدخل فى أُصول الفقه» ذكره أكثر من ترجم للمترجم له.

۴- «قضاء الفوائت» نسبه إليه الشهيد فى غاية المراد «۱».

۵- «الفحص و البيان عن أسرار القرآن» نسبه إليه الشيخ زين الدين البياضى فى كتاب «الصراط المستقيم» و قال: إنّه قدس سرّه قد قابل فى ذلك الكتاب الآيات الدالة على اختيار العبد، بالآيات الدالة على الجبر، فوجد آيات العدل تزيد على آيات الجبر بسبعين آية «۲».

۶- «كشف الالتباس عن نجاسة الأَرجاس» نسبه إليه الكفعمى فى بعض مجاميعه «۳».

۷- «كتاب السفر» نسبه إليه الشهيد فى الذكرى «۴».

مشايخه و أساتذته

يروى عن عدّة من المشايخ و الفضلاء، ذكرت أسماء بعضهم فى آخر هذا الكتاب (الجامع للشرائع) عند نقل رواية ظريف بن ناصح.

منهم:

۱- السيد الفقيه محيى الدين أبو حامد محمد بن عبد اللّه بن على بن زهرة

---

(۱) أعيان الشيعة: ۵۰- ۱۸، و العجب انّ سيدنا الأَمين لم يترجم المؤَلف إلّا بسطر واحد.

(۲) رياض العلماء: ۵ ۳۳۸- ۳۳۷.

(۳) رياض العلماء: ۵ ۳۳۸- ۳۳۷.

(۴) رياض العلماء: ۵ ۳۳۸- ۳۳۷.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۳۶

الحسينى الحلبى، و ليس هذا السيد بالسيد ابن زهرة المشهور صاحب الغنية المتوفّى سنة ۵۸۵ بل هو ابن أخيه.

۲- الشيخ محمد بن أبى البركات بن إبراهيم الصنعانى، و ذكر المؤَلف أنّ تاريخ الرواية شهر رجب سنة ست و ثلاثين و ستّمائة «۱».

۳- والده الشيخ أحمد عن جدّه يحيى الأَكبر.

۴- السيد الأجل فخار بن معد المتوفّى سنة ۶۳۰ ه.

۵- الشيخ نجيب الدين محمد بن جعفر بن هبة اللّه بن نما الحلى.

إلى غير ذلك من المشايخ التى تقف على أسمائهم عند المرور على ترجمة المؤَلف فى غضون كتب التراجم، و قد جمع صاحب الرياض أسماءهم و بعض خصوصياتهم، فلاحظ «۲».

تلامذته و الراوون عنه

۱- السيد عبد الكريم بن طاوس (المتوفّى ۶۹۳ ه) أجازه فى ذى القعدة سنة ۶۸۶ ه «۳» ۲- العلّامة الحلّى (۶۴۸ ۷۲۶ ه) «۴».

۳- ولده صفى الدين محمد بن يحيى بن سعيد.

۴- الشيخ جلال الدين أبو محمد الحسن بن نما الحلّى.

۵- السيد شمس الدين محمد بن أبى المعالى.

---

(۱) رياض العلماء: ۵ ۳۳۸- ۳۳۷.

(۲) لاحظ الجامع للشرائع: ۶۰۵ ۶۰۶.

(۳) رياض العلماء: ۵- ۳۳۷، و قد نقل صورة الإجازة.

(۴) لاحظ إجازته لبنى زهرة التى كتبها سنة ۷۲۳ ه.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۳۷

۶- السيد عز الدين الحسن بن على بن محمد بن على المعروف بابن الأبزر الحسينى، و كان تاريخ إجازته سنة خمس و خمسين و ستّمائة و قد نقل صاحب رياض العلماء صورة الإِجازة فى حالات المجاز له، فلاحظ «۱».

۷- السيد نجم الدين أبو عبد اللّه الحسين بن أردشير بن محمد الطبرى، و قد أجازه و كتب الإِجازة بخطه الشريف على ظهر نهج البلاغة، و كان تاريخها سنة سبع و سبعين و ستّمائة «۲» و قد نقل صاحب رياض العلماء صورة الإِجازة فى ترجمة السيد نجم الدين.

۸- الشيخ كمال الدين على بن حماد الليثى الواسطى، كما يظهر من إجازة ولد ذلك الشيخ (الشيخ حسين) للشيخ نجم الدين خضر بن محمد بن نعيم المطارآبادى.

۹- الحموينى مؤَلف فرائد السمطين، فقد قرأ عليه فى داره فى ذى القعدة سنة إحدى و سبعين و ستّمائة.

۱۰- الشيخ عمرو بن الحسن بن خاقان قرأ عليه المبسوط، أجاز له سنة ۶۷۴ ه.

۱۱- أحمد بن عبد الكريم و قد كتب كتاب الجامع بخطه و كتب المؤَلف عليه إجازة بخطه فى جمادى الأُخرى سنة ۶۸۱ ه «۳».

۱۲- على بن محمد بن أحمد شرف الدين أبو القاسم بن الوزير مؤَيد الدين ابن العلقمى، قرأ على المؤَلف كتاب جامع الشرائع.

۱۳- شمس الدين محمد بن أحمد بن صالح السيبى القسينى على ما ذكره

---

(۱) و نقله المتتبع الطهرانى فى الأَنوار الساطعة: ۴۱.

(۲) رياض العلماء: ۵- ۳۳۸.

(۳) لاحظ الأَنوار الساطعة: ۷.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۳۸

فى إجازته للشيخ طومان «۱».

۱۴- العالم الزاهد جلال الدين محمد بن على بن طاوس.

هـذه حياة المؤَلف المفعمة بالبحث و التحقيق و الدراسة و التربية و مع الأَسف انّه لم ينتشـر له شـيء سوى «نزهة الناظر» فقامت ثلة من الفضلاء باستنساخ الكتاب و تحقيق نصوصه و تخريج أحاديثه.

---

(۱) لاحظ الأَنوار الساطعة: ۱۰۹، و قد مرّ نص العبارة فى ذلك، فلاحظ.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۳۹

۱۱- على بن عيسى الإِربلى (.. المتوفّى عام ۶۹۳ ه)

اشارة

إنّ التاريـخ البشـرى حافـل بأنواع من الحوادث و الكوارث و الملمات و المحن و النجاحات و الإِخفاقات، فكلّ تلك الظواهر لابـدّ لها من سبب ينشئها و يوجدها و لم يكن تحققها على مسرح التاريخ أمراً اعتباطياً أو اتفاقياً تحققت صدفة.

فالباحث عن التاريـخ عند ما يسـتعرض السـير التاريخى للحوادث لا بدّ أن يأخذ بنظر الاعتبار العلل التى حققتها و أظهرتها على الساحة التاريخية و يبدأ بتحليلها بغية اقتناص العبر المفيدة و تطبيقها على حياته الفردية و الاجتماعية، و عند ذلك يصبح التاريخ محل العبر، و مثار العظات و مصدر العلم بالسنن الإِلهية فى حياة المجتمعات الإِنسانية و انفساخها.

و بالتالى يكون التاريخ مدرسة تطبيقية للوقوف على الأصول التى فيها حياة الأُمّة و بقاؤها أو موتها و فناؤها.

و قـد كان التاريـخ فى القرون السالفـة يتلخص فى قراءة الحوادث و تتابعها بسـرد حوادث تتضـمن انتصارات أقوام على أقوام، و نشوء أُمـم و فناءهـا، دون أن يقـوم المـوَرخ بتحليـل تلـك الحـوادث التاريخيـة و الوقـوف على أسـبابها و عللهـا، و الوقـوف على نتائجهـا و مضاعفاتها.

و قد أُطلق على هذا النوع من كتابة التاريخ بالتاريخ النقلى، و هو أشبه بسرد القصص من دون تحليل و استنتاج.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۴۰

و أمّا اللون الآخر للتاريخ الذى أصبح علماً مسـتقلا احتل مكانة ممتازة بين العلوم الإِنسانية هو التاريخ التحليلى، و هو أن يقوم المؤَرخ بتحليل الظواهر التاريخية، و يعيّن علل الحوادث و نتائجها، و يميّز الصـحيح عن الزائف تحت المشراط العلمى، و هذا اللون من التاريخ و إن شاع فى العصور المتأخرة، و لكن ليس كلّ مؤَرخ محلل، و لا كل تحليل تحليلًا صحيحاً.

إنّ القرآن الكريم يدعو إلى دراسة التاريخ و التدبر فيه على النمط الثانى و هو يتلو على أسـماعنا ما جرى على الأُمم السالفة من سعادة و شـقاء، و ما اسـتخلفوا من صالح الاعمال و طالحها، و لم يبرح يحث على السبر و الغور فى حياة الأُمم السالفة، و التفكر فيما حلّ بهم من تقـدّم و تـدهور حتى يسـتنتج من قراءة القصـص قانونـاً عامـا لمجتمعه و يعرف لهم عوامـل الرقى و الازدهار أو عوامل السـقوط و الانحلال، قـال سـبحانه: (ذٰلِكَ مِنْ أَنْبٰاءِ الْقُرىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهٰا قٰائِمٌ وَ حَصِيدٌ) «۱» و قال سـبحانه: (أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَدٰارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَ فَلٰا تَعْقِلُونَ) «۲» و قال فى آية أُخرى: (أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهٰا أَوْ آذٰانٌ يَسْمَعُونَ بِهٰا فَإِنَّهٰا لٰا تَعْمَى الْأَبْصٰارُ وَ لٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ) «۳».

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة الواردة فى هذا المضمار.

---

(۱) هود: ۱۰۰.

(۲) يوسف: ۱۰۹.

(۳) الحج: ۴۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۴۱

سيرة الأَنبياء و الأَولياء

إنّ كلّ صفحة من صفحات التاريخ يستلهم منها دروس و عبر، لكن تاريخ الصلحاء و فى طليعتهم الأَنبياء و الأَولياء من أهم المواضع التى يجب أن تستأثر بالاهتمام، فإنّ حياتهم المشرقة احتلت أنصع صفحات التاريخ، ففيها دروس هداية تأخذ بيد البشر و تهديهم إلى ساحل النجاة و السعادة.

فقراءة تاريخ رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم- و الأَئمّة المعصومين قراءة حياة أُمّة كبيرة يعدون مصابيح الدجى و أعلام التقى و ذوى النهى و خزان العلم و منتهى الحلم و أُصول الكرم و قادة الأُمم و دعائم الأَخيار و ساسة العباد و أركان البلاد ففى كلّ صفحة من حياتهم دروس وافية تنير الدرب للسائرين.

و لأَجل ذلك قامت أُمّة كبيرة بتدوين تاريخ النبى صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم و أئمّة أهل البيت، فخلفوا تراثاً تاريخيّاً ضخماً.

وها نحن نشير إلى لفيف من المؤَرخين الذين بذلوا جهوداً كبيرة فى تدوين سيرة رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم- و آله المعصومين و فى مقدمتهم: ۱- محمد بن إسحاق المدنى (المتوفّى ۱۵۱ ه) صاحب كتاب «المغازى» الذى لخصه ابن هشام، و اشتهر بالسيرة النبوية.

۲- لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف (المتوفّى ۱۵۸ ه) له من الكتب: «المغازى»، «السقيفة»، «فتوح الإِسلام»، «فتوح العراق»، «صفين»، و «قتل الحسين» «۱».

، ك ۳- إمام علماء الاخبار و المغازى نصر بن مزاحم (المتوفّى ۲۱۲ ه) تلميذ لوط بن يحيى أبى مخنف، أثنى عليه النجاشى، و أورد فهرست كتبه، و قال: كوفى

---

(۱) النجاشى: الرجال: ۲- ۱۹۱ برقم ۸۷۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۴۲

مستقيم الطريقة، صالح الأَمر، و عدَّ من مؤَلفاته وقعة صفين، النهروان، الغارات، المناقب، مقتل الحسين «۱».

إلى غير ذلك من التآليف التى سردها النجاشى فى رجاله.

۴- هشام بن محمد السائب، أبو المنذر الناسب (المتوفّى ۲۰۶ ه) العالم بالأَيام المشهور بالفضل و العلم، و كان يختص بمذهبنا، ذكر النجاشى كتبه و تاريخه، منها: الجمل، و صفين، و النهروان، و الغارات، و مقتل أمير المؤمنين، و مقتل الحسين، إلى غير ذلك من الكتب التى سردها النجاشى فى رجاله «۲».

هؤلاء هم روّاد التاريخ من أصحابنا و تبعهم عدّة جليلة من أئمّة العلم و الأَدب إلى أن انتهت النوبة إلى فخر الشيعة محى آثار الأَئمّة و ناشر مناقبهم و فضائلهم، أعنى: بهاء الدين أبا الحسن على بن فخر الدين عيسى بن أبى الفتح الإِربلى نزيل بغداد و دفينها، و قد أثنى عليه كلّ من ذكره من أصحاب المفاهيم و لنذكر نزراً يسيراً من أقوال العلماء فى حقّه: ۱- قال الصفدى (المتوفّى ۷۶۴ ه): على بن عيسى، الإِربلى المنشئ، الكاتب البارع، له شعر و ترسل، كان رئيساً كتب لمتولّى إربل «۳» ابن صلايا، ثمّ خدم ببغداد فى ديوان الإنشاء أيّام علاء الدين صاحب الديوان، ثمّ إنّه فتر سوقه فى دولة اليهود ثمّ تراجع بعدهم و سلم، و لم يُنكب إلى أن مات سنة اثنتين و تسعين و ستّمائة و كان صاحب تجمّل و حشمة و مكارم، و فيه تشيّع، و كان أبوه

(۱) النجاشی: الرجال: ۲- ۳۸۴ برقم ۱۱۴۹.

(۲) النجاشی: ۲- ۳۹۹ برقم ۱۱۶۷.

(۳) إربل: و هی مدینهٔ کبیرهٔ، و قلعهٔ حصینهٔ تقع علی تل عال من التراب ما بین الزابین تعد من أعمال الموصل و بینها مسیرهٔ یومین و أکثر أهلها أکراد قد استعربوا، بینها و بین بغداد مسیرهٔ سبعهٔ أیام للقوافل.

معجم البلدان: ۱- ۱۳۸.

تذکرهٔ الأعیان، ص: ۲۴۳

والیاً بإربل، و لبهاء الدین مصنفات أدبیهٔ مثل المقامات الأَربعهٔ و رسالهٔ الطیف المشهورهٔ و غیر ذلک «۱».

۲- و ذکر ابن شاکر الکتبی نفس النص الماضی من الصفدی، ثمّ ذکر قسماً من إشعاره «۲».

و لکنّهم لم یقفوا علی أثره الخالد المسمّی «کشف الغمهٔ فی معرفهٔ الأَئمّهٔ» و إنّما ذکره المعلّق علی کتاب فوات الوفیات فی التعلیقهٔ.

۳- و قال الشیخ الحر العاملی: الشیخ بهاء الدین أبو الحسن علی بن عیسی ابن أبی الفتح الإِربلی، کان فاضلًا، عالماً، محدّثاً، ثقهٔ، شاعراً، أدیباً منشئاً، جامعاً للفضائل و المحاسن، له کتب منها: کشف الغمهٔ فی معرفهٔ الأَئمّهٔ، جامع حسن فرغ من تألیفه سنهٔ ۶۸۷ ه، و له رسالهٔ الطیف و دیوان شعر و عدّهٔ رسائل و له شعر کثیر فی مدح الأَئمّهٔ علیهم السَّلام، ذکر جملهٔ منها فی کشف الغمهٔ «۳».

۴- و قال فی آخر وسائل الشیعهٔ: کشف الغمهٔ فی معرفهٔ الأَئمّهٔ، تألیف الشیخ الصدوق الجلیل علی بن عیسی بن أبی الفتح الإِربلی «۴».

۵- و وصفه الأَفندی التبریزی بقوله: «الوزیر الکبیر و الشیخ الخبیر بهاء الدین أبو الحسن علی بن عیسی فخر الدین بن أبی الفتح الإِربلی، و کان یعرف بابن الفخر و قد کان قدّس اللّه سرّه صاحب الفضائل الجمهٔ و العالم الجلیل الذی کشف الغمهٔ و أزال الحیرهٔ عن الأُمّهٔ، و هو مؤلف کتاب کشف الغمهٔ فی معرفهٔ

(۱) الصفدی: الوافی بالوفیات: ۲۱- ۳۷۸ برقم ۲۵۰.

(۲) ابن شاکر الکتبی: فوات الوفیات: ۳- ۵۷ برقم ۳۴۷.

(۳) أمل الآمل: ۲- ۱۹۵ برقم ۵۸۸.

(۴) وسائل الشیعهٔ: ۲۰- ۴۳.

تذکرهٔ الأعیان، ص: ۲۴۴

الأَئمّهٔ، و هو مجلدان کبیران فی أحوال النبی و فاطمهٔ و الأَئمّهٔ- علیهم السلام-، ثمّ ذکر من مشایخه السید جلال الدین عبد الحمید بن فخار، و قال: و کان معاصراً للسید رضی الدین علی بن طاوس و یروی عنه و عن غیره من العلماء من العامهٔ و الخاصهٔ کما یظهر من الکتاب المذکور.

ثمّ قال: و کان ولده الشیخ تاج الدین محمد و سبطه الشیخ عیسی بن محمد ابن علی بن عیسی الإِربلی من الفضلاء، و کلاهما یرویان الکتاب عنه مع جماعهٔ أُخری «۱».

۶- و قد ذکر الفوطی فی کتابه الحوادث الجامعهٔ فی موارد مختلفهٔ نقتبس منها ما یلی: قال: و فی سنهٔ ۶۵۷ وصل بهاء الدین علی بن الفخر عیسی الإِربلی إلی بغداد، و رتب کاتب الإنشاء بالدیوان، و أقام بها إلی أن مات «۲».

و قال: أنّه توفی ببغداد سنهٔ ۶۹۳ ه.

و قال أیضاً: تولّی تعمیر مسجد معروف سنهٔ ۶۷۸ ه.

و قال أيضاً: له قصيدة رثى بها نابغة زمانه نصير الدين الطوسى و الملك عز الدين عبد العزيز.

و لمّا قضى عبد العزيز بن جعفر و أردفه رزء النّصير محمّد

جزعت لفقدان الأَخلّاء و انبرت شئونى كمرفض الجمان المبدد

و جاشت إلىّ النفس جزعاً و لوعة فقلت: تعزِّى و اصبرى فكأن قدِ

«۳» و قال أيضاً: إنشاؤه كتاب صداق فى تزويج الخواجة شرف الدين هارون

---

(۱) الأَفندى التبريزى: رياض العلماء: ۴- ۱۶۶.

(۲) انظر الحوادث الجامعة: ۳۴۱، ۴۸۰، ۳۸.

(۳) انظر الحوادث الجامعة: ۳۸۰ ۳۸۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۴۵

بن شمس الدين الجوينى بابنة أبى العباس أحمد بن الخليفة المستعصم فى جمادى الآخرة سنة ۶۷۰ ه، و إليك جملًا من الكتاب.

الحمد للّه الذى جمع الشمل و نظمه، و قوى عقد الألفة و أحكمه، و أوثق الاجتماع و أبرمه، و صلواته على سيدنا محمد الذى شرفه و أعظمه، و رفع قدره و كرمه، و على آله و صحبه الذين أوضحوا منار الايمان و علمه، و أظهروا برهانه «۱».

هذه الكلمات تعطينا صورة إجمالية عن حياة مؤَلفنا الجليل و قد احتل مكان الصدارة بين مؤَرخى الشيعة و كتّابهم و محدّثيهم، كما أنّه كان معدوداً من الشخصيات البارزة فى الدولة العباسية و إنّ رحى الديوان يومذاك كان يدور على تدبيره و تفكّره، و إنشائه و تحبيره، و الذى يمكن أن يؤخذ على ابن الفوطى مؤَلف الحوادث انّه أرّخ وفاته ۶۹۳ ه و لكن المتفق عليه بين أصحاب المعاجم هو ۶۹۲ ه.

۷- و حكى شيخنا الامينى عن صاحب رياض الجنة فى الروضة الرابعة انّه قال: كان وزيراً لبعض الملوك و كان ذا ثروة و شوكة عظيمة، فترك الوزارة و اشتغل بالتأليف و التصنيف و العبادة و الرياضة فى آخر أمره «۲».

أقول: لم نقف فى المصادر على تصدّى شيخنا المؤَلف لمنصة الوزارة غير ما ذكره معاصره ابن الفوطى فى الحوادث الجامعة ما مرّ من أنّه وصل إلى بغداد و رتب كاتب الإنشاء فى الديوان و أقام بها إلى أن مات، و غير ما نقلناه من الصفدى و تبعه الكتبى من انّه خدم ببغداد فى ديوان الإنشاء أيّام علاء الدين صاحب الديوان، و ما ذكراه لا يدل على تحمّله أعباء الوزارة.

نعم كان على بن عيسى بن داود وزيراً للمقتدر باللّه فى أُخريات القرن الرابع، و لعلّ اشتراكهما فى الاسم صار سبباً لهذه النسبة، و العجب من العلّامة

---

(۱) انظر الحوادث الجامعة: ۳۶۹.

(۲) الغدير: ۵- ۴۵۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۴۶

الامينى مع تضلعه و حيطته تبع صاحب رياض الجنة، و قال: هو أحد ساسة عصره الزاهى ترنّحت به أعطاف الوزارة و أضاء دستها، كما ابتسم به ثغر الفقه و الحديث، و حميت به ثغور المذهب، و سفره القيم كشف الغمة خير كتاب أُخرج للناس فى تاريخ أئمّة الدين و سرد فضائلهم و الدفاع عنهم و الدعوة إليهم، و هو حجّة قاطعة على علمه الغزير، و تضلّعه فى الحديث، و ثباته فى المذهب، و نبوغه فى الأدب، و تبريزه فى الشعر، حشره اللّه مع العترة الطاهرة صلوات اللّه عليهم «۱».

تآليفه

و قد ترك المترجم له ثروة أدبية و تاريخية، نذكر منها ما يلى:

۱- رسالة الطيف، كما ذكرها ابن شاكر الكتبى فى فوات الوفيات، و قد مرّ كلامه.

۲- التذكرة الفخرية، و قد كتبها لفخر الدين أبى نصر منوجهر الهمدانى، و قد كان يلوذ بعلاء الدين الجوينى الحاكم على بغداد، و قد طبع فى بيروت عام ۱۴۰۷ ه بتحقيق الدكتور نورى حمودى القيسى و الدكتور حاتم الصالح الظامى.

۳- المقامات الأَربع، كما ذكره الصفدى و الكتبى كما عرفت.

۴- جلوة العشاق و خلوة المشتاق، و قد جاء اسمها فى مقدمة رسالة الطيف.

۵- ديوان شعر، و هو من المكثرين فى المدائح و المراثى، و قد نقل قسماً من إشعاره فى كشف الغمة، كما نقل شيئاً منه فى أمل الآمل.

۶- عدّة رسائل ذكرها الشيخ الحر العاملى كما عرفت.

۷- كشف الغمة فى معرفة الأَئمّة.

---

(۱) الغدير: ۵- ۴۴۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۴۷

مشايخه فى الرواية

يروى عن عدّة من أعلام الأُمّة، و إليك سرد بعض ما نصّ عليه نفسه فى كشف الغمة أو نبّه عليه غيره.

۱- سيدنا رضى الدين السيد على بن طاوس المتوفّى ۶۶۴ ه.

۲- السيد جلال الدين على بن عبد الحميد بن فخار، أجاز له سنة ۶۷۶ ه.

۳- تاج الدين أبو طالب على بن أنجب، الشهير بابن الساعى البغدادى السّلامى المتوفّى ۶۷۴ ه نص عليه فى كشف الغمة «۱».

و قال: أروى عنه كتاب معالم العترة النبوية العليّة تأليف الحافظ أبى محمد عبد العزيز ابن الأَخضر الجنابذى المتوفّى ۶۱۱ ه.

۴- الحافظ أبو عبد اللّه الكنجى الشافعى (المتوفّى ۶۵۸ ه) نصّ عليه فى كشف الغمة «۲»، و قال: قرأت عليه كتابيه (كفاية الطالب فى مناقب على بن أبى طالب، و البيان فى أخبار صاحب الزمان) و ذلك بإربل سنة ۶۴۸ ه.

۵- كمال الدين أبو الحسن على بن وضاح (المتوفّى ۶۷۲ ه) «۳».

۶- الشيخ رشيد الدين أبو عبد اللّه محمد بن أبى القاسم، قرأ عليه كتاب «المستغيثين باللّه عند المهمات و الحاجات»، قال فى كشف الغمة: كانت قراءتى عليه فى شعبان من سنة ۶۸۶ بدارى المطلة على دجلة ببغداد «۴» إلى غير ذلك ممن يروى عنهم فى كتبه.

---

(۱) كشف الغمة: ۱۳، الطبعة الحجرية.

(۲) كشف الغمة: ۱- ۱۰۵.

(۳) كشف الغمة: ۱- ۳۷۳.

(۴) كشف الغمة: ۲۲۴، الطبعة الحجرية.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۴۸

الرواة عنه

يروى عنه عدّة من الفطاحل، منهم: العلّامة الحلى، و الشيخ رضى الدين على بن المطهر، و السيد شمس الدين محمد بن فضل العلوى الحسنى، و الشيخ تقى الدين بن إبراهيم بن محمد بن سالم، و ولده الوارث علمه و ماله الشيخ تاج الدين محمد بن على، إلى غير ذلك.

ما هو كشف الغمة؟

قد عرفت أنّه فى أحوال الأَئمّة، و هو خير كتاب فى خير موضوع، فاق على كثير ممّا أُلّف قبله فى هذا الموضوع، فى جودة السرد، و وضوح العبارة، و الأَمانة فى النقل، و الركون إلى المصادر الموثوقة بها بين الفريقين، و بالجملة فهو ضالة الخطيب و أمنية الطالب، و لنعم ما قال فى حقّه الشيخ جمال الدين أحمد بن منيع الحلى «۱».

إلا قل لجامع هذا الكتاب يميناً لقد نلت أقصى المراد

و أظهرت من فضل آل الرسول بتأليفه ما يسوء الاعادى

توفى ببغداد عام ۶۹۲ ه، و دفن بالجانب الغربى من بغداد، و فى البيت الكبير المعروف اليوم (بكارپردازخانه) و كانت دار سكناه يوم دفن فيه.

قال شيخنا الطهرانى: و كانت تلك الدار التى دفن فيها الإِربلى باقية إلى عصرنا، و قد زرت قبره فى بقعة فى وسط الدار أنا و العلّامة الميرزا محمد الطهرانى العسكرى فى سنة ۱۳۴۵ ه و كانت يسكنها السفير الايرانى ببغداد، و لكنّها هدمت فلا أثر لها اليوم (۱۳۸۹ ه) «۲».

فسلام اللّه عليه يوم ولد و يوم مات و يوم يبعث حياً.

---

(۱) و هو من أُدباء الحلة، و قد ترجم له فى البابليات، ج ۱.

(۲) الذريعة: ۲۱- ۱۲، و لاحظ ۱۸- ۴۷.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۴۹

۱۲- الحسن بن يوسف بن المطهّر العلّامة الحلّى (۶۴۸- ۷۲۶ ه)

اشارة

الحمد للّه على سوابغ النعم و ضوافى الآلاء، حمد معترف بالقصور عن إدراك أقلّ مراتب الثناء، و صلّى اللّه على محمد عبده و رسوله، أفضل الأَنبياء و أكرم الأَصفياء و على آله السادة النجباء.

أمّا بعد: فإنّ الإِمام الهمام علّامة العلماء، و أُستاذ الفقهاء، جمال الدين أبا منصور الحسن بن يوسف بن المطهّر غنى عن التعريف و الاطراء، فقد سارت بذكره الركبان فى حياته، فعطّروا كتبهم بذكره الجميل، و سطّرت أقلامهم له أنصع الصفحات.

و بما انّى بصدد التقديم لواحد من كتبه الفقهية، ممّا جاد به يراعه نقتصر فى ترجمته على ذكر لمحة خاطفة عن حياته و سيرته، ثمّ نعطف عنان القلم إلى الإِشادة بما هو المقصود بالذات من هذا التقديم، فنقول: ولد قدَّس سرَّه فى شهر رمضان سنة ۶۴۸ ه فى بيت عريق فى العلم و التقوى، أخذ عن والده الفقيه المتكلم سديد الدين يوسف بن المطّهر، و عن خاله شيخ الإِمامية المحقّق الحلّى (۶۰۲ ۶۷۶ ه) الّذى كان له بمنزلة الأَب الشفيق، فحظا باهتمامه

تذكرة الأعيان، ص: ۲۵۰

و رعايته، و أخذ عنه الفقه و الأصول و سائر علوم الشريعة، و لازم الفيلسوف نصير الدين الطوسى (۵۹۷ ۶۷۳ ه) و اشتغل عليه فى العلوم العقليـة و مهر فيها، و قد برع و تقدّم فى العلوم الإِسلامية فى مقتبل عمره على العلماء الفحول، و فرغ من تصنيفاته الحكمية و الكلامية قبل أن يكمل له ۲۶ سنة.

يعرّفه معاصره ابن داود الحلّى، و يقول: شيخ الطائفة، و علّامة وقته، و صاحب التحقيق و التدقيق، كثير التصانيف، انتهت رئاسة الإِمامية إليه فى المعقول و المنقول «۱».

و عرّفه ابن حجر فى لسان الميزان بقوله: عالم الشيعة و إمامهم و مصنّفهم، و كان آية فى الذكاء و كان مشتهر الذكر، حسن الأَخلاق «۲».

إلى غير ذلك من كلمات الإِطراء فى حقّه التى لا مجال لذكر معشارها، و لنعطف عنان القلم إلى ما نحن بصدد بيانه: قد قدّمتُ منذ زمن ليس ببعيد مقدّمة لأَحد كتبه الكلامية ألا و هو كتاب «نهاية المرام فى علم الكلام».

و حينما سرحت النظر فيه ازداد إعجابى به، فأدركت إنّى إمام بحر لجىٍّ بعيد الاغوار، لا يدرك ساحله، كيف، و هو فى الكلام فارس حلبته، و خبير خباياه و عويصات مسائله، و حلّال عقده و غوامضه، فقد أورد فى كلّ مسألة آراء الأَوائل و الملّيين و الإِسلاميين من الأَشاعرة و المعتزلة و الإِمامية و سائر الفرق و قارن بين المناهج الكلامية و حسم الموقف برأيه الصائب و عقله الثاقب، و قد تبلورت فى هذا الكتاب شخصيته الكلامية و عقليته الفلسفية، فالكتاب عديم النظير بين سائر الموسوعات الكلامية فى تبويب المواضيع و مقارنة الآراء، و القضاء الحاسم بينها، و عدم الحياد عن جادة الحقّ، و إنصاف الخصم من نفسه و قد طبع

---

(۱) رجال ابن داود: ۱۱۹ برقم ۴۶۱.

(۲) لسان الميزان: ۲- ۱۷ برقم ۱۲۹۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۵۱

و انتشر «۱» ذى فى ثلاثة أجزاء ضخام.

و أمّا فى الفقه و استنباط الأَحكام الشرعية عن أدلّتها التفصيلية فواسطة عقده و مرتكز لوائه، و هو بحق ممّن لا يقف على ساحله أو يكتفى بظاهره، بل خاض غماره و اقتحم لجته فسبر أغواره و وقف على حقيقته.

وها نحن الآن بصدد التقديم لكتاب فقهى له قدَّس سرَّه و هو كتاب «تحرير الأَحكام الشرعية على مذهب الإِمامية» الّذى يصفه المؤَلف فى خلاصته بأنّه حسن جيد استخرجنا فيه فروعاً لم نسبق إليها مع اختصاره.

و قد حقّق الكتاب بتحقيق رائع يجاوب روح العصر، و هو على عتبة النشر.

و الكتاب واحد من مؤَلفاته الكثيرة فى الفقه، إذ له وراء ذلك موسوعات فقهية و كتب جامعة لعامة أبواب الفقه، منها: أ- تبصرة المتعلّمين فى أحكام الدين.

ب- إرشاد الأَذهان إلى أحكام الايمان.

ج- قواعد الاحكام فى مسائل الحلال و الحرام.

د- مختلف الشيعة فى أحكام الشريعة.

ه- تذكرة الفقهاء على تلخيص فتاوى العلماء، و ذكر قواعد الفقهاء.

و- منتهى المطلب فى تحقيق المذهب.

ز- نهاية الاحكام فى معرفة الاحكام.

إلى غير ذلك من الكتب أو الرسائل الفقهية التى خلَّفها مضافاً إلى ما ألّفه فى مجال أُصول الفقه بين مقتضب كتهذيب الأصول، إلى

مسهب كنهاية الوصول إلى علم الأصول.

---

(۱) نشرته مؤَسسة الامام الصادق- عليه السلام- فى قم المشرّفة.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۵۲

و من تمعّن فى هذه الكتب يجد أمامه دورات فقهية و موسوعات ضخمة قلّما يتفق لأَحد أن يقوم ببعضها.

و ثمّة سؤَال يطرح نفسه، و هو لماذا قام العلّامة بهذا العبء الثقيل و ألّف كتباً فقهية مختلفة المنحى و المنهج أسفر عن اختلاف فتاواه و آرائه فى كتاب بعد كتاب، فما هو السر وراء ذلك؟ و الإِجابة على هذا رهن الوقوف على الغايات التى كانت وراء تأليف تلك الكتب.

فقد تكرر منه تأليف تلو تأليف فى علم واحد لأَجل غايات مختلفة، و إليك دراسة هذه الكتب على وجه الإِيجاز، لتعلم الغايات المتوخاة منها، و ربما يعرب أسماؤها عن الغرض المطلوب.

[دراسة فى مؤلفات العلامة الحلى]

الأَوّل: تبصرة المتعلمين

هذا الكتاب دورة فقهية كاملة موجزة بدون شرح و استدلال طرح فيها العلّامة آراءه الفقهية و فتاواه فى جميع الأَبواب.

يقول فى مقدمته: وضعناها لإِرشاد المبتدئين و إفادة الطالبين مستمدين من اللّه المعونة و التوفيق، فإنّه أكرم المعطين، و أجود المسئولين، و نبدأ بالأَهم فالأَهم.

و الكتاب لو جازته و سلاسة ألفاظه صار موضع اهتمام الفقهاء منذ عصر مؤَلفه إلى يومنا هذا و تولَّوه بالشرح و التعليق، و قد كان فى سالف الزمان كتاباً دراسياً، و ذكر شيخنا المجيز فى الذريعة ما يقارب ۳۵ شرحاً و تعليقاً عليه، و من أحسن الشروح إيضاحاً شرح أُستاذنا الكبير الشيخ محمد على التبريزى المعروف بالمدرّس، و قد طبع الجزء الأَوّل منه و الجزء الثانى لم ير النور، عسى اللّه أن يُشحذ الهمم بغية نشر الباقى.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۵۳

الثانى: إرشاد الأَذهان إلى أحكام الإِيمان

و هو دورة فقهية كاملة غير استدلالية للفقه الإِمامى من الطهارة إلى الديات، و يعد من الكتب الفقهية المعتمد عليها.

يعرفه مؤَلفه فى خلاصته بأنّه حسن الترتيب «۱».

و قال شيخنا الطهرانى: هو من أجل كتب الفقه و أعظمها عند الشيعة، و لذلك تلقّاها علماؤهم بالشرح و التعليق عبر القرون من عصر مؤَلفه إلى يومنا هذا، و قد أحصى مجموع مسائله فى خمس عشرة ألف مسألة، فرغ منه سنة ۶۷۶ ه أو ۶۹۶ «۲».

و الكتاب بالنسبة إلى ما سبقه أشبه بالمفصل إلى المجمل، فقد بسط القول فيه أكثر ممّا ورد فى الأَوّل، ألّف الأَوّل للمتعلّمين المبتدئين ثمّ ألّف هذا لمن ارتقى مرتبة من العلم.

و قد ذكر شيخنا الطهرانى فى موسوعته أسماء ۳۶ شرحاً و تعليقة على الكتاب «۳»، و أنهاها محقّق كتاب إرشاد الأَذهان فى تقديمه إلى ۱۵ شرحاً و تعليقة «۴».

الثالث: قواعد الاحكام فى مسائل الحلال و الحرام

و هو من الكتب المتداولة المشهورة، و قد ذكر فيه من القواعد ما يناهز ۶۶۰ قاعدة فى الفقه، لخص فيه فتاواه و بيّن قواعد الأَحكام، ألّفه بالتماس ولده فخر

---

(۱) كما فى أمل الأمل: ۲- ۸۴، و لم ترد هذه الكلمة فى الخلاصة المطبوعة.

(۲) الذريعة: ۱۳- ۷۳ و ۱- ۵۱۰.

(۳) الذريعة: ۱- ۵۱۰ برقم ۲۵۰۹.

(۴) إرشاد الأَذهان: ۱۸۵ ۱۹۳، قسم المقدمة.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۵۴

المحقّقين، و فرغ منه عام ۶۹۳ ه أو ۶۹۲ ه «۱».

و ذكره فى خلاصته باسمه و لم يصفه بشيء.

لكن وصفه فى أوّله بقوله: هذا قواعد الاحكام فى معرفة الحلال و الحرام لخصت فيه لبّ الفتاوى خاصة، و بيّنت فيه قواعد أحكام خاصة، إجابة لالتماس أحب الناس إلىَّ و أعزّهم علىَّ، و هو الولد العزيز محمد الّذى أرجو من اللّه طول عمره بعدى و أن يوسدنى فى لحدى «۲».

و فى آخر الكتاب وصية قيمة للعلّامة يوصى بها ولده بقوله: اعلم يا بنى أعانك اللّه تعالى على طاعته.. قد لخّصت لك فى هذا الكتاب لبّ فتاوى الاحكام، و بيّنت لك قواعد شرائع الإِسلام بألفاظ مختصرة و عبارات محرّرة، و أوضحت لك فيه نهج الرشاد و طريق السداد، و ذلك بعد ان بلغت من العمر، الخمسين و دخلت فى عشرة الستين، و قد حكم سيد البرايا بأنّها مبدأ اعتراك المنايا.. «۳».

و بما انّ العلّامة من مواليد عام ۶۴۸ ه، فقد بلغ الخمسين عام ۶۹۸ ه، و تجاوز عنه عام ۶۹۹ أو ۷۰۰ ه، و بذلك يعلم انّ ما ذكره شيخنا المجيز من أنّه ألّف القواعد عام ۶۹۳ أو ۶۹۲ ه ليس بتام.

و ممّا يجدر ذكره هو انّ براعة العلّامة و نبوغه لم يتلخّص فى الفقه و الأُصول و الكلام، بل تعدّاها إلى علوم أُخرى، كالرياضيات العالية التى تتجلّى مقدرته فيها بوضوح فى كتابه هذا، و أخص بالذكر «كتاب الوقوف و العطايا، المطلب الثالث فى الأَحكام المتعلقة فى الحساب»، فقد نجح إلى حد كبير فى حلّ غوامض المسائل الرياضية الجبرية المعقدة.

---

(۱) الذريعة: ۱۷- ۱۷۶ برقم ۹۳۰.

(۲) قواعد الاحكام: ۲.

(۳) قواعد الاحكام: ۲- ۳۴۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۵۵

و استغرقت بحوثه الرياضية أكثر من ۵۰ صفحة بالقطع الرحلى.

و إذا عطفت النظر إلى كتاب الفرائض، فترى نظير تلك البحوث فيها.

فسبحان اللّه معطى المواهب و مفيض النعم.

ليس من اللّه بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

الرابع: مختلف الشيعة فى أحكام الشريعة

ذكره فى الخلاصة و قال: ذكرنا فيه خلاف علمائنا خاصة و حجة كلّ شخص و الترجيح لما يصير إليه «۱».

و قال فى مقدمته: إنّى لما وقفت على كتب أصحابنا المتقدمين رضوان اللّه عليهم، و مقالات علمائنا السابقين فى علم الفقه وجدت بينهم خلافاً فى مسائل كثيرة متعددة، فأحببت إيراد تلك المسائل فى دستور يحتوى على ما وصل إلينا من اختلافهم فى الأَحكام الشرعية، و المسائل الفقهية دون ما اتفقوا عليه، إذ جعلنا ذلك موكولًا إلى كتابنا الكبير المسمّى ب «منتهى المطلب فى تحقيق المذهب» فإنّه مجمع بين مسائل الخلاف و الوفاق.

و من محاسن ذلك الكتاب انّه إذا لم يجد للمخالف دليلًا يحاول أن يلتمس دليلًا له.

قال: ثمّ ان عثرنا فى كلّ مسألة على دليل لصاحبها نقلناه و إلّا حصَّلناه بالتفكّر و أثبتناه، ثمّ حكمنا بينهم على طريقة الانصاف، متجنبى البغى و الاعتساف و وسمنا كتابنا هذا بمختلف الشيعة «۲».

---

(۱) الخلاصة: ۴۵.

(۲) مختلف الشيعة: ۱- ۱۷۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۵۶

و الكتاب دورة فقهية استدلالية من الطهارة إلى الديات، و من مزاياه انّه حفظ آثار علمائنا السابقين، أمثال: ابن الجنيد، و ابن أبى عقيل، و الصدوق الأَوّل و غيرهم و لولاه لاندثرت آثارهم.

و قد شرع فى تأليفه قبل سنة ۶۹۹ ه، و انتهى منه فى الخامس عشر من ذى القعدة فى ثمان و سبعمائة، أى قبل وفاته بثمانية عشر سنة.

و من فوائد هذا الكتاب العلم بالمسائل الخلافية و تميزها عن المجمع عليها، فربما يدعى الإِجماع فى مسألة، و لها مخالف أو مخالفان يعلم من الرجوع إلى ذلك الكتاب.

الخامس: تذكرة الفقهاء على تلخيص فتاوى العلماء و ذكر قواعد الفقهاء

و هى موسوعة فقهية استدلالية كبيرة يذكر فيها أقوال الفقهاء من الشيعة و السنة، و يذكر دليل كل قول و يناقشه، و ربما يحاول أن يذكر للمخالف دليلًا من جانبه ثمّ يجيب عنه، و هو تراث علمى قيم.

و إليك بعض ميزاته: أ- أثبت فى تأليفه هذا أن الفقه الإِمامى الذى يرفض العمل بالقياس و الاستحسان قادر على الإِجابة على المسائل الفقهية عامة مستمداً من الأَدلّة الأَربعة: الكتاب، و السنّة، و الإِجماع، و العقل.

يقول العلّامة فى مقدمة الكتاب: و قد عزمنا على تلخيص فتاوى العلماء و ذكر قواعد الفقهاء على أحقّ الطرائق و أوثقها برهاناً و أصدق الأَقاويل و أوضحها بياناً، و هى طريقة الإِمامية الآخذين دينهم من الوحى و العلم الربانى، لا بالرأى و القياس، و لا باجتهاد الناس، على سبيل الإِيجاز و الاختصار و ترك الإِطالة و الإِكثار.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۵۷

ب- انّه يقارن الأَقوال بعضها ببعض و يحاكم بينها بأُسلوب متين، و يشير إلى ذلك فى مقدمة الكتاب بقوله: أشرنا إلى كلّ مسألة إلى الخلاف و اعتمدنا فى المحاكمة بينهم طريق الانصاف «۱».

ج- أنّه أُلّف بصورة الفقه المقارن، و المراد منه جمع الآراء الفقهية المختلفة و تقييمها و الموازنة بينها بالتماس أدلّتها و ترجيح بعضها على بعض، و هذا هو المسمّى عند القدماء بعلم الخلاف.

فالمؤَلف فی هـذا الصـدد يجعل نفسه مسئولًا عن فحص جميع الأدلّـة و القضاء بينها و اختيار أتقنها و أوثقها بالقواعـد و هو ليس أمراً سهلًا، و للفقه المقارن فوائـد جمة يذكرها السيد محمد تقی الحكيم حيث يقول: أ- محاولة البلوغ إلی واقع الفقه الإِسـلامی من أيسر طرقه و أسلمها، و هی لا تتضح عادة إلّا بعد عرض مختلف و جهات النظر فيها و تقييمها علی أساس موضوعی.

ب- العمل علی تطوير الدراسات الفقهية و الأُصولية و الاستفادة من نتائج التلاقح الفكری فی أوسع نطاق لتحقيق هذا الهدف.

ج- ثمـاره فی إشاعـة الروح الرياضـية بين البـاحثين، و محاولـة القضـاء علی مختلف النزعـات العاطفيـة و إبعادهـا عن مجالات البحث العلمی.

د- تقريب شـقة الخلاـف بين المسـلمين، و الحـد من تـأثير العوامل المفرّقـة التی كان من أهمها و أقواها جهل علماء بعض المـذاهب بأُسس و ركائز البعض الآخر، ممّا ترك المجال مفتوحاً أمام تسرّب الدعوات المغرضة فی تشويه مفاهيم بعضهم و التقوّل عليهم بما لا يؤمنون به «۲».

---

(۱) التذكرة: ۱- ۳ و ۴.

(۲) الأصول العامة للفقه المقارن: ۱۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۵۸

و الموجود بين أيـدينا من الكتاب ينتهی إلی أواخر كتاب النكاح، إلّا أنّ ثمّـة شواهـد تشـير إلی أنّ المؤَلف انتهی فی كتابته إلی أكثر من ذلك: أوّلًا: انّ ولده فخر المحقّقين يقول فی كتابه «إيضاح الفوائد فی شرح القواعد» فی آخر شرحه لإِرث الزوج: قد حقّق والدی هذه المسألة و أقوالها و أدلّتها فی كتاب التذكرة «۱».

و ثانياً: انّه فرغ من كتاب النكاح سنة ۷۲۰ ه بالحلة، فقد عاش بعده حوالی ست سـنين، و من البعيد أن يهمل إنهاء ذلك الكتاب الّذی يعد من ثمرات عمره اليانعة «۲».

و فی الختام أود أن أُشير إلی ما جاء فی مجلـة رسالـة الإِسـلام لـدار التقريب بين المـذاهب الإِسـلامية فی القاهرة حول هذا الكتاب و الإِشادة به حيث يقول: من ذخائر الفكر الإِسلامی كتاب تذكرة الفقهاء للشيخ العلّامة الحسن بن يوسف بن علی بن المطهر الحلّی، هذا كتـاب من أنفس كتب الفقه الاسـتدلالی المقارن، و قـد جرت عادة المؤَلّفين فی الفقه المقارن من علماء السـنة أن يعرضوا للمـذاهب الأَربعة متحدّثين عن آراء علمائها، و عن أدلّتهم دون أن يخرجوا عن نطاقها فيعرضوا للمذاهب الأُخری لا سيما مذهب الشيعة الإِمامية.

و قـد أوحی ذلـك إلی كثير من طلاـب العلم و أساتـذة الفقه بمعنی فيه ظلم كثير للفقه الإِمامی، و هو انّ هـذا الفقه ليس كفقه السـنة استيعاباً و استنباطاً و دقة نظر، و انّه لا يستند إلی أدلّة يمكن مناقشتها و مقارنتها.

و لما اتسع نطاق الفقه المقارن فی كلية الشريعة و أصبح حتماً علی الاساتذة و الطلاب أن يعرفوا رأی الإِمامية فی مسائل المقارنة و أن يوازنوا بين أدلّتهم و أدلّة

---

(۱) إيضاح الفوائد: ۴- ۲۴۲.

(۲) لاحظ الذريعة: ۴- ۴۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۵۹

غيرهم من أهل المذاهب الفقهية، كانوا يجدون كثيراً من الصعوبات فی الرجوع إلی مصادر هذا الفقه الإِمامی، و إذا عثروا علی مرجع من هذه المراجع وجدوه مطبوعاً طبعاً حجرياً علی نحو غير مألوف عندنا فی مصر، فلم يستطيعوا الإِفادة منه علی الوجه الذی ينبغی.

إلی أن قال: و كنت أعرف كتاب تـذكرة الفقهاء للشـيخ الحلّی و هو المعروف بالشـيخ العلّامة، و له مؤَلّفات كثيرة غير هذا المؤَلّف، و

لكن تـذكرة الفقهاء بين أيـدينا، و لكنّه رهين محبسـين: محبس من عـدم معرفـة علماء السـنّة به و عـدم اطّلاعهم عليه إلّا قليلًا منهم، و محبس من هذه الطبعة الحجرية الضيقة التى تجعله بعيداً عن متناول الذين يهتمون بالفقه و دراسته و أُصوله المحررة.

و لـذلك تمنيت لو انّ هـذا الكتاب طبع طبعـة حديثـة حتّى يمكن لعلماء الأَزهر و غيرهم أن يقرأه، إذاً لوجدوا فيه علماً غزيراً، و خيراً كثيراً، و لاسـتطاعوا أن يملَئوا جو المقارنـة الفقهيـة بمـا يـذكره من آراء و أدلـة، و لعرفوا أنّ هنـاك فقهـاً لا يقل فى مسـتواه العلمى و الفكرى عن فقههم، و لما بقى فى بعضهم أثر من الرغبة عن هذا الفقه استهانة به أو تعصباً عليه.

ثمّ إنّ صاحب المقال أخذ شـيئاً من كتاب النكاح فطبعه فى آخر مقاله، يبلغ عدد صـفحاته قرابة ۳۱ صفحة، و بذلك حاول أن يُلفت نظر الفقهاء فى الأَزهر و غيره إلى هذا الكتاب الثمين و ما فيه من مادة فقهية قلّما يتفق فى غيره «۱».

و نحن نزفّ البشرى إلى صاحب المقال، و هى انّ الكتاب قـد طبع طبعـة أنيقـة رشـيقة محققـة مع تخريـج مصادر الروايات و الأَقوال بشـكل مثير لِلاعجاب، و قـد قام بهـذا العبء الثقيل مؤَسـسة آل البيت- عليهم السـلام- لإِحياء التراث، و قـد خرج منه لحدّ الآن ثمانية أجزاء و الباقى قيد الطبع.

---

(۱) مجلة رسالة الإِسلام: العدد ۵۱ و ۵۲، المؤَرخة عام ۱۳۸۲ ه.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۶۰

و الحقّ انّ أغلب الـتراث الفقهى للشـيعة الإِماميـة رهين محبسـين: عـدم اطّلاـع علمـاء السـنة عليه، و رداءة طبعه بـل لم يزل الكثير منها مخبوءاً لم ير النور.

السادس: منتهى المطلب فى تحقيق المذهب

و هو كتاب ضـخم يتسم بطابعين: «الاسـتدلال» و «المقارنة» و هو نظير «التذكرة» و لكن أوسع و أشـمل منه، و لذلك يصفه العلّامة فى بعض الموارد بقوله ينتهى بانتهاء عمرنا.

و يصـفه فى الخلاصة، بقوله: لم يعمل مثله، ذكرنا فيه جميع مذاهب المسلمين فى الفقه، رجحنا ما نعتقده، بعد إبطال حجج من خالفنا فيه، يتم إن شاء اللّه تعالى عملنا منه إلى هذا التاريخ، و هو شهر ربيع الآخر سنة ثلاث و تسعين و ستمائة سبع مجلدات «۱».

و يصـفه فى مقدمة الكتاب بقوله: أحببنا أن نكتب دسـتوراً فى هذا الفن (الفقه) يحتوى على مقاصده، و يشـتمل على فوائده على وجه الإِيجاز و الاختصار، مجتنبين الإِطالة و الإِكثار مع ذكر الخلاف الواقع بين أصـحابنا، و الإِشارة إلى مذاهب المخالفين المشـهورين، مع ذكر مـا يمكن أن يكون حجّة لكلّ فريق على وجه التحقيق، و قـد وسـمناه ب «منتهى المطلب فى تحقيق المـذهب» و نرجو من لطف اللّه تعالى أن يكون هذا الكتاب بعد التوفيق لِاكماله أنفع من غيره «۲».

و على ضوء ذلـك فقـد حـاز العلّامـة الحلّى قصب السـبق على غيره فى تطوير الفقه المقارن، فتارة ألّف كتاباً لبيان الخلافات فى الفقه الإِمامى و قارن الأَقوال بعضها ببعض مثل المختلف، و أُخرى لبيان الخلافات بين المذاهب

---

(۱) الخلاصة: ۴۵.

(۲) منتهى المطلب: ۴.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۶۱

الإِسلامية سنّية و شيعية، بين مقتضب كالتذكرة، و مسهب كالمنتهى.

و هذا النوع من الفقه المقارن من خصائصه و لم يسبقه أحد قبله.

نعم، قام غير واحد من مشايخ الشيعة بتصنيف كتب فى الفقه المقارن على النمط الثانى كالإنتصار للسيد المرتضى (۳۵۵ ۴۳۶ ه) و الخلاف للشيخ الطوسى (۳۸۵ ۴۶۰ ه) و الكتاب يعد من ذخائر التراث الفقهى الإسلامى، و قد طبع فى جزءين كبيرين بالطبعة الحجرية ينتهى الجزء الأوّل إلى آخر الصلاة، و الجزء الثانى إلى آخر الحجّ.

و قال فى إجازته للسيد مهنا بن سنان بن عبد الوهاب الإمامى المدنى قاضى المدينة المتوفّى عام ۷۵۴ ه، قال: كتاب منتهى المطلب خرج منه العبادات سبع مجلدات «۱».

إنّه قدّس سرّه يشير إلى الفرق بين التذكرة و المنتهى فى نهاية كتاب تحرير الأحكام الذى سيأتى الكلام فيه.

يقول فى نهاية هذا الكتاب: «هذا آخر ما أخذناه فى هذا الكتاب، و هو قيم يعرض طالب التوسط فى هذا الفن، و من أراد الإطالة فعليه بكتابنا الموسوم بتذكرة الفقهاء الجامع لأُصول المسائل و فروعها مع إشارة وجيزة إلى وجوهها و ذكر الخلاف الواقع بين العلماء و إيراد ما بلغنا من كلام الفضلاء.

و من أراد الغاية و قصد النهاية فعليه بكتابنا الموسوم ب «منتهى المطلب فى تحقيق المذهب» و اللّه الموفق للصواب منه المبدأ و إليه المعاد» «۲».

و قد قام بتحقيقه و إخراجه فى حلة قشيبة قسم الفقه فى مجمع البحوث الإسلامية بمشهد الرضا- عليه السلام- و خرج منه إلى الآن خمسة أجزاء.

---

(۱) أجوبة المسائل المهنائية: ۱۵۵؛ البحار: ۱۰۴- ۱۴۷.

(۲) تحرير الاحكام: ۲- ۲۸۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۶۲

السابع: نهاية الاحكام فى معرفة الاحكام

كتاب يحتوى على جلّ المسائل الفرعية الفقهية مع الإشارة إلى الدلائل بعبارة موجزة.

يعرّفه العلّامة فى مقدمة الكتاب بقوله: لخصت فيه فتاوى الإمامية على وجه الإيجاز و أشرت فيه إلى العلل مع حذف الإطالة و الإكثار.

و خرج منه كتاب: الطهارة، الصلاة، الزكاة، البيع إلى آخر الصرف.

و قد فرغ كتاب الصلاة فى شهر شعبان من شهور سنة ۷۰۵ ه.

و قد طبع فى جزئين بتحقيق السيد مهدى الرجائى (حفظه اللّه) و هو ممّن وقف عمره فى إحياء التراث و نشر مآثر الشيعة.

و الفرق بينه و بين التحرير طفيف جدّاً، فالإشارة إلى الدليل فيه أكثر من التحرير لكن الثانى يفوق عليه بجودة الترتيب و التخريج.

و اشتماله على تمام الكتب الفقهيّة.

الثامن: تحرير الاحكام

وها نحن الآن بصدد استعراض كتاب فقهى آخر و هو كتاب تحرير الأحكام الشرعية إلى مذهب الإمامية.

و قد عرّفه العلّامة فى مقدمة الكتاب بقوله: جمعنا فيه معظم المسائل الفقهية و أوردنا فيه أكثر المطالب الشرعية الفرعية من غير تطويل بذكر حجّة و دليل، إذ جعلنا ذلك موكولًا إلى كتابنا الموسوم ب «منتهى المطلب فى تحقيق المذهب» فإنّه قد شمل المسائل أُصولها و فروعها و ذكر الخلاف الواقع بين

تذكرة الأعيان، ص: ۲۶۳

المسلمين إلّا ما شذ، و استدلال كلّ فريق على مذهبه مع تصحيح الحقّ و إبطال الباطل و إنّما اقتصرنا فى هذا الكتاب على مجرّد الفتاوى لا غير «۱».

و عرّفه فى الخلاصة بقوله: حسن جيد، استخرجنا فيه فروعاً لم نسبق إليها مع اختصاره «۲».

و قال شيخنا المجيز: اقتصر فيه على مجرد الفتوى و ترك الاستدلال، لكنّه استوعب الفروع و الجزئيات حتّى أنّه أُحصيت مسائله فبلغت أربعين ألف مسألة «۳» رتّبها على ترتيب كتب الفقه فى أربع قواعد: العبادات، و المعاملات، و الإيقاعات، و الأَحكام؛ بادياً بمقدمة ذات مباحث فى معنى الفقه و فضله و آدابه و معرفته و عدم كتمانه.

ثمّ ذكر النسخ الموجودة منه فى المكتبات «۴».

عصر التخريج و التفريع

اشارة

لقد تألّق نجم المذاهب الأَربعة منذ منتصف القرن الرابع، فسرت روح التقليد للأَئمة الأَربعة سرياناً عاما اشترك فيه العلماء و جمهور الناس.

لقد تلقّى الجمهور تلك المذاهب تراثاً إسلامياً بلغ من القداسة كأنّها وحى من اللّه لا يمكن النقاش فيها و لا يجوز الخروج عن إطارها، فأصبحت نصوص الأَئمّة الأَربعة كالوحى المنزل يجب استفراغ الوسع فى فهم كلامهم و مؤَدّى لفظهم، و قد خلّف ذلك مضاعفات حالت دون تكامل الفقه، منها: أ- نشوء روح التقليد بين فقهاء تلك الأَعصار و التعصّب لمذهب الاسلاف.

---

(۱) تحرير الأَحكام: ۱- ۲.

(۲) الخلاصة: ۴۵ برقم ۵۲.

(۳) و لعلّ المراد هى الفروع لا المسائل، لأَنّ الأُولى تقارب هذا المقدار دون الثانية.

(۴) الذريعة: ۳- ۳۷۸.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۶۴

ب- كثرة التخريج و التفريع و الترجيح بين فقهاء المذاهب، فإنّهم بدل أن يبذلوا جهودهم فى فهم الكتاب و السنّة، أنصبت جهودهم فى استنباط الفروع من الأصول الثابتة عند أئمّة المذاهب، و لأَجل ذلك كثر التأليف و التصنيف فى هذه العصور و أكثرها يحمل طابع التخريج و التفريع.

إنّ باب الاجتهاد و إن أقفل فى هذه الفترة لكن نشط الاجتهاد فى إطار مذهب معين.

فلذلك بدأ التخريج و التفريع فى مسائل كثيرة فلم يكن لأَئمّتهم فيها نص، و بذلك ألفت كتب فى هذا المضمار، أى استنتاج الفروع من الأصول و ما لا نص فيه من أئمّتهم عمّا فيه نص منهم.

و هذا نوع من الاجتهاد المحدّد بمذهب خاص، و قد نشأ العلّامة فى هذه الاجواء التى تطلب لنفسها التخريج و التفريع، فشمّر عن ساعد الجد و ألّف كتاب «تحرير الاحكام» لتلك الغاية، و لو صحّ ما نقله شيخنا المجيز عن بلوغ مسائله إلى أربعين ألف، فقد تحمل عبئاً ثقيلًا فى جمع تلك الفروع فى الأَبواب الفقهية المختلفة و عرضها على الأَدلّة و استخراج حكمها منها و ليست تلك المحاولة جديدة من نوعها، فقد سبقه فيها الشيخ الطوسى بتأليفه كتاب «المبسوط» و كانت الغاية من تأليفه هو الإجابة على الفروع التى لا

نصّفيها مستخرجاً أحكامها ممّا نص فيه، يقول: فإنّى لا أزال أسمع معاشر مخالفينا من المتفقّهة و المنتسبين إلى علم الفروع يستحقرون فقه أصحابنا الإمامية و يستنزرونه و ينسبونهم إلى قلّة الفروع و قلّة المسائل، و انّ من ينفى القياس و الاجتهاد لا طريق له إلى كثرة المسائل و لا التفريع على الأصول، لَانّ جلَّ ذلك مأخوذ من هذين الطريقين.

ثمّ ردَّ على و جهة النظر تلك بقوله: إنّ جلَّ ما ذكروه من المسائل موجود فى أخبارنا و منصوص عليه تلويحاً عن أئمّتنا الذين قولهم فى الحجة يجرى مجرى

تذكرة الأعيان، ص: ۲۶۵

قول النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- إمّا خصوصاً أو عموماً أو تصريحاً أو تلويحاً «۱».

و التخريج فى الفقه الإمامى يختلف عن التخريج فى فقه المذاهب الأَربعة، فإنّ التخريج هناك على ضوء النصوص الموروثة عن أئمّتهم التى لا تتجاوز عن كونها فتاوى فقهية لهم مستنبطة غالباً من الأَساليب الظنية.

و أمّا التخريج فى الفقه الإمامى فهو تابع لضوابط معيّنة، إذ يستخرج حكم الفروع من الأصول المنصوصة إمّا خصوصاً أو عموماً أو تصريحاً أو تلويحاً كما صرّح به الشيخ.

فالاجتهاد عند السنّة فى هذا المجال، اجتهاد شخصى فى فهم كلام إمام المذهب، و لكن الاجتهاد فى الفقه الإمامى اجتهاد فى فهم النصوص الشرعية الواردة من النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- و آله المعصومين الذين تجرى أقوالهم مجرى قول النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- لحديث الثقلين.

هذه هى الكتب الفقهية الثمانية المعروفة للعلّامة الحلّى المنتشرة على نطاق واسع، و له كتب فقهية أُخرى غير مشهورة، و انّ قسماً منها لم ير النور.

مشكلة الاختلاف فى آرائه

من استعرض فتاوى العلّامة الحلّى فى كتبه الفقهية ربما يقف على آراء مختلفة له فى مسألة واحدة فى مختلف الكتب، و قد أثارت هذه المسألة العديد من التساولات.

فربما يفسر اختلاف فتاواه بحرصه على التأليف و استعجاله فى التصنيف، و انّه كان يكتب كلّ ما يرتسم فى ذهنه بلا مراجعة إلى أقواله المتقدمة، أو انّه كان لا يفحص فى الأَحاديث و الأَدلّة حقّ الفحص.

فبدا له التجدّد فى الرأى و التلوّن

---

(۱) المبسوط: ۱- ۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۶۶

فى الاجتهاد «۱».

و قريب منه ما ذكره المحدّث البحرانى فى لؤلؤة البحرين «۲».

و ربما يجاب عن الإشكال: بأنّ فتاوى العلّامة كانت فى متناول فقهاء عصره الذين بلغ عددهم فى الحلّة إلى ۴۴۰ مجتهداً «۳».

فقد كانت تنهال عليه مناقشات العلماء و المجتهدين فيما أفتى به و ذهب إليه فكان رضى اللّه عنه ينظر فيها و يبحثها معهم، فإن لم يقتنع بها ردّها، و إن رآها سديدة قبلها برحابة صدر، و غيّر فتواه «۴».

و هذا النوع من الدفاع و إن كان صحيحاً إجمالًا و لا يختص هذا بالعلّامة و عصره، فانّ تغيير الفتاوى لأَجل مناقشات المعاصرين ليس أمراً جديداً، لكن تبرير هذا النوع من الاختلاف الشاسع عن هذا الطريق غير كاف، إذ لو كان هذا هو السبب الرئيسى لأَشار إليه العلّامة

فى طيات كتبه، و انّه رجع عمّا كان يراه فيما سبق لأجل هذه المناقشة، و لكن صياغة كتبه تأبى عن ذلك التبرير فيجب التماس وجه آخر.

و هو انّ العلّامة الحلّى قد عاش فى عصر ازدهرت فيه عملية التخريج و التفريع، و كانت له صلة وثيقة بفقهاء كلا الفريقين طوال ستين سنة، و كان ذا ذكاء خارق و ذهن ثاقب، و آية فى الدقة و التحقيق، فمثل هذا الفقيه الذى هو فى

---

(۱) لاحظ تنقيح المقال: ۱- ۳۱۵، نقله عن السماهيجى.

(۲) لؤلؤة البحرين: ۲۲۶.

(۳) رياض العلماء: ۱- ۳۶۱، قال: و من الغرائب ما نقل انّه كان فى الحلّة فى عصر العلّامة أو غيره ۴۰۰ مجتهداً و أربعين.

(۴) إرشاد الأذهان: ۱۶۰، قسم المقدمة.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۶۷

خضمّ الاحتكاكات الفقهية من جانب و كثرة أسفاره و لقائه بعلماء كلا الفريقين أتاح له الفرصة فى خلق أفكار فقهية جديدة حسب ما يوحى إليه فهمه الخلاق، و ليس هذا بعزيز.

فهذا هو محمد بن إدريس الشافعى (۱۵۰ ۲۰۴ ه) قد خلف فتاوى قديمة و فتاوى جديدة، فلما غادر الحجاز إلى العراق و مكث فيه سنين طوال كانت له آراء، فلما هبط مصر بدت له فتاوى أُخرى غير تلك الفتاوى القديمة، و صارت معروفة بالفتاوى الجديدة.

فمثير هذه الشبه انطلق من جمود فكرى و عدم معرفة كاملة بواقع الفقه، و لو كان من فرسان هذه الحلبة لسهل له هذا الأمر و لم ينقم على العلّامة كثرة فتاواه.

فسلام عليه يوم ولد و يوم مات و يوم يبعث حيّاً.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۶۸

۱۳- محمد بن إبراهيم الشيرازى صدر المتألّهين (۹۷۹- ۱۰۵۰ ه)

اشارة

يتضمّن هذا التقديمُ استعراضَ تاريخ الحديث عند الشيعة الإمامية، و تألُّق نجمة فى القرن الرابع الهجرىّ على يد شيخ المحدثين، ثقة الإسلام، محمّد بن يعقوب الكلينىّ، و بيان خدماته الجليلة فى هذا الصعيد.

كما يتضمّن حياة و سيرة صدر الحكماء المتألّهين، و استعراض المراحل الثلاث التى مرّ بها فى حياته المِعْطاء، و الآثار العلمية القيمة التى خَلَّفَها لَلاجيال اللاحقة، والاصول التى أسّسها و أرساها فى ميدان المعرفة، و إخلاصه الكتاب اللّه العزيز، و السنة المحمدية الشريفة، و لأحاديث العترة المطهَّرة.

و يسعِدُنا أن تأتى هذه الترجمة لذينك العَلَمين الفذّين، و الرائدين العبقريّين من روّاد الحديث و الفلسفة، فى مطلع كتابٍ التقى فيه رافِدا «الحديثِ» و «الحكمة» ليوَكّدَ هذا التلاقى المبارك على مدى التوافق بين «الدين الحنيف» و «العقلِ الحصيف» و مدى التعاضدِ بين «العلم و العقيدة».

تذكرة الأعيان، ص: ۲۶۹

[كلمة للمؤلف فى مؤتمر إحياء الذكرى المئوية الرابعة لصدر المتألهين و هى مقدمة لشرح أصول الكافى]

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد للّه الذى عجزت العقول عن كنه معرفته، و قصرت الألسن عن وصف جلاله و جبروته.

و الصلاة و السلام على سيّد بريّته، محمّد المصطفى و آله من عترته.

أمّا بعد: إنّ إحياء ذكرى نوابغ الفكر و أساطين العلم هو فى الحقيقة إحياء للعلم نفسه و تثمين للجهود المبذولة فى هذا السبيل، و تقييم للتراث الذى خلّفوه، و دعوة للجيل الصاعد إلى اقتفاء آثارهم و الاقتداء بمناهجهم.

و من حسن الحظ و دواعى المسرّة و الغبطة أن يقام مؤتمر لإحياء الذكرى المئوية الرابعة لمنار العلم و الفكر و حامل لوائه، فى عصر أخذ فيه التفكير العقلى يخبو و يتراجع تراجعاً ملحوظاً أمام المدّ الاخبارى ألا و هو الحكيم الجليل محمد بن إبراهيم الشيرازى (۹۷۹ ۱۰۵۰ ه) المعروف بصدر المتألهين أنار اللّه برهانه.

و قد قام غير واحد من الكتّاب بتسليط الإضواء على سيرته و آثاره و ما قدّم إلى الساحة الفكرية من تراث عظيم، و لكن ما زالت ثمّة خبايا من حياته لم يبحث عنها و لم تلق عناية لأكثر من كتب عنه، لعلّنا نوافيك بها فى هذا المقال الذى هو تقديم لكتابة القيّم «شرح أُصول الكافى» لثقة الإسلام الكلينى فيناسب طرح موضوعات لها صلة بالمؤلّف و الشارح و كتابيهما و التيارات الفكرية التى سادت

فى عصرهما و لإيفاء ذلك الغرض نطرح الموضوعات التالية و ليكون أداءً لبعض الحقوق:

۱- تصوير الظروف و التيارات الفكرية التى سادت عصر الشيخ الكلينى.

۲- عرض نبذة مختصرة عن سيرة الكلينى و البيت العريق الذى نشأ فيه.

۳- لمحة خاطفة عن الآثار التى تركها و أخصّ بالذكر كتابه القيّم «الكافى».

۴- سيرة الشارح و حياته و آثاره.

۵- الخطوط العريضة لفلسفته.

۶- تحليل كتابه باسم «شرح أُصول الكافى».

هذه هى الخطوط الرئيسيّة لمقالنا.

فنقول:

الحديث المصدر الثانى فى التشريع

يُعدّ الحديث المصدر الرئيس للمسلمين قاطبةً فى العقائد و الأحكام بعد القرآن الكريم، و هو كالكتاب وحى بمعناه و إن لم يكن وحياً بلفظه، و كيف لا يكون كذلك و النبىّ- صلى الله عليه و آله و سلم- لا يصدر فى تبيين العقيدة و الشريعة إلّا عن الوحى، قال سبحانه: (وَ مٰا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ. إِنْ هُوَ إِلّٰا وَحْيٌ يُوحىٰ) «۱» و قال سبحانه: (وَ أَنْزَلَ اللّٰهُ عَلَيْكَ الْكِتٰابَ وَ الْحِكْمَةَ) «۲» إنّ مقتضى عطف الحكمة على الكتاب، أنّها غيره، و ليست هى إلّا السنّة المأثورة عن طريق قوله- صلى الله عليه و آله و سلم- و فعله و تقريره.

---

(۱) النجم: ۳ ۴.

(۲) النساء: ۱۱۳.

إنّ العترة الطاهرة بما أنّهم قرناء الكتاب و أعداله و خلفاء الرسول و أوصياوَه، فهم حفظة سننه، و عيبة علمه، فقولهم و فعلهم و

تقريرهم يجسّد سنّة النبيّ صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم بصورها الثلاث.

لقد وقف المسلمون على مكانة السنّة و عظمتها و أنّها ركن مهم فى التشريع الإسلامى و لكن حالت السياسة بعد رحيل النبيّ- صلى الله عليه و آله و سلم- دون نقلها و تدوينها و دراستها لطيلة قرن من الزمن، و قد ألمح بعض الصحابة فى عهد الرسول إلى فكرة «حسبنا كتاب اللّه» و أنّ المسلمين فى غنى عن غيره فكانت هذه أخطر عملية منعٍ لكتابة الحديث و تدوين السنّة عقب وفاة الرسول صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم.

روى البخارى عن ابن عباس، قال: لمّا اشتدّ بالنبيّ وجعه، قال: «ائتونى بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده».

قال عمر: إنّ النبيّ غلبه الوجع و عندنا كتاب اللّه، حسبنا.

فاختلفوا و كثر اللغط.

قال- صلى الله عليه و آله و سلم-: «قوموا عنّى فلا ينبغى عندى التنازع».

فخرج ابن عباس يقول: إنّ الرزية كلّ الرزيّة ما حال بين رسول اللّه و بين كتابه «۱».

لم تكن فكرة الاستغناء عن سنّة الرسول- صلى الله عليه و آله و سلم- مجرّد أُمنية تراود بعض الصحابة بل نفذّها على الصعيد العملى عند ما تولى مقاليد الخلافة، و كان المانع هو نفسه الذى تزعم عملية الحظر لما أراد النبى كتابتها.

روى الخطيب قال: إنّ عمر بن الخطاب بلغه أنّ فى أيدى الناس كتباً، فاستنكرها و كرهها، و قال: أيّها الناس إنّه قد بلغنى أنّه قد ظهرت فى أيديكم

---

(۱) البخارى: الصحيح: ۱- ۳۰ باب كتابة العلم، من كتاب العلم.

كتب، فأحبّها إلى اللّه أعدلها و أقومها، فلا يبقين أحد عنده كتاب إلّا أتانى به فأرى فيه رأيى.

قال: فظنّوا أنّه يريد ينظر فيها و يقوّمها على أمر حتى لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار ثمّ قال: أُمنية كأُمنية أهل الكتاب «۱».

لقد صار عمل الخليفة سنّة رائجة فى حياته و بعده إلى عصر المنصور الذى دعا الناس إلى تدوين الحديث و كتابته بعد خسارات فادحة أُصيب بها الحديث.

قال الذهبى: و فى سنة ۱۴۳ ه شرع علماء الإسلام فى هذا العصر فى تدوين الحديث و الفقه و التفسير فصنّف ابن جريج بمكة، و مالك الموطأ بالمدينة، و الأَوزاعى بالشام، و ابن أبى عروبة و حماد بن سلمة و غيرهما فى البصرة، و معمر باليمن، و سفيان الثورى بالكوفة، و صنّف ابن إسحاق المغازى، و صنّف أبو حنيفة الفقه و الرأى إلى أن قال: و قبل هذا العصر كان الأَئمّة يتكلّمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتّبة «۲».

أمّا شيعة أئمّة أهل البيت فلم يُعيروا أهمية لهذا الحظر، بل دأبوا على كتابة السنّة و تدوينها و نشرها بين أبنائهم لعلمهم بأنّ السنّة وحى كالقرآن الكريم لا يمكن التساهل و التسامح فيها دون نشرها و إلّا تذهب إدراج الرياح، لَانّ ما فى الصدور يذهب بذهاب أصحابها بخلاف الكتاب فإنّه يبقى عبر الأَزمنة و القرون.

كان لرفع الحظر عن كتابة الحديث و تدوينه و التحريض على دراسته أثر ملحوظ فى انكباب العلماء و المحدّثين على دراسته و كتابته و تدوينه، و شدّ الرحال إلى آفاق بعيدة بُغية جمع السنّة النبوية، فراج الحديث على أثرها أواخر القرن الثانى و بلغ ذروته أوائل الرابع، فصارت الحواضر الإسلامية مراكز مهمة للحديث و جمعه لا سيما حاضرة العراق و ضاحيتها الكوفة، و الرى و ضواحيها

---

(۱) الخطيب البغدادى: تقييد العلم، ص ۵۲.

(۲) تاريخ الخلفاء، للسيوطى، ص ۲۶۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۷۳

و خراسان و مدنها، فأُلِّفت خلالها مسانيد و صحاح و جوامع و موسوعات، كصحيح البخارى لمحمد ابن إسماعيل بن إبراهيم البخارى (۱۹۴ ۲۵۶ ه) و صحيح مسلم لأَبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى (۲۰۱ ۲۶۱ ه) إلى غير ذلك من الصحاح و السنن عند أهل السنّة.

كما خرج للشيعة الإماميّة كتاب «الجامع» لأَحمد بن محمد بن أبى نصر البزنطى المتوفّى (۲۲۱ ه) و كتاب «الثلاثين» لحسين بن سعيد الأَهوازى الذى يروى عن الامام الرضا- عليه السلام- المتوفّى (۲۰۳ ه) و الإمام الجواد- عليه السلام- المتوفّى (۲۲۰ ه) و كتاب «المحاسن» لأَحمد بن محمد بن خالد المتوفّى (۲۷۴ ه) و نوادر الحكمة لمحمد بن أحمد بن يحيى الأَشعرى المتوفّى (حوالى ۲۹۳ ه) إلى غير ذلك من محدّثى الشيعة الكبار الذين خدموا السنّة و أحاديث العترة ببيانهم و أقلامهم و ألسنتهم و حفظوها عن الضياع و الاندثار.

و الجوامع التى أشرنا إليها على وجه الإيجاز كانت هى المادة المستقاة لشيخنا الكلينى فى تصنيفه للكافى فى الأصول و الفروع بإسناد متّصلة قراءة و سماعاً.

التيارات الفكرية فى عصر الكلينى

اشارة

نشأ الكلينى فى النصف الثانى من القرن الثالث و أدرك الربع الأَوّل من القرن الرابع، حيث إنّه ولد فى عصر إمامة العسكرى- عليه السلام- التى دامت ستّ سنين (۲۵۴ ۲۶۰ ه) و توفّى عام ۳۲۸ ه أو ۳۲۹ ه، فقد أدرك عصر الظهور و الغيبة الصغرى جميعاً، و كان ذلك العصر مشحوناً بتيّارات فكرية مختلفة لم يكن لها مثيل من قبل.

فمن متحدِّث سلفىّ يحمل لواء التشبيه و التجسيم و إثبات الجهة و الجبر و يضم إلى حزمته كلّ غثّ و سمين لا يبالى عمّن أخذ و ما أخذ.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۷۴

إلى مرجئى ينادى بكفاية الايمان باللّه و رسوله عن القيام بالتكاليف، و بالتالى يدعو إلى الانحلال عن القيود الشرعية.

إلى قدرىّ يرى حاجة الفاعل فى ذاته إلى اللّه سبحانه دون فعله، و كأنّه إله ثان فى الأَرض فى مقام الإيجاد و التأثير يهدم بمعوله التوحيد فى الخالقية.

إلى خارجىّ يكفّر جميع طوائف المسلمين بملء فمه و ينزّه الخليفتين الأَوّلين و يبغض الآخرين بذريعة أنّه لا حكم إلّا للّه.

إلى دخلاء فى الإسلام يتظاهرون به فى حين يصوّبون سهامهم إلى ظهر المسلمين.

إلى غير ذلك من التيارات التى عجّت بها تلك الحقبة من الزمان.

و مع أنّ الحواضر الإسلامية كانت مشحونة بهذه الفرق المختلفة إلّا أنّ الطابع العام الذى كان سائداً على سياسة الحكومات آن ذاك هو تأييد السلفية و دعاة الحديث خدمة لمصالحها، و لذلك نجد بين أهل الحديث من رفع راية التجسيم و التشبيه بحماس من غير خوف و لا و جل من أهل التنزيه، منهم:

۱- عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد التميمى الدارمى السجستانى صاحب «المسند»، ولد قبل المائتين و توفّى عام ۲۸۰ ه، له كتاب «النقض» يقول فيه: اتّفق المسلمون على أنّ اللّه تعالى فوق عرشه و سماواته «۱».

۲- خشيش بن أصرم مصنّف كتاب «الاستقامة» يعرّفه الذهبى بأنّه يردّ فيه على أهل البدع «۲» توفّى سنة ۵۲۲ ه «۳».

---

(۱) سير أعلام النبلاء: ۱۳- ۳۲۵.

(۲) تذكرة الحفّاظ: ۲- ۵۵۱.

(۳) سير أعلام النبلاء: ۲- ۲۵۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۷۵

و يريد من هذه الكلمة أهل التنزيه الذين لا يثبتون للّه سبحانه خصائص الموجود الامكانى و ينزّهونه عن الجسم و الجسمانيات.

۳- أحمد بن محمد بن أزهر بن حريث السجستانى السِّجزى، نقل الذهبى فى ميزان الاعتدال عن السلمى، قال: سألت الدارقطنى عن الأَزهرى، فقال: هو أحمد بن محمد بن الأَزهر بن حريث، سجستانى منكر الحديث لكن بلغنى أنّ ابن خزيمة حسن الرأى فيه و كفى بهذا فخراً «۱» توفّى عام ۲۱۳ ه «۲».

أقول: و كفى بهذا ضعفاً، لَانّ ابن خزيمة هو رئيس المجسّمة و المشبّهة فى عصره، و منه يعلم حال السجستانى، و الجنس إلى الجنس يميل.

۴- محمد بن أبى إسحاق بن خزيمة (المتوفّى ۳۱۱ ه) مؤَلّف كتاب «التوحيد فى إثبات صفات ربّ العالمين» و كتابه هذا مصدر المشبّهة و المجسّمة فى العصور الأَخيرة الذى يقول فى حقّه الرازى عند تفسيره قوله سبحانه: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ).

و اعلم أنّ محمد بن إسحاق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية فى الكتاب الذى سمّاه «التوحيد» و هو فى الحقيقة كتاب الشرك و اعترض عليها، و أنا أذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات، لَانّه كان رجلًا مضطرب الكلام، قليل الفهم، ناقص العقل «۳».

۵- عبد اللّه بن أحمد بن حنبل (۲۱۳ ۲۹۰ ه) راوية أحاديث أبيه أحمد بن حنبل و كتابه «السنّة» المطبوع لأَوّل مرّة بالمطبعة السلفية و مكتبتها عام ۱۳۴۹ ه مشحون بروايات التجسيم و التشبيه، يروى فيه ضحك الرب و تكلّمه و أصبعه

---

(۱) ميزان الاعتدال: ۱- ۱۳۲.

(۲) سير أعلام النبلاء: ۱۴- ۳۹۶.

(۳) الرازى: مفاتيح الغيب: ۲۷- ۱۵۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۷۶

و يده و رجله و ذراعيه.

و قد كان لكتاب «التوحيد» لابن خزيمة صدىً واسع فى القرن الرابع و بعده، هذا ابن كثير يذكر فى حوادث عام ۴۶۰ ه: و فى يوم النصف من جمادى الآخرة قُرى «الاعتقاد القادرى» الذى فيه مذهب أهل السنّة و الإِنكار على أهل البدع.

و قَرأ أبو مسلم الكجى البخارى المحدّث كتاب «التوحيد» لابن خزيمة على الجماعة الحاضرين، و ذكر بمحضر من الوزير ابن جهير و جماعة الفقهاء و أهل الكلام و اعترفوا بالموافقة «۱».

و قد ظهر فى عصر الكلينى، الإِمام أبو الحسن الأَشعرى (۲۶۰ ۳۲۴ ه) و قد تربّى فى إحضان المعتزلة و تتلمذ على يد أبى على الجبائى (۲۳۶ ۳۰۳ ه) ثمّ رفض الاعتزال و التحق بمنهج الحنابلة و نادى بأعلى صوته فى الجامع الكبير فى البصرة و قال: من عرفنى فقد عرفنى

و من لم يعرفنى فأنا أعرّفه نفسى، أنا فلان بن فلان كنت قلت بخلق القرآن، و إنّ اللّه لا يرى بالابصار، و إنّ أفعال الشرّ أنا أفعلها، و أنا تائب مقلع معتقد للردّ على المعتزلة «۲».

إنّ كثيراً ممّن يُحسن الظنّ بإمام الأشاعرة يفسّرون انقلابه إلى منهج الحنابلة بفكرة القيام بإصلاح عقيدة أهل الحديث التى كانت سائدة فى أكثر البلاد و أنّ الإصلاح لم يكن ميسّراً إلّا بالتزيّ بزيّهم، و لو صحّت تلك فى بدء الأمر، و لكنّه لم يتخلّص من أكثر ما كان عليه أهل الحديث فى ذلك اليوم غير أنّ الجبر و التشبيه و التجسيم صريح فى كلمات المحدّثين، و هى مروية فى كتب الأشعرى و من والاه.

يقول الدكتور أحمد أمين: فى رأيى لو سادت المعتزلة إلى اليوم لكان للمسلمين موقف آخر فى التاريخ غير موقفهم الحالى و قد أعجزهم التسليم

---

(۱) البداية و النهاية: ۶- ۹۶.

(۲) فهرست ابن النديم: ۲۷۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۷۷

و شلّهم الجبر، و قعد بهم التواكل «۱».

ففى هذا الجو المشحون بالأهواء النفسية و الافتخارات الجاهلية و التعصّبات الباطلة، تألّق نجمٌ محدّثٌ شيعىّ واع جمع سنّة النبىّ و حديث عترته الطاهرة بعد أن غادر مسقط رأسه (كلين) متابعاً رحلته فى طلب الحديث حتى جاب البلاد و اجتازها، فألّف كتابه الكبير الكافى فى الأصول و الفروع فى عشرين عاما، يضمّ فى طيّاته حوالى ستة عشر ألف حديث من أحاديث النبى و أئمّة أهل البيت الذين هم أدرى بالبيت؛ صانوا بذلك السنّة من عبث الوضّاعين و الجعّالين، و إليك لمحة عن سيرته:

سيرة الكلينى

هو الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق المكنّى بأبى جعفر، ولد فى قرية كُلَين بضمّ الكاف و فتح اللام قرية من قرى الرى تقع على بعد ۳۸ كيلومتراً جنوبى غربى بلدة الرى الحالية، شرقى مدينة قم بينها و بين الطريق ۵ كيلومترات.

و أمّا كلَين بفتح اللام فهى قرية من قرى «ورامين» و ربّما يُنسب شيخنا إليها و هو اشتباه واضح.

أمّا أُسرته فوالده عالم من علماء الرى انتقل إلى موطنه و بقى فيها إلى أن توفّى، و قبره هناك معروف يزار.

هذا من جانب الأب.

و أمّا أُسرته من جانب الأُمّ فأُمّه من بيت عريق فى العلم و الحديث، و يبدو أنّ الأُمّ كانت عالمة فاضلة، لأنّها تربّت فى إحضان هذا البيت الذى أنجب العديد من المحدّثين و العلماء.

فوالدها هو الشيخ محمد بن إبراهيم بن أبان، وصفه الشيخ الطوسى بقوله:

---

(۱) ضحى الإسلام: ۳- ۷۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۷۸

محمد بن إبراهيم المعروف بعلان الكلينى، خيّر «۱».

و عمّها هو الشيخ أحمد بن إبراهيم بن أبان يعرّفه الطوسى بقوله: أحمد بن إبراهيم المعروف بعلان الكلينى، خيّر، فاضل من أهل الرى

«۲».

و أخوها، هو الشيخ على بن محمد بن إبراهيم بن أبان الرازى الكلينى، يعرّفه النجاشى بقوله: على بن محمد بن إبراهيم بن أبان الرازى الكلينى المعروف بعلان، يكنّى أبا الحسن، ثقة، عين، له كتاب أخبار القائم- عليه السلام- «۳».

و ممّا ذكرنا يظهر أنّ علّان لقب العائلة، حيث إنّ الجدّ و الأَب و الخال يطلق عليهم علّان و خاله هذا من مشايخ الكلينى.

يقول العلّامة المامقانى: و هو الذى يروى عنه الكلينى بغير واسطة كثيراً، و هو داخل فى العدّة التى يروى الكلينى بواسطتهم عن سهل بن زياد، و قال غير واحد أنّه أُستاذ الكلينى و خاله «۴».

و يظهر من العلّامة المامقانى أنّ ابن الخال: محمد بن على و حفيده القاسم بن محمد من العلماء «۵».

و فى هذه الأسرة العريقة بالعلم و الأَدب نشأ شيخنا الكلينى و تألّق نجمة، فصار من أكابر المحدّثين، و أعظم المجتهدين فى عصره على وجه أطلق لسان كلّ موافق و مخالف للثناء عليه و إطرائه، و فاحت بذكره المعطر أقلامهم، فلو نقلنا أقوال الفريقين فى حقّه لطال بنا المقام، و لكن نكتفى ببعض الكلمات:

---

(۱) رجال الطوسى، باب من لم يرو عنهم- عليهم السلام-: ۴۹۶، باب الميم برقم ۲۹.

(۲) رجال الطوسى، باب من لم يرو عنهم- عليهم السلام-: ۴۳۸، باب الالف برقم ۱.

(۳) النجاشى: ۲- ۸۸ برقم ۶۸۰.

(۴) تنقيح المقال: ۲- ۳۰۲ برقم ۸۴۴۶.

(۵) المصدر نفسه.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۷۹

۱- يذكره الشيخ المفيد بقوله: و قد ذكر الكلينى رحمه اللّه فى كتاب «الكافى» و هو من أجلّ كتب الشيعة و أكثرها فائدة «۱».

۲- يقول النجاشى: محمد بن يعقوب بن إسحاق، أبو جعفر الكلينى، شيخ أصحابنا فى وقته بالرى و وجههم، و كان أوثق الناس فى الحديث و أثبتهم، صنّف الكتاب الكبير المعروف بالكلينى يسمّى «الكافى» فى عشرين سنة «۲».

ثمّ ذكر كتبه.

۳- و قال الشيخ الطوسى: محمد بن يعقوب الكلينى يكنّى أبا جعفر، جليل القدر، عالم بالاخبار، و له مصنّفات يشتمل عليها الكتاب المعروف بالكافى «۳».

۴- و قال فى الفهرست: محمد بن يعقوب الكلينى،، يكنّى أبا جعفر، ثقة، عارف بالاخبار، له كتب منها كتاب «الكافى» يشتمل على ثلاثين كتاباً «۴».

هذا بعض ما قاله علماء الشيعة فى حقّه، و إليك بعض النصوص من علماء السنّة، و قد ذكروه بإجلال من دون أىّ غمض فيه.

۵- ذكره مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الأَثير (۵۴۴ ۶۰۶ ه) فى جامع الأُصول فى تفسير ما رواه أبو هريرة عن رسول اللّه صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم أنّه قال: «إنّ اللّه يبعث لهذه الأُمّة على رأس كلّ مائة سنة من يجدّد لها دينها».

و قال: أخرجه أبو داود «۵».

---

(۱) المفيد: تصحيح الاعتقاد: ۲۷، طبعة تبريز.

(۲) رجال النجاشى: ۲- ۲۹۰ برقم ۱۰۲۷.

(۳) رجال الطوسى: ۴۹۶، باب من لم يرو عن الأَئمّة، باب الميم برقم ۲۷.

(۴) الفهرست: ۱۶۱ برقم ۶۰۳.

(۵) لسان الميزان: ۵- ۴۳۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۸۰

ثمّ ذكر أنّ العلماء تكلّموا فى تأويل هذا الحديث كلّ واحد فى زمانه، ثمّ قال: و نحن نذكر الآن المذاهب المشهورة فى الإسلام التى عليها مدار المسلمين فى أقطار الأرض و هى: مذهب الشافعى، و أبى حنيفة، و مالك، و أحمد، و مذهب الإمامية و من كان المشار إليه من هؤلاء على رأس كلّ مائة سنة.

ثمّ ذكر أنّ الإمام الباقر هو مجدّد مذهب الإمامية على رأس المائة الأولى، و الإمام علىّ بن موسى الرضا- عليه السلام- على رأس المائة الثانية.

ثمّ قال: و أمّا من كان على رأس المائة الثالثة.. أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازى من الإمامية «۱».

۶- و ذكره عزّ الدين أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن الأثير (۵۵۸ ۶۳۰ ه) فى حوادث عام ۳۲۸ ه و قال: و فيها توفّى محمد بن يعقوب، (و قتل محمد بن على) أبو جعفر الكلينى و هو من أئمّة الإمامية و علمائهم «۲».

۷- و ذكره ابن عساكر محمد بن مكرم (۶۳۰ ۷۱۱ ه) فى تاريخ دمشق و هذا يعرب عن أنّه ممّن دخل دمشق و زارها و قال: محمد بن يعقوب و يقال (محمد ابن على) أبو جعفر الكلينى، من شيوخ الرافضة، حدّث عن على بن إبراهيم بن هاشم بسنده إلى جعفر بن محمد قال: قال أمير المؤمنين: «إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله».

ثمّ قال: الكلينى بضمّ الكاف و النون بعد الياء و إمالة اللام، توفّى محمد بن

---

(۱) أخرجه برقم ۴۲۹۱، فى الملاحم باب ما يذكر فى حول المائة، لاحظ جامع الأصول: ۱- ۴۲۳.

(۲) ابن الأثير: جامع الأصول: ۱۱- ۳۲۳، نشر و توزيع دار الفكر، الطبعة الثانية، ۱۴۰۳ ه.

ما بين القوسين موجود فى الطبعتين القديمة و الحديثة لاحظ الكامل: ۸- ۳۶۴ حوادث عام ۳۲۸ ه و لاحظ الطبعة القديمة: ۶- ۲۷۴.

و لعلّ «قتل» مصحف «قيل» كما يظهر من كلام ابن عساكر الآتى.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۸۱

يعقوب سنة ۳۲۸ ه «۱».

هذا ما وقفنا عليه فى مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ثم وقفنا على نفس تاريخ ابن عساكر حيث جاء فيه: أبو جعفر الكلينى الرازى من شيوخ الرافضة، قدم دمشق و حدّث ببعلبك عن أبى الحسين محمد بن على الجعفرى السمرقندى، و محمد بن أحمد الخفّاف النيسابورى، و على بن إبراهيم بن هاشم.

روى عنه أبو سعد الكوفى شيخ الشريف المرتضى، و أبو عبد اللّه أحمد بن إبراهيم، و أبو القاسم على بن محمد بن عبدوس الكوفى، و عبد اللّه بن محمد بن ذكوان.

أنبأنا أبو الحسن.. بن جعفر قالا- أنا جعفر بن أحمد بن الحسين بن السراج، أنا أبو القاسم المحسن بن حمزة.. الورّاق بتنيس أنا أبو على الحسن بن على بن جعفر الدبيلى بتنيس فى المحرم سنة خمس و تسعين و ثلاثمائة، أنا أبو القاسم على بن محمد بن عبدوس الكوفى، أخبرنى محمد بن يعقوب الكلينى عن على بن إبراهيم الى أن انتهى الإسناد الى أمير المؤمنين- عليه السلام- انّه قال: «إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله» «۲».

۸- و قال صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى (۶۹۷ ۷۶۴ ه): الكلينى محمد بن يعقوب أبو جعفر الكلينى من أهل الرى سكن بغداد إلى حين وفاته، و كان من فقهاء الشيعة و المصنّفين على مذهبهم، حدّث عن أبى الحسين محمد بن على الجعفرى السمرقندى، و

محمد بن أحمد الخفّاف النيسابورى، و على بن إبراهيم بن هاشم، توفّى سنة ۳۲۸ ه «۳».

---

(۱) مختصر تاريخ دمشق لِابن عساكر: ۲۳- ۳۶۲ برقم ۳۸۶.

(۲) تاريخ ابن عساكر: ۵۶- ۲۹۷.

(۳) الوافى بالوفيات: ۵- ۲۲۶ برقم ۲۰۰۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۸۲

۹- و عرّفه ابن حجر (المتوفّى ۸۵۲ ه) بقوله: محمد بن يعقوب بن إسحاق أبو جعفر الكلينى الرازى، سكن بغداد و حدّث بها عن محمد بن أحمد بن عبد الجبار، و على بن إبراهيم بن هاشم و غيرهما، كان من فقهاء الشيعة و المصنّفين على مذهبهم، توفّى سنة ۳۲۸ ه ببغداد «۱».

ثقافته العلمية

إنّ من أمعن النظر فى مشايخ الكلينى الذين أكثر عنهم الرواية يقف على أنّه تألّق نجمة فى الحديث فى بلدة الرى و ضواحيها، حيث إنّ أكثر من يروى عنهم هم من أهل الرى و قم، و هذا يدل على أنّه قد اكتملت شخصيته الحديثية و العلمية قبل رحيله إلى العراق عام ۳۲۷ ه، و إليك نزراً من مشايخه القميين و الرازيين الذين تتلمذ عليهم: ۱- أبو على الأَشعرىّ أحمد بن إدريس (المتوفّى ۳۰۶ ه)، فقد روى عنه فى الكافى ۱۰۲۹ حديثاً.

۲- أبو عبد اللّه الحسين بن محمد بن عمران الأَشعرى القمّى المعروف بابن عامر «۲»، تبلغ رواياته عنه ۸۳ حديثاً.

۳- على بن إبراهيم بن هاشم القمّى، تبلغ رواياته عنه ۷۰۲۸ حديثاً.

۴- على بن محمد، و هو مردّد بين على بن محمد البندار «۳» المعروف بماجيلويه أو على بن محمد بن إبراهيم علّان الكلينى و الظاهر هو الثانى، لأَنّ الكلينى روى فى موارد كثيرة عن على بن محمد عن سهل بن زياد، و قد ذكر المحقّقون أنّ علان الكلينى

---

(۱) لسان الميزان: ۵- ۴۳۳.

(۲) لاحظ ترجمته فى تنقيح المقال: ۱- ۳۴۲.

(۳) اقرأ ترجمته فى تنقيح المقال: ۲- ۳۰۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۸۳

أحد العدة التى يروى بها عن سهل بن زياد.

۵- محمد بن إسماعيل البندقى النيسابورى، و قد بلغت رواياته عنه ۷۵۸ حديثاً.

۶- محمد بن يحيى العطار القمّى، و قد بلغت رواياته عنه ۵۰۷۳ حديثاً.

هذه أجلّة مشايخ الكلينى الذين أكثر عنهم الحديث و كلّهم من محدّثى قم و الرى.

و يبدو أنّ الشيخ الكلينى بعد ما أخذ من القمّيين و الرازيين و الخراسانيين، بدأ رحلته إلى العراق ليجوب البلاد و يلتقى بالمشايخ فى أخذ الحديث و يكمّل به كتابه.

و هذا هو الشيخ الطوسى يذكر فى سنده إلى كتاب الكافى أنّه يرويه عن أحمد ابن عبدون المعروف بابن الحاشر، عن أحمد بن أبى رافع و أبى الحسين عبد الكريم ابن عبد اللّه بن نصر البزاز بتنيس «۱» و بغداد، عن أبى جعفر محمد بن يعقوب الكلينى جميع مصنفاته

و أحاديثه سماعاً و أجازه ببغداد بباب الكوفة بدرب السلسلة سنة ۳۲۷ ه «۲».

و هذا يدلّ على أنّ شيخنا الكلينى كان يقطن بغداد فى ذلك العام، و أمّا السنة التى غادر موطنه و نزوله بغداد، فغير معلوم و لعلّه كان فى تلك السنة أو قبلها بكثير أو قليل.

ذكر الشيخ فى الفهرست أنّه يروى كتب الكلينى بالطريق المذكور فى المشيخة، و قال: أخبرنا أبو عبد اللّه أحمد بن عبدون، عن عبد الكريم بن عبد اللّه

---

(۱) كذا فى المصدر و فى فهرست الشيخ (تفليس) و الثانى بعيد جدّاً و الأَوّل مبهم.

(۲) تهذيب الاحكام: ۱۰- ۲۹ قسم المشيخة.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۸۴

بن نصر البزاز بتفليس و بغداد، عن الكلينى بجميع مصنّفاته و رواياته «۱» و لم يذكر سنة إجازة الشيخ الكلينى لتلميذه عبد الكريم بن عبد اللّه.

و قد عرفت عن تاريخ دمشق لابن عساكر أنّ شيخنا الكلينى دخل دمشق و حدّث ببعلبك، إلى آخر ما ذكرنا، و هذا يعرب عن أنّه دخل بغداد قبل زمان الإِجازة حتى أُتيحت له الفرصة أن يغادر العراق إلى دمشق و منها إلى بعلبك حتى التقى بالمشايخ فيها و حدّث بها ثمّ رجع إلى العراق و قطن بغداد و حدّث هناك.

و على هذا فقد جاب شيخنا الكلينى مراكز الحديث واحداً تلو الآخر، فرحل من موطنه كلين إلى الرى، ثمّ قم، ثمّ بغداد، ثمّ دمشق، ثمّ بعلبك راجعاً إلى بغداد نزيلًا بها مفيضاً، إلى أن لقى اللّه تبارك و تعالى عام ۳۲۹ ه، كما ذكره النجاشى فى فهرسته و الشيخ فى رجاله.

قال النجاشى: مات رحمه اللّه، أبو جعفر الكلينى ببغداد سنة ۳۲۹ ه سنة تناثر النجوم، و صلّى عليه محمد بن جعفر الحسنى أبو قيراط، و دفن بباب الكوفة «۲».

و قال الشيخ فى رجاله: مات سنة ۳۲۹ فى شعبان فى بغداد، و دفن بباب الكوفة «۳».

و لكن قدَّس سرَّه أرّخ وفاته فى الفهرست عام ۳۲۸ ه، و ما ذكره النجاشى هو الأَقرب إلى الواقع.

و قد ذكر النجاشى فى ترجمة والد الصدوق أنّه قدم بغداد سنة ۳۲۸ ه، و مات سنة ۳۲۹ ه و هى السنة التى تناثرت بها النجوم.

غير أنّ ابن الأَثير أرّخ سنة التناثر ب ۳۲۳ ه حيث قال فى حوادث سنة ۳۲۳: و فيها أى فى الليلة الثانية عشرة من ذى القعدة و هى التى أوقع القرمطى

---

(۱) الفهرست: ۱۶۲، طبع النجف.

(۲) رجال النجاشى: ۲- ۲۹۲.

(۳) رجال الطوسى: ۴۹۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۸۵

بالحجاج، انقضت الكواكب من أول الليل إلى آخره انقضاضاً دائماً مسرفاً جدّاً لم يعهد مثله «۱».

و بما أنّ النجاشى أقرب إلى الواقعة و ألصق بها فقوله أقرب إلى الحقّ.

نعم ذكر الشيخ فى ترجمة والد الصدوق أنّه روى عنه التلعكبرى و قال: سمعت منه (والد الصدوق) فى السنة التى تهافتت فيها الكواكب دخل بغداد فيها، و ذكر أنّ له منه إجازة بجميع ما يرويه «۲».

و من الممكن أن يكون عام السماع هو عام وفاة المجيز و لا دلالة له على أنّ وفاته كان فى غير ذلك العام لما عرفت من أنّ ليلة التناثر كانت فى شهر شعبان، و يمكن أن تتقدّم الإجازة على التناثر بعدة أشهر.

مشايخه

روى الكلينى عن العديد من علماء أهل البيت و رجالهم و محدّثيهم بما يضيق المجال بذكرهم و نقتصر على مشاهيرهم: ۱- أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار القمّى، صاحب كتاب: «بصائر الدرجات» (المتوفّى ۲۹۰ ه).

۲- أبو على أحمد بن إدريس بن أحمد الأشعرى القمّى (المتوفّى ۳۰۶ ه).

۳- أبو الحسن على بن إبراهيم بن هاشم، صاحب التفسير المعروف (المتوفّى حوالى ۳۰۸ ه).

۴- أبو جعفر محمد بن يحيى العطّار القمّى.

إلى غير ذلك من مشايخ الحديث و فطاحله.

---

(۱) الكامل فى التاريخ: ۶- ۲۴۹، حوادث سنة ۳۲۳.

(۲) رجال الطوسى، باب من لم يرو عنهم- عليهم السلام- مادة على، برقم ۳۴.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۸۶

تلاميذه و الرواة عنه

و أمّا تلاميذه و الرواة عنه فحدّث عنهم و لا حرج، فمنهم على سبيل المثال: ۱- أبو الحسين أحمد بن على بن سعيد الكوفى، المعروف ب «ابن عقدة» (المتوفّى ۳۳۳ ه).

۲- أبو غالب أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان بن الحسن بن الجهم بن بكير بن أعين بن سنسن الرازى (۲۸۵ ۳۶۸ ه).

۳- أبو القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه صاحب «كامل الزيارات» (المتوفّى ۳۶۹ ه).

۴- أبو عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعمانى، المعروف ب «ابن زينب» كان خصيصاً به يكتب كتابه الكافى.

إلى غير ذلك ممّن يروى عنه، تجد أسماءهم مبسوطة فى مقدمة كتاب «الكافى» بقلم الأُستاذ حسين على محفوظ البغدادى.

آثاره

ترك الشيخ تراثاً علمياً ضخماً للأُمّة، و من أشهر تآليفه كتاب «الكافى» و هو فى ثمانية أجزاء، يقول النجاشى: صنّف الكتاب الكبير المعروف بالكافى فى عشرين سنة، ثمّ شرح كتبه و قال: ۱- كتاب العقل، ۲- كتاب فضل العلم، ۳- كتاب التوحيد، ۴- كتاب الحجّة، ۵- كتاب الايمان و الكفر، ۶- كتاب الوضوء و الحيض، ۷- كتاب الصلاة، ۸- كتاب الصيام، ۹ كتاب الزكاة و الصدقة، ۱۰- كتاب النكاح و العقيقة، ۱۱- كتاب الشهادات، ۱۲- كتاب الحج، ۱۳- كتاب الطلاق، ۱۴- كتاب

تذكرة الأعيان، ص: ۲۸۷

العتق، ۱۵- كتاب الحدود، ۱۶- كتاب الديات، ۱۷- كتاب الايمان و النذور و الكفارات، ۱۸- كتاب المعيشة، ۱۹- كتاب الصيد و

الذبائح، ۲۰- كتاب الجنائز، ۲۱ كتاب العشرة، ۲۲- كتاب الدعاء، ۲۳- كتاب الجهاد، ۲۴- كتاب فضل القرآن، ۲۵- كتاب الأطعمة، ۲۶- كتاب الأَشربة، ۲۷- كتاب الزى و التجمّل، ۲۸- كتاب الدواجن و الرواجن، ۲۹- كتاب الوصايا، ۳۰- كتاب الفرائض، ۳۱- كتاب الروضة «۱».

روى فيه ۱۵۵۰۸ حديثاً و قد أخذها عن مشايخه سماعاً و قراءة، و هو عمل شاق ضخم لم يسبقه إليه أحد من أئمّة الحديث، فقد قام بتصنيف الكافى و استخدم فى تأليفه الأسلوب الكامل و هو توزيع الأَحاديث بعد جمعها على مجموعة من الكتب، و الكتب على مجموعة من الأَبواب، و الأَبواب على عدد من الأَحاديث شريطة أن تكون تلك الأَحاديث مناسبة لأَبوابها و الأَبواب لكتبها، و قد حقّق الكلينى هذا المطلب على أحسن ما يرام إذ قسم كتابه الكافى على ثلاثة أقسام رئيسية و هى: ۱- أُصول الكافى، ۲- فروع الكافى، ۳- روضة الكافى.

ثمّ قسم أُصول الكافى على ثمانية كتب، اشتمل على ۴۹۹ باباً، و أخرج فيها ۳۸۸۱ حديثاً.

و تجد هذا التصنيف نفسه مع فروع الكافى أيضاً، إذ اشتمل على ۲۶ كتاباً، فيها ۱۷۴۴ باباً و مجموع أحاديثها ۱۱۰۲۱.

و أمّا قسم الروضة فلم يخضعه إلى هذا المنهج من التصنيف بل ساق أحاديثه تباعاً من غير كتب أو أبواب بل جعله كتاباً واحداً و قد احتوى على ۶۰۶

---

(۱) رجال النجاشى: ۲- ۲۹۱ برقم ۱۰۲۷، ما ذكره من الترتيب لا يوافق ما هو المطبوع، و ذكره الشيخ فى الفهرست و هو ينطبق مع ما هو المطبوع، لاحظ الفهرست: ۱۶۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۸۸

أحاديث.

و ذكر النجاشى له كتباً أُخرى، نظير: كتاب «الردّ على القرامطة»، و كتاب «رسائل الأَئمّة- عليهم السلام-»، و كتاب «تعبير الرؤيا»، و كتاب «الرجال»، و كتاب «ما قيل فى الأَئمّة منا لشعر» «۱».

و له غير ذلك منها: كتاب «خصائص الغدير» ذكره السيد المحقّق عبد العزيز الطباطبائى فى كتابه الغدير فى التراث الإِسلامى «۲».

و ممّا يؤسف له حقّا أنّ هذه الكتب سوى الكافى قد لعب بها الدهر فضاعت و لم نجد لها أثراً.

نماذج من إنشائه

إنّ شيخنا الكلينى لم يكن محدّثاً فحسب بل كان كاتباً بارعاً يصبّ المعانى و المفاهيم العالية فى قوالب جميلة، و كان نثرة نموذجاً رائعاً من النثر الرائج فى القرن الرابع، و إليك جملًا من أوّل كتابه، يقول: الحمد للّه المحمود لنعمته، المعبود لقدرته، المطاع فى سلطانه، المرهوب لجلالة، المرغوب إليه فيما عنده، النافذ أمره فى جميع خلقه، علا فاستعلى، و دنا فتعالى، و ارتفع فوق كلّ منظر، الذى لا بدء لَاوليّته، و لا غاية لأَزليته، القائم قبل الأَشياء، و الدائم الذى به قوامها، و القاهر الذى لا يئوده حفظها، و القادر الذى بعظمته تفرّد بالملكوت، و بقدرته توحّد بالجبروت، و بحكمته أظهر حججه على خلقه، اخترع الأَشياء إنشاءً، و ابتدعها ابتداءً بقدرته و حكمته، لا من شىء فيبطل الاختراع، و لا لعلّة فلا يصحّ الابتداع، خلق ما شاء كيف شاء، متوحّداً بذلك

---

(۱) رجال النجاشى: ۲- ۲۹۱ برقم ۱۰۲۷.

(۲) الغدير فى التراث الإِسلامى: ۳۸ و لم يذكر مصدره.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۸۹

لإظهار حكمته، و حقيقة ربوبيته، لا تضبطه العقول، و لا تبلغه الأَوهام، و لا تدركه الابصار و لا يحيط به مقدار، عجزت دونه العبارة، و كلّت دونه الابصار، و ضلّ فيه تصاريف الصفات.

آراؤه الكلامية

لم يقتصر أمر شيخنا الكليني على جمع الحديث دون تحقيقه و تبيينه، و إنّما قام بشرح الحديث في مواضع تحتاج إلى الشرح، تجلّت فيه أفكاره الكلامية، فلاحظ في ذلك الجزء الأَوّل باب جوامع التوحيد «۱».

و من نماذج آرائه هي صياغة قاعدة يتم على ضوئها تمييز صفات الذات عن صفات الفعل، و حاصل القاعدة: «أنّ كلّ وصف غير خاضع للنفي و الإِثبات فهو من صفات الذات كالعلم و القدرة، فلا يصحّ أن يقال إنّ اللّه يعلم و لا يعلم، أو يقدر و لا يقدر، و أمّا ما كان خاضعاً لهما فهو من صفات الفعل فيقال: يريد و لا يريد».

يقول: ألا ترى أنّا لا نجد في الوجود ما لا يُعلم و ما لا يقدر عليه، و كذلك صفات ذاته الأَزليّ لسنا نصفه بقدرة و عجز، و يجوز أن يقال: يحبّ من أطاعه و يبغض من عصاه، و يوالي من أطاعه و يعادي من عصاه، و إنّه يرضى و يسخط.

و في الدعاء: «اللّهمّ ارض عنّي و لا تسخط عليّ وتولّني و لا تعادني» إلى آخر ما أفاده «۲».

---

(۱) أُصول الكافي: ۱۴۲۱- ۱۳۴.

(۲) لاحظ الكافي، كتاب التوحيد: ۱- ۱۱۱، باب جملة القول في صفات الذات و صفات الفعل.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۹۰

الشروح و التعاليق

و من حسن الحظّ أنّ كتاب الكافي صار محطّاً للنظر و الشرح و التعليق، و قد كُتب عليه تعاليق و شروح نافت على ثلاثين شرحاً و تعليقاً.

و ممّن شرحه المولى المحقّق صدر المتألّهين الشيرازي (۹۷۹ ۱۰۵۰ ه) و سيوافيك الكلام عن هذا الشرح بعد بيان لمحة عن سيرته و آثاره.

هذه المامة عابرة عن حياة الشيخ الكليني و سيرته و آثاره.

صدر المتألّهين سيرته و حياته

لا- عتب على اليراع إن وقف عاجزاً عن الإِفاضة في تعريف شخصية فذّة و فيلسوف كبير يعدّ من نوابغ الدهر، من الذين يضنُّ بهم الدهر إلّا في فترات يسيرة، ألا و هو الفيلسوف الإِسلامي الكبير محمد بن إبراهيم الشيرازي المشهور بصدر المتألهين، صاحب منهج الحكمة المتعالية في الفلسفة.

نشأ فيلسوفنا الكبير في أجواء مشحونة بالعداء للفكر و أهله، ساد فيها الفكر الاخباري الذي كان يقود المجتمع نحو السذاجة و الجمود. و قد كان له و لأُستاذه السيد الداماد سهم عظيم في كسر السدود و القيود التي كانت تكبّل العقول و الألباب، و لذلك تعرّض إلى

انتقاد مرّ أصبح هدفاً لسهام اللوم و التكفير، فها نحن نسلّط قبساً من النور على سيرته ليكون مناراً يُضيئ الدرب لطلّاب الحقيقة.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۹۱

هو صدر الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الشيرازى، ولد عام ۹۷۹ ه، «۱» و كان والده إبراهيم بن يحيى المعروف بالقوامى أحد وزراء العهد الصفوى، و ترعرع فى بيت سادة العلم و الوعى.

يصفه السيد المدنى فى سلافته: بأنّه كان عالم أهل زمانه فى الحكمة متقناً لجميع الفنون «۲».

يقول صاحب الروضات: كان فائقاً على من تقدّمه من الحكماء الباذخين، و العلماء الراسخين إلى زمن مولانا نصير الدين الطوسى، منقّحاً أساس الإشراق و المشاء بما لا مزيد عليه «۳».

هذه الكلمات و ما قيل فى حقّه كلمات قاصرة عن تبيين مكانته، و ألطف كلمة قيلت فى حقّه ما نقل عن الحكيم المتألّه الشيخ محمد حسين الأصفهانى (۱۲۹۶ ۱۳۶۱ ه) أنّه قال: لو أعلم أحداً يفهم أسرار كتاب الاسفار لشددت إليه الرحال للتّلْمذَة عليه و إن كان فى أقصى الديار.

و زاد عليه الشيخ المظفّر فى مقدمته على هذه الكلمة: بأنّ أُستاذه يريد أن

---

(۱) لم يذكر المترجمون تاريخ ولادته لكن استخرجناها ممّا ذكره هو فى حاشية المشاعر الطبعة القديمة، ص ۷۷ فى مبحث اتحاد العاقل و المعقول عند ما يقول: «كل صورة إدراكية سواء كانت معقولة أو محسوسة فهى متّحدة الوجود مع وجود مدركها ببرهان فائض علينا من عند اللّه» فكتب فى الهامش النص التالى: تاريخ هذه الإفاضة كانت ظهيرة يوم الجمعة سابع جمادى الأولى لعام ۱۰۳۷ من الهجرة النبوية، و قد مضى من عمر المؤلّف ثمان و خمسون سنة.

فعند طرح ۵۸ سنة من ۱۰۳۷ تكون سنة ولادته هو عام ۹۷۹ ه.

و أوّل من اطلعنى على ذلك هو زميلنا المرحوم الشيخ محمد فريد النهاوندى رضوان اللّه عليه حيث كانت تلك التعليقة مكتوبة أيضاً فى حاشية أسفاره، فأثبتنا هذه التعليقة فى حاشية الأسفار التى كنّا نملكها.

(۲) سلافة العصر فى أعيان أهل العصر.

(۳) روضة الجنات: ۴- ۱۲۰ برقم ۳۵۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۹۲

يفتخر أنّه وحده بلغ درجة فهم إسراره، أو أنّه بلغ درجة من المعرفة أدرك فيها عجزه عن اكتناه مقاصده العالية.

و أضاف: إنّى من المؤمنين بأنّ صدر المتألهين أحد أقطاب فى الدورة الإسلامية: هو و المعلم الثانى أبو نصر الفارابى (المتوفّى ۳۳۹ ه) و الشيخ الرئيس ابن سينا (۳۷۳ ۴۲۷ ه) و المحقّق نصير الدين الطوسى (۵۹۷ ۶۷۲ ه) هؤلاء هم فى الرعيل الأوّل و هم الأصول للفلسفة، و صاحبنا خاتمتهم و الشارح لآرائهم و المروّج لطريقتهم و الأُستاذ الأكبر لفنّهم.

و لو لا خوف المغالاة لقلت هو الأوّل فى الرتبة العلمية، لا سيما فى المكاشفة و العرفان «۱».

أقول: هذه هى الكلمات التى ذكرها الأساطين فى ترجمة صدر المتألهين، و الذى انكشف لى طول ممارستى لدراسة كتبه و الإمعان فيها أنّه كان يتميّز بأُمور، أوضحها: أوّلًا: إنّه لم يكن فيلسوفاً ناقلًا للأفكار بل كان محقّقاً لها، كاشفاً الشبهات عن وجهها، و مؤسساً لأُصول كان لها دور عظيم فى تحوّل الفلسفة الإسلامية تحوّلًا جذرياً لها تأثير فى المعارف و العقائد كما سيوافيك.

ثانياً: إنّ أفكاره و كتبه صارت محوراً للدراسة و البحث فى المعاهد العلمية ما يربو على ثلاثة قرون، و قد عكف على دراستها أساتذة الفلسفة دراسة و تمحيصاً.

ثالثاً: إنّ من أعقبه من فطاحل الحكماء الذين يعدّون فى الرعيل الأوّل كلّهم عيال على فلسفته فى أفكارهم و تحقيقاتهم، نظراء: ۱-

المولى المحقّق ملّا محمد صادق الاردستانى (المتوفّى ۱۱۱۳ ه).

۲- المحقّق ملّا إسماعيل الخواجوى (المتوفّى ۱۱۳۷ ه).

۳- السيد محمد البيدآبادى (المتوفّى ۱۱۴۷ ه).

---

(۱) الاسفار: ۱- ۳، قسم التقديم.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۹۳

۴- الشيخ محمد رضا القمشئى (المتوفّى ۱۲۴۱ ه).

۵- الفيلسوف الكبير ملّا على النورى (المتوفّى ۱۲۴۶ ه).

۶- المحقّق ملّا هادى السبزوارى (۱۲۱۲ ۱۲۸۹ ه).

۷- المدرس الكبير على المدرس (۱۲۳۴ ۱۳۰۷ ه).

۸- السيد أبو الحسن جلوة (۱۲۳۸ ۱۳۱۴ ه).

إلى غير ذلك من كبار أساتذة الفلسفة الذين تخرّجوا على يد العلمين الأَخيرين أخيرهم لا آخرهم أُستاذنا الكبير السيد محمد حسين الطباطبائى (۱۳۲۱ ۱۴۰۲ ه)، الذى تتلمذ على السيد حسين البادكوبى (۱۲۹۳ ۱۳۸۷ ه) و هو من أبرز تلاميذ السيد أبو الحسن جلوة، فهؤَلاء هم الذين حملوا أفكار صدر المتألهين و قرّروها بأحسن ما يمكن و لا تجد هذه الميزات الثلاث عند أحد غيره.

رابعاً: إنّه جمع بين ما عليه الإشراقيون من أنّه لا يصل الإِنسان إلى الحقائق إلّا عن طريق الرياضة و التصفية و الشهود، و ما عليه المشاءون من أنّ اقتناص الحقائق رهن الدراسة و التحقيق، فصار المؤَلف يجمع بين الأُسلوبين و يصرّ على أنّ الأَقيسة و المقدّمات المنطقية توصل الإِنسان إلى ما يوصله إليه تجريد النفس عن شهواتها و لذّاتها و تخلّصها من أدران الدنيا و أوساخها، فالسبيلان ينتهيان إلى هدف واحد، و الفرق بينهما كالفرق بين من يسمع وصف الحلاوة و بين من يذوقها، و يندّد بمن يكرس اهتمامه على أحد دون الآخر، و يقول فى هذا الصدد: «و لا تشتغل بترّهات عوام الصوفية من الجهلة، و لا تركن إلى أقاويل المتفلسفة جملة فإنّها فتنة مضلّة، و للأقدام عن جادة الصواب مزلّة و هم الذين إذا جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم و حاق بهم ما كانوا به يستهزءون، وقانا اللّه و إياك شرّ هاتين الطائفتين و لا جمع اللّه بيننا و بينهم طرفة عين أبداً» «۱».

---

(۱) الاسفار، المقدمة: ۱- ۱۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۹۴

و لأَجل أنّ الميزة الرابعة هى المهمة فى الوقوف على ما بذله مؤَلفنا فى هذا المضمار نتكلّم حولها بإسهاب، فنقول: صاغ صدر المتألهين أسساً جديدة فى الفلسفة الإِسلامية و وضع حجر الزاوية لها و أسماها بالحكمة المتعالية، و صارت فيما بعد محوراً للدراسات الفلسفية فى الجامعات العلمية فعكف عليها روّاد العلم و عشّاق الحقيقة.

صبّ سيّدنا المؤَسس اهتمامه بتحليل المباحث الهامة و شرحها و عطف نظره إلى القواعد العامة الجارية فى نظام الوجود من غير أن يختصّ بموجود دون آخر، فدقّق النظر فيها فى بابها الخاص أعنى الفن الأَعلى، كما إنّه بحث بحثاً وافياً فى الالهيات و أتقنها أىّ إتقان.

و قد استعان رحمه اللّه فيما أحدث من أُصول جديدة للفلسفة و فيما جاء من المنهج الجديد و التفكير الحديث، بما وصل إليه من الاغارقة الأَقدمين لا سيما أفلاطون و أرسطو و نظرائهما، و ضمّ إلى تلك الانظار الجليلة ما استفاده من أساتذة الشرق و فلاسفتهم ممّا جادت بها قرائحهم و نشرتها أقلامهم، إلى منتصف القرن الحادى عشر الهجرى.

لا ـ شكّ أنّه لاحظ و تأمّل فيما كتبه فطاحل المشائيين و الإشراقيين، و ما جاد به ذوق العرفاء الشامخين، فجاء مبدعاً خامره كثير من التجديد و الابتكار، و أعانه فى ذلك فطنته المتوقّدة و ذكاؤه الملتهب.

و من إبداعاته أنّه جاء بنظام متكامل فى المسائل الفلسفية، فقدّم ما حقّه التقديم و أخّر ما حقّه التأخير، فأصبحت المسائل الفلسفية، كالمسائل الرياضية فى ترتيبها المنطقى.

نهض بهذا العبء الثقيل و لا ـ نصير له سوى براعته و همّته القعساء، و عقله الكبير، و قلبه البصير، و لذلك جاء مهبطاً للعلوم و المعارف، و صار بذلك بطلًا

تذكرة الأعيان، ص: ۲۹۵

مقداماً فى تلك الميادين.

و لقد توفّق رحمه اللّه كلّ التوفيق فى الجمع بين آراء أفلاطون (مؤَسّس مدرسة الإشراق) و تلميذه أرسطو (مبتكر منهج المشائين) و كان الأَوّل من المعلّمين داعياً إلى تهذيب النفس و تصفية الباطن، قائلًا بأنّ الطريق الوحيد إلى اقتناص شوارد الحقائق و اكتشاف دقائق الكون هو هذا المنهج لا ـ غير، و كان الثانى مخالفاً له فى المنهج، قائلًا بأنّ الدليل للوصول إلى الحقائق المكنونة، و الدقائق المجهولة، هو التفكير و الاستدلال و البرهنة الصحيحة.

و لم يزل التشاجر قائماً على قدم و ساق بين العلمين و أتباعهما فى اليونان و الإسكندرية و أُوربا فى القرون الوسطى، إلى أن سرى هذا الاختلاف إلى الفلاسفة الاسلاميين و هم بين مشّائى لا يقيم لِلاشراق وزناً، و إشراقى لا يجنح إلى فلسفة المشاء.

و قد قضى الحكيم الشيرازى على هذا التشاجر و النقاش الذى شغل بال العديد من فلاسفة الإغريق و المسلمين طوال هذه القرون فطوى بأفكاره و أُسلوبه، صفحة هذا الجدل العقيم، و من كان له إلمام بأساسه الرصين يعرف كيف ختم هذا المبتكر الفذ تلك المشاجرات، و كيف ألغى بالأُصول المحرّرة تقابل المسلكين، و تضاربهما، بحيث لا يكاد يصحّ بعد هذه الأصول أن يعدّ أحدهما مقابلًا للآخر.

و قصارى القول: إنّه قد حاز قصب السبق فى ميدان الابتكار فجاء بأفكار عالية جديدة على عهده لا توجد فى زبر الأَوّلين و لا فى خواطر الآخرين، و ضمّ إلى تلك الانظار نتائج جهود عظماء الفلسفة و خلاصة دروسهم العالية و محاضراتهم القيّمة، و لباب مجاهداتهم طوال القرون الثمانية منذ ظهور الفلسفة فى البيئات الإِسلامية إلى عصر المؤَسس.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۹۶

مراحل أطوار حياته

لقد طوى فيلسوفنا الفذ حياته فى مراحل ثلاث: مرحلة تلقّى المعارف الإِلهية، و مرحلة تهذيب النفس و تزكيتها، و مرحلة التأليف و التصنيف.

هذه هى المراحل التى اجتازها مترجمنا و يظهر ذلك من الامعان فيما كتبه فى مقدمة الاسفار فإنّه (قدّس اللّه سرّه) لما كان يعتقد بأنّ تحصيل المعارف ليس رهن مدارستها فحسب بل إنّ تهذيب النفس سبيل آخر لتهيئة الإِنسان لِافاضة المعارف الإِلهية على قلبه فلذلك طوى المرحلتين، فلمّا اكتملت لديه أدوات المعرفة انصرف إلى التأليف و التصنيف و ما وقف عليه عن طريق المدارسة و ما أُفيض عليه من المعارف فى قالب التأليف و التصنيف.

و يشير إلى المرحلة الأُولى بقوله: ثمّ إنّى قد صرفت قوّتى فى سالف الزمان منذ أوّل الحداثة و الريعان، فى الفلسفة الإِلهية، بمقدار ما أُوتيت من المقدور، و بلغ إليه قسطى من السعى الموفور، و اقتفيت آثار الحكماء السابقين و الفضلاء اللاحقين مقتبساً من نتائج خواطرهم و أنظارهم، مستفيداً من أبكار ضمائرهم و أسرارهم، و حصّلت ما وجدته فى كتب اليونانيين و الرؤساء المعلّمين تحصيلًا

يختار اللباب من كل باب، و يجتاز عن التطويل و الإطناب، مجتنباً فى ذلك طول الأمل مع قصر العمل، معرضاً عن إسهاب الجدل مع اقتراب الساعة و الأجل، طلباً للجاه الوهمىّ، و تشوّقاً إلى الترأس الخيالى، من غير أن يظفر من الحكمة بطائل أو يرجع البحث إلى حاصل «۱».

ثمّ إنّه وقف فى برهة من عمره على خطئه فى هذه المرحلة مع أنّ هذه العلوم من دون أن تتزامن مع تهذيب النفس لا تسمن و لا تغنى من جوع.

---

(۱) الاسفار: ۱- ۴.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۹۷

يقول فى حقّ نفسه: و إنّى لَاستغفر اللّه كثيراً ممّا ضيّعت شطراً من عمرى فى تتبّع آراء المتفلسفة و المجادلين من أهل الكلام و تدقيقاتهم و تعلّم جربزتهم فى القول و تفنّنهم فى البحث، حتى تبيّن لى آخر الأمر بنور الايمان و تأييد اللّه المنّان أنّ قياسهم عقيم و صراطهم غير مستقيم «۱».

يقول فى معرض كلامه عن المرحلة الثانية بعد الشكوى من طائفة كانت تضمر له العداء يقول: فالجانى خمود الفطنة و جمود الطبيعة، لمعاداة الزمان و عدم مساعدة الدوران، إلى أن انزويت فى بعض نواحى الديار و استترت بالخمول و الانكسار منقطع الآمال، متوفّراً على فرضٍ أُوَدّيه، و تفريطٍ فى جنب اللّه أسعى فى تلافيه، لا- على درس أُلقيه، أو تأليف أتصرّف فيه إذ التصرّف فى العلوم و الصناعات و إفادة المباحث و دفع المعضلات، و تبيين المقاصد و رفع المشكلات ممّا يحتاج إلى تصفية الفكر، و تهذيب الخيال عمّا يوجب الملال و الاختلال، و استقامة الأوضاع و الأحوال مع فراغ البال، و من أين يحصل للإنسان مع هذه المكاره التى يسمع و يرى من أهل الزمان و يشاهد ممّا يكبّ عليه الناس فى هذا الأوان «۲».

و فى معرض كلامه عن المرحلة الثالثة يقول: فلمّا بقيت على هذا الحال من الاستتار و الانزواء و الخمول و الاعتزال، زماناً مديداً و أمداً بعيداً، اشتعلت نفسى لطول المجاهدات اشتعالًا نورياً، و التهب قلبى بكثرة الرياضات التهاباً قوياً ففاضت عليها أنوار الملكوت، و حلّت بها خبايا الجبروت، و لحقتها الإضواء الاحدية، و تداركتها الألطاف الإلهية فاطّلعت على أسرار لم أكن أطّلع عليها إلى الآن، و انكشفت لى رموز لم تكن منكشفة هذا الانكشاف من البرهان إلى أن قال: فبلغ الكتاب أجله و أراد اللّه تقديمه و قد كان أجّله فأظهره فى الوقت الذى

---

(۱) الاسفار، المقدمة: ۱- ۱۱.

(۲) الاسفار، المقدمة: ۱- ۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۹۸

قدّره و أبرزه على من له يسّره، فرأيت إخراجه من القوة إلى الفعل و التكميل، و إبرازه من الخفاء إلى الوجود و التحصيل، فأعملت فيه فكرى، و جمعت على ضمّ شوارده أمرى، و سألت اللّه تعالى أن يشدّ أزرى و يحط بكرمه وزرى، و يشرح لإتمامه صدرى، فنهضتْ عزيمتى بعد ما كانت قاعدة، و هبّت همّتى غبَّ ما كانت راكدة، و اهتزّ الخامد من نشاطى، و تموّج الجامد من انبساطى، و قلتُ لنفسى: هذا أوان الاهتمام و الشروع و ذكر أُصول يستنبط منها الفروع، و تحلية الاسماع بجواهر المعانى الفائقة، و إبراز الحقّ فى صورته المعجبة الرائقة، فصنّفت كتاباً إلهياً للسالكين المشتغلين بتحصيل الكمال، و أبرزت حكمة ربّانية للطالبين لَاسرار حضرة ذى الجمال و الجلال «۱».

تهجّده و عبادته

يرى صدر المتألهين أنّ الإشراق و الإلهام يعدّان من أدوات المعرفة و هما رهن تخلية النفس من كدر الذنوب و مساوئ الاعمال و الأخلاق، و تحليتها بفضائل الاعمال و الرياضات النفسية، فلا تعجب ممّا ذكر أصحاب التراجم أنّه حجّ سبع مرات مشياً على الاقدام.

إخلاصه لأئمّة أهل البيت- عليهم السلام

يعدّ الحكيم المؤسّس أحد الموالين المخلصين لأئمّة أهل البيت عليهم السّلام، و يظهر إخلاصه فى كلماته فى كتاب الاسفار و غيرها من كتبه بوضوح، و لنذكر مقاطع من كلامه فى المقام: يقول: إنّى أعلم يقيناً أنّه لا يمكن لأحد أن يعبد اللّه كما هو أهله و مستحقّه،

---

(۱) الاسفار، المقدمة: ۱ ۹- ۸.

تذكرة الأعيان، ص: ۲۹۹

إلّا بتوسّط من له الاسم الأعظم و هو الإنسان الكامل خليفة اللّه فى الخلافة الكبرى.

و يقول فى مقدمة الاسفار: فألقينا زمام أمرنا إلى اللّه و إلى رسوله النذير المنذر، فكلُّ ما بلغنا منه آمنّا به و صدّقناه، اقتدينا بهداه و انتهينا بنهيه، امتثالًا لقوله تعالى: (وَ مٰا آتٰاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا «۱» (حتى فتح اللّه على قلبنا ما فتح، فأفلح ببركة متابعته و أنجح «۲».

و يقول أيضاً: إنّى أستعيذ ربّى الجليل فى جميع أقوالى و معتقداتى و مصنّفاتى، فى كلّما يقدح فى صحّة متابعة الشريعة التى أتانا بها سيّد المرسلين عليه و آله أجزل صلوات المصلّين، أو يشعر بوهن فى العزيمة فى الدين أو ضعف فى التمسّك بحبل المتين «۳».

و من قرأ شرحه على كتاب الحجّة من أُصول الكافى يجده رحمه اللّه مفعماً بإخلاصه لأئمّة أهل البيت و إيمانه بعصمتهم و طهارتهم و علومهم و مقاماتهم الرفيعة، وها نحن نذكر لك شيئاً يسيراً ممّا ذكره فى مستهلّ كتاب الحجة حيث يقول: الحمد للّه الذى اجتبى من صفوة عباده إصابة أهل الحقّ و اليقين، المقتبسين أنوار الحكمة و الدين من مشكاة النبوّة و الولاية، و خصّهم من بين سائر الفرق بمزايا اللّطف و المنّة، و أفاض عليهم من نور هدايته ما كشف لهم به حقائق الملّة و الشريعة و أسرار الكتاب و السنّة، و اتّبعوا به سبيل حجج اللّه الناطقة، و براهينه الساطعة من الذوات المقدّسة و النفوس المطهّرة الذين طهّرهم اللّه به عن نزعات الشياطين تطهيراً، و نوّر بواطنهم بأنوار الولاية و القرب تنويراً لهم

---

(۱) الحشر: ۷.

(۲) الاسفار: ۱- ۱۲.

(۳) رسالة العرشية: ۶۹، طبعة أصفهان.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۰۰

باقتفاء هذه الحجج و البراهين و أهل بيت النبوّة التى أتى بها سيّد الأوّلين و الآخرين و خاتم الأنبياء و المرسلين محمّد المصطفى- صلى الله عليه و آله و سلم اهتدوا إلى أسرار العلم و اليقين، و أدركوا ببصائرهم أنوار الكتاب المستبين و أخبار الأولياء المعصومين، و أطلقوا بضمائرهم على طرق التلفيق بين مقتضى الشرائع و موجبات العقول، و تحقّقوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول و الحقّ المعقول «۱».

تمتّع صدر المتألّهين بحرّية التفكير و رفض التقليد فى كلّ ما يكتب و يحرّر، فهو مع التزامه بالكتاب و السنّة و أن لا يخرج عنهما قيد شعرة لم يصدّه ذلك عن الحرية فى التفكير و كسر قيود الجمود، و هو يصرّح بذلك تارة و يلوّح أُخرى.

يقول: و أنشدك باللّه و ملكوته و أهل رسالاته أن تترك عادة النفوس السفلية من الالف بما هو المشهور بين الجمهور، و التوحّش عمّا لم تسمعه من المشايخ و الآباء و إن كان مبرهناً عليه بالحجّة البيضاء، فلا تكن ممّن ذمّهم اللّه على التقليد المحض فى مواضع كثيرة من القرآن: (وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لا هُدىً وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ)* «۲».

فإيّاك أن تجعل الشريعة الإلهية و حقائق الملّة الحقيقة مقصورة على ما سمعته من معلّميك و أشياخك منذ أوّل إسلامك، فتجمد دائماً على عتبة بابك و مقامك غير مهاجر إلى ربّك «۳».

و قال أيضاً فى معرض كلامه عن ذمّ التقليد: و ليعلم أنّ معرفة اللّه تعالى و علم المعاد و علم طريق الآخرة، ليس المراد بها الاعتقاد الذى تلقّاه العامى أو الفقيه وراثة و تلقّفاً، فإنّ المشعوف بالتقليد و المجمود على الصورة، لم ينفتح له

---

(۱) شرح أُصول الكافى: ۴۳۸، كتاب الحجّة، الطبعة الحجرية.

(۲) الحج: ۸.

(۳) العرشية: ۲۰۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۰۱

طريق الحقائق كما ينفتح للكرام الالهيين، و لا يتمثل له ما ينكشف للعارفين المستصغرين لعالم الصورة و اللّذات المحسوسة، من معرفة خلّاق الخلائق و حقيقة الحقائق، و لا ما هو طريق تحرير الكلام و المجادلة فى تحسين المرام، كما هو عادة المتكلّم، و ليس أيضاً هو مجرّد البحث البحت كما هو دأب أهل النظر، و غاية أصحاب المباحثة و الفكر فإنّ جميعها (ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ) «۱» بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يُقذف فى قلب المؤمن بسبب اتّصاله بعالم القدس و الطهارة، و خلوصه بالمجاهدة عن الجهل و الأخلاق الذميمة «۲».

مؤلّفاته

إنّ من سبر كتب صدر المتألهين لا سيما الاسفار الأربعة، يقف على أنّه تمتّع بموهبة كبيرة فى مجال البيان و تبيين المعضلات و حلّ المشكلات بنحو لم يسبق إليه أحد من الحكماء، و أنت إذا قارنت كتب صدر المتألهين مع كتب الشيخ الرئيس لوجدت الفرق الواضح بينها فى التقرير و العرض، و لا غرو فى ذلك فإنّ صدر المتألهين تلميذ السيد الداماد الملقّب بأمير البيان، و لكن التلميذ حسب زعمى بلغ مدارج الرقى و الكمال و برع أكثر من أُستاذه، و لذلك نرى أنّ شيخنا المظفّر يقول فى حقّه: بالغ فى تصوير آرائه باختلاف العبارات و التكرار، حسبما أوتى من مقدرة بيانية، و حسبما يسعه موضوعه من أدائه بالألفاظ، و هو كاتب موهوب لعلّه لم نعهد له نظيراً فى عصره و فى غير عصره، و إذا كان أُستاذه الجليل السيد الداماد أمير البيان، فإنّ تلميذه ناف عليه و كان أكثر منه براعة و تمكّناً من البيان السهل «۳».

---

(۱) النور: ۴۰.

(۲) الاسفار: المقدمة: ۱- ۱۱.

(۳) الاسفار: قسم التقديم: ۱- ۱۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۰۲

و قد ترك صدر المتألهين تراثاً علمياً فى حقل الفلسفة و العرفان و التفسير و شرح الحديث ما يُنيفُ على ۳۳ كتاباً و قد ذكر تفاصيلها و خصوصياتها سلسلة من الاعلام لا سيما الشيخ أبو عبد اللّه الزنجانى فى أُطروحته المسمّاة «الفيلسوف الفارسى الكبير صدر المتألّهين»

و العلّامة الشيخ المظفر (رضوان اللّه عليه) فى تقديمه على الاسفار و العلّامة الشيخ عبد اللّه نعمة فى فلاسفة الشيعة، غير أنّا نشير إلى ما هو المهم: ۱- الاسفار الأَربعة، و ربما يطلق عليها: الحكمة المتعالية فى الأَسفار العقلية، و هذا الكتاب هو المرجع لباقى مؤَلفاته لا سيما: كتابيه المبدأ و المعاد، و المشاعر، و قد طبع فى إيران على الحجر فى أربعة مجلّدات كبار سنة ۱۲۸۲ ه يقع مجموعها فى ۹۲۶ صفحة بالقطع الكبير و على الأَجزاء الثلاثة تعاليق المحقّق السبزوارى، و الأَسفار جمع سفر بفتح السين و الفاء و يراد منه السياحة الفعلية الأَربعة التى نوّه إليها فى مقدّمة الكتاب و هى: الأَوّل: السفر من الخلق إلى الخلق.

الثانى: السفر بالحقّ فى الحقّ.

الثالث: السفر من الحقّ إلى الخلق بالحقّ.

الرابع: السفر بالحقّ فى الخلق.

و قد أُعيد طبعه بصف جديد فى تسعة أجزاء عام ۱۳۸۴ ه مزيّناً بتعليقات المحقّق السبزوارى و أُستاذنا الكبير السيد محمد حسين الطباطبائى (۱۳۲۱ ۱۴۰۲ ه) و عليها تقديم بقلم الشيخ العلّامة محمد رضا المظفر.

۲- المبدأ و المعاد، طبع عام ۱۳۱۴ ه و هو فى الفنّين: الربوبيات و المعاد، جمع فيه بين مسلكى أهل البحث و العرفان.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۰۳

۳- الشواهد الربوبية فى المناهج السلوكية، لخّص فيه آراءه فى المسائل الحكمية، طبع عام ۱۲۸۶ ه.

۴- المشاعر، طبع عام ۱۳۱۵ ه و فيه حصيلة ما أسّسه من الأصول فى الفلسفة.

۵- الحكمة العرشية على الطريقة العرفانية طبع مع المشاعر.

۶- أسرار الآيات و أنوار البيّنات فى معرفة أسرار آيات اللّه تعالى و صنائعه و حكمه على الطريقة العرفانية مع تطبيق الآيات القرآنية على أكثر بحوثه مرتبة على مقدمة و ثلاثة أطراف كلّ طرف ذو مشاهد، الطرف الأَوّل فى علم الربوبية، و الثانى فى أفعاله تعالى، و الثالث فى المعاد، طبعت فى إيران مكرراً.

۷- شرح الهداية الأَثيرية، نهج فيه منهج أهل الحديث تبعاً للمتن، طبع عام ۱۳۱۳ ه.

۸- شرح إلهيات الشفاء، نهج فيه منهج المتن، طبع بالقطع الكبير عام ۱۳۰۳ ه مع إلهيات الشفاء فى مجلّد واحد.

۹- رسالة الحدوث، رسالة مبسوطة فى مسألة حدوث العالم طبع عام ۱۳۰۲ ه.

۱۰- كتاب مفاتيح الغيب، طبع مع شرح أُصول الكافى.

الأَثر الخالد: شرحه على أُصول الكافى

هذه هى الكتب المهمّة فى مجال الفلسفة، و له رسائل أُخرى و لكن الذى صار سبباً لتحرير هذا التقديم هو كتابه الذى نلوّح به ألا و هو «شرح أُصول

تذكرة الأعيان، ص: ۳۰۴

الكافى» و شرحه هذا طبع مرّتين، مرّة على القطع الرحلى بالطبع الحجرى فى جزءين يقع الجميع فى ۴۹۲ صفحة، و فرغ المؤَلف من الجزء الأَوّل عام ۱۰۴۴ ه و انتهى فيه إلى باب الأَخذ بالسنّة.

كما أنّه انتهى فى الجزء الثانى إلى باب أنّ الأَئمّة ولاة أمر اللّه و خزنة علمه من كتاب الحجة.

و فى الحقيقة لو طابقنا شرحه على الطبعة الحديثة من الكافى ينتهى الشرح إلى صفحة ۲۱۰ من طبعة الغفارى (حفظه اللّه).

و قد طبع مع هذا الشرح كتابه الآخر «مفاتيح الغيب» كما تقدّم.

و أُخرى ما قامت بطبعه مؤَسسة «مطالعات و تحقيقات إسلامى» فطبعته طبعة حديثة فى أجزاء و نقل فى ذيل كلّ جزء ما علّقه الحكيم

النورى على الشرح، و قد حقّقه محمد الخواجوى عام ۱۳۷۰ ه ش.

إلمامه بالرجال

إنّ التوغّل فى العلوم العقلية و مدارسة مسائلها طيلة الزمان يعوق الإنسان عن الإلمام بالعلوم النقلية إلّا من وفّقه اللّه تعالى للجمع بينهما، فحكيمنا المؤَسّس من هذه النخبة التى جمعت بين العلوم النقلية و العقلية، فهو فى الوقت الذى يؤَلّف موسوعة كبيرة فى الفلسفة، يقوم بشرح أُصول الكافى و لم يكتف بشرح المفاهيم، بل تعداه إلى دراسة أسانيد الحديث الرجالية بالتعديل و الجرح و هذه موهبة كبيرة تمتّع بها المؤَلف و قلّما يتّفق أن يدرس حديثاً، إلّا و يدرس عنه سنده إتقاناً و ضعفاً.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۰۵

مشايخه

إنّ كتب التراجم أهملت الكثير من تفاصيل حياته و سيرته و لم تذكر من أساتذته فى مراحل صباه و شبابه إلّا شيئاً يسيراً، و اتّفق الجميع على أنّه تخرج فى العلوم النقلية على يد الشيخ بهاء الدين العاملى (۹۵۳ ۱۰۰۳ ه) و العلوم العقلية على السيد المحقّق الداماد (المتوفّى ۱۰۴۰ ه).

و قد أجازه شيخنا البهائى كما ذكره صدر المتألهين فى شرح أُصول الكافى حيث قال: حدّثنى شيخى و أُستاذى و من عليه فى العلوم النقلية استنادى، عالم عصره و شيخ دهره بهاء الحق و الدين محمد العاملى الحارثى الهمدانى (نوّر اللّه قلبه بالانوار القدسية) عن والده الماجد المكرّم و شيخه الممجّد المعظّم الشيخ الفاضل الكامل حسين بن عبد الصمد (أفاض اللّه على روحه الرحمة و الرضوان و أسكنه دار الجنان) عن شيخه الجليل و أُستاذه النبيل عماد الإسلام و فخر المسلمين الشيخ زين الملّة و الدين العاملى (طاب ثراه و جعل الجنّة مثواه) عن الشيخ المعظّم المفخّم و المطاع، المؤَيّد المكرّم، عالى النسب سامى اللقب، المجدّد للمذهب على بن عبد العال الكركى (قدّس اللّه سرّه) عن الشيخ الورع الجليل على بن هلال الجزائرى، عن الشيخ الفاضل القائد أحمد بن فهد الحلّى، عن الشيخ على بن الخازن الحائرى، عن الشيخ الفاضل و النحرير الكامل السعيد الشهيد محمد بن مكى (أعلى اللّه رتبته) «۱».

كما إنّه يذكر أُستاذه فى العلوم العقلية بالنحو التالى و يقول: أخبرنى سيدى و سندى و أُستاذى و استنادى فى المعالم الدينية، و العلوم الإلهية، و المعارف الحقيقية، و الأُصول اليقينية السيّد الأَجل الأَنور، العالم المقدّس الأَطهر، الحكيم

---

(۱) شرح أُصول الكافى، الطبعة الحجرية، ص ۱۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۰۶

الإلهى و الفقيه الربّانى، سيّد عصره و صفوة دهره، الأَمير الكبير و البدر المنير، علّامة الزمان، أعجوبة الدوران المسمّى بمحمد الملقّب بباقر الداماد الحسينى قدّس اللّه عقله بالنور الربّانى، عن أُستاذه و خاله المكرّم المعظّم الشيخ عبد العال رحمه اللّه، عن والده السامى المطاع، المشهور اسمه فى الآفاق و الأَصقاع الشيخ على بن عبد العال، مسنداً بالسند المذكور و غيره إلى الشيخ الشهيد محمد بن مكى قدَّس سرَّه، عن جماعة من مشايخه منهم الشيخ عميد الدين عبد المطلب الحسينى، و الشيخ الأَجل الأَفضل فخر المحقّقين أبو طالب محمد الحلّى، و المولى العلّامة قطب الدين الرازى، عن الشيخ الأَجل العلّامة آية اللّه فى أرضه جمال الملّة و الدين أبى منصور الحسن بن مطهر الحلّى قدّس اللّه روحه، عن شيخه المحقّق رئيس الفقهاء و الأُصوليين نجم الملّة و الدين أبى القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد الحلّى، عن السيد الجليل النسّابة فخار بن معد الموسوى، عن شاذان بن جبرئيل القمّى، عن أبى القاسم الطبرى، عن الشيخ الفقيه أبى على الحسن، عن والده الأَجل الأَكمل شيخ الطائفة محمد بن حسن الطوسى نوّر اللّه مرقده، عن الشيخ الأَعظم الأَكمل

المفيد محمد بن محمد بن النعمان الحارثى سقى اللّه ثراه، عن الشيخ الأجل ثقة الإِسلام و قدوة الأنام محمد بن على بن بابويه القمى أعلى اللّه مقامه، عن أبى القاسم جعفر بن قولويه، عن الشيخ الجليل ثقة الإِسلام سند المحدثين أبى جعفر محمد بن يعقوب الكلينى «۱».

و من أساتذته الآخرين الحكيم الإِلهى السيد أبو القاسم المعروف بالمير فندرسكى (۹۷۰ ۱۰۵۰) ابن ميرزا بيك بن الأَمير صدر الدين الموسوى الحسينى المعاصر للعلمين بهاء الدين العاملى، و المحقّق المير داماد.

---

(۱) شرح أُصول الكافى، الطبعة الحجرية، ص ۱۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۰۷

تلامذته

و قد خرج على يديه نخبة من الأَكابر أشهرهم اثنان: الأَوّل: صهره المحقّق الكبير و العالم النحرير محمد بن المرتضى المدعو بالمحسن الفيض الكاشانى (۱۰۰۷ ۱۰۹۱ ه) له آثار علمية كثيرة أشهرها: ۱- الصافى فى تفسير القرآن الكريم، ۲- الوافى، جمع فيه أحاديث الكتب الأَربعة، ۳- المحجّة البيضاء فى إحياء الإحياء إلى غير ذلك من الآثار.

الثانى: الحكيم الإِلهى الكبير المولى عبد الرزاق اللاهيجى (المتوفّى ۱۰۷۰ ه) مؤَلّف «الشوارق» ألّفه شرحاً على تجريد الاعتقاد للمحقّق الطوسى.

و قد ذكر من تلامذته القاضى سعيد القمى صاحب شرح «توحيد الصدوق» الذى هو من أنفس الكتب الحكمية و العرفانية و لكنّه من تلاميذ تلامذته، حيث تتلمذ على الفيض الكاشانى و الشيخ المولى عبد الرزاق اللاهيجى، توفّى بقم عام ۱۱۰۳ ه «۱».

وفاته

و المعروف أنّه توفّى بالبصرة عند سفره إلى الحجّ و لم يعلم أنّه توفّى عند ذهابه أو إيابه.

يقول السيد حسين البروجردى فى نخبة المقال:

ثمّ ابن إبراهيم صدر الأَجل فى سفر الحجّ مريضاً ارتحل

قدوة أهل العلم و الصفاء يروى عن الداماد و البهائى

---

(۱) ريحانة الأَدب: ۴- ۴۱۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۰۸

فكلمة «مريضاً» على الحساب الأَبجدى ينطبق على عام وفاته الذى هو عبارة عن: ۱۰۵۰ ه.

و وفاته فى البصرة و إن كانت مشهورة لكن صهره الشيخ عبد الرزاق اللاهيجى مؤَلّف الشوارق من أهل بيته و هو أدرى بما فى البيت، حيث رثاه فى قصيدة فارسية غرّاء ذكر فيها أنّه توفّى فى النجف و قال فى مطلعها:

زين هفت خوان كه پايه أو بر سر فناست در شش جهت به هر چه نظر ميكنى خطاست

بيچاره آن دلى كه ميكند تكيه بر سپهر سر گشته آن سرى كه به بالين آسياست

إلى أن يقول:

در راه كعبه مرده و آسوده در نجف اى من فداى خاك تو اين مرتبت كراست

از راه کعبهت نجف آورد سوی خویش این جذبه کار قوّت بازوی مرتضی است
این هم اشارهای است مبرّأ ز شک و ریب آن را که دل به کعبه تحقیق آشناست
یعنی میانه نجف و کعبه فرق نیست آسوده باش ما ز خدا و خدا ز ماست «۱»

---

(۱) دیوان الحکیم فیاض اللاهیجی، ص ۱۱۸ ۱۲۲ بتحقیق الدکتورة أمیرة کریمی.
تذکرة الأعیان، ص: ۳۰۹

الخطوط العریضة لفلسفته

اشارة

أنّ الأصول التی صاغ علیها فلسفته و التی أوجدت تحوّلًا جذریاً فی عالم الفلسفة الإِسلامیة تمخّضت عنها نتائج باهرة فی حقل العقائد هی عبارة عن:

الأَصل الأَوّل: أصالة الوجود

لقد اختلف المشاء و الإِشراق فیما هو الأَصیل و المجعول، فذهب المشاء إلی أنّ المجعول هو الوجود، و ذهب الإِشراق إلی أنّ المجعول هو الماهیة، و بذلک ظهر هنا مذهبان فیما هو الأَصیل فی الجعل بعد اتفاقهم علی أنّ واجب الوجود وجود بحت لا ماهیة له، و کان النزاع علی قدم و ساق بین الطائفتین حتی ظهر صدر المتألهین علی ساحة الفلسفة فطرح المسألة و أقام علیها براهین دامغة أزاحت الشکوک عن وجهها، فعاد القولان قولًا واحداً.
و ممّا یدل علی أنّ المشاء و فی طلیعتهم شیخ المشائین أعنی ابن سینا کانوا من دعاة القول بأصالة الوجود، ما ذکره الشیخ عند البحث عن نفی الماهیة عن الواجب تبارک و تعالی حیث قال: و الذی یجب وجوده لغیره دائماً فهو أیضاً غیر بسیط الحقیقة، لأَنّ الذی له باعتبار ذاته، غیر الذی له من غیره، و هو حاصل الهویة منهما جمیعاً فی الوجود، فلذلک لا شیء غیر واجب الوجود بعریّ عن ملابسته ما بالقوة و الإِمکان باعتبار نفسه، و هو الفرد، و غیره زوج ترکیبی «۱».
و هذه العبارة صریحة فی أنّ ما یفاض من الواجب هو الوجود و أنّ ملاک

---

(۱) الشفاء، بحث نفی الماهیة عن الواجب، ص ۳۰۵ و الطبعة الجدیدة ص ۶۰ تحقیق الأُستاذ «حسن زاده» و لاحظ الاسفار: ۱- ۱۴.
تذکرة الأعیان، ص: ۳۱۰
المعلومیة و الحاجة إلی العلّة هو الماهیة التی تتساوی إلیها نسبة الوجود و العدم.
و لیس الشیخ وحیداً فی هذه العقیدة بل المحقّق الطوسی أیضاً یدعم تلک النظریة لما قال: «إذا صدر عن المبدأ الأَوّل شیء کان لذلک الشیء هویة مغایرة للأَوّل بالضرورة و مفهوم کونه صادراً عن الأَوّل غیر مفهوم کونه ذا هویةٍ ما، فإذن هاهنا أمران معقولان: أحدهما الأَمر الصادر عن الأَوّل و هو المسمی بالوجود، الثانی هو الهویة اللازمة لذلک الوجود و هو المسمّی بالماهیة «۱».
کما أنّ تلمیذ الشیخ أعنی بهمنیار فی کتابه «التحصیل» حسب ما ینقله صدر المتألهین عنه حیث یقول: الوجود حقیقته أنّه فی الأَعیان و کیف لا یکون فی الأَعیان ما هذه حقیقته «۲».
و لم نجد حکیماً یذبّ عن أصالة الماهیة سوی أُستاذ صدر المتألهین، المحقّق الداماد حیث قوّی نظریة شیخ الإِشراق فی أصالة

الماهية.

نعم كان صدر المتألهين متأثّراً بأفكار أُستاذه لكنّه رجع عنه كما قال: «إنّى كنت شديد الذبّ عنهم فى اعتبارية الوجود و تأصّل الماهيات، حتى هدانى اللّه و انكشف لى انكشافاً أنّ الأَمر على خلاف ذلك، و هو أنّ الوجودات هى الحقائق المتأصّلة الواقعة فى العين، و أنّ الماهيات المعبّر عنها فى عرف طائفة من أهل الكشف و اليقين بالأَعيان الثابتة ما شمَّت رائحة الوجود «۳».

و يترتّب على هذا الأَصل أُمور:

---

(۱) شرح الإِشارات: ۳- ۲۴۵.

(۲) الاسفار: ۱- ۳۹.

(۳) الاسفار: ۱- ۴۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۱۱

۱- توحيد الصفات اتّفق أهل الحقّ على أنّ صفات الواجب متباينة مفهوماً، متّحدة حقيقة مع الذات، كما أنّ كلّ واحدة منها متّفقة مع الأُخرى كذلك، و قالوا: القادر و العالم و الحىّ و المريد متغايرات مفهوماً متّحدات وجوداً و مصداقاً.

و هذا يترتّب على القول بأصالة الوجود، و ذلك لَانّ الوجود مدار الوحدة و الماهيات مثار الكثرة، إذ يمتنع أن يكون مفهوم العالم أو القادر عين الذات أو متّحداً مع مفهوم القادر.

۲- توحيد الافعال قد أثبت البرهان على أنّه لا يصدر من الواحد إلّا الواحد، فاللّه سبحانه هو الواحد لا يصدر منه إلّا واحد، هذا من جانب.

و من جانب آخر أنّ الموجودات الإِمكانية متكثّرات و متخالفات فكيف يمكن صدور المختلف من الواحد من جميع الجهات، و لا تحلّ العقدة إلّا بالقول بأصالة الوجود، فالصادر هو الوجود المنبسط القائم بالذات قيام المعنى الحرفى بالاسمى، و إنّما جاء الاختلاف من جانب القوابل و الماهيات.

۳- صحّة الحمل فى القضايا إنّ صحّة المحمول على الموضوع و ادّعاء الهوهوية لا يتمّ إلّا بأصالة الوجود و يمتنع على القول بالماهية، و قد بيّنه صدر المتألهين فى المشاعر و قال: لو كانت موجودية الأَشياء بنفس ماهيّاتها لا بأمر آخر، لامتنع حمل بعضها على بعض و الحكم بشىء منها على شىء، كقولنا: زيد حيوان و الإِنسان ماشٍ، فإنّ الحمل

تذكرة الأعيان، ص: ۳۱۲

يقتضى الاتّحاد فى الخارج و المغايرة فى الذهن.

فلو لم يكن الوجود شيئاً غير الماهية، لم تكن جهة الاتّحاد مخالفة لجهة المغايرة.

و اللازم باطل «۱».

الأَصل الثانى: اشتراك الوجود

هذا الأَصل يبتنى على أمرين:

الأَوّل: وحدة مفهوم الوجود و أنّه موضوع بالاشتراك المعنوى على حدّ سواء فى الواجب و الممكن، و هو صادق عليها بوضع واحد و هذا ما يعبّر عنه بوحدة الوجود مفهوماً و أنّه مشترك معنوىّ موضوع لمعنى جامع بين جميع المصاديق، و قد استدلّ عليه صدر المتألهين بقوله: البديهة حاكمة بأنّ المعنى الواحد لا- يمكن أن تكون حيثية الاتّصاف و مناط الحكم به ذوات متخالفة من حيث تخالفها من غير جهة جامعة فيها «۲».

الثانى: وحـدة الوجود حقيقـة، و هو أنّ الوجود فى عامـة مراتبه حقيقـة واحـدة تختلف بالشـدّة و الضـعف على وجه تكون الشدة عين الوجود و الضـعف حـدّا له، و على ذلك فحقيقـة الوجود عبارة عن طرد العـدم و هو متحقّق فى عامـة المراتب من العلّـة و المعلول، و الواجب و الممكن.

أمّـا الأَمر الأَوّل فالمخالف فيها قليل و إنّما الاختلاف فى الأَمر الثانى، فالمشاءون على أنّ الوجود حقائق متباينـة ليس بين المراتب أيّة جهة اشتراك، و أنّ

---

(۱) المشاعر، ص ۱۲.

(۲) الاسفار: ۱ ۷۰- ۶، ۶۹- ۶۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۱۳

الواجب و الممكن و الوجود و العرض كالاجناس العالية حقائق متباينة يمتاز كلّ عن الآخر بتمام الذات لا بالفصول.

و الـذى دعاهم إلى تلك النظرية هو أنّ الواجب علّة للممكن، و الجوهر علّة للعرض، على وجه لو كان الوجود حقيقة واحدة فلا وجه لَان يكون بعض الوجود علّة للبعض الآخر.

و أمّا الاشـراقيون فقـد ذهبوا إلى أنّ الوجود حقيقـة واحـدة فى عامـة المراتب و أنّ كلّ مرتبـة تتمايز عن الأُخرى بالكمال و النقص، و ليس الكمال إلّا نفس الوجود كما أنّ النقص حدّ الوجود، و ليس داخلًا فيه و بذلك صـحّحوا ملاك العلّية و أنّ القوى علّة للضـعيف، لكن لا بمعنى أنّ الشدّة مقوّمة لحقيقة الوجود حتّى لا يكون الضـعيف لأَجل ضـعفه من مصاديق الوجود، و لا الضـعف مقوّماً له حتى يخرج الشديد عن تحت الوجود بل الشدّة مقوّمة للمرتبة لا للحقيقة.

و قـد اسـتدلّوا على وحـدة الحقيقـة بمـا سـبق فى الأَمر الأَوّل من هـذا الأَصل من وحـدة مفهوم الوجود و اشتراكه المعنوى، إذ لو كان الوجود حقائق متباينة لا جهة اشتراك بينها لامتنع انتزاع مفهوم واحد من حقائق متباينة، و إليه يشير الحكيم السبزوارى بقوله:

لَانّ معنى واحداً لا ينتزع ممّا لها توحد ما لم يقع

و هذان الأَصلان لهما الدور الكبير فى تحوّل الفلسفة، و يترتّب على الأَصل الثانى الأَمر التالى:

توحيـد الـذات و نفى تعدّد الواجب إنّ توحيد ذاته سبحانه و نفى تعدّد الواجب من المسائل المهمّة فى الحكمة الإِلهية، و قد اسـتدلّوا عليه بقولهم: لو كان الواجب متعدّداً يلزم أن يكون بينهما

تذكرة الأعيان، ص: ۳۱۴

وجه اشتراك و وجه امتياز، و عندئذٍ فما به الاشتراك فى كلّ واحد غير ما به الامتياز فيلزم التركيب و هو آية الحاجة.

هذا هو أساس الاسـتدلال و قد اعتمد عليه الحكماء الالهيون إلى القرن السابع حتّى ظهرت شبهة ابن كمونة «۱» و حاصل شبهته: لماذا لا يجوز أن تكون هنـاك هويّتـان بسـيطتان متباينتـا الـذات ليس بينهمـا قـدر اشتراك حتى يحتـاج إلى ما به الامتياز، و يكون صـدق الوجود عليهما عرضـيا كصدق العرض على الأَجناس التسـعة العرضـية؟ و حلّ الشـبهة واضح على القول بالوحدة المفهومية و الحقيقية للوجود، و هو أنّه لا شكّ أنّ مفهوماً واحـداً باسم الوجود ينتزع من كلا الواجبين من حاق ذاتهما، فافتراض هويَّتين بسـيطتين متباينتى الـذات ليس بينهما أ يّوجه اشتراك، لا يجتمع مع وحـدة المفهوم، لما سـبق من أنّه يمتنع انتزاع مفهوم واحد من أمرين متباينين، و إلى الشبهة و الدفاع يشير الحكيم السبزوارى و يقول:

هويّتان بتمام الذات قد خالفتا لابن الكمونة استند

و ارفع بأن طبيعة ما انتزعت ممّا تخالفت بما تخالفت

الأصل الثالث: اتّحاد جوهر العاقل و المعقول

إنّ اتّحاد العاقل و المعقول من المسائل الغامضة، و قد حقّقها صدر المتألّهين و أقام براهينها، و أوضحها بما يلى: ۱- انّ نسبة الصور المعقولة بالذات إلى النفس كنسبة الصور الجسمية

---

(۱) هو سعد بن منصور البغدادى الملقّب بعزّ الدولة المعروف بابن كمونة، توفى عام ۶۸۳ ه أو ۶۹۰ ه.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۱۵

بالنسبة إلى المادة، فكما أنّ الثانية محصّلة لها و مخرجة لها من النقص إلى الكمال، فهكذا الصور المعقولة محصّلة للنفس الإنسانية، فإنّ العقل الهيولانى مادة المعقولات، و هى صور لها، و يقول فى هذا الصدد: و ليس وجود الصور الادراكية عقلية كانت أو حسية للجوهر المدرك كحصول الدار و الأَموال و الأَولاد لصاحب الدار و المال و الولد، فإنّ شيئاً من ذلك الحصول ليس فى الحقيقة حصولًا لذات الشىء لدى ذات أُخرى بل إنّما ذلك حصول إضافة لها فقط، نعم حصول الصورة الجسمانية الطبيعية للمادة التى يستكمل بها و تصير ذاتاً متحصّلة أُخرى يشبه هذا الحصول الادراكى، فكما ليست المادة شيئاً من الأَشياء المعيّنة بالفعل إلّا بالصور، و ليس لحوق الصور بها، لحوقَ موجود بموجود بالانتقال من أحد الجانبين إلى الآخر بل بأن «۱» يتحوّل المادة من مرتبة النقص فى نفسها إلى مرتبة الكمال، فكذلك حال النفس فى صيرورتها عقلًا بالفعل بعد كونها عقلًا بالقوّة، و ليس لحوق الصورة العقلية بها عند ما كانت قوّة خيالية بالفعل عقلًا] و [بالقوة، كلحوق موجود مباين لموجود مباين كوجود الفرس لنا، أو كلحوق عرض لمعروض جوهرى مستغنى القوام فى وجوده عن ذلك العرض، إذ ليس الحاصل فى تلك الحصولات إلّا وجود إضافات لا يستكمل بها شىء و حصول الصورة الادراكية للجوهر الدرّاك أقوى فى التحصيل و التكميل له من الصور الطبيعية فى تحصيل المادّة و تنويعها «۲».

نعم قد أقام صدر المتألهين برهاناً آخر يُدعى برهان «التضايف» قائلًا بأنّ العاقل و المعقول متضايفان و المتضايفان متكافئان قوّة و فعلًا، و لكن البرهان عقيم لَانّ التضايف لا يثبت إلّا وجودهما فى مرتبة واحدة و أمّا كون أحدهما نفس الآخر

---

(۱) كذا فى المصدر و الظاهر زيادة «بأن».

(۲) الاسفار: ۳ ۳۲۱- ۳۱۹ و لاحظ الاسفار: ۲۷۷، الطبعة الحجرية.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۱۶

كما هو المطلوب، فلا «۱».

يقول الحكيم السبزوارى: و أمّا مسلك التضايف الذى سلكه صدر المتألهين فى المشاعر و غيره لإثبات هذا المطلب، فغير تام لما ذكرنا فى تعاليق الاسفار.

الأَصل الرابع: بسيط الحقيقة كلّ الأَشياء

و اعلم أنّ كونه سبحانه عالماً بالأَشياء بعد الإيجاد، أمر لا سترة فيه فإنّ نفس الأَشياء فعله و فى الوقت نفسه علمه، كالصور الذهنية للنفس فإنّها فعلها و فى الوقت نفسه علمها الفعلى.

إنّما الكلام فى إثبات علمه تعالى بالأَشياء قبل الإيجاد فذهب المشاء إلى أنّ علمه سبحانه بها من قبيل الصور المرتسمة فى ذاته الحاكية عن الأَشياء، و من الواضح أنّ القول بالصور المرتسمة مع أنّها لا تخلو من إشكالات لا تثبت علمه سبحانه بها فى مقام الذات، بل أقصاه إثباته دون الذات، و لأَجل ذلك حاول حكيمنا المؤَسّس إثبات علمه سبحانه بها فى مقام الذات بحيث تكون الذات كاشفة

عمّا وراءها من الأشياء، و إثبات مثل هذا العلم مشكل جدّاً و لذلك يصفه بقوله: و اعلم أنّ كون ذاته عقلًا بسيطاً هو كلّ الأشياء، حقّ لطيف غامض، و لكن لغموضه لم يتيسّر لأحد من فلاسفة الإسلام و غيرهم حتى الشيخ الرئيس تحصيله و إتقانه على ما هو عليه، إذ تحصيل مثله لا يمكن إلّا بقوّة المكاشفة مع قوّة البحث الشديد، و الباحث إذا لم يكن له ذوق تام و كشف صحيح، لم يمكنه الوصول إلى ملاحظة أحوال الحقائق الوجودية، و أكثر هؤلاء القوم، مدار بحثهم

---

(۱) لاحظ المشاعر، المشعر السابع فى أنّه تعالى يعقل ذاته و يعقل الأشياء كلّها من ذاته، ص ۵۰، و لاحظ شرح المنظومة، قسم الفلسفة، ص ۳۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۱۷

و تفتيشهم على أحكام المفهومات الكلية و هى موضوعات علومهم دون الانّيات الوجودية، و لهذا إذا وصلت نوبة بحثهم إلى مثل هذا المقام ظهر منهم القصور و التلجلج و المجمج فى الكلام، فيرد عليه الاعتراض فيما ذكروه من أنّه كيف يكون شىء واحد بسيط غاية الوحدة، و البساطة صورة علمية لأشياء مختلفة؟ «۱» ثمّ إنّه أثبت القاعدة المشهورة و هى «أنّ بسيط الحقيقة كل الأشياء و ليس بشىء منها» بعد بيان مقدمات و أصل، و إليك بيان لبّها: إنّ كلّما تحقّق شىء من الكمالات الوجودية فى موجود من الموجودات فلا بدّ أن يوجد أصل ذلك الكمال فى علّته على وجه أعلى و أكمل، و هذا ممّا يفهم من كلام «معلّم المشائين» فى كثير من مواضع كتابه فى الربوبيات المسمّى «باثولوجيا» و يعضده البرهان و يوافقه الذوق السليم و الوجدان، فإنّ الجهات الوجودية للمعلول كلّها مستندة إلى علّته الموجدة، و هكذا إلى علّة العلل ففيه جميع الخيرات كلّها و لكن سلبت عنها القصورات و النقائص و الأعدام اللازمة للمعلولية بحسب مراتب نزولها «۲».

ثمّ قال: فإذا تمهّدت هذه الأصول فنقول: الواجب تعالى هو المبدأ الفيّاض لجميع الحقائق و الماهيات، فيجب أن يكون ذاته تعالى مع بساطته و أحديته كلّ الأشياء، و نحن قد أقمنا البرهان فى مباحث العقل و المعقول على أنّ البسيط الحقيقى من الوجود يجب أن يكون كلّ الأشياء.

و إن أردت الاطّلاع على ذلك البرهان فارجع إلى هناك.

فإذن لمّا كان وجوده تعالى وجودَ كلّ الأشياء فمن عقل ذلك الوجود عقل جميع الأشياء،

---

(۱) الاسفار: ۶- ۲۳۹، الفصل التاسع فى حلّ مذهب القائلين بأنّ علمه تعالى بما سواه علم واحد إجمالى.

(۲) الاسفار: ۶- ۲۶۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۱۸

و ذلك الوجود هو بعينه عقل لذاته و عاقل، فواجب الوجود عاقل لذاته بذاته، فعقله لذاته عقل لجميع ما سواه، و عقله لذاته مقدّم على وجود جميع ما سواه.

فعقله لجميع ما سواه، سابق على جميع ما سواه فثبت: أنّ علمه تعالى بجميع الأشياء حاصل فى مرتبة ذاته بذاته قبل وجود ما عداه سواء كانت صوراً عقلية قائمة بذاته، أو خارجة منفصلة عنها، فهذا هو العلم الكمالى التفصيلى بوجه و الإجمالى بوجه، و ذلك لأنّ المعلومات على كثرتها و تفصيلها بحسب المعنى موجودة بوجود واحد بسيط، ففى هذا المشهد الإلهى و المجلى الأزلى ينكشف و ينجلى الكلّ من حيث لا كثرة فيها، فهو الكلّ فى وحدة «۱».

الأصل الخامس: الحركة الجوهرية

اتّفقت كلمة الفلاسفة على وقوع الحركة فى الاعراض الأربعة (الكيف الكمّ الوضع الأين) و اختلفوا فى إمكان وقوعها فى غيرها من الاعراض.

و لتوضيح الحركة فى هذه المقولات الأَربع نقول: إنّ حركة الماء من البرودة إلى السخونة حركة فى الكيف، و حركة الرحى على مدارها حركة فى الوضع، و نمو الشجرة من حيث الحجم أى تعاظمها من حيث الطول و العرض حركة الكم و حركة السيارة من مكان إلى آخر حركة فى الأَين.

ثمّ إنّهم لم يجوّزوا الحركة فى الجوهر كما لم يجوّزوا الحركة فى الاعراض غير الأَربعة.

لكن حكيمنا المؤَسّس كشف عن وجود الحركة فى الجوهر و بيّن تعدّى التغيّر من سطوح الطبيعة إلى أعماقها، و من ظواهرها إلى بواطنها، و قد احتلّت هذه المسألة مكان الصدارة فى الفلسفة الإِسلامية، و أقام على مدعاه براهين دقيقة و أزاح عمّا فى طريقها من الإِشكالات.

---

(۱) الاسفار: ۶- ۲۷۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۱۹

أمّا الثانى فنحيله إلى محلّه و إنّما المهم بيان براهين الحركة فى الجوهر فنقول:

البرهان الأَوّل إنّ وجود الحركة فى العرض لا ينفكّ عن الحركة فى الجوهر، أى أنّ حركة الجسم و تكامله التدريجى فى الأَوصاف، خير دليل على حركته و تكامله و تدرّجه من حيث الذات و الجوهر.

و بعبارة أُخرى: إنّ الشىء الذى يتحرّك فى ناحية الكيف أو الكم، تلازمه حركة أعمق ممّا نشاهده فى سطوح الجسم و ظواهره، و هى الحركة فى الذات و الجوهر «۱».

البرهان الثانى إنّ البرهان الثانى يهدف إلى أنّ الزمان داخل فى جوهر الأَشياء و منتزع من حاقّها و ما هذا حاله لا يمكن أن يكون جامداً فى طبيعته، بل سيّالًا فى ذاته.

و بما أنّ لهذا البرهان قيمة علمية كبيرة حيث كشف حكيمنا المؤَسّس دخول الزمان فى جوهر الأَشياء و أنّه البعد الرابع للطبيعة، كان من الأَفضل أن نشرحه فنقول: لا شكّ فى أنّ البعد الزمانى من الأُمور الواقعية التى يلمسها كلّ إنسان، فلا يمكن مثلًا إنكار البعد الزمانى بين السيّد المسيح- عليه السلام- و نبيّنا صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم و تقدّم الأَوّل و تأخّر الثانى.

و البعد الزمانى لا ينكره إلّا من أنكر العالم من الأَساس و نحن فى فسحة عن مناقشته وجدا له.

---

(۱) لاحظ تفصيل البرهان فى كتاب «اللّه خالق الكون »: ۵۳۶۵۳۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۲۰

غير أنّ كلّ من اعترف بأنّ للزمان واقعية وجد نفسه أمام السؤال التالى: ما هو حقيقة الزمان و أين مبدؤه و منشأه؟ هل يكفى أن يقال: إنّ وصف الأَشياء و الظواهر بالتقدّم و التأخّر، إنّما هو لانطباق أحدها مع طلوع الشمس و الآخر مع غروبها، أو بوقوع أحدها فى أوّل الشهر، و الآخر فى نهايته؟ إنّ هذه الإِجابة رغم صحّتها فى نفسها و إن كانت تُقنع العامى، و لكنّها لا تقنع الفيلسوف المتحرّى للحقيقة، لَانّه سيسأل أيضاً: و يقول بماذا نَصِفُ طلوع الشمس بالتقدّم و غروبها بالتأخّر، و ما هو الملاك لهذا الوصف؟ و لو أُجيب بأنّ هناك ملاكاً آخر لوصف طلوع الشمس بالتقدّم، و الغروب بالتأخّر لنقل السؤَال إلى ذلك الملاك أيضاً، و هكذا.

و لهذا لجأت الفلاسفة لحلّ هذا الإِشكال إلى القول بأنّ ثمّة بعداً مستقلا مستمرّاً و سيالًا جارياً توصف أجزاؤه بالتقدّم و التأخّر اتّصافاً ذاتياً، أى ليس التقدّم و التأخّر صفة عارضة له بل هويّته هويّة مستقلّة و عين التقدّم و التأخّر و هو لا يرتبط بالكائنات و الظواهر

المادّية، إلّا من حيث كونها وعاءً لهذه الكائنات و الظواهر المادّية، و ليس هذا البعد إلّا الزمان.

نعم إذا قيست الكائنات و الظواهر المادّية إلى هذا البعد و الوجود المستقلّ وصفت تلك الأَشياء بالتقدّم و التأخّر.

و على ذلك فليس فى ذات الكائنات المادّية أىّ تقدّم أو تأخّر، أى ليست الكائنات المادية متقدّمة أو متأخّرة بالذات، بل قد استعارت وصف التقدّم و التأخّر من الزمان، لأَجل وقوعها فى هذا الظرف أو ذاك، بحيث لو حذفنا الزمان من صفحة الوجود لما وصفت تلك الكائنات المادية بالتقدّم و التأخّر.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۲۱

و هذا القول (أى وجود بعد مستقلّ، هويته نفس السيلان و الجريان، و ذاته عين التقدّم و التأخّر و هو فى حدّ نفسه وعاء للكائنات المادّية فهى واقعة فيه وقوع المظروف فى الظرف) و إن أجاب عن السؤال المطروح حول ملاك وصف بعض الكائنات بالتقدّم، و البعض الآخر بالتأخّر، إلّا أنّه ليس بمرضىّ عند الفيلسوف الإِسلامى الكبير «صدر الدين الشيرازى» الذى تعرّض له بالنقد بالبيان التالى: إنّ محصّل هذا القول هو: أنّ الزمان شىء و الكائنات شىء آخر، و ليس الزمان داخلًا فى جوهر الموجودات المادّية، واقعاً فى حقيقتها، و إنّما هو وعاء يقع العالم فيه، فبما أنّ لأَجزاء ذلك البعد تقدّماً و تأخّراً بالذّات وصفت الكائنات التى تقع فى ذلك الظرف بذلك الوصف استعارة و مجازاً، و عندئذٍ يُطرح السؤال التالى: لو كانت طبيعة الكائنات المادّية منزّهة بالذات عن الزمان، و عارية عنه بحسب ذاتها، استحال وصفها بالتقدّم و التأخّر على وجه الحقيقة، إذ على هذا يكون ذلك البعد السيّال المتقدّم بعضه و المتأخّر بعضه الآخر، خارجاً عن جوهر الكائنات و ذات هذا الكون، و يكون أمراً عرضيا لا يتجاوز عن كونه وعاءً و ظرفاً للكون و الكائنات، و عند ذلك فكيف يصحّ وصف تلك الكائنات بأنّها متقدّمة أو متأخّرة حقيقة، و الحال أنّ المتقدّم و المتأخّر فى الحقيقة هو وعاء هذه الكائنات و ظرف هذا الكون؟ أو ليست نسبة هذا الأَمر و إسناده إلى الظواهر المادية على هذا القول نسبة خاطئة و إسناداً مجازياً غير حقيقى، مع أنّ ما نجده هو خلاف هذا فإنّنا عند ما نصف كائناً بالتقدّم و آخر بالتأخّر و نسند إليهما هذين الوصفين، نفعل ذلك على وجه الحقيقة لا المجاز، أى أنّنا نعتبر التقدّم و التأخّر صفة لنفس الظاهرة حقيقة.

إنّ قولهم بأنّ التقدّم و التأخّر خارجان عن حقيقة الكائنات المادّية غير أنّها

تذكرة الأعيان، ص: ۳۲۲

يسند إليها التقدّم و التأخّر بالمجاز و العناية، يشبه وصف الجسم الذى لا يقبل الحرارة بأنّه حارّ حقيقة، أو الذى لا يقبل الاحتراق بأنّه محترق بالحقيقة.

فلو كانت الكائنات المادّية قارّة فى حقيقة ذاتها، ثابتة فى صميم طبيعتها، استحال أن توصف باللّاقرار و اللاإثبات، و التقدّم و التأخّر إلّا بالمجاز و العناية، و يكون وصفها من قبيل الوصف بحال المتعلّق «۱».

و لكن اتّصافها بالتقدّم و التأخّر، و التصرّم و الانقضاء، و المضىّ و الاستقبال، على الحقيقة، خير دليل على أنّ لهذا الوصف منشأ فى ذات الجسم و طبيعته، و حقيقة جوهرة.

و لأَجل ذلك نرى أنّ الموجودات الخارجة عن أُفق الزمان (كالمجرّدات) لا تقع فى نطاق الزمان و لا توصف به و لا توصف بالتقدّم و التأخّر «۲» أى لا تكون ضمن الزمان و لا معه بل هى خارجة عنه غير موصوفة به، و نسبتها إلى الزمان المتقدّم و المتأخر سواء.

و هذا بخلاف الكائنات المادّية فإنّ نسبتها إلى الزمان ليست على نحو واحد، ففيها المتقدّمات و فيها المتأخّرات على وجه الحقيقة لا المجاز.

و لأَجل ذلك يجب أن نقول: إنّ ملاك الوصف بالتقدّم و التأخّر، موجود فى نفس هويّات الكائنات و طبائعها، و أنّ لها هوية سيالة متقدّمة و متأخّرة.

و بعبارة أُخرى: إنّ مثل الكائنات المادية و نسبتها إلى الزمان مثل نسبتها إلى المكان، فكما أنّ البعد المكانى داخل فى هوية الكائنات

المادّية، بمعنى أنّ الجسم

---

(۱) مثل قولنا: زيد طويل ثوبه

(۲) و يشبه ذلك القوانين الرياضية مثل ۴ ۲+ ۲ فإنّ هذا الأمر نزيه عن الزمان و إن كان كلّ واحد من مصاديق هذه الأرقام أُموراً زمانية، و لكن تلك القاعدة الكلّية منزّهة عن الزمان مبرّأة من السيلان و هو أشبه شيء بالمجرّدات فى عالم الأعيان غير المادية.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۲۳

يمتدّ بذاته طولًا و عرضاً و عمقاً، فكذلك يوصف الجسم بالسيلان و الجريان (و إن شئت قلت: بالزمان) بالذات.

فكما أنّ الشيء إذا لم يكن بذاته قابلًا للتحيّز استحال استعارة المكان له من الخارج، كذلك إذا لم يكن قابلًا للزمان بذاته، استحال أن نستعير له الزمان من الخارج أيضاً.

فهذا الوصف أدلّ دليل على أنّ العامل لهذا هو نفس طبيعة الجسم غير القارة، و أنّ سيلان الجسم و تدرّجه لإقراره، هو منبع تولّد الزمان وصفه به.

و بعبارة أوضح: إنّ وصف الجسم بالمكان كما أنّه دليل على كونه ذا أبعاد ثلاثة (الطول و العرض و العمق) بالذات، كذلك وصفه بالزمان علامة على أنّ للأجسام و الكائنات المادية هذه بعداً رابعاً هو «الزمان».

فلو أنّ الفلاسفة أدخلوا الأبعاد الثلاثة فى حقيقة الجسم معرّفين له بأنّه ما يكون له أبعاد ثلاثة، فإنّ نظرية الفيلسوف «الشيرازى» فى الحركة الجوهرية تضيف إلى الجسم بعداً آخر هو البعد الزمانى، فلا بدّ من تعريفه بأنّ الجسم ما يكون ذا أبعاد أربعة: الطول و العرض و العمق و الزمان بمعنى السيلان و الجريان الذى هو عين التقدّم و التأخّر.

و بما أنّ حقيقة الجسم ذات تصرّم و سيلان، انتزع منه الزمان، و وصف بالتقدّم و التأخّر، و كان الزمان على هذا عجيناً بالجسم و جزءاً من جوهرة و بعداً رابعاً له إلى جانب الأبعاد الثلاثة الأُخرى.

فعلى هذا يجب أن يكون وجود الطبائع و الكائنات كوجود نفس الزمان فى السيلان و الجريان، و لا يكون لوجودها قرار و ثبات، بل يكون قرارها و ثباتها موتها و فناءها، كما أنّ قرار الزمان و ثباته عين فنائه و موته.

و إليك نصّ عبارة هذا الفيلسوف القدير فى هذا الصدد: «لا شبهة فى أنّ

تذكرة الأعيان، ص: ۳۲۴

كون الشيء واقعاً فى الزمان و فى مقولة «متى» سواء كان بالذات أو بالعرض هو نحو وجوده، كما أنّ كون الشيء واقعاً فى المكان و فى مقولة «أين» سواء كان ذلك الوقوع بالذات أو بالعرض هو نحو وجوده.

فإنّ العقل المستقيم يحكم بأنّ شيئاً من الأشياء الزمانية أو المكانية يمتنع بحسب وجوده العينى و هويته الشخصية أن ينسلخ عن الاقتران بهما و يصير ثابت الوجود، بحيث لا يختلف عليه الأوقات، و لا يتفاوت بالنسبة إليه الأمكنة و من جوّز ذلك فقد كابر مقتضى عقله، و عاند ظاهرُه باطنَه و لسانُه ضميرَه.

فإذن كون الجسم بحيث يتغيّر و تتبدّل عليه الأوقات و يتجدّد له المضى و الحال و الاستقبال ممّا يجب أن يكون لأمر صورى داخل فى قوام وجوده فى ذاته، حتى يكون فى مرتبة قابليته لهذه التجدّدات، غير متحصّلة الوجود فى نفس الأمر إلّا بصورة التغيّر و التجدّد» «۱».

و يقول أيضاً: «إنّ الزمان عند القوم ذا هوية متفاوتة فى التقدّم و التأخّر، و السبق و اللحوق و المضى و الاستقبال، و لكن الطبيعة عندنا كالزمان عندهم من غير تفاوت إلّا أنّ هذه هويّة جوهرية و الزمان عرض.

و الحقّ أنّ الهوية الجوهرية الصورية هى المنعوتة بما ذكرناه بالذات، لا الزمان، لأنّ الزمان عرض عندهم، و وجوده تابع لوجود ما

يتقدّر به،] لكنّ [الزمان عبارة عن مقدار الطبيعة المتجدّدة بذاتها من جهة تقدّمها و تأخّرها الذاتيّين كما أنّ الجسم التعليمى مقدار الطبيعة من جهة قبولها للَابعاد الثلاثة، فللطبيعة امتدادان و لها مقداران أحدهما: تدريجىّ زمانىّ يقبل الانقسام الوهمى إلى متقدّم و متأخّر

---

(۱) الاسفار: ۷ ۲۹۱- ۲۹۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۲۵

زمانيّين، و الآخر: دفعىّ مكانىّ يقبل الانقسام إلى متقدّم و متأخّر مكانيّين» «۱».

انظر أيّها القارىَ الكريم إلى هذه النظريّة التى وصل إليها الحكيم و الفيلسوف الكبير الشيرازى قبل أربعة قرون حيث صرّح بأنّ الأَجسام (أو ما سماها بالطبائع الجرمية) ذات أربعة أبعاد: الطول و العرض و العمق و الزمان، قبل أن يقف عليه أقطاب علماء الطبيعة فى هذا العصر.

و على ذلك تصير النتيجة بناءً على هذا البرهان أنّ وجود الأَجسام كالزمان الذى له وجود سيّال، غير قار الذات حتى لحظة واحدة، بل و يكون قراره: فناءَه، و سكونه: انعدامه، و على هذا تكون الكائنات المادّية سيّالة غير قارة يجرى وجودها، و يتدرّج على غرار جريان الزمان و سيلانه و ما ذلك إلّا لأَجل كون الطبيعة عجينة بالزمان، و لكون الزمان داخلًا فى هويّتها، فلا يمكن أن يختلفا فى الحكم.

ثمّ إنّ حكيمنا المؤَسّس خرج عن البحث بنتائج باهرة: الأولى: الزمان وليد حركة المادّة و سيلانها.

الثانية: الزمان مقدار حركة المادة.

الثالثة: حدوث العالم المادّى.

الرابعة: الحركة بحاجة إلى محرّك.

الخامسة: الحركة تلازم الغاية.

و قد استوفينا البحث فى هذه الغايات فى بعض محاضراتنا «۲».

---

(۱) الاسفار: ۱۴۰۳- ۱۳۹.

(۲) انظر «اللّه خالق الكون «: ۵۵۵۵۴۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۲۶

الأَصل السادس: فعلية كلّ مركّب بصورته لا بمادته

اشارة

قد ذكر قدَّس سرَّه فى إثبات المعاد الجسمانى و أنّ المعاد فى الآخرة و البدن الدنيوى، أُصولًا عشرة نشير إلى أصلين مهمّين هما دعامتان لما يرتئيه من إثبات المعاد الجسمانى فقال، حول الأَصل الأَوّل: إنّ كلّ مركب بصورته هو هو، لا بمادته فالسرير سرير بصورته لا بمادته، و السيف سيف بحدّته لا بحديدة، و الحيوان حيوان بنفسه لا بجسده، و إنّما المادة حاملة قوّة الشىء و إمكانه، و موضوعه انفعالاته و حركاته حتى لو فرضت صورة المركب قائمة بلا مادة لكان الشىء بتمام حقيقته موجودة.

و بالجملة نسبة المادة إلى الصورة نسبة النقص إلى التمام، فالنقص يحتاج إلى التمام و التمام لا يحتاج إلى النقص و كذلك الفصل

الأخير فى الماهيات المركّبة من الأجناس و الفصول كالناطق للإنسان، هو أصل الماهية النوعية، و سائر الفصول و الأجناس من اللوازم غير المجعولة لهذا الأصل فقد يقع فى تعريفه الحدّى و إنّما دخولها فى الحدّ بما هو محدود «۱».

و قال فى بيان الأصل الثانى: إنّ هوية البدن و تشخّصه إنّما يكونان بنفسه لا بجرمه، فزيد مثلًا زيد بنفسه لا بجسده، و لأجل ذلك يستمرّ وجوده و تشخّصه ما دامت النفس باقية فيه و إن تبدّلت أجزاؤه و تحوّلت لوازمه من أينه و كمّه و كيفه و وضعه و منتهاه كما فى طول عمره، و كذا القياس لو تبدّلت صورته الطبيعة بصورة مثالية كما فى المنام و فى عالم القبر و البرزخ إلى يوم البعث، أو بصورة أُخروية كما فى الآخرة، فإنّ الهوية الإنسانية فى جميع هذه التحوّلات و التقلّبات واحدة هى هى بعينها، لأنّها واقعة على سبيل الاتّصال الوحدانى التدريجى، و لا عبرة

---

(۱) الاسفار: ۹- ۱۸۷.

بخصوصيات جوهرية و حدود وجودية واقعة فى طريق هذه الحركة الجوهرية، و إنّما العبرة بما يستمرّ و يبقى و هى النفس لأنّها الصورة التمامية فى الإنسان التى هى أصل هويّته و ذاته، و مجمع ماهيته و حقيقته، و منبع قواه و آلاته، و مبدأ أبعاضه و أعضائه و حافظها ما دام الكون الطبيعى، ثمّ مبدّلها على التدريج بأعضاء روحانية، و هكذا إلى أن تصير بسيطة عقلية إذا بلغت إلى كمالها العقلى بتقدير ربّانى و جذبة إلهية.. «۱».

ثمّ إنّه استنتج من هذين الأصلين بضميمة الأصول الثمانية أنّ المعاد فى الآخرة، هو البدن الدنيوى و يقول: إنّ المُعاد فى المَعاد مجموع النفس و البدن بعينها و شخصها و إنّ المبعوث فى القيامة هذا البدن بعينه لا بدن آخر مباين له عنصرياً كان كما ذهب إليه جمع من الاسلاميين، و مثالياً كما ذهب إليه الاشراقيون «۲».

و على هذين الأصلين تتعلّق النفس بالبدن المثالى أو الأُخروى و يصدق عليه قوله سبحانه: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) «۳» لأنّ واقعية الإنسان بصورته لا بمادّته، بنفسه لا بمتعلّقه، فالنفس تحتاج إلى الجرم بغية اكتساب الكمالات.

أقول: إنّ الحكيم المؤسّس إنّما اختار ما اختار من تعلّق النفس بالبدن المثالى أو البدن الأُخروى الّذى هو أكمل من المثالى و لكنّهما غير البدن العنصرىّ الذى شهد الكتاب العزيز بعوده و بعثه، لأجل شبهتين طرأتا:

---

(۱) الاسفار: ۹- ۱۹۰.

(۲) المصدر نفسه: ۹- ۱۹۷.

(۳) يس: ۷۹.

الشبهة الأُولى: رجوع ما بالفعل إلى ما بالقوّة

إنّ تعلّق النفس بالبدن العنصرى يستلزم رجوعها عن الفعل إلى القوّة، فكما أنّ النفس بعد الانتقال عن المرتبة المعدنية إلى النباتية أو الحيوانية لا ترجع وراءها و إنّما تأخذ بالتكامل من الحيوانية إلى الإنسانية، فإنّ النفس بالموت تنتقل من عالم المادّة إلى عالم التجرّد، و من عالم العنصر إلى عالم القدس، فرجوعها إلى عالم المادة و تعلّقها بالبدن العنصرى يستلزم رجوع ما بالفعل إلى ما بالقوّة.

و بعبارة أُخرى: تعلّقه بالبدن العنصرى نحو انحطاط لها و تنزّل من درجة عالية إلى درجة دانية.

هذا و إنّ الشبهة مردودة بوجهين: الأوّل: فلأنّ صدر المتألّهين قد صوّب ذلك فى شرحه على الهداية الأثيرية قال: ثمّ اعلم، أنّ إعادة النفس إلى بدن مثل بدنها الذى كان لها فى الدنيا، مخلوق من سنخ هذا البدن بعد مفارقتها عنه فى القيامة كما نطقت به الشريعة من نصوص التنزيل و روايات كثيرة متضافرة لأصحاب العصمة و الهداية غير قابلة للتأويل، كقوله تعالى: (قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) «۱» (فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) «۲» (أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ. بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ) «۳» أمر ممكن غير مستحيل فوجب التصديق بها لكونها من ضروريات

---

(۱) يس: ۷۸ ۷۹

(۲) يس: ۵۱.

(۳) القيامة: ۳ ۴.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۲۹

الدين و إنكاره كفر مبين «۱».

و الثانى: إنّ خروج النفس من البدن بالموت لا يعنى صيرورتها أمراً بالفعل و مجرّداً تامّاً غير قابل لتعلّقها بالمادة، و ذلك لَانّ النفس و إن كانت فى وحدتها كلّ القوى و لكنّها فى عالم العقل عقل، و فى عالم النفس نفس، و فى عالم المثال خيال، و فى عالم الحسّ حسّ، و على ذلك فهو لا ينقلب عمّا هو عليه و لا يخرج عمّا كان له من القوّة، فعلى ذلك فالنفس تتعلّق بالبدن العنصرى بما فيه من القوّة الموجودة فى مرتبة الحسّ و تكون مدبّرة للبدن بما لها هذه الحقيقة.

هذا كما أنّ العقل الفعّال يدبّر ما دونه من العوالم المثالية و العنصرية و لا يستلزم تدبيرهما رجوع ما بالفعل إلى ما بالقوّة حيث إنّ له تعلّقاً بهما تعلّقاً تدبيريّاً، كذلك النفس تدبّر البدن العنصرى من دون أن تتنزل عن مقامها الشامخ.

الشبهة الثانية: شبهة التناسخ

و حاصل هذه الشبهة أنّ عود الروح إلى البدن العنصرى نوع من التناسخ، و التناسخ باطل لوجوه، منها: لزوم تعلّق نفسين ببدن واحد كما فى المقام فإنّ البدن المعاد مستحقّ لتعلّق النفس به من عالم الغيب و واهب الصور و موجد النفوس، فالقابل كامل فى القابلية كما أنّ الواهب كذلك فى الإفاضة فتتعلّق به النفس بلا تريّث، هذا من جانب.

و من جانب آخر، تعود النفس المفارقة و تتعلّق بذلك البدن كما هو المفروض فيلزم تعلّق نفسين ببدن واحد.

يلاحظ عليه: بأنّ التناسخ باطل و له أقسام قرّر فى محلّه، و لكن تعلّق النفس المفارقة بنفس البدن الدنيوى ليس من أقسام التناسخ و لا يستلزم تعلّق نفسين

---

(۱) شرح الهداية الأثيرية: ۳۸۱، ط ۱۳۱۳ ه.

ق.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۳۰

ببدن واحد، و ذلك أنّ إفاضة النفس من الواهب ليس على نحو الجبر و إنّما هو باختيار منه، فعدم إفاضة النفس على ذلك البدن لا ينافى كونه جواداً مطلقاً و إنّما ينافى إذا لم تتعلّق به النفس أبداً، و يكفى فى ذلك تعلّق النفس المفارقة بالبدن حتّى يتهيّأ للمثوبات الأُخروية أو العقوبات كذلك، و المادة الخارجية و إن كانت تنتهى إلى التجرد قهراً إذا وقعت فى صراط الحركة الجوهرية فيلزم

محذور تعلّق النفسين بالبدن الواحد، لكنّه فيما إذا كان البدن حصل الحركة و مخلوقاً بالتدريج لا ما إذا خلق دفعة واحدة كما هو الحال فى يوم البعث.

قال سبحانه: (حَتّى إِذا جاءَتْهُمُ السّاعَةُ بَغْتَةً) «۱».

و بذلك وقفت على أنّ الشبهتين ليستا على نحو يجرّ الحكيم إلى التصرّف فى الآيات الصريحة و الروايات القطعية و إجماع المسلمين على المعاد العنصرى، و لكن بما أنّ البدن الأُخروى و الحياة الأُخروية حياة لطيفة فلا يلزم من القول بالمعاد العنصرى رجوع الإِنسان إلى الدنيا بعد مفارقتها، و ذلك لأَنّ الحياة الأُخروية و إن كانت عنصرية لكنّها حياة رفيعة لا تنافى حكمته سبحانه.

هذه هى الأُصول المهمّة التى أسسها صدر المتألهين و هناك أُصول أُخرى نشير إلى عناوينها: الأَصل السابع: النفس جسمانية الحدوث روحانية البقاء الأَصل الثامن: اتّحاد العلّة مع المعلول حسب الحقيقة و الرقيقة.

الأَصل التاسع: النفس فى وحدتها كلّ القوى.

الأَصل العاشر: إنّ العلم ليس من قبيل الجوهر و العرض و إنّما هو نحو من الوجود.

---

(۱) الانعام: ۳۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۳۱

هذه هى الأصول العشرة فى كلام حكيمنا المؤَسس و له آراء و أفكار أُخرى يقف عليها من آنس بكتبه و عاش مع أفكاره.

كانت هذه إلمامة عابرة لسيرة صدر المتألّهين و كتبه و آثاره و الأُصول التى أسّسها.

فسلام اللّه عليه يوم ولد و يوم مات و يوم يبعث حيّاً

تذكرة الأعيان، ص: ۳۳۲

۱۴- السيد عبد الفتاح بن على الحسينى المراغى (المتوفّى عام ۱۲۴۶ ه)

دور الفقهاء فى الحفاظ على الدين و صيانته من الضياع

اشارة

«ألا إنّ الفقيه من أفاض على الناس خيره، و أنقذهم من أعدائهم، و وفر عليهم نعم جنان اللّه، و حصل لهم رضوان اللّه تعالى» «۱».

الامام على بن موسى الرضا عليهما السَّلام نفتتح هذا التقديم بهذا الحديث القيم المروى عن الامام على بن موسى الرضا عليهما السَّلام الذى قام بالحفاظ على الدين و صيانته من الضياع و الاندثار، فى عصر تراكمت فيه على الإِسلام شبهات الاعداء من كلّ جانب، و راجت فيه الأَفكار الشاذة المستوردة على أيدى الأَحبار و الرهبان الذين سربوا خرافاتهم و أباطيلهم إلى مختلف مجالات الثقافة الإِسلامية، و عرضوا بذلك أفكار المسلمين لمخاطر عقائدية و أخلاقية رهيبة، إلى درجة انّه تأثرت بها طوائف من المسلمين خاصة فى مجال أسماء اللّه و صفاته، و أحوال الأَنبياء و موقف البشر من أفعاله و أعماله.

---

(۱) الاحتجاج للطبرسى، كما فى البحار: ۲- ۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۳۳

فكان ذلك الامام الطاهر يمد بما أُوتى من علم جم، و مدد إلهى شبهاتهم و يبطل أقاويلهم ببياناته الشافية، و كلماته الرائعة التى سجلها التاريخ و حفظها فى ثناياه، و نقلها رواة الاخبار، و حفاظ الآثار.

على أنّ هـذا الـدور لم يكن مختصاً بالإمام الرضا- عليه السـلام- فحسب بل شـمل الأئمّـة الهـداة فى عهودهم، كل حسب الامكانيات المتاحة، و الظروف المهيّأة له.

و قد اقتدى بهم بعد عصـر الغيبة علماء الإسـلام و فى طليعتهم علماء الشيعة، إذ قاموا بصيانة الدين من إخطار الشبهات المقيتة و حفظه من كيـد التيارات المنحرفة، فكانوا بحقّ حفظة لدين اللّه و رعاة لكتابة و مصاديق بارزة لقوله- صـلى الله عليه و آله و سـلم-: «فى كلّ خلوف من أُمّتى عدول من أهل بيتى ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين، و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين» «۱».

و لم يكن جهد هؤلاء العلماء الافذاذ ليقتصر على علم دون علم، و مجال دون مجال، بل سلكوا سبل البرهنة و الاستدلال للحفاظ على أُصول الاعتقـاد، و المعارف الإسـلامية، كما بـذلوا جهوداً جبّارة فى حفظ آثار النبى- صـلى الله عليه و آله و سـلم- و أحاديثه، و على صعيد آخر عملوا على إقامة صـرح التشـريع الإسـلامى فى كلّ عصر و مصر، باذلين جهوداً كبرى فى سبيل تنميته، و تعميقه، بغية تلبية كافة الاحتياجات المستجدة.

فكانوا بحق حصوناً للدين، و أُمناء على الشـريعة، يخدمون الإسلام، و يربون الجهابذة من العلماء، و يحذرون قومهم بعد أن تفقهوا فى الدين و يبصرونهم بالشريعة بعد أن استوعبوها جيداً.

فإذا كان الدين الإسلامى عقيدة و شريعة، و الشريعة هى الثمرة العملية

---

(۱) دعائم الإسلام: ۱- ۸۱ كما فى مستدرك الوسائل: ۱۷- ۳۱۲؛ و ذخائر العقبى ۱۷؛ و الصواعق ۱۴۱ مع اختلافات يسيرة.

للعقيـدة، بل تجسـيد حىّ و صادق لها فى واقع الحياة، و إبقاء عليها فى أعماق الفكر و الضـمير، إذ العقيـدة بلا تطبيق للشـريعة تتعرض للزوال شيئاً فشيئاً إلى أن لا يبقى أثر لها و لا خبر، كانت العقيدة هى الأُخرى ذات تأثير على سلوك الإنسان و نمط حياته.

و صـفوة القول أنّ العقيـدة و الشـريعة يشـكلان معاً حقيقـة الدين الإسـلامى، و كما أنّ للعقيدة أثراً فاعلًا فى سـلوك الإنسان، كذلك التعبد العملى بالشريعة و القيام بالواجبات و الفرائض الدينية يوجب ترسيخ العقيدة، و تجذيرها فى العقول و النفوس.

الاجتهاد سر خلود الدين:

عقيـدة و شـريعة إنّ ممّا لا يقبل الإنكار أنّ بقاء الـدين فى كلا حقليه العقائـدى و التشـريعى، إنّما هو نتيجـة الجهود المبذولة فى سبيل صقل العقيدة، و تنمية الشـريعة، فلو كان المسلمون يقتصرون على أخذ ما وصل إليهم عن طريق الوحى من دون تكرير و تقرير، و من دون تدبر و إمعان، و بحث و نقاش لزال الدين و اندرس و لم يبق منه خبر و لا أثر.

و لقـد كان سـيدنا الأُسـتاذ الامام الخمينى قدَّس سرَّه يقول فى خلال أبحاثه و دروسه: لقد كانت البحوث و المناقشات العلمية الدائرة بين العلماء هى أحد العوامل التى ساعدت على بقاء الشريعة، و رسوخ العقيدة.

و كان يضـيف قائلًا: و لو أنّ أحد الأَئمّة قدم الواجبات و المحرمات مدونة فى كتاب إلى الأُمّة، و حذّر الناس من البحث و المناقشة، و التدبّر و التأمّل فى ذلك المكتوب، لمات الدين و اندثرت الشريعة.

و قال المحقّق الكبير شـيخ الشريعة الأصفهانى: إنّ عدم محاباة العلماء بعضهم لبعض من أعظم المزايا التى أعظم اللّه بها النعمة عليهم، حيث حفظهم

عن وصمة محاباة أهل الكتابين المؤَدية إلى تحريف ما فيها، و اندراس تينك الملتين، فلم يتركوا لقائل قولًا فيه أدنى دخل إلّا بينوه، و لفاعـل فيه تحريف إلّا قوّموه، حيث اتضـحت الآـراء، و انعـدمت الأَهواء، و دامت الشـريعة البيضاء على ملء الآفاق بأضوائها، و شـفاء

القلوب بها من أدوائها، مأمونة عن التحريف، مصونة عن التصحيف «۱».

الثروة الفقهية عند الشيعة

تعد الثروة الفقهية الهائلة عند الشيعة من أعظم الثروات العلمية الإسلامية التى أنتجتها جهود كبار الفقهاء من عصر الأئمّة إلى يومنا هذا، تلك الجهود التى بذلوها ليل نهار فى سبيل تنمية الشريعة، و إغناء الأُمّة عن كلّ ما سوى الكتاب و السنّة، فازدهر على أثر ذلك فقه الشيعة فى مختلف المجالات و المستويات و الفروع التى تطورت عبر الزمن تطوراً عظيماً، مع الأخذ بنظر الاعتبار عنصرى الزمان و المكان.

أنّ مدخلية عنصرى الزمان و المكان فى استنباط الأحكام الشرعية من الأُمور الواضحة التى لا يمكن لفقيه واع تجاهله و إنكاره.

فحرمة بيع الدم مثلًا كانت أمراً مسلماً بين الفقهاء سابقاً، لأنّ الغاية من ورائه هو الأكل و الشرب كما هو المتبادر من قوله تعالى: (إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ) «۲».

و لكن لما أثبتت الحضارة الحديثة للدم فوائد أُخرى حيوية غير الأكل و الشرب و تغير الموضوع، تغير بتبعه الحكم، و قس عليه غير الدم ممّا قلبته

---

(۱) شيخ الشريعة الأصفهانى: ابانة المختار: ۵.

(۲) البقرة: ۱۷۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۳۶

الحضارة الصناعية من فقدان المنفعة المحلّلة إلى وجدانها، و هذا هو المراد من مدخلية العنصرين: الزمان و المكان فى تغير الحكم و تبدل الحكم لأجل تبدل مصداق الموضوع، و كم له من نظير فى الفقه الإسلامى، إذا نظرنا إليه بدقة و إمعان، فما أكثر القيميات صارت مثليات كالأوانى.

و من أراد أن يلمس مدخلية عنصرى الزمان و المكان بالمعنى الذى ذكرناه، فعليه أن يقارن بين ما كتبه والد الصدوق (المتوفّى ۳۲۹ ه) فى كتاب الشرائع، و الصدوق (۳۰۶ ۳۸۱) ه فى المقنع و الهداية، و الشيخ الطوسى (۳۸۵ ۴۶۰ ه) فى أوائل نشاطه الفقهى الاجتهادى فى كتاب «النهاية» و بين ما كتبه المحقّق صاحب الشرائع (المتوفّى ۶۷۶ ه) و العلّامة الحلى (۶۴۸ ۷۲۶ ه) و ما أنتجه يراعه كالتحرير، و التذكرة، و ممن جاء بعدهما كالشهيدين و المحقّق الثانى، فإنّه يرى بوناً شاسعاً و فرقاً كبيراً.

و ما هذا إلّا لمدخلية الزمان و المكان فى العملية الفقهية و الحركة الاستنباطية.

و لهذا نرى الفقه الشيعى المعاصر كالجواهر للشيخ محمد حسن النجفى (۱۲۰۰ ۱۲۶۶ ه)، و المتاجر للشيخ الأنصارى (۱۲۱۲ ۱۲۸۱ ه) و ما صنف بعدهما فى القرن الرابع عشر على أيدى جهابذة الفقه، يتمتع بآفاق أوسع، و أبعاد أعمق.

القواعد الفقهية فى فقه الشيعة

و لقد أثر عن أئمّة أهل البيت- عليهم السلام- أنّهم كانوا يلقون على أصحابهم أُصولًا و قواعد و يأمرونهم بالتفريع على ضوئها، فها هو الامام الصادق- عليه السلام-، يقول: «إنّما علينا إلقاء الأصول و عليكم التفريع» «۱».

---

(۱) الحرّ العاملى: وسائل الشيعة: ج ۱۸، الباب ۶ من أبواب صفات القاضى، الحديث ۵۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۳۷

و يقول الامام الرضا- عليه السلام-: «علينا إلقاء الأصول و عليكم التفريع» «۱».

و قد كانت هذه الأصول تسمى بالأُصول المتلقاة عن الأَئمّة- عليهم السلام- «۲».

و لقد ظهر على ضوء هذه الأصول لون جديد من الفقه عند الشيعة سمّى فيما بعد بالقواعد الفقهية حيث أُلّفت حولها كتب و مصنفات كثيرة.

و ممن عرف باهتمامه بهذا النمط من الفقه: الشهيد السعيد محمد بن مكى المعروف بالشهيد الأَوّل (۷۳۴ ۷۸۷ ه)، حيث ألّف كتاب «القواعد».

ثمّ جاء بعده تلميذه الفاضل المقداد (المتوفّى ۸۰۸ ه) فرتب هذه القواعد فى كتاب أسماه «نضد القواعد الفقهيّة» و كان بحق ترتيباً باهراً.

و توالت حركة التأليف على هذا المنوال فيما بعد على يد العالم الفاضل الشيخ محمد باقر اليزدى الحائرى الذى توفى فى مطلع القرن الرابع عشر، و منهم السيد الأَجل السيد مهدى القزوينى المتوفّى سنة ۱۳۰۰ ه.

إلى غير ذلك ممن ألّفوا فى هذا المضمار.

و ممّن خطا على هذا النهج: الفقيه الكبير و المحقّق البارع السيد عبد الفتاح المراغى (قدّس اللّه سرّه).

فقد قام المحقّق المذكور بتأليف كتاب فى هذا المجال، و قال فى مقدمته: و هذه عناوين الأصول المتلقاة التى أمرنا أن نفرع عليها، و قوانين الفصول التى ينبغى أن يستند إليها، امتثالًا لأَمر الملك المنّان، و قضاءً لحقّ الاخوان من أهل الإِيمان، مراعياً فى ذلك كلمة الأَصحاب، و الذين هم أهل الديار المتّصلون بأهل

---

(۱) الحرّ العاملى: وسائل الشيعة: ج ۱۸، الباب ۶ من أبواب صفات القاضى، الحديث ۵۲.

(۲) و كان السيد الأُستاذ، السيد حسين البروجردى (۱۲۹۲ ۱۳۸۰ ه) يقسم الفقه الموروث إلى الأصول المتلقاة و المسائل التفريعية، و كان هذا التقسيم كثير التداول على لسانه و فى درسه الشريف، و كان يرى لهذا القسم مكانة خاصة لا يحظى بها القسم الثانى.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۳۸

بيت الحكمة و الأَسرار، راجياً من اللّه أن يجعلها كلمة باقية، و تعيها أُذن واعية «۱».

ترجمة المؤَلّف

اشارة

إنّ خير ما يعرّف شخصية المترجم له، ما تركه من آثار علمية و خلفه من تلامذة جهابذة.

فالجهود التى بذلها المترجم له فى هذين الحقلين، دليل واضح و قاطع على انّه كان رجل علم و تحقيق، و همة و براعة، و لذلك ترك فى مجال العلم و الفقه آثاراً و قدم للأُمّة الإِسلامية فطاحلًا.

و يكفى للوقوف على هذه الحقائق أن نلقى نظرة عابرة على كتاب «العناوين» و هو نموذج واحد ممّا انتجه فكر هذا المحقّق البارع و دبجه يراعه الشريف، إذ انّنا نرى فى هذا المؤَلف أفكاراً جديدة و آراء سديدة و براعة مشهودة فى التفريع على الأصول المتلقاة، قلما نجد نظيرها فى ما سواه من المؤَلفات المشابهة.

و يكفيك أنّ هذا الكتاب هو أحد المصادر التى استند إليها الشيخ الأَنصارى فى أبحاثه حول أحكام البيع و الخيارات و احتج بآرائه،

كما اهتم بآرائه، معاصروه نظير الشيخ أحمد النراقى مؤَلف «العوائد»، و كأنّ العلمين كانا كوكبين زاهرين فى مجال هذا النوع من التأليف.

على أنّ كتاب «العناوين» جاء على غرار كتاب «العوائد» تأليفاً و تنسيقاً، و إن كان الفضل لصاحب العوائد لسبقه فى هذا الميدان، و قد نقل عنه مؤَلفنا فى موارد عديدة.

---

(۱) مقدمة كتاب «العناوين» للسيد عبد الفتاح المراغى.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۳۹

كلمات الاعلام فى حقّ المؤَلّف

يقول المحقّق الطهرانى فى موسوعته حول طبقات الشيعة: هو السيد عبد الفتاح بن على الحسينى المراغى المتوفّى عام ۱۲۴۶ ه، و يصفه بقوله: فقيه كبير و عالم جليل، كان من الأَجلّاء الأَعلام و الحجج العظام «۱».

و يصفه سيد أعيان الشيعة فى موسوعته بقوله: «الفقيه النجفى، ثمّ يذكر مشايخه و آثاره العلمية» «۲».

و يعرفه شيخنا المدرس فى كتابه و يصفه بقوله: المتبحّر فى الفقه و الحديث «۳».

و قد أطراه الباحث العلّامة جعفر الشيخ باقر آل محبوبه و يصف أثره المعروف، بقوله: إنّ كتابه هذا مشحون بالتدقيق و التحقيق «۴».

نظير سائر ما يذكره المترجمون فى حقّه و شأنه رحمه اللّه.

أساتذته

لقد تخرج المترجم له على يد لفيف من علماء النجف الأَشرف، منهم: ۱- الشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء (المتوفّى ۱۲۴۱ ه) الذى تخرّج عليه كثير من العلماء المشاهير، الذين حازوا الرئاسة الدينية و الزعامة العلمية، نظير: الشيخ محمد شريف العلماء (المتوفّى ۱۲۴۶ ه) و السيد إبراهيم

---

(۱) الطهرانى: الكرام البررة: ۲- ۷۵۵ رقم الترجمة ۱۳۹۴.

(۲) السيد الأَمين: أعيان الشيعة: ۸- ۳۱.

(۳) المدرس التبريزى: ريحانة الأَدب: ۳- ۳۷۹.

(۴) جعفر الشيخ باقر آل محبوبه: ماضى النجف و حاضرها: ۳- ۱۶۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۴۰

صاحب الضوابط (۱۲۱۴ ۱۲۶۲ ه).

۲- الشيخ على بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء (المتوفّى ۱۲۵۱ ه) الذى كان يحضر مجلس درسه ما يزيد على الالف من فضلاء العرب و العجم «۱».

إلى غير ذلك من كبار العلماء من مشايخه العظام.

آثاره العلمية

ترك المترجم له مؤَلفات قيمة هى كالتالى: ۱- العناوين، و قد عرفت مكانته.

و الحقّ أنّه كتاب مشحون بالتدقيق و التحقيق، اللّذين يعرفهما كل من سبر غوره.

و قد فرغ منه سنة ۱۲۴۶ ه كما جاء فى آخر الكتاب، إذ يقول: وقع الفراغ من تصنيف هذه النسخة بيد مؤَلفها المفتقر إلى رحمة اللّه، المتحسر على ما فرط فى جنب مولاه: عبد الفتاح بن على المراغى الحسينى فى عصر اليوم الثامن و العشرين من شهر رمضان المبارك من سنة ست و أربعين بعد ألف و مائتين من الهجرة النبوية على مهاجرها السلام و التحية، فى أرض الغرى مشهد أمير المؤمنين على- عليه السلام- لا فرّق اللّه بينى و بينه فى الدارين.

و الكتاب مرتب على أربعة و تسعين عنواناً، ابتدأ العنوان الأَوّل بالكلام فى أدلّة اشتراك التكليف مورداً و دليلًا و بين المراد بقضايا الأَحوال، و ختم الكتاب بالعنوان الرابع و التسعين طرح فيه، الأَصل المحكم فى فعل المسلم أعنى: الصحّة و ذكر أدلّتها و عقبها بحل الشبه، و جعل للكتاب خاتمة بحث فيها عن القاعدة المعروفة فى الرضاع من أنّه كالنسب.

---

(۱) ماضى النجف و حاضرها: ۳- ۱۶۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۴۱

و فى العنوان الرابع و السبعين بحث قيم عن ولاية الفقيه و ضبط مواردها و الإِشارة إلى ثمراتها.

و أنت ترى فى غضون الكتاب، عناوين لعدة من القواعد الفقهية التى هى بحاجة إلى بحث ضاف، و كلام حاسم.

فالكتاب مصباح الفقيه، و حجّة المجتهد، و وسيلة المستنبط.

إنّ شيخنا المجيز، المحقّق الطهرانى يذكر انّ الكتاب تقرير لبحث أُستاذيه العلمين الجليلين المذكورين، و قد تبعه فى ذلك مؤَلّف «ماضى النجف و حاضرها» و لكننا لم نجد فى نفس الكتاب ما يشير إلى ذلك حسب.

و قد طبع هذا الكتاب بالطبعة الحجرية مرّة فى تبريز عام ۱۲۷۴ ه.

ق، و أُخرى عام ۱۲۹۷ ه.

۲- مباحث الأَلفاظ فى فن الأصول فى مجلد واحد.

۳- الخيارات.

۴- الإِجارة.

۵- الغصب.

۶- تعليقات على الشرائع.

۷- تعليقة على اللمعة الدمشقية.

۸- رسالة فى الموثقين، ذكر فيها ما يقرب عن خمسين رجلًا ممن قطع بوثاقتهم باجتهاده.

۹- رسالة فى عمل الدائرة الهندية «۱».

---

(۱) لاحظ الذريعة فى مختلف مواضعها، و الكرام البررة: ۲- ۷۵۵، و مصفى المقال: ۲۳۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۴۲

و يذكر شيخنا المجيز الطهرانى أنّ هذه الكتب و المؤلفات توجد فى مكتبة الشيخ هادى كاشف الغطاء فى النجف الأَشرف، و يظهر من مجموعها أنّ مؤَلفها كان من حجج العلم الإثبات «۱».

عصره

لقد تميّز عصر المترجم بانكماش الاتجاه الاخبارى، بعد ازدهاره، أثر جهود العالم الكبير المجتهد البهبهانى (۱۱۱۸ ۱۲۰۸ ه) الذى واجه ذلك الاتجاه بحزم و قوّة، و قام بجهد كبير فى توعية الأُمّة، و تحذيرها من مغبة الوقوع فى شراك هذا الاتجاه.

ترك المسلك الاخبارى، مضاعفات خطيرة على الفقه أسفرت عن عرقلة نشاطه الاستنباطى فقامت سلسلة من المحاولات داخل الكيان الفقهى الشيعى للحد من نشاطه.

و لهذا كان تأليف المترجم للكتاب الحاضر و نظائره خطوة مباركة و جبارة فى سبيل تصعيد نشاط العملية الاستنباطية و الحركة الاجتهادية، و دعمها بالأُسس الرصينة و القواعد المتينة.

---

(۱) الكرام البررة: ۲- ۷۵۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۴۳

۱۵- مرتضى بن محمد أمين التسترى الشيخ الأَنصارى (۱۲۱۴- ۱۲۸۱ ه)

الشيخ الأَنصارى رائد النهضة العلمية الحديثة

اشارة

ارتحل النبىّ- صلى الله عليه و آله و سلم- و قد خلّف فى أُمّته الثقلين و الوديعتين العظيمتين، و هما الكتاب و العترة، و أمر بالتمسّك بهما إلى يوم القيامة، و قال: «إِنِّى تارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَين: كِتاب اللّه و عِترتى ما إِن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدى أبداً».

و لقد بلغ إيصاء الرسول- صلى الله عليه و آله و سلم- بالكتاب و أهل بيته- عليهم السلام- من الاستفاضة بل التواتر بين الأُمّة مبلغاً لا ينكره إلّا مكابرٌ للحقيقة، و معاندٌ للحقّ، و الحديث يعرب عن حقيقةٍ ناصعة، و هى أنّ الملجأ للأُمّة الإِسلاميّة فى حلّ المشاكل و المعضلات، بعد النبىّ- صلى الله عليه و آله و سلم- هو الكتاب و العترة.

و قد قامت العترة الطاهرة فى الظروف التى أُتيح لها الإِجهار بالحقيقة، بتفسير الكتاب الكريم، و بيان فرائضه و مندوباته، و تبيين متشابهه و معضلاته، كما قامت بنشر سنّة النبىّ- صلى الله عليه و آله و سلم-، كلٌّ ذلك عند سنوح الفرص.

لقد تعلّقت مشيئة اللّه النافذة بانبثاق أنوار الهداية من هذه

تذكرة الأعيان، ص: ۳۴۴

البيوت الرفيعة «۱» فى هذه الظروف القاسية، حتّى تخرج من جامعتهم العديد من المحدّثين و الفقهاء ممّن بلغوا الذروة و القمّة فى علم الشريعة و فهم الكتاب، و قد سُجِّلت أسماؤهم و حياتهم فى معاجم الرجال و كتب التاريخ، كيف و قد أدرك الحسن بن علىّ بن زياد الوشّاء الكوفى من أصحاب الإِمام الرضا- عليه السلام- فى عصرٍ واحد (۹۰۰) رجل فى مسجد الكوفة كلّهم يقولون: حدّثنى جعفر بن محمّد و قد أحصى الشيخ أبو العبّاس بن عقدة (المتوفّى ۳۳۳ ه) الثقات من أصحاب الإِمام الصادق- عليه السلام- فبلغوا أربعة آلاف «۲».

و قد قامت الشيعة الإِماميّة فى تلك العصور بتدوين كلّ ما أُثِر عن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم- عن طريق الصحابة العدول و التابعين الثقات فى كتب الحديث، كما قاموا بتسجيل أحاديث العترة فى مجالى العقيدة و العمل و بذلك قدّموا إلى الأُمّة الإِسلاميّة خدمةً جليلةً، مشكورة، كيف لا، و قد قاموا بذلك فى عصر عدت فيه كتابة الحديث عملًا إجراميّاً يُعاقَب عليه فاعله، و كانت كتب

الحديث تُحرق على رءوس الاشهاد «۳».

و لقد اهتمّوا بتسجيل أحاديث العترة بإيصاءٍ من النبيّ- صلى الله عليه و آله و سلم- و لكون أقوالهم و أفعالهم برمّتها حاكيةً عن قول الرسول و فعله، فهم لا يقولون إلّا بما قاله الرسول صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم و لا يصدرون إلّا عمّا صدر عنه.

و قد روى سماعة عن الامام الطاهر موسى الكاظم- عليه السلام- قال: قلت

---

(۱) اقرأ تفسير قوله سبحانه: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ..) (النور: ۳۶)، فى «الدرّ المنثور» للحافظ جلال الدين السيوطى.

(۲) رجال النجاشى «ترجمة الحسن الوشّاء» رقم: ۸۰، و قد لقى الرضا- عليه السلام فى خراسان، فيكون وفاته بعد المائتين من الهجرة.

(۳) تقييد العلم، للخطيب البغدادى: ۵۲.

له: أ كلُّ شىء فى كتاب اللّه و سنّة نبيّه أو تقولون فيه؟ «۱» قال: «بل كلّ شىء فى كتاب اللّه و سنّة نبيّه» «۲».

فجامعة العترة الطاهرة هى جامعة الكتاب العزيز و السنّة النبويّة، فهم ورّاث الكتاب «۳» فلا يحتجّ به فى مجال الفقه و الأحكام إلّا بعد الرجوع إلى أحاديثهم، إذ عندهم مخصِّصُ الكتاب و مقيّده، كما هم ترجمان السنّة و خزنتها، و لأجل ذلك جعلهم الرسول قرناء الكتاب و أعداله، و أسباباً للهداية، و الصيانة عنالضلالة و الغواية.

و لم يكن عمل الشيعة فى مجال ضبط الحديث و تقييد العلم، إلّا اقتداءً بإمامهم أمير المؤمنين- عليه السلام- حيث إنّه صلوات اللّه عليه قام بضبط ما أملى عليه رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم- من الأحكام الكثيرة و تبعه فى ذلك أصحابه و تلاميذه و شيعته، و هذا «أبو رافع» خازن الأمير- عليه السلام- صنّف كتاب السنن و الأحكام، و القضايا، و هذا علىّ ابن أبى رافع كاتب الامام علىّ عليه السلام- صنّف كتباً فى فنون من الفقه «۴».

و لقد استمرّ تقييد العلم و ضبط الحديث بين الشيعة من حياة الرسول إلى غيبة الإمام الثانى عشر فألّفوا فى الحديث، جوامع كبرى معروفة عندهم بالجوامع الأوّليّة، ثمّ تلتهم طائفة أُخرى بعد الغيبة فألّفوا الجوامع الثانويّة المعروفة بالكتب الأربعة، و بذلك حازت الشيعة قصب السبق فى مضمار تدوين الحديث الشريف، كما و قدّموا بذلك إلى الاجيال المتلاحقة خدمةً جليلة، و حفظوا سنّة

---

(۱) أى تقولون فيه بقولكم.

(۲) الكافى: ۱- ۶۲، الحديث ۱.

(۳) لاحظ تفسير قوله سبحانه: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) (فاطر: ۳۲).

(۴) رجال النجاشى، برقم ۱ و ۲.

الرسول من الاندراس و الزوال، و امتثلوا قول صادقهم: «احتفظوا بكتبكم فإنّكم سوف تحتاجون إليها» «۱».

الاجتهاد فى عصر الباقرين عليهما السَّلام

لم يكن الهدف من تخريج الأحاديث و ضبطها و تسجيلها فى الجوامع، هو نقلها بحرفيّتها فقط، من دون إمعانٍ و دقّة فى الأصول الكلّيّة المتلقّاة من الأئمّة، بل كان الرواة بين راوٍ حافظٍ لمتن الحديث و سنده، و راوٍ واعٍ يردُّ الفروع إلى الأصول المرويّة و يُفتى الناس بما فهم من كلامهم و أحاديثهم عليهم السلام- امتثالًا لقول الإمام الصادق- عليه السلام-: «إنّما علينا أن نُلقى إليكم الأصول و عليكم أن تُفرّعوا» «۲».

و قال الامام الرضا- عليه السلام-: «علينا إلقاء الأصول و عليكم التفريع» «۳».

و ليس التفريع إلّا استخراج الفروع من الأصول الكلّيّة و تطبيق الكُبريات على الصغريات، و لا يعنى من الاجتهاد إلّا هذا.

و هـذه الروايات و أضـرابها التى لو أراد الباحث أن يجمعها لكلّفه ذلك تأليف رسالـةٍ مفردةٍ فى ذلك المجال تعرب عن وجود عملية الاجتهاد و الإفتاء فى عصر الباقرين و بعده لو لم نقل بوجودها قبله.

كيف لا و قد قال أبو جعفر الباقر- عليه السلام- مخاطباً أبان بن تغلب: «اجلس فى مسجد المدينة و أفت الناس فإنّى

---

(۱) الكافى: ۱- ۵۲، الحديث ۱۰- و بهذا المضمون أحاديث أُخَر، فراجع.

(۲) وسائل الشيعة ۱۸: ۴۰، الحديث ۵۱ من الباب السادس من أبواب صفات القاضى.

(۳) وسائل الشيعة ۱۸: ۴۰، الحديث ۵۲ من الباب السادس من أبواب صفات القاضى.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۴۷

أُحبّ أن يُرى فى شيعتى مثلك».

و قد توفى «أبان» «۱» فى سنة ۱۴۱ ه قبل وفاة الامام الصادق- عليه السلام- بسبع سنين.

كان الأَئمّة- عليهم السـلام- يقومون بدور تعليم كيفيّة التفريع على الأصول و اسـتخراج الاحكام من الكتاب و السـنّة لأَصحابهم، فهذا هو الامـام البـاقر عليه السَّلام يُجيب «زرارة» بعـد مـا سـأله بقوله: «من أين علمت أنّ المسـح ببعض الرأس؟»، بقوله بعـد كلام طويـل: «لمكان الباء فى قوله سبحانه: (وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ)» «۲».

و هذا هو عبد الأَعلى مولى آل سام سأل الإمام الصادق- عليه السـلام- و قال: عثرت فانقطع ظفرى و جعلت على إصبعى مرارة فكيف أصـنع بالوضوء، قال: يعرف هـذا و أشـباهه من كتاب اللّه عزّ و جلّ، قال اللّه تعالى: (وَ مٰا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) «۳»، امسح عليها «۴».

إلى غير ذلك من الأَحاديث العديدة التى قام الأَئمّة- عليهم السلام- فيها بتعليم خريجى مدرستهم طريقة الاجتهاد، و كيفيّة الاستدلال و اسـتنباط الأصول من الفروع، و لم يكن موقفهم فى هذا المقام إلّا موقِفَ المعلِّم المرشِد الذى يقوم بوظيفة إرشاد المتعلّم إلى دلائل المطلب و براهينه و قد جمعنا قسماً من هذه الأَحاديث فى موسوعتنا القرآنيّة عند البحث عن الخاتميّة «۵».

و على ضوء هذا، فالاجتهاد بمعناه الوسيع هو: إعمال الدقّة و النظر فى

---

(۱) رجال النجاشى برقم ۷.

(۲) وسائل الشيعة ۱: ۲۹۰، الباب ۲۳ من أبواب الوضوء، الحديث ۱- و الآية ۶ من سورة المائدة.

(۳) الحجّ: ۷۸.

(۴) وسائل الشيعة: ۱- ۳۲۷، الباب ۳۹ من أبواب الوضوء، الحديث ۵.

(۵) مفاهيم القرآن: ۳ ۳۱۰- ۳۰۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۴۸

الروايات، و ترجيح بعضـها على بعض، كان موجوداً و معمولًا به فى عصـر الأَئمّة عليهم السلام- بعد وفاة النبىّ- صلى الله عليه و آله و سلم-.

نعم كلّما بَعُـدَ العهـد عن زمن الرسالـة و تكثّرت الآراء و الأَحاديث و الروايات، و دخل فيها الدسُّ و الوضع، و توفّرت دواعى الكذب فيها، أخـذ الاجتهاد و معرفة الحكم الشـرعى يصـعب و يحتاج إلى مزيدٍ من المئونة، و اسـتفراغ الوسع، و لأَجل ذلك ترى بوناً شاسعاً

بين الاجتهاد الرائج فى عصر الأئمّة من بعد الغيبة بقرنٍ أو قرنين، و الاجتهاد الرائج فى هذه الأعصار، و الجيلان يشتركان فى بذل الجهد فى استنباط الاحكام عن أدلّتها الشرعيّة، و يفترقان فى أنّ الاجتهاد بعد عصر الرسالة إلى قرون، كان خفيف المئونة لقرب العهد و توفّر القرائن، و الاستغناء عنه فى كثير من الموارد، لإمكان السؤال المفيد للعلم، بخلافه فى العصور المتأخّرة حيث اتّخذ الاجتهاد لأجل بُعد العهد لنفسه صفة فنّيّة فلا يمكن أن يقوم به إلّا الأمثل فالأمثل من الواعين المتدبّرين فى الكتاب و السنّة، حتّى لا يعمل بالعامّ فى مكان الخاصّ.

و لا بالمطلق عند وجود المقيّد، و لا بالأصل العملى عند وجود الدليل الاجتهادى، و لا بالدليل المرجوح عند وجود الراجح، إلى غير ذلك من الخصوصيّات التى فرضها بُعدنا عن عهد المعصومين.

و هذا إن دلّ على شىء فإنّما يدلّ على أنّ الاجتهاد ليس من البدع المحدثة، فقد كان بابه مفتوحاً على مصراعيه فى وجه العلماء منذ زمن قديم.

الاجتهاد رمز خلود الدين

إنّ التشريع الإسلامى تشريع خالد، و قد أغنى البشر عن كافة التشريعات غير الإلهيّة، هذا من جانب، و من جانبٍ آخر كلّما تكاملت نواحى الحضارة،

تذكرة الأعيان، ص: ۳۴۹

و تشابكت و تعدّدت ألوانها، و واجه المجتمع أوضاعاً جديدة و قضايا مستحدثة، و طرحت عليه مشاكل طارئة لا عهد للأزمنة السابقة بها؛ ازدادت حاجة المجتمع إلى قوانين و تشريعات جديدة و لم تزل تتزايد هذه الحاجة يوماً بعد يوم تبعاً لذلك.

فما هو العلاج؟ و كيف يجمع بين هذين الأمرين الثابتين؟ أ يصحّ لمسلم الخضوع لتشريعات بشريّة لا تمت إلى تشريع السماء بصلة؟ أو أنّه لا مناص له من بذل الجهود فى الكتاب و السنّة حتّى يقف على حكم هذه القضايا المستجدة من هذين المصدرين الاسلاميّين المهمّين، كيف لا، و قد أخبر سبحانه عن اكتمال الدين عند ما قرب عهد لحوق النبىّ- صلى الله عليه و آله و سلم- بالرفيق الأعلى، قال سبحانه: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً) «۱».

إنّ خلود التشريع و بقاءه فى جميع الاجيال، و استغناءه عن كلّ تشريع سواه، يتوقّف على أن يكون التشريع ذا مادّة حيويّة خلّاقة للتفاصيل، بحيث يقدر معها علماء الأُمّة على مواكبة الزمن باستنباط كلّ حكم يحتاج إليه المجتمع الإسلامى فى جميع الأعصار.

و لأجل ذلك يجب أن يكون باب الاجتهاد مفتوحاً ليتسنّى للحاكم الإسلامى الوقوف على حكم الموضوعات الحديثة بذلك فيحفظ للدين طراوته، و يصونه عن الاندراس، و بالتالى يُغنى المسلمين عن التطفل على موائد الأجانب بإعطاء كلّ موضوعٍ ما يقتضيه من حكم، و لا أظنّ أنّ أحداً يشكّ فى لزوم الاجتهاد فى أصل المذهب و انفتاحه فى جميع الأعصار إذا ما فتح عينيه على كثيرٍ من الموضوعات التى طُرحت اليوم على صعيد التشريع

---

(۱) المائدة: ۳.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۵۰

و لم تزل تطرح و ليس فى النصوص ما يدلّ على حكمها بالخصوص.

و من الموسف جدّاً أنّه استحوذ الشكّ فى لزوم دوام انفتاحه على عقول كثير من فقهاء السنّة، فأقفلوا هذا الباب بكلا مصراعيه فى أواسط القرن السابع «۱» ثمّ واجهوا مشاكل فى جميع الأعصار لا سيّما العصر الحديث.

و أمّا نحن معاشر الشيعة فنعتزّ على دوام انفتاحه، استلهاماً من قول الامام الصادق- عليه السلام- لتلميذه حمّاد: «ما من شىءٍ إلّا و فيه

كتاب أو سنّة» «۲».

و من الواضح أنّ استخراج حكم كلّ شيءٍ من ذينك المصدرين يحتاج إلى بذل جهدٍ و سعى حثيث فى التفريع و التطبيق على ما هو دأب المجتهد.

المراحل التى مرّ بها الفقه الشيعى

اشارة

و لقد مرّ الفقه الشيعى بمراحل عديدة تعدّ كلّ مرحلةٍ تطوّراً لما قبلها.

۱- الإفتاء بنقل الروايات مع أسنادها

كان الرائج فى عصر الأَئمة نقل الروايات بأسنادها فى كتبهم و الإفتاء بها، فكانوا يدوّنون الأَحاديث فى أبواب خاصّة كالطهارة و الصلاة و الزكاة و الحجّ إلى آخر أبواب الفقه، و لم يكن المقصود من نقلها بأسنادها هو تسجيل الروايات فقط، بل كان المؤَلّفون بين راوٍ لها و جامعٍ للأَحاديث، و واعٍ لها مراعٍ لضوابط الفتيا، فالفقهاء من خريجى جامعة الامام الباقر و الصادق و الكاظم و الرضا عليهم السَّلام كانوا يسجّلون الأَحاديث على النمط الثانى بينما كانت الطبقة الوسطى أو

---

(۱) الخطط المقريزيّة: ۲- ۳۳۳ و ۳۳۴ و ۳۴۴.

(۲) الكافى: ۱- ۵۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۵۱

الأَدنى منهم يدوّنونها على حسب الرواية.

۲- تجريد المتون عن الأَسانيد

و فى أوائل القرن الرابع ظهر لونٌ جديدٌ فى الفُتيا و هو تجريد الروايات عن أسانيدها، و كتابة الفقه بنفس النصوص الواردة فيها، و لعلّ أوّل من بادر إلى ذلك هو والد الصدوق علىّ بن بابويه (المتوفّى ۳۲۹ ه)، فألّف كتاب الشرائع على هذا النمط، كما كتب ولده الصدوق (المتوفّى ۳۸۱ ه) «المقنع و الهداية» على غرار كتاب الشرائع للوالد.

ثمّ استمرّ التأليف على هذا النحو إلى أواسط القرن الخامس فألّف الشيخ المفيد (المتوفّى ۴۱۳ ه) «المقنعة»، و تلميذه شيخ الطائفة الطوسى (المتوفّى ۴۶۰ ه) «النهاية» على غرار ما كتب الصدوق، و كان سيّدنا الأُستاذ آية اللّه البروجردى (المتوفّى ۱۳۸۰ ه) يطلق على: هذا النوع من الكتب ب «المسائل المتلقّاة من الأَئمّة»، و إن شئت فسمّه بالفقه المنصوص.

و لمّا لم يكن هذا النوع من الكتابة رافعاً للحاجة و سادّاً للفراغ لطروء مسائل مستحدثة و موضوعات جديدة لم ترد فيها سنّة استدعى الحال إلى ظهور نمط آخر يختلف عن سابقيه.

۳- مرحلة التفريع و استخراج الفروع من الأصول

و قد قام فى أوائل القرن الرابع لفيف من فقهاء الشيعة بإبداع منهج ثالث و هو الخروج عن حدود النصوص، و عرض المسائل على

القواعد الكلّيّة الواردة فی الكتاب و السنّة.

و أوّل من فتح هذا الباب فی وجه الشيعة هو «الحسن بن علی بن أبی عقيل» المعاصر للكلينی (المتوفّی ۳۲۹ ه) و يظهر من النجاشی فی ترجمته أنّ كتابه «المتمسّك بحبل آل الرسول» كان مرجعاً فقهيّا للشيعة يعمل به الناس

تذكرة الأعيان، ص: ۳۵۲

كعملهم بالرسائل العمليّة فی يومنا الحاضر.

يقول النجاشی فی حقّ هذا الكتاب: «ما ورد الحاجّ من خراسان إلّا طلب و اشتری منه نسخاً» «۱».

ثمّ اقتدی به: محمّد بن أحمد بن جنيد (المتوفّی ۳۸۱ ه) فألّف كتابين فی هذا المضمار «تهذيب الشيعة لأَحكام الشريعة» و كتاب «الأَحمدی للفقه المحمّدی» «۲».

و قد اتُّهم ابن جنيد باستعمال القياس غفلة عن حقيقة الحال، فإنّه لم يستعمل القياس إلّا علی وجه المحاجّة علی الخصم و لم يكن ذلك اعتقاده و منهجه «۳».

غير أنّ عمل الفقيهين الجليلين، و إن كان مشكوراً و جديراً بالاهتمام فی تلك الظروف، و لكن لرسوخ التعبّد بالنصوص فی أذهان كثيرٍ من الأَصحاب، لم يؤَثّر تأثيراً كبيراً فی العمليّة الفقهيّة إلی أن قام شيخ الطائفة بتأليف كتاب «المبسوط»؛ فأزاح العراقيل الماثلة أمام هذا النوع من التأليف إلی درجة أنّه نسخ به النمط الآخر، و أقبل الفقهاء علی كتابة الفقه علی نحو تفريع الفروع و استنباط أحكامها من الأُصول من دون الالتزام بنفس النصوص، و يظهر ممّا ذكره الشيخ فی المقدّمة، أنّه ردّ بذلك علی تعبير قومٍ من المخالفين علی فقه الشيعة بأنّه غير كافٍ لرفع الحاجة فی مختلف المجالات لِاعراضهم عن القواعد الرائجة عندهم، كالقياس و الاستحسان و سدّ الذرائع إلی غير ذلك من الأصول التی رفضتها الشيعة، فأثبت الشيخ بمشروعه الكبير هذا، أنّ الأصول و القواعد الفقهيّة الموروثة عن أئمّة أهل البيت كافية للإجابة عن كافة التساولات، يقول: «فإنّی لا أزال أسمع معاشر مخالفينا من المتفقّهة و المنتسبين إلی علم و لاحظ ما حقّقه السيّد بحر العلوم فی فوائده ۳: ۲۱۳ ۲۱۵.

---

(۱) رجال النجاشی، رقم ۱۰۰.

(۲) رجال النجاشی، رقم ۱۰۴۷.

(۳) عدّة الأصول: ۱- ۳۳۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۵۳

الفروع، يستحقرون فقه أصحابنا الإماميّة و ينسبونهم إلی قلّة الفروع، و قلّة المسائل، و يقولون: إنّ من ينفی القياس و الاجتهاد لا طريق له إلی كثرة المسائل و لا التفريع علی الأصول، و هذا جهلٌ منهم بمذاهبنا، و قلّة تأمّل لأُصولنا، و لو نظروا فی أخبارنا و فقهنا، لعلموا أنّ جلّ ما ذكروه من المسائل موجودٌ فی أخبارنا و منصوص عليه تلويحاً عن أئمّتنا، إمّا خصوصاً أو عموماً أو تصريحاً أو تلويحاً.

ثمّ قال: و كنت علی قديم الوقت و حديثه متشوّق النفس إلی عمل كتاب يشتمل علی ذلك، تتوق نفسی إليه فيقطعنی عن ذلك، القواطع، و تشغلنی الشواغل، و تضعف نيّتی أيضاً فيه قلّة رغبة هذه الطائفة فيه، و ترك عنايتهم به، لأَنّهم أَلِفوا الاخبار و ما رووها من صريح الأَلفاظ حتّی أنّ مسألة لو غُيّر لفظها و عبر عن معناها بغير اللفظ المعتاد لهم، لَعجبوا منها، و قَصُرَ فهمهم عنها، و كنت عملت علی قديم الوقت كتاب «النهاية» و ذكرت جميع ما رواه أصحابنا فی مصنّفاتهم بأُصولها من المسائل و فرقوها فی كتبهم و رتّبته ترتيب الفقه، و جمعت من النظائر، و رتّبت فيه الكتب علی ما رتّبت للعلّة التی بيّنتها هناك، و لم أتعرّض للتفريع علی المسائل و لا لتعقيد الأَبواب و ترتيب المسائل و تعليقها و الجمع بين نظائرها، بل أوردت جميع ذلك أو أكثره بالأَلفاظ المنقولة حتّی لا يستوحشوا من ذلك» «۱».

و قد نال هذا الكتاب شهرة واسعة فى أوساط العلماء، و هو أحد الكتب النفيسة للشيعة الإماميّة فى الفقه، و طبع فى ثمانية أجزاء و صار عمله هذا بداية خير للفقهاء العظام بعده، فقد ألّف زميله عبد العزيز بن البراج (المتوفّى ۴۸۱ ه) «المهذّب» على غراره، ثمّ تتابع التأليف بعدهما إلى عصرنا هذا.

و من ألمّ بتاريخ الفقه الشيعى من عصر الأَئمّة إلى القرن العاشر يجد أنّ علماء الشيعة كانوا ميّالين إلى أحد المنهجين التاليين:

---

(۱) المبسوط: ۲۱- ۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۵۴

«منهج جمع الحديث الفقهى و ضبطه و نقله و نشره، و منهج تفريع الفروع و استنباط الاحكام عن أدلّتها الشرعيّة و لكلٍّ عمله و جزيل أجره، فشكر اللّه مساعى الجميع».

و هذا واضح لمن سبر تاريخ فقه الشيعة، و درس طبقات فقهائهم و محدّثيهم، و لم يكن للمحدّثين مذهب فقهى خاص بهم، و للفقهاء و المجتهدين مذهبٌ آخر يضادّ المنهج الأَوّل، بل كان لكلّ مسئوليّة معيّنة، و وظيفة خاصّة تجاه الدين.

الاخباريّة منهج مبتدع

اشارة

قد تعرّفت على أنّه لم يكن بين علماء الشيعة منهجان متقابلان متضادّان فى مجال الفروع، حتّى يكون لكلّ منهج مبادى مستقلّة، و يناقض أحدهما الآخر، بل كان الجميع على خطّ واحد، و كان الاختلاف فى لون الخدمة و كيفيّة أداء الوظيفة إلى أن ظهر فى أواخر القرن العاشر و أوائل القرن الحادى عشر الشيخ محمّد أمين ابن محمّد شريف الأسترآبادى الذى جاور المدينة المنوّرة و مكّة المشرّفة، و تتلمذ فيها على الشيخ محمّد بن على الأسترآبادى صاحب كتاب: «منهج المقال فى تحقيق أحوال الرجال» عشر سنين «۱» و توفّى (عام ۱۰۳۳ ه) «۲» فابتدع مسلكاً خاصّاً أسماه بالاخبارية.

و قد هاجم فى تأليفاته المجتهدين العظام أمثال ابن أبى عقيل و ابن الجنيد و الشيخ الطوسى و من اقتفى آثارهم، حتّى زعم أنّ مسلك «الاخباريّة» الذى ابتدعه كان موجوداً فى القرون السابقة غير أنّه كانت تمرّ عليها مراحل من نشاطٍ و فتور، و انتعاشٍ و خمول.

---

(۱) الفوائد المدنيّة لمحمّد أمين الأسترآبادى: ۱۸، و توفّى أُستاذه عام ۱۰۲۸ ه.

(۲) لؤلؤَة البحرين للشيخ يوسف البحرانى: ۱۱۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۵۵

و العجب أنّه استدلّ على انقسام علماء الإماميّة إلى الأَخباريّين و الأُصوليّين بأمرين:

۱- ما ذكره شارح المواقف حيث قال: كانت الإماميّة أوّلًا على مذهب أئمّتهم حتّى تمادى بهم الزمان فاختلفوا و تشعّب متأخّروهم إلى المعتزلة و إلى الأَخباريّين، و ما ذكره الشهرستانى فى أوّل كتاب الملل و النحل من أنّ الإماميّة كانوا فى الأَوّل على مذهب أئمّتهم فى الأصول ثمّ اختلفوا فى الروايات عن أئمّتهم، حتّى تمادى بهم الزمان فاختارت كلّ فرقةٍ طريقةً، فصارت الإماميّة إلى معتزلة (إمّا وعيديّة) أو تفضيليّة، و إلى أخباريّة امّا (مشبّهة) أو سلفيّة «۱».

۲- ما ذكره العلّامة فى نهايته عند البحث عن جواز العمل بخبر الواحد، فقال: أمّا الإماميّة فالأَخباريّون منهم لم يعوّلوا فى أُصول الدين و فروعه الأعلى أخبار الآحاد، و الأُصوليّون منهم كأبى جعفر الطوسى و غيره وافقوا على خبر الواحد و لم ينكره سوى المرتضى و

أتباعه «۲».

يلاحظ عليه: أنّ كلا الشاهدين أجنبيّان عمّا يرومه الأَمين.

أمّا الشاهد الأَوّل: فهو نقله بالمعنى، و لو نقل النصّ بلفظه لظهر للقارئ الكريم ما رامه شارح المواقف، و إليك نصّه:.. و تشعّب متأخروهم إلى «المعتزلة» إمّا وعيديّة أو تفضيليّة (ظ. تفضلية) و إلى «أخباريّة» يعتقدون ظاهر ما ورد به الاخبار المتشابهة، و هؤلاء ينقسمون إلى «مشبّهة» يجرون المتشابهات على أنّ المراد بها ظواهرها، و «سلفيّة» يعتقدون أنّما أراد اللّه بها حقّ بلا تشبيه كما عليه السلف و إلى ملتحقة بالفرقة الضالّة «۳».

---

(۱) لاحظ شرح المواقف ۸: ۳۹۲.

و لم نجد النصّ فى الملل و النحل.

و الفوائد المدنيّة: ۴۳ و ۴۴.

(۲) الفوائد المدنيّة: ۴۳ و ۴۴.

(۳) المواقف ۸: ۳۹۲.

يريد من الفرقة الضالّة، فرقة المعتزلة، و هذا التعبير الجارح بعيد عن أدب شارح المواقف السيّد شريف الجرجانى.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۵۶

يلاحظ عليه أوّلًا: أنّ مسلك الاخباريّة الذى ابتدعه الشيخ الأَمين ليس إلّا مسلكاً فقهيّا يشكل سُداه و لحمته عدم حجّيّة ظواهر الكتاب أوّلًا و لزوم العمل بالأَخبار قاطبة من دون إمعان النظر فى الإسناد و علاج التعارض بالحمل على التقيّة و غيرها ثانياً، و عدم حجّيّة العقل فى استنباط الاحكام ثالثاً.

و ما ذكره شارح «المواقف» فهو راجع إلى المسائل العقائديّة دون الفرعيّة و من بين هذه المسائل يخصّ الصفات الخبريّة بالبحث كاليد و الاستواء و الوجه و غير ذلك ممّا ورد فى الاخبار بل الآيات و اتّهم الإماميّة بأنّهم يعتقدون بظواهر الاخبار المتشابهة و ينقسمون فى التعبّد بها إلى طوائف ثلاث: مشبّهة، و سلفيّة، و ملتحقة بالفرق الضالّة.

و الحكم بأنّ ما ذكره شارح المواقف راجع إلى المسلك الذى ابتدعه الأسترآبادى عجيب جدّاً مع اختلافهما فى موضوع البحث و ابتناء المسلك الاخبارى على أُسس و قوائم لم تكن معروفة بها عند الطائفة الأُولى.

و أمّا ما ذكره العلّامة فهو أيضاً لا يمتّ إلى مسلك الاخباريّة المبتدع بصلة، بل هو راجع إلى مسألة خلافيّة بين علماء الإماميّة من زمن قديم، و هو هل الخبر الواحد حجّة فى الأصول كما هو حجّة فى الفروع أو لا؟ فالمحدّثون و الممارسون للَاخبار و الذين ليس لهم شأن إلّا الغور فى الاخبار ذهبوا إلى القول الأَوّل، و الممارسون لعلم الأصول الذين يحكِّمون العقل فى مجال العقائد يقولون بالثانى.

فتفسير الاخبارى فى كلام العلّامة الذى لا يقصد إلا من يمارس الاخبار و يدوّنها و ينقلها كما يفعله كلّ المحدّثين، بمسلك الاخبارى الذى هو مسلك فكرى اجتماعى عجيب جدّاً.

و لسنا متفرّدين بتوصيف مسلكه بالابتداع لو لم نقل أنّه كان حركة رجعيّة

تذكرة الأعيان، ص: ۳۵۷

عرقلت خطى الأُمّة عن التقدّم و التطوّر و أقفلت باب البحث فى الأَسانيد و المتون كما سدّت البحث حول كثير من المسائل الأصوليّة حتّى أنّ المحدّث البحرانى الذى كان أخباريّا معتدلًا جدّاً و يعدّ كتابه الحدائق من أنفس الكتب الفقهيّة لا سيما فى جمع الاخبار و تفسيرها يعترف بذلك و يقول فى ترجمة الأَمين الأسترآبادى: «و كان فاضلًا محقّقاً مدقّقاً ماهراً فى الأُصولَيْن و الحديث، أخباريّا صلباً، و هو أوّل من فتح باب الطعن على المجتهدين، و تقسيم الفرقة الناجية إلى أخبارىّ و مجتهد، و أكثر فى كتابه الفوائد المدنيّة

من التشنيع على المجتهدين، بل ربّما نسبهم إلى تخريب الدين، و ما أحسن و ما أجاد، و لا وافق الصواب و السداد، لما قد ترتّب على ذلك، من عظيم الفساد، و قد أوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه فى كتابنا «الدرر النجفيّة» و فى كتابنا «الحدائق الناضرة فى أحكام العترة الطاهرة» إلّا أنّ الأوّل منهما استوفى البحث فى ذلك بما لم يشتمل عليه الثانى» «۱».

و قد ترجمه صاحب «الروضات» ترجمةً مفصّلة و ذكر الموارد التى طعن فيها على المجتهدين و ذكر ردود المجتهدين عليه بما لا مزيد عليه «۲».

و ممّا يدعو إلى العجب أنّ الأمين: ينهى مسلكه إلى أُستاذه محمّد بن إبراهيم مؤلّف كتاب «منهج المقال فى تحقيق أحوال الرجال» مع أنّ العناية بعلم الرجال و الدقّة فى الأسانيد التى كرّس الأُستاذ عمرة فيها لا يجتمع مع مسلك الاخباريّة القائل بقطعيّة الأخبار، التى تُغنى عن الرجوع إلى علم الرجال.

---

(۱) لؤلؤة البحرين: ۱۷۷۱۱۸، تحقيق السيّد محمّد صادق بحر العلوم.

(۲) روضات الجنّات: ۱ ۱۳۹- ۱۲۰.

و ذكر أنّ الفوارق بين المنهجين ترتقى إلى ثلاثين أصلًا، ثمّ ذكر رءوسها.

فلاحظ الصفحات ۱۳۰۱۲۷، الطبعة الحديثة، و بسط الكلام فى ترجمته فى مادّة «أمين» قائلًا: بأنّ تصديره ب «محمّد» للتبرّك و ليس جزءاً من الاسم، و على تلك الضابطة مشى فى جميع الكتاب، و تبعه غيره فى بعض تآليفه.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۵۸

حَنَّ قِدْحٌ ليس منها

هذا و لقد قام فى هذه الآونة الأخيرة «على حسين الجابرى» من طلّاب كليّة الآداب فى جامعة بغداد بتأليف رسالةٍ أسماها ب «الفكر السلفى عند الشيعة الاثنا عشريّة»، حاول فيه أن يثبت أنّ الفكر السلفى هو الفكر الإمامى الاثنا عشرى الأصيل قبل أن تتداخل فيه الأهواء، و تتجاذبه الرياح العواصف، و قد طبع الكتاب ببيروت عام ۱۹۷۷ م، و نال بهذا المؤلّف درجة الماجستير من نفس الكليّة، و قد أطراه أُستاذه المشرف على تلك الرسالة «كامل مصطفى الشيبى» بقوله: لقد خاض الجابرى فى بحر مائج، و جهد كثيراً حتّى أخرج منه صيداً شهيّاً يتمثّل فى هذا الكتاب الذى يغبطه كلّ باحث.

و نحن نقدّر جهد المؤلّف حيث إنّه أعدّ العدّة اللازمة لكتابة هذه المواضيع من تاريخ فقهنا المشرق، و لكن نؤاخذ عليه أُموراً:

۱- إنّ السلفيّة لم تكن مذهباً خاصّاً و لا منهجاً معيّناً دارجاً بين المسلمين من غير فرق بين السنّة و الشيعة، و إنّما هو من مبدعات ابن تيمية (المتوفّى ۷۲۸ ه) و مَن تبعه فى القرن الثانى عشر كمحمّد بن عبد الوهاب (المتوفّى ۱۲۰۶ ه) و كانت الغاية من اختراع هذه الكلمة هو تبرير عقائدهما، فالتشبيه و التجسيم و الجمود على حرفيّة الصفات الخبريّة كاليد و الوجه للّه سبحانه تعدّ جميعها أساساً لمذهب الأوّل، و المنع عن السفر إلى زيارة النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- و طلب الشفاعة منه يُعدّ أساساً آخر لمذهب الثانى، فأبدعا ذلك المصطلح فى كتبهم أو نسبا ما ابتدعاه إلى السلف، و لمّا أخذت الدعوة الوهابيّة تنتشر فى الأراضى المقدّسة تحت وطأه الترهيب و الترغيب راج تداول لفظ السلفيّة بين أصحاب القلم و وسائل الاعلام.

و فى هذا الصدد يقول بعض المفكّرين من أهل السنّة: إنّ اختراع هذا

تذكرة الأعيان، ص: ۳۵۹

المصطلح بمضامينه الجديدة التى أشرنا إليها بدعة طارئة فى الدين، لم يعرفها السلف الصالح لهذه الأُمّة، و لا الخلف الملتزم بنهجه «۱».

۲- إنّ الكاتب حاول أن يثبت أنّ مسلك الاخباريّة الذى ابتدعه محمّد أمين الأسترآبادى فى أوائل القرن الحادى عشر كان استمراراً للسلفيّة التى كانت تغلب على الشيعة فى عصر الأئمّة و حتّى بعد الغيبة إلى أن انتهت إلى عصر أمين الاخبارى، ثمّ إنّه لدعم ذلك أثبت لمعلّم الأُمّة «الشيخ المفيد» جانباً سلفيّاً و جانباً عقليّاً، و زعم أنّ تلميذه المرتضى طوّر جانبه العقلى إلى أن وصل إلى ذروته، كما أثبت نظير ذلك لتلميذه الشيخ الطوسى، و لم يكتفِ بذلك حتّى قال فى حقّ المحقّق: إنّه بغضّ النظر عن كلّ ما قيل عن دور المحقّق فى ميدان التشريع الأصولى و العقلى، تبقى مسألة المحافظة السلفيّة عنده على الأحاديث واضحة، ربّما بتأثير بعض شيوخه، و قد حلّ كتابه «شرائع الإسلام» فى حلقات الدرس الأصولى الاثنى عشرية بدلًا من كتاب «النهاية» للطوسى، و هذا يعنى الكثير بالنسبة للفكر السلفى «۲».

و ما ذكره لا يبتنى على أساس رصين، إذ كيف يتّهم الشيخ المفيد بجانب سلفى مع أنّه المتكلّم الذى يعتمد فى إثبات الأصول و العقائد على «العقل» و «البرهان» و يقضى فى الأحاديث بالضوابط التى يقدّرها الأصوليّون فى أبحاثهم، و ليس كتابه «المقنعة» دليلًا على كونه سلفيّاً.

و قد عرفت أنّ مشاهير الفقهاء كانت لهم ألوانٌ مختلفةٌ من الكتابة، فللشيخ الطوسى كتاب «النهاية»، و فى الوقت نفسه كتاب «الخلاف» و «المبسوط»، كما إنّ تأليف «شرائع الإسلام» للمحقّق لا يمتّ إلى كونه سلفيّاً بصلة، بشهادة أنّه كتب «المعتبر» أيضاً فالأوّل من المتون الفقهيّة الخالية

---

(۱) السلفيّة مرحلة زمنيّة: ۱۳.

و لاحظ: بحوث فى الملل و النحل: ۱ ۳۲۹- ۳۱۸.

(۲) لاحظ: الفكر السلفى: ۲۱۲ و ۲۱۳ و ۲۳۷.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۶۰

عن الاستدلال إلّا قليلًا و الثانى كتاب استدلالى مبنى على الضوابط المقرّرة.

و العجب أنّ الكاتب يصرّ على أنّ الفكرة السلفيّة الرائجة بين أصحاب الأئمّة فى القرون الثلاثة، و التى روّجها الأمين، لم تزل رائجة بين علماء الشيعة عبر القرون من عصر الكلينى إلى زمان الأمين، مع أنّه يصرّح بانقطاع الفكرة بعد رحيل الكلينى إلى زمانه، و أنّه هو الذى أعاد الفكرة على الساحة بفضل إرشاد أُستاذه الشيخ محمّد الأسترآبادى مؤلّف الرجال الكبير و المتوسّط و الصغير و إليك نصّ عبارته: و أوّل من عقل عن طريقة أصحاب الأئمّة- عليهم السلام- و اعتمد على فن الكلام و على أُصول الفقه المبتيَّين على الأفكار العقليّة المتداولة بين العامّة فيما أعلم محمّد بن أحمد بن الجنيد (المتوفّى ۳۸۵ ه) العامل بالقياس و حسن بن على ابن أبى عقيل العمانى المتكلّم، و لمّا أظهر الشيخ المفيد حسن الظنّ بتصانيفهما بين يدى أصحابه و منهم السيّد الأجلّ المرتضى و شيخ الطائفة شاعت طريقتهما بين متأخّرى أصحابنا قرناً فقرناً حتّى وصلت النوبة إلى العلّامة الحلّى فالتزم فى تصانيفه أكثر القواعد الأصوليّة للعامّة ثمّ تبعه الشهيدان و الفاضل الشيخ على (يريد المحقّق الكركى) (المتوفّى ۹۴۰ ه) رحمهمُ اللّه «۱».

و لو لاحظ الإنسان ذلك الكتاب «الفكر السلفى» لرأى أنّ المؤلّف أتى بمصادر جمّة فى الهوامش، و ربّما يتخيّل للقارئ معها أنّ الكاتب برهن على ما كتبه و سطّره بالمصادر و المآخذ، غير أنّه لا يجد فى جميع ما كتبه حول القرون العشرة إلى زمان الشيخ محمّد أمين الأسترآبادى دليلًا واضحاً على أنّ المسلك الاخبارى بالمعنى الذى تبنّاه الأسترآبادى كان امتداداً لما كان عليه السلف فى العصور السابقة، بل إنّ كلّ ما قاله الكاتب ليس سوى استنتاجات و نظريّات

---

(۱) الفوائد المدنيّة: ۳۰، ط دار النشر لأهل البيت- عليهم السلام-.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۶۱

شخصيّة تقصُر عن إثباتها، المصادر و المآخذ، و لأجل ذلك لا مناص للقارئ الكريم من أن يتّهم الأسترآبادى باختراع هذا المسلك، لأنّه لا يرى له جذوراً بصورة منهج فقهى رسمى بين الأصحاب المتقدّمين على الأسترآبادى، كما على القارئ أن يتّهم الكاتب بأنّه يحاول إقصاء الشيعة عن مجال العقل و التعقّل، و الفكر و التفكير، عبرَ رميهم بالسلفيّة و اتّباع الظواهر من دون دراستها و تقييمها فى عقليّة استنباطيّة اجتهاديّة، و بخاصّة أنّ الكتاب طبع فى عهد النظام البعثى الذى يتبنّى محاربة هذه الطائفة و توجيه الضربات إليها، و هو يهيمن على مراكز الثقافة و الفكر كالمعاهد و الجامعات.

كيف لا و قد عرفت فى ما أسلفنا على أنّ انقسام العلماء إلى أهل الحديث و أصحاب الاجتهاد لا يدلّ على كون الأوّل مسلكاً فقهيّا أو عقائديّاً تبنّاه فحول الشيعة و أكابرهم، و إنّما كان ذلك تقسيماً للمسئوليّات الدينيّة، و كلّ يختار ما يميل إليه ذوقه و تدعوه إليه فطرته.

[فى بيان المسلك الذى تبنّاه الأمين الأسترآبادى]

اشارة

بقى هنا شىء و هو تبيين المسلك الذى تبنّاه الأمين الأسترآبادى، و أوجد ضجّة كبرى فى العواصم الشيعيّة حتّى يكون القارئ على بصيرة من وهن هذا المسلك فنقول: إنّ مسلك الأمين الأسترآبادى يتكوّن من الأُمور التالية: «۱»

- عدم حجّيّة ظواهر الكتاب و السنّة

إنّ الأصل الأوّل من أُصول هذا المسلك هو عدم حجّيّة الكتاب الذى يعرفه سبحانه بأنّه: (تِبيان كلّ شىء) «۲» يقول الأمين الأسترآبادى: إنّ القرآن فى الأكثر ورد على وجه التعمية بالنسبة إلى أذهان الرعيّة، و كذلك كثير من السنن

---

(۱) ما جاء فى المتن هو أُمّهات الفروق و أُصولها، و إلّا فقد عرفت أنّ الفوارق تنتهى إلى ثلاثين أصلًا.

(۲) النحل: ۸۹.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۶۲

النبويّة، و أنّه لا سبيل لنا فى ما لا نعلمه من الأحكام النظريّة الشرعيّة أصليّة كانت أو فرعيّة إلّا السماع من الصادقين- عليهم السلام-، و أنّه لا يجوز استنباط الأحكام النظريّة من ظواهر كتاب اللّه و لا من ظواهر السنّة النبويّة ما لم يعلم أحوالهما من جهة أهل الذكر- عليهم السلام- بل يجب التوقّف و الاحتياط فيهما «۱».

و قال فى موضع آخر: فإن قال قائل: كيف عملكم معاشر الأخباريّين فى الظواهر القرآنيّة مثل قوله تعالى: (أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) «۲» و قوله تعالى: (أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ)* «۳»، و قوله تعالى: (إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ) «۴».

و فى ظواهر السنّة النبويّة مثل قوله- صلى الله عليه و آله و سلم-: «لا ضرر و لا ضرار فى الإسلام».

قلنا: بأنّا نوجب الفحص فى أحوالهما بالرجوع إلى كلام العترة الطاهرة- عليهم السلام- فإذا ظفرنا بالمقصود و علمنا حقيقة الحال عملنا بها، و إلّا أوجبنا التوقّف و التثبيت «۵».

يلاحظ عليه بأنّه إذا دار الأمر بين الأخذ بقول الأسترآبادى فى توصيف القرآن بأنّه ورد فى الأكثر على وجه التعمية بالنسبة إلى أذهان الرعيّة، و بين قول الرسول و عترته.

فنحن نأخذ بالثانى.

فقد قال رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم-: «و إنّ على كلّ حقّ حقيقةً، و على كلّ صوابٍ نوراً، فما وافق كتاب اللّه فخذوه، و ما خالف كتاب اللّه فدعوه» «۶».

و قال- صلى الله عليه و آله و سلم-: «أيّها الناس ما جاءكم عنى يوافق كتابَ اللّه فأنا قلته، و ما جاءكم يخالف كتاب اللّه فلم أقله» «۷».

---

(۱) الفوائد المدنيّة: ۴۷.

(۲) المائدة: ۱، ۶.

(۳) المائدة: ۱، ۶.

(۴) المائدة: ۱، ۶.

(۵) الفوائد المدنيّة: ۱۶۴.

(۶) الكافى: ۱- ۵۵.

(۷) الكافى: ۱- ۵۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۶۳

و قال الامام الصادق- عليه السلام-: «كلّ شىء مردود إلى الكتاب و السنّة، و كلّ حديث لا يوافق كتاب اللّه فهو زخرف» «۱».

و إذا لم يكن الكتاب حجّة فى مجال الإفتاء، فلما ذا أرجع الأئمّة عليهم السَّلام الرواة، فى تمييز الشروط الصحيحة عن غيرها، إلى موافقة الكتاب و مخالفته، و قد تضافر عنهم قولهم: «المسلمون عند شروطهم»، إلّا كلّ شرط خالف كتاب اللّه عزّ و جل فلا يجوز «۲».

إنّ توصيف الكتاب بعدم الحجّيّة فى مجال العمل و العقيدة، إهانة كبيرة لحجّة النبيّ- صلى الله عليه و آله و سلم- و معجزته الكبرى، و قد وصفه سبحانه بأنّ فيه هدىً و بياناً و موعظة للمتّقين، قال سبحانه: (هٰذا بَيٰانٌ لِلنّٰاسِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) «۳».

فلو لم يكن الكتاب مقياساً لتمييز الحقّ عن الباطل، و مرجعاً لاستنباط الاحكام، فلما ذا قام الامام الرضا- عليه السلام- بإفحام أبو قرّة المحدّث العامى حيث قال: رُوينا أنّ اللّه قسّم الرؤيَة و الكلام، فلموسى- عليه السلام- الكلام، و لمحمّد- صلى الله عليه و آله و سلم- الرؤيَة.

فقال أبو الحسن- عليه السلام-: «فَمنِ المبلّغ عن اللّه إلى الثقلين من الجنّ و الإنس (قوله تعالى) (لٰا تُدْرِكُهُ الْأَبْصٰارُ) «۴»، (وَ لٰا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً) «۵» و (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) «۶» أ ليس محمّد صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم؟ قال أبو قرّة: بلى.

فقال الامام- عليه السلام-: «كيف يجىء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند اللّه، و أنّه يدعوهم إلى اللّه بأمر اللّه، فيقول:

---

(۱) الكافى: ۱- ۵۵.

(۲) وسائل الشيعة ۱۲: ۳۲۳، كتاب التجارة، الباب السادس من أبواب الخيار، الحديث ۲، و فى الباب أحاديث كثيرة فى هذا المجال، فلاحظ.

(۳) آل عمران: ۱۳۸.

(۴) الانعام: ۱۰۳.

(۵) طه: ۱۱۰.

(۶) الشورى: ۱۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۶۴

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ)، (وَ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً) و (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)، ثمّ يقول: «أنا رأيته بعينى، و أحطت به علماً، و هو على صورة البشر» «۱».

و هـذا هو حسن الصـيقل يقول: قلت لأبى عبـد اللّه: رجل طلّق امرأته طلاقاً لا تحلّله حتّى تنكح زوجاً غيره، فتزوّجها رجل متعة أ تحلّ للَاوّل؟ قال- عليه السلام-: لا، لأنّ اللّه يقول: (فَإِنْ طَلَّقَها فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَها) «۲»، و المتعة ليس فيها طلاق «۳» هـذا و من تتبّع أحـاديث العترة الطـاهرة، يجـدها تسير جنباً إلى جنب مع القرآن، تتمسّك بإشاراته فضلًا عن تصـريحاته و ظواهره، و لأجل ذلك كان أبو حنيفة يقول عن الامام الصادق- عليه السلام-: «لقد كان كلامه انتزاعات من القرآن».

و لتعلم أنّ التمسّك بالظواهر لا يمتّ إلى تفسير القرآن بالرأى بصلة.

۲- ادّعاء قطعيّة أحاديث الكتب الأربعة:

هـذا هو الأصل الثانى الـذى ذهب إليه الأخباريّون حيث جعلوا البحث عن حال الراوى من حيث الوثاقة و عـدمها، أمراً لا طائل تحته، كما يكون تقسيم الاخبار من جانب الأصوليّين إلى الأقسام الأربعة المعروفة، على طرف النقيض من هذا الأصل.

يلاحظ عليه: أنّ دعوى القطعيّة دعوى بلا دليل، كيف لا؟ و مؤلّفو الكتب الأربعة لم يدّعوا ذلك، و أقصـى ما يمكن أن ينسب إليهم أنّهم ادّعوا صحّة الاخبار المودعة فيها، و هى غير كونها متواترة أو محفوفة بالقرائن، و المراد من الصحّة فى

---

(۱) الكافى: ۱- ۷۴.

(۲) البقرة: ۲۳۰.

(۳) وسائل الشيعة ۱۵: ۳۶۹، كتاب الطلاق، الباب التاسع من أبواب أقسام الطلاق، الحديث ۴.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۶۵

مصـطلحهم اقترانها بقرائن تفيد الاطمئنان بصدورها عن الأئمّة، و لكن هل هذه الشـهادة من المشايخ الثلاثة على صحّة روايات كتبهم حجّة لنا أو لا؟ التحقيق لا، لأنّ خبر العدل و شهادته إنّما يكون حجّة إذا أخبر عن الشيء عن حسٍّ لا عن حدس، و الإخبار عن الشيء بالحدس لا يكون حجّة إلّا على نفس المخبِر، و لا يعدُو غيره إلّا فى موارد خاصّة.

و لأجل هـذه النكتـة نرى أنّ المشايـخ نقلوا الروايات بأسـنادها حتّى يتدبّر الآخرون فيما ينقلونه ممّا صحّ لديهم، و لو كانت شـهادتهم على الصحّة حجّة على الكلّ لما كان وجه لتحمّل هذا العبء الثقيل، أعنى نقل الروايات بأسنادها.

۳- إنكار حجّيّة العقل فى مجال الاستنباط

هذا هو الأصل الركين عند الأخباريّين و قد طعنوا به الأصوليّين الذين ذهبوا إلى حجّيّة العقل فى مجال الاسـتنباط، و سمّاه محمّد أمين الأسترآبادى «الاعتماد على الـدليل الظنّى فى أحكامه تعالى» و قـد اسـتنبط ذلك من مقدّمة وصـفها بأنّها دقيقة و شـريفة و قال: العلوم النظريّة قسـمان، قسم ينتهى إلى مادّة هى قريبـة من الإحساس، و من هذا القسم علم الهندسة و الحساب، و أكثر أبواب المنطق، و هذا القسم لا يقع فيه الاختلاف، و قسم ينتهى إلى مادّة بعيـدة عن الإحساس و من هـذا القسم الحكمـة الإلهيّة و الطبيعيّة و علم الكلام، و

علم أُصول الفقه، و المسائل النظريّة الفقهيّة، و بعض القواعد المذكورة فى علم المنطق، و من ثمّ وقع الاختلاف بين الفلاسفة، فى الحكمة الإلهيّة و الطبيعيّة، و بين علماء الإسلام فى أُصول الفقه و المسائل النظريّة الفقهيّة، و بعض القواعد المذكورة فى علم المنطق، و السبب فى ذلك هو أنّ القواعد المنطقيّة إنّما هى عاصمة عن الخطأ من جهة الصورة لا من جهة المادّة، و ليس فى المنطق قاعدة بها نعلم أنّ كلّ مادّة

تذكرة الأعيان، ص: ۳۶۶

مخصوصة داخلة فى أىّ قسم من أقسام مواد الأَقيسة، بل من المعلوم عند أُولى الألباب امتناع وضع قاعدة تتكفّل بذلك «۱».

يلاحظ عليه أوّلًا: بأنّ الأصوليين لا يعتمدون على الدليل العقلى الظنّى، بل يعتمدون على الأَحكام العقليّة القاطعة التى اتّفقت عليها عقول الناس و فِطَرُهُم السليمة، و لا يخالف فيه أحد، إلّا إذا كان متأثّراً بفكرة مسبقة، و هى عبارة عن الأَحكام القطعيّة التى يستقلّ العقل بها كما يستقلّ بوجود الصانع و صفاته، أو قبح إعطاء المعجزة للمتنبى الكاذب، أو لزوم عصمة النبىّ صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم.

و الاستلزامات العقليّة فى أُصول الفقه لها دور خاصّ فى استنباط الأَحكام الكلّيّة، و الكلّ ينبع من مسألة واحدة، و هى إدراك العقل للحسن و القبح العقليّين، و ليس هذا شيئاً مبتدعاً، بل هو أمر يعتمد الكتاب و السنّة عليه فى احتجاجاتهما و مناظراتهما، و يتّخذانها أصلًا مسلّماً.

أمّا الكتاب فاللّه سبحانه يقول: (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجّارِ) «۲» و يقول: (أَ فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ) «۳» و يقول: (هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ) «۴» و يقول: (وَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَ اللّهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ) «۵».

---

(۱) الفوائد المدنيّة: ۱۲۹ و ۱۳۰، و لكلامه بقيّة مَن أرادها فليرجع إليه، و كلامه يُعرب عن أنّه كان يعتمد على الحسّ و ما هو قريب منه لا على العقل البَحت و ما هو بعيد عن الحسّ، و العَجَب أنّ تلك الفكرة نفسها كانت تنمو فى المغرب آن ذاك، من دون أن تكون بين المفكّرين صلة حسب الظاهر كما سيوافيك فيما بعد.

(۲) سورة ص: ۲۸.

(۳) القلم: ۳۵.

(۴) الرحمن: ۶۰.

(۵) الأَعراف: ۲۸.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۶۷

و هذه الآيات تستنطق فطرة كلّ إنسان وتنبّهها على أنّ هناك أُصولًا مسلّمة عند جميع أصحاب الفطرة و العقول، و هى حسنُ بعضِ الأَشياء و قُبح البعض الآخر، و إنّ القرآن يعتمد فى محاوراته عليها.

و أمّا السنّة: فيكفى فى ذلك قول الامام الطاهر موسى بن جعفر عليهما السَّلام لتلميذه هشام بن الحكم فى حديث مفصّل: يا هشام، إنّ للّه على الناس حجّتين، حجّة ظاهرة و حجّة باطنة، فأمّا الظاهرة فالرسل و الأَنبياء و الأَئمّة، و أمّا الباطنة فالعقول» «۱».

و هذا الحديث و غيره يعرب عن موقف الإسلام السامى من الاحكام التى يستقلّ بها العقل شريطة أن يتجرّد عن الأَفكار المسبقة، و يحكم حكماً باتّاً عقلائيّاً محضاً غير منبعث عن هذا الجانب، و يحترز عن بعض الأَساليب التى منع الشارع من إعمالها عند استنباط الحكم الشرعى كالاقيسة و الاستحسانات و غير ذلك من الظنون المحظورة الممنوعة، و عند ذلك يتلخّص دور العقل فى مجال الاستنباط فى الموارد التالية: ۱- قبح العقاب بلا بيان، فتكون النتيجة الشرعيّة عدم لزوم الاحتياط.

۲- الاشتغال اليقينى يستلزم البراءة اليقينيّة، فتكون الوظيفة فى مجال العلم الإجمالى هو الاحتياط.

۳- الملازمات التى يدركها العقل فى عدّة موارد لو قلنا بها، كالملازمة بين وجوب الشىء و وجوب مقدّمته أو حرمة ضدّه إلى غير ذلك ممّا للعقل إليه سبيل.

و ثانياً: إنّ ما ذهب إليه الأسترآبادى من إفاضة الحجّيّة على الحسّ، و إقصاء العقل عن مجال النظر هو نفس ما ذهب إليه الحسّيّون من الاوربّيين،

---

(۱) الكافى: ۱ ۱۶- ۱۳، و الحديث مفصّل مسهب، فراجعه.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۶۸

و ممّا يثير العجب أنّ هذه النظريّة اختارها الأسترآبادى فى حين كانت النظريّة الحسّيّة رائجة فى أوربا، و قد توفّى الأسترآبادى عام (۱۰۳۳ ه)، (۱۶۲۳ م)، و قد توفّى ديكارت عام (۱۶۵۰ م).

و قد كان هذا العصر عصر النهضة العلميّة المبنيّة على الحسّ و التجربة، و الفيلسوف الفرنسى «ديكارت» و إن لم يعتمد على الحسّ من باب أنّه من أدوات المعرفة، غير أنّ النهضة العلميّة التى أيّدها «ديكارت»، و بعده «جان‌لوك» (۱۷۰۴ م)، كان عصر النهضة العلميّة الحسّيّة المبنيّة على الايمان بالمحسوسات، و رفض المغيّبات و العقليّات، و لا أدّعى أنّ الشيخ الأسترآبادى تأثّر بتلك الموجة و إنّما هو من باب تداعى الخواطر.

هذه هى الأصول المهمّة التى اعتمد عليها الأَخباريّون و فى طليعتهم الأَمين الأسترآبادى فى مسلكه المبتدع الذى لا يمتّ إلى مذهب السلف الصالح من علماء الإماميّة بصلة.

ازدهار المسلك الاخبارى بعد الأَمين

و لقد أخذ المسلك الذى ابتدعه الشيخ الأَخبارى فى الانتشار و الذيوع، و اشتهر خلال قرنين فى المحافل العلميّة، حتّى تأثّر به عددٌ كبيرٌ من علماء الشيعة إلى عصر الأُستاذ الأكبر المحقّق البهبهانى (۱۱۱۸ ۱۲۰۶ ه)، و كانت الظروف آن ذاك مناسبة لتنامى هذا المنهج لعللٍ لا يسع المجال لذكرها.

غير أنّ الأُستاذ الأكبر البهبهانى قد قضى على تلك الفكرة، بفكره الناضج، و حججه الباهرة القاهرة، و جهاده المتواصل إلى أن رجع كثير من المتأثّرين بالمسلك إلى الطريقة الحقّة و المنهج الصحيح، و على الرغم من ذلك فقد بقيت من المسلك المذكور مخلّفات و آثار غير محمودة عند المتأخّرين من العلماء، فقام الشيخ مرتضى الأَنصارى قدَّس سرَّه بإزالة ما بقى من تلك الرواسب فى

تذكرة الأعيان، ص: ۳۶۹

الأَذهان بكتبه القيّمة، و أفكاره الناضجة، و بحوثه الرائعة التى ألقاها فى النجف الأَشرف، فاستتبّ الأَمر للأُصوليّين، و لم يبق من أتباع المذهب المبتدع إلّا صبابة كصبابة الإناء، تظهر بين آونةٍ و أُخرى.

و نحن على يقينٍ بأنّ إعادة هذه الفكرة إلى حيز الوجود فى الحوزات العلمية ما هى إلّا مؤَامرة حيكت لِافراغ التشيّع عن طابعه العلمى، الذى كان سلاحه فى مواجهة أعداء الدين عبر القرون، و من الواضح بمكان أنّ أىّ أُمّة إن لم تعر أهمية للعقل و البرهان لَاضحت فريسة سائغة للاستعمار، فتذهب ثقافتها و ثرواتها إدراج الرياح، و تصبح أُمّة مضطهدة مستعمرة لا تملك حولًا و لا قوة و لا، و لا.

حياة الشيخ الأَنصارى و شخصيّته

اشارة

قد صبَّ الشيخ الأَعظم الأَنصارى جهوده العلميّة لِارساء قواعد الفقه و الأُصول فى ضوء الكتاب و السنّة و العقل، و اجتثاث أُصول المسلك الاخبارى من خلال بحوثه و كتبه، فأداء لبعض حقّه، نقوم بترجمة موجزة لحياته و شخصيّته.

ولد قدَّس سرَّه غدير عام (۱۲۱۴ ه) ينتهى نسبه إلى جابر بن عبد اللّه الأَنصارى، و قد سرد بعض شخصيّات أُسرته هكذا: الشيخ مرتضى بن الشيخ محمّد أمين بن الشيخ مرتضى بن الشيخ شمس الدين بن الشيخ محمّد شريف بن الشيخ أحمد بن الشيخ جمال الدين بن الشيخ حسن بن الشيخ يوسف بن الشيخ عبيد اللّه بن الشيخ قطب الدين محمّد ابن زيد بن أبى طالب بن عبد الرزّاق بن جميل بن جليل بن نذير بن جابر ابن عبد اللّه الأَنصارى.

و كأنّه يرومه الشاعر المفلِق و يقول:

شرفٌ تتابع كابر عن كابر كالرمح أنبوب على أنبوب

تذكرة الأعيان، ص: ۳۷۰

فهو وليد الطاهر، ذو المجد الأَصيل، يشهد نسبه على شرف أرومته.

فنذير ابن جابر انتقل إلى مدينة «تُستر» إبّان افتتاحها على يد عساكر الإِسلام فألقى رحل إقامته هناك و أسّس هذه الأسرة العلميّة التى لم تزل تتلألأ فى كلّ قرن بمحدّث بارع، أو فقيه متضلّع، أو خطيب مِصْقَع رضوان اللّه عليهم أجمعين.

و أمّا الشيخ الأَعلم فهو النجم اللامع بل الشمس البازغة فى سماء هذه الأُسرة الجليلة و هو من الفطاحل العظام الذين يضنّ بهم الدهر إلّا فى فترات متقطّعة متباعدة، قد قرأ الآليات «۱» و السطوح العالية فى موطنه «دزفول» و تخرج على يد عمّه الشيخ حسين الأَنصارى من أفاضل الأسرة، و لكن لم تقنع نفسه بما أخذ و تعلّم فيه فأعدّ العدّة مع والده لزيارة العتبات المقدّسة عام (۱۲۳۲) و له من العمر (۱۸) سنة فورد كربلاء المقدّسة يوم كانت تزدحم حوزتها بفضلاء كبار، و علماء فطاحل، و على رأسه العلمان الجليلان: ۱- السيّد محمّد بن السيّد على المعروف بالسيّد المجاهد مؤَلّف «المناهل فى الفقه» كما أنّ والده هو مؤَلّف «الرياض»، و اشتهر بالمجاهد لأَنّه أفتى بالجهاد ضدّ الاحتلال الروسى لبعض مدن إيران الشماليّة و توفّى عام (۱۲۴۳ ه).

۲- الشيخ محمّد شريف الآملى المازندرانى المعروف بشريف العلماء المتوفّى عام (۱۲۴۵ ه).

و قد زار الشيخ بعد ما وصل كربلاء مع والده، السيّد المجاهد، بإيصاء من عمّه و أُستاذه، لما كان بينهما من صلة وثيقة أيّام دراسته فى العراق، فلمّا تعرّف السيّد المجاهد على الوالد و الولد رحّب بهما، ثمّ انتهى الكلام بينهم إلى مسألة فقهيّة تكلّم فيها الشيخ بإذن والده، فظهر نبوغه و توقُّد فطنته للسيّد المجاهد، و عند ذلك طلب من والده أن يتركه فى كربلاء المقدّسة للدراسة و عليه

---

(۱) المراد من العلوم الآلية ما يستخدم آلة لفهم الكتاب و السنّة أو إقامة البرهنة كالنحو و الصرف و البلاغة و المنطق.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۷۱

رعايته، فقبل الوالد، فأقام الشيخ أربع سنين فيها تردّد خلالها إلى حلقات دروسا لعلمين الجليلين، إلى أن احتلّ والى بغداد مدينة كربلاء المقدّسة بأمر من الخليفة العثمانى، فغادر الشيخ مهجره و نزل الكاظميّة، فوجد هناك بعض مواطنيه فرجع معهم إلى موطنه دزفول فأقام هناك حوالى سنة، و لكن كيف تستقرّ نفس الشيخ فى موطنه و قد ذاقت حلاوة العلم، و تعرّف على آفاقه المشرقة، فغادر الموطن لمواصلة الدراسة فى كربلاء، فأقام بها سنة هاجر بعدها إلى النجف الأَشرف، فحضر هناك دروس المحقّق الشيخ موسى كاشف الغطاء قرابة سنتين، ثمّ أحسّ فى قرار ضميره أنّه أخذ ما يجب أخذه من أساتذة العراق و لا بدّ من التجوّل فى المدن الأُخرى لعلّه يجد فيها بغيته، فرجع إلى إيران قاصداً موطنه «دزفول» و حدّث أهله بما يرومه و يقصده، فواجه المنع من جانب والدته، إلى أن استقرّ رأيهما على الاستخارة، و لمّا فتح الشيخ المصحف الشريف بطلب الهداية و الخيرة وافاه فى صدر الصفحة قوله سبحانه: (لا

تَخَافِي وَ لَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) «۱».

فعند ذلك لم تجد الأُمّ الحَنون بُدّاً من التسليم و النزول عند رغبته فودّعت ولدها داعية له بالسلامة و التوفيق، و قد شدّت عضده بأخيه الشيخ منصور و قد مثّلت بعملها هذا قوله سبحانه: (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ..) «۲».

و كان ذلك فى عام (۱۲۴۰ ه).

رحلته العلميّة و تجوّله فى البلدان

بدأ الشيخ برحلته العلميّة حتّى نزل بلدة «بروجرد» يوم كانت الرئاسة العلميّة فيها للشيخ أسد اللّه البروجردى مؤَلّف «فوائد الاحكام» المتوفّى

---

(۱) القصص: ۷.

(۲) القصص: ۳۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۷۲

عام (۱۲۷۰ ه).

فأقام هناك شهراً تامّاً لم يجد فيها بُغْيَتَه فغادرها و نزل مدينة أصفهان يوم كانت الزعامة العلميّة لعالمها الوحيد السيّد محمّد باقر الشفتى المعروف بحجّة الإسلام و هو الرجل الورع الذى لم يكن تأخذه فى اللّه لومة لائم، و قد لبّى دعوة ربّه عام (۱۲۶۰ ه).

و قد جرت بينه و بين الشيخ مباحثات و مناظرات طلب منه على أثرها الإقامة و الاشتغال بالتدريس هناك، و لكنّ الشيخ اختار المغادرة و مواصلة رحلته العلميّة حتّى هبط بلدة «كاشان» فنزل فى بعض مدارسها و كان الزعيم العلمى فيها يومذاك، الشيخ أحمد النراقى مؤَلّف «مستند الشيعة فى أحكام الشريعة» الذى يعدّ خيرَ دليلٍ على براعته العلميّة و نبوغه فى التفريع و البرهنة على الفروع و قد توفّى عام (۱۲۴۵ ه) فوجد الشيخ أُمنيته هناك فأقام فيها أربع سنين حضر خلالها دروسه و نبغ فى الفقه و الأُصول على يديه كما اشتغل بالتأليف و التصنيف مضافاً إلى التدريس.

و لمّا عزم الشيخ على أن يغادر كاشان عام (۱۲۴۴ ه) نال من أُستاذه الرؤوف إجازة مفصّلة أدّى فيها حقّ الشيخ حيث وصفه بألقاب بديعة تُعرب عن إعجابه الشديد بتلميذه، و سيوافيك نزرٌ منها، ثمّ إنّ الشيخ ودّع أُستاذه و ترك المدينة إلى أن نزل مشهد الرضا- عليه السلام- فأقام هناك أشهراً قلائل ثمّ رجع إلى طهران و منها إلى دزفول و قد استغرقت رحلته العلميّة ستّ سنوات، ثمّ وجد فى نفسه شوقاً مؤَكّداً للرحيل إلى العراق مرّة ثالثة، بعد ما واجه بعض الاحداث المريرة فى بلده، فهاجر إلى النجف عام (۱۲۴۶ ه) و كانت يومذاك، المدرسة الكبرى للشيعة و التى تزدحم بآلاف الطلّاب و الفضلاء الاساتذة و كانت الرئاسة العلميّة على عاتق العلمين الكبيرين: ۱- الشيخ علىّ بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفّى عام (۱۲۵۴ ه).

۲- الشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر المتوفّى عام (۱۲۶۶ ه).

تذكرة الأعيان، ص: ۳۷۳

فقد تتلمذ الشيخ فى رحلته هذه على يد كاشف الغطاء، إلى أن استقلّ بالتدريس و طار صيته فى أوساط النجف و أقبل على بحوثه العلميّة لفيف من العلماء و الفضلاء، و اشتهر بالنبوغ و التفوّق العقلىّ إلى حدّ عرفه الصغير و الكبير بالعلم و الفضل و التعمّق و الدقّة.

صاحب الجواهر يختار الشيخ للزعامة

كان الشيخ محمّد حسن مؤلّف «الجواهر» الذى يعد أكبر موسوعة فقهيّة فى فقه الإماميّة كتبت لحدّ الآن زعيماً علميّاً لا ينازعه أحد، و كان قد طعن فى السنّ فلمّا أحسّ باقتراب أجله و أنّه يوشك أن يُلَبّى دعوة ربّه، أحضر انطلاقاً من المسئوليّة الكبرى التى كان يتحمّلها طوال سنين أكابر الحوزة و علماءها فى بيته حتّى يتّخذوا قراراً بشأن زعامة الحوزة، و المرجعيّة الكبرى للشيعة من بعده، فلمّا حضر العلماء تصفّح وجوههم فلم يرَ بينهم الشيخ الأنصارى، فأمر بإحضار الشيخ، فلمّا دخل مجلسه أخذ بيده و أحلّه إلى جنبه و وضع يده على قلبه و قال: الآن طاب لى الموت، ثمّ أقبل على الحاضرين و قال: هذا مرجعكم بعدى.

ثمَّ خاطب الشيخ و قال: قلّل من احتياطاتك فإنّ الشريعة سمحة سهلة.

و بذلك انتخب الشيخ بإيصاءٍ من مرجع رسمىّ خضعت له القلوب و الأفكار، للزعامة العلميّة و المرجعيّة، ثمّ بعد انفضاض المجلس، قام الشيخ إلى حرم الإمام أمير المؤمنين- عليه السلام مبتهلًا عنده إلى اللّه سبحانه أن يعينه فى هذه المسئوليّة الخطيرة و يصونه من الزلل.

و لمّا لبّى صاحب الجواهر دعوة ربّه، انتقلت إليه الزعامة بلا منازع، و قام بأعبائها بقلب سليم، و استمرّ فى تسيير أُمور الجماعة، بحزم و حكمة و بإرادة صلبة لا تعرف الضعف و الكلل، و لم يكن رائده إلّا رضاه سبحانه و تعالى إلى أن لَقِىَ ربّه

تذكرة الأعيان، ص: ۳۷۴

فى ليلة السبت المصادفة ليلة الثامنة عشرة من شهر جمادى الأُخرى من شهور عام (۱۲۸۱ ه)، و شيّع جثمانه الطاهر جميع العلماء، و فى طليعتهم تلاميذه الأكابر، و دفن فى حجرة من حجرات الصحن الحيدرى الشريف، و تقع مقبرته على يسار الخارج من الباب الجنوبى للحضرة العلويّة المقدّسة.

هذه هى إلمامة عابرة و عرض خاطف عن حياة الشيخ الأنصارى الذى كرّس حياته فى التدريس و التأليف و إعداد الفضلاء و تربية المجتهدين، و إرساء دعائم النهضة العلميّة الدينيّة الحديثة التى تُعدّ بحقٍّ ثورة علميّة كبرى قلّما اتّفق نظيرها فى العصور السابقة.

و لكى يقف القارئ على عظمة الشيخ فى مجال العلم و الفضل، و علوّ كعبه فى صعيد الزهد و التُّقى، نأتى ببعض الكلمات الصادرة من أساتذته و تلامذته حتّى يكون كالمستشف للحقيقة عن كثب.

كلمات الإطراء و جُمَل الثّناء فى حقّه

كتب الشيخ النراقى إجازة مفصّلة له، وصفه فيها بقوله: «و ممّن جدّ فى الطلب و بذل الجهد فى هذا المطلب، و فاز بالحظّ الأوفر الاسنى، و حظا بالنصيب المتكاثر الاهنى، مع ذهن ثاقب، و فهم صائب، و تدقيق و تحقيق، و درك غائر رشيق، و الورع و التقوى و التمسّك بتلك العروة الوثقى، العالم النبيل و المهذّب الأصيل، الفاضل الكامل و العالم العامل، حاوى المكارم و المناقب، و الغائر بأسنى المواهب، الالمعىّ المؤيّد، و السالك طرق الكمال للأبد، ذو الفضل و النُّهى و العلم، الشيخ مرتضى بن الشيخ محمد أمين الأنصارى التسترى أيّده اللّه بتأييده، و جعله من كُمّل عبيده، و زاد اللّه فى علمه و تقاه و حيّاه بما يرضاه، و قد استجاز بعد ما تردّد إلىَّ و قرأ علىَّ و تبيّنت فضيلته لدىَّ، و لمّا كان أيّده اللّه سبحانه

تذكرة الأعيان، ص: ۳۷۵

لذلك أهلًا، و إنجاح مسئوله فرضاً لا نفلًا، فأجزت له أسعد اللّه جدّه و ضاعف كدّه و جدّه أن يروى عنّى كتاب نهج البلاغة» «۱».

و قال عنه المحدّث النورى (المتوفّى ۱۳۲۰ ه)، بعد ما ذكر أنّ نسبه ينتهى إلى جابر بن عبد اللّه الأنصارى: و من آثار إخلاص إيمان «جابر» و علائم صدق ولائه أن تفضّل اللّه تعالى عليه و أخرج من صلبه مَنْ نَصَرَ الملّة و الدين بالعلم و التحقيق و الدقّة، و الزهد و الورع و العبادة و الكياسة، بما لم يبلغه من تقدّم عليه و لا يحوم حوله من تأخّر عنه.

و قد عكف على كتبه و مؤلّفاته و تحقيقاته، كلّ من نشأ بعده من العلماء الاعلام و الفقهاء الكرام، و صرفوا هممهم، و بذلوا

مجهودهم، و حبسوا أفكارهم و أنظارهم فيها و عليها، و بعد ذلك معترفون بالعجز عن بلوغ مرامه فضلًا عن الوصول إلى مقامه جزاه اللّه تعالى عن الإسلام و المسلمين خير جزاء المحسنين «۲».

و وصفه سيّدنا العلّامة السيّد محسن الأمين (المتوفّى ۱۳۷۳ ه) فى أعيان الشيعة بقوله: الأُستاذ الامام المؤَسس، شيخ مشايخ الإماميّة، و قد انتهت إليه رئاستهم العامّة فى شرق الأرض، و غربها، و صار على كتبه و دراسته، معوّل أهل العلم، لم يبق أحد لم يستفد منها، و إليها يعود الفضل فى تكوين النهضة العلميّة الأخيرة فى النجف الأشرف، و كان يملى دروسه فى الفقه و الأُصول، صباح كلّ يوم و أصيله فى الجامع الهندى، حيث يغصّ فضاؤه بما ينيف على الأربعمائة من العلماء «۳».

---

(۱) الإجازة مذكورة برمّتها فى كتاب شخصيّة الشيخ الأنصارى: ۱۳۰۱۲۰.

و المؤلّف من أحفاد أخى‌الشيخ الأنصارى المعروف بالشيخ منصور الذى شدَّت أُمّ الشيخ عضده به.

(۲) مستدرك الوسائل ۳: ۳۸۳ و ۳۸۴.

(۳) أعيان الشيعة ۱۰: ۱۱۸.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۷۶

و لو أردنا سرد كلمات الإطراء فى حقّه لطال بنا الموقف هنا مع القارئ الكريم مع أنّ المقام لا يسع، و لأجل ذلك نكتفى بكلمات درّيّة و جمل مضيئة نختارها من الشخصيّات الكبيرة من أعلام الشيعة و السنّة.

۱- قال عنه الشيخ على كاشف الغطاء (المتوفّى ۱۲۵۱ ه) أُستاذ الشيخ: كلّ شىء سماعه أعظم من عيانه إلّا الشيخ مرتضى فإنّ عيانه أعظم من سماعه.

۲- و قال عنه السيّد حسين البروجردى (المتوفّى ۱۲۶۷ ه) المعاصر للشيخ فى أُرجوزته المعروفة ب «نخبة المقال فى علم الرجال»:

و ابن أمين مرتضى الأنصارى شمس الشموس قدوة الأخيار

۳- و قال أُستاذى الكبير السيّد محمّد الحجّة الكوه‌كمرى (۱۳۰۱ ۱۳۷۲ ه) فى درسه الشريف ما ترجمته: قد أشعل الشيخ مشعلًا منيراً فى طريق العلم، و هو أعزّ ما تركه بعده، و الكلّ من بعده، على ضوء ذلك المشعل المنير، يسيرون، و بضوئه يستنيرون.

۴- و نقل عن الدكتور عبد الرزّاق السنهورى، مؤَلّف «الوسيط» فى عشرة أجزاء، الذى شرح فيه القانون المدنى لمصر، و بدأ بتأليفه عام (۱۹۳۶ م) و قد تجاوب هذا الكتاب مع حاجات العصر و نال شهرة كبيرة فى البلاد العربيّة حتّى صار يضرب به المثل فى الدقّة و العمق، أنّه قال: كما حدّثنى الثقات نقلًا عن بعض أساتذة كليّة الحقوق ببغداد: «لو كنت اطّلعت على كتاب المكاسب للشيخ الأنصارى قبل تأليف «الوسيط» لغيّرت الكثير من آرائى فى ما كتبته حول المعاملات».

إلى غير ذلك من جمل الإطراء، و كلم الثناء التى لا تستطيع تحديد شخصيّة عظيمة مثل الشيخ الأعظم و كأنّى بأبى الفتح البستى الشاعر المفلق يريد الشيخ

تذكرة الأعيان، ص: ۳۷۷

الأعظم بقوله:

لا يُدرك الواصف المُطْرى خصائصَه و إن يكن سابقاً فى كلّما وصفا

نعم هو الجوهر الفرد الذى لا ينتج له الزمان مثيلًا إلّا فى البرهة بعد البرهة، أو فى القرن بعد القرن و كان قدَّس سرَّه مركز الدائرة للفضائل، فخطوط المكارم المنتهية إليه سواء لا توصف بالطول و لا بالقصر كيف و هو حسب قول الإمام أمير المؤمنين- عليه السلام- قد أحيى عقله، و أمات نفسه حتّى دقّ جليلة و لطُف غليظة «۱».

تآليفه و تصانيفه

قد ترك الشيخ آثاراً جليلة لم يزل بعضها مدار الدراسة و البحث فى جامعات الشيعة، و هو يعطى لكلّ موضوع فى كلّ تأليف صبغته الجديدة و قد طبع أكثرها، و نحن نشير إلى أسمائها على وجه الإجمال: ۱- رسالة فى الإرث، ۲- رسالة فى التقيّة، ۳- رسالة فى التيمّم، ۴- رسالة فى الخمس، ۵- رسالة فى قاعدة الضرر و الضرار، ۶- رسالة فى القضاء عن الميّت، ۷- رسالة فى المواسعة و المضايقة، ۸- رسالة فى التسامح فى أدلّة السنن (طبعت أيضاً فى ضمن حاشية الاوثق على الرسائل، ۹- رسالة فى قاعدة من ملك شيئاً ملك الإقرار به «۲» ۱- رسالة فى مناسك الحجّ، ۱۱- تعليقة على استصحاب القوانين، ۱۲- تعليقة على نجاة العباد، ۱۳- تعليقة على بغية الطالب، ۱۴- رسالة فى علم الرجال، و هى تقرب فى الحجم من خلاصة العلّامة فى ذلك العلم و توجد نسخة منها فى مكتبة الامام الرضا- عليه السلام- و قد فرغ منها الكاتب عام وفاة

---

(۱) نهج البلاغة، شرح محمّد عبده، الخطبة ۲۱۵.

(۲) هذه الرسائل طبعت إمّا فى آخر المكاسب بعنوان الملحقات أو مع «مطارح الانظار» لتلميذها المعروف بالكلانترى.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۷۸

الشيخ (۱۲۸۱ ه).

۱۵- رسالة فى الردّ على القائلين بقطعيّة الاخبار، و قد أشار إليه الشيخ فى رسالة الظنّ من فرائده، ۱۶- رسالة فى القرعة، ۱۷- تعليقات على «عوائد» أُستاذه النراقى، ۱۸- كتاب الطهارة، و هو كتاب استدلالى مبسوط مطبوع منتشر و قد علّق عليها تعليقات منها تعليقات شيخنا الوالد الشيخ محمّد حسين السبحانى المتوفّى عام (۱۳۹۲ ه) و فى هذه الرسائل شواهد جليّة على نضوج رأيه، و صفاء ذهنه.

و على أنّه كان لا يترك فى كلّ مسألة فقهيّة أو رجاليّة سؤَالًا لسائل، و لا مجالًا لقائل، و تغلبُ على جميعها روح التحقيق و الإمعان و إقناع القارئَ فيما يرومه و يهدف إليه.

و قد أفرغها الشيخ فى قالب التأليف بقلم سيّال من غير إيجاز مخلّ إطناب مملّ.

و لكن السبب الذى جعلا لشيخ فى زمرة القلائل من العلماء هو ما نذكره من آثاره الجليلة.

۱۹- الفرائد: المشهور بالرسائل، هذا الكتاب مؤَلّف من رسائل مختلفة، طبعت فى مجلّد واحد تبحث عن أحكام القطع و الظنّ، و تحدِّد مجرى أصل البراءة و الاشتغال، و تبحث عن الاستصحاب و عن أحكام التعادل و التراجيح، و قد صار هذا الكتاب منذ اشتهاره فى الحوزات العلميّة، مداراً للدراسة و قد أكبّ على تدريسها و تحشيتها كثير من تلامذة الشيخ و تلامذة تلامذته و ربّما يربو عدد التعاليق على (۶۵) تعليقة «۱».

و الحقّ أنّ الشيخ خدم العلم و أهله بهذا الكتاب القيّم خدمة عظيمة، و ذلك لَانّه قام: أوّلًا: بتحرير أحكام القطع و الظنّ، و قد قسّم الظنّ إلى ظنّ خاصّ و ظنّ

---

(۱) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ۶- ۱۵۲، فما بعد مادّة «الحاشية» و قد سقط من قلمه الشريف بعض التعاليق الموجودة فى خزائن الكتب كما أنّه لم تسجل فيها التعاليق التى أُلّفت فى الاعصار المتأخّرة و ممّا سقط من قلمه الشريف حاشية «إرشاد الأَفاضل» للوالد قدَّس سرَّه.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۷۹

مطلق و أعطى الكلّ حكمه.

و ثانياً: قام فی رسالة البراءة و الاشتغال بتبيين مجاريهما و قد كانت غير منقّحة فی كلمات السابقين فربّما كانوا يتمسّكون بالبراءة فی موضع الاشتغال، كما يتمسّكون به فی موضع البراءة أضف إلی ذلك أنّه قرّر موقف الدليل الاجتهادی من الأَصل العملی فاستنتج أنّه لا يمكن أن يحتجّ بهما معاً لحكومة الدليل الاجتهادی علی الأَصل العملی.

و ثالثاً: قام فی رسالة الاستصحاب بعقد تنبيهات بعد الفراغ من إثبات حجّيته بالاخبار.

أودع الشيخ فيها أفكاره الناضجة و آراءه البديعة، فمن راجعها رأی أنّه المؤَسّس للكثير من القواعد الواردة فيها و إن كان لبعضها جذور فی كلمات من تقدّم عليه فلاحظ ما دبّجه بقلمه الشريف حول الاستصحاب الكلّی بأقسامه، و الاستصحاب التعليقی و عدم حجّيّة الأَصل المثبت «۱» و الاستصحاب السببی و المسبّبی علی وجه تجدها برمّتها أفكاراً لم تقرط بها أذن الدهر قبل ذلك قطّ.

۲۰- المتاجر المعروفة بالمكاسب: هو الكتاب الثانی الذی عليه مدار الدراسة و البحث فی الحوزات العلميّة، و هو كتاب عظيم جليل لم يسمح الدهر بمثله، يبحث عن أحكام المكاسب المحرّمة أوّلًا، ثمّ عن أحكام البيع ثانياً، ثمّ عن أحكام الخيارات و الشروط ثالثاً، ثمّ عن أحكام القبض و النقد و النسيئة رابعاً، و هناك بحوث طرحها الشيخ خلال الكتاب لمناسبات اقتضاها المقام، ففيها دقائق علميّة تعرب عن كون الكتاب وليد فكر خارق للعادة، و المؤلّف لا يغوص

---

(۱) ربّما يشير صاحب الجواهر إلی عدم حجّيّة الأَصل المثبت، لاحظ ۳۱: ۱۳۴ و ۳۶۴ من كتاب «جواهر الكلام»، و لهذه المسائل جلّها أو كلّها جذور فی كلمات الأَصحاب، إلّا أنّه حقّقها و حرّرها بنحو بديع و بمثال غير سابق.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۸۰

فی بحار الفقه إلّا و يخرج بالدرر و الدرارى و الجواهر الثمينة و قد تعرّفت علی كلام الدكتور عبد الرزاق السنهورى مؤَلّف: الوسيط: فی حقّ الكتاب و لأَجل ذلك يعدّه المحقّق المامقانی من أحسن كتب الشيخ و أثمنها «۱».

و للكتاب تعاليق قيّمة ذكرها الشيخ الطهرانی فی ذريعته «۲» و ربّما تربو علی ۳۰ تعليقة، و أحسن التعاليق تعليقة السيّد الطباطبائی قدّس سرّه.

۲۱- رسالة فی الاجتهاد و التقليد، طبعت فی مجموعة رسائل فقهيّة و أُصوليّة عام ۱۴۰۴ ه.

ق.

و من الطريف أنّ الشيخ الأَعظم مع أنّه كان ضعيف البصر و ربّما كانت المطالعة فی الليالی أمراً صعباً عليه، قد كتب مصحفاً كاملًا بخطّه الشريف و هو موجود بين أحفاده، حشره اللّه مع القرآن و العترة.

تلامذته

قد تعرّفت من كلام سيّد الأَعيان علی أنّ الشيخ كان يلقی دروسه فی الجامع الهندی فی النجف الأَشرف و يغصّ فضاؤه بما ينيف علی الأَربعمائة من العلماء و الطلّاب، فقد تخرّج عليه كثير من الفقهاء و المجتهدين الذين تسنّموا منصة الزعامة العلميّة و الرياسة الدينيّة بعد رحلة الشيخ نظراء: الميرزا الشيرازی (المتوفّی ۱۳۱۲ ه)، و السيّد حسين الكوهكمری (المتوفّی ۱۲۹۹ ه)، و الشيخ موسی التبريزی مؤَلّف «أوثق الوسائل» (المتوفّی ۱۳۰۷ ه)، و الحاج ميرزا حبيب اللّه الرشتی (المتوفّی ۱۳۱۲ ه)، و الشيخ حسن المامقانی (المتوفّی ۱۳۲۳ ه)، و الشيخ محمّد الشربيانی (المتوفّی ۱۳۲۲ ه)، و الشيخ علی النهاوندی (المتوفّی ۱۳۱۷ ه)، و الشيخ علی العلياری (المتوفّی ۱۳۲۷ ه)، و الشيخ محمّد كاظم

---

(۱) غاية الآمال، للشيخ حسن المامقانی المتوفّی ۱۳۲۳.

(۲) الذريعة ۳ ۲۲۱: ۲۱۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۸۱

الخراسانى (المتوفّى ۱۳۲۹ ه)، إلى غير ذلك من علماء أجلّاء قدَّس سرَّهم.

و قد أتى صديقنا الحجّة الشيخ مرتضى الأَنصارى (دام مجده) فى كتابه بأسماء كثير من تلامذة الشيخ مع تراجمهم فبلغ (۳۱۵) تلميذاً بارعا «۱» و قد أغنانا كتابه عن الايعاز إلى أسمائهم فضلًا عن الإِشارة بفضائلهم.

و آخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين.

---

(۱) لاحظ شخصيّة الشيخ الأَنصارى: ۱۶۸ ۳۱۵.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۸۲

۱۶- زين العابدين الكلپايگانى المعروف ب «حجة الإِسلام» (۱۲۱۸- ۱۲۸۹ ه)

اشارة

العلم شمس طالعة، تبدد الظلم الحالكة، و تمزق أستار الغياهب المدلهمّة، و العلماء حملة مشاعل النور بين الأُمّة، يضيئون العقول بأنوار المعرفة، و يكشفون عن الطرق المثلى لبناء حياة سعيدة رغيدة تُحيى فيها الفضائل و تموت الرذائل.

إنّ بين العلماء نوابغ قلائل يضنُّ بهم الدهر إلّا فى فترات متقطّعة و متباعدة و هؤلاء يُعدّون من حملة مشاعل النور و نبارسه و مصابيحه.

و من تلك الزمرة و النموذج الأَمثل لهؤَلاء شيخنا العلّامة الحجّة آية اللّه العظمى الآخوند ملّا زين العابدين الكلبايكانى المعروف ب «حجّة الإِسلام» فقد كان من نوابغ عصره و فطاحل زمانه، و قد حقّت له العبقريّة و النبوغ.

ولد رحمه اللّه فى موطنه كلبايكان عام ۱۲۱۸ ه.

ق و أخذ هناك الأَوّليات و تعلّم السطوح العالية ثمّ انتقل لتكميل دروسه إلى مدينة أصفهان فتلقّى فيها دروساً على يد المحقّق الشيخ محمّد تقى صاحب الحاشية (المتوفّى ۱۲۴۸ ه) و لم تقنع نفسه الكريمة بما اكتسبه من العلوم فغادر أصفهان إلى المدرسة الكبرى للشيعة: النجف الأَشرف و أخذ هناك عن أعلام عصره مثل الشيخ على كاشف الغطاء نجل الشيخ جعفر الكبير و الشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر

تذكرة الأعيان، ص: ۳۸۳

(المتوفّى ۱۲۶۶ ه) و غيرهما من أساتذة الوقت و أعاظم العصر إلى أن استقلّ بالتدريس و تخرّج على يديه لفيف من المحقّقين الكبار، نظراء: السيّد حسين الكوهكمرى (المتوفّى ۱۲۹۹ ه) و السيّد ميرزا حسن الشيرازى (المتوفّى ۱۳۱۲ ه) إلى غيرهما من الأَكابر الاعلام، ثمّ انتقل إلى موطنه قائماً بالوظائف الدينيّة و مكبّاً على الدراسة و الكتابة حتّى انتقل إلى جوار ربّه عام ۱۲۸۹ «۱» و ترك ثروة علميّة كبيرة ما زالت مخطوطة كالكنوز الثمينة تحت أطباق الثرى.

ما قيل فى حقه:

۱- مجتهد فحل و مرجع لجميع أهل الفضل، و كان جميع أفاضل عصره و مجتهدى زمانه يعدّون أنفسهم دونه فى الفقاهة و الاجتهاد، كان رحمه اللّه على ما حكى متخصّصاً فى اثنى عشر فنّاً، كما كان البعض يعتقد بأنّه كان صاحب الكرامات و المكاشفات، غير أنّ نطاق التحرير فى هذه الرسالة لَاضيق من أن يحيط بترجمة هذا الفقيه الأَعظم، و أقصر من أن يقوم بالواجب نحوه، فليس عندنا عبارة

تفى بحقّ أمثال هؤلاء من الرجال مع رعاية الاختصار.

توفّى قدّس اللّه روحه عام ألف و مائتين و تسعة و ثمانين «۲».

۲- النحرير الصمدانى ملّا زين العابدين الجرفادقانى «۳» كان فى العلوم بحراً خِضَمّاً، و بين العلماء فقيهاً معظّماً، أعلم الفقهاء على اليقين، رئيس الملّة

---

(۱) حكى العلامة الحجّة السيد أحمد الحسينى الاشكورى فى حاشية النسخة المطبوعة من «الكرام البررة» للمحقّق آقا بزرگ الطهرانى عن الورقة الأولى من كتاب شرح الشرائع للمولى على بن عبد الغفار الموجودة فى مكتبة المرعشى: انّ الشيخ زين العابدين الگلپايگانى توفى بعد مضى ساعتين من يوم الثلاثاء ۱۱ ربيع الثانى سنة ۱۲۸۹.

(۲) المآثر و الآثار: الباب العاشر، ص ۱۴۶ باللغة الفارسية، و قمنا بترجمته حرفياً.

(۳) معرب گلپايگان.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۸۴

و الدين و أورع المتورعين، و أزهد الزاهدين عقمت الأَرحام عن مثله، و لم يسمع الدهر بنظيره، و قد تشرفت فى سالف السنوات بعد أن رجعت من العتبات العاليات بخدمته، و ساعدنى التوفيق على إدراك فيض حضرته، و قد كتبت إليه بعد وفاة الشيخ مرتضى الأَنصارى جماعة من أكابر تلامذته، منهم الحاج ميرزا حسن الشيرازى و الحاج السيّد حسين الترك يلتمسون منه الهجرة من جرفادقان إلى النجف الأَشرف، ليستفيدوا من علومه و أفكاره، فلم يجب سولهم معتذراً بأنّه قد طعن فى السن، و لا تساعده الحال على البحث و التدريس.

و قد كان زاهداً بعيداً عن زخارف الدنيا، مجتنباً عن معاشرة أرباب القيل و القال، و قد أوصانى قدَّس سرَّه بإقلال المعارف، و ترك التصدى للمرافعة و القضاء و الابتلاء بمخالطة أبناء الزمان، و لا سيّما الحكّام و الأُمراء، و له مصنّفات كثيرة فى الفقه و الأُصول و المعارف و المنقول من جملتها كتاب «الأَنوار القدسيّة» و قد تلقّاها الفحول بالقبول «۱».

۳- العلّامة المشهور فى گلپايگان، هاجر إلى أصبهان، و أخذ عن الشيخ محمد تقى صاحب حاشية المعالم، ثمّ ارتحل إلى كربلاء و تتلمذ على شريف العلماء و صاحب الفصول، ثمّ هاجر إلى النجف و أخذ الفقه عن الشيخ على بن الشيخ جعفر، ثمّ عن صاحب الجواهر، ثمّ عاد إلى بلده، و تصدر التدريس.

له من المؤَلّفات: ۱- شرح الدرة النجفيّة لبحر العلوم، ۲- صلاة المسافر، ۳ صلاة الجماعة، و لم تكن الدرة مشتملة عليهما.

۴- شرح أسماء اللّه الحسنى، ۵- روح البيان، باللغة الفارسيّة، ۶- كتاب النكاح و المتاجر، ۷- الأَنوار القدسيّة فى الفضائل الاحمديّة، ۸- تفسير قوله سبحانه: (إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ).

---

(۱) لبّ الأَلقاب فى ألقاب الأَطياب للشيخ العارف حبيب اللّه الشريف الكاشانى: ۱۰۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۸۵

يروى عن صاحب الجواهر، و يروى عنه جماعة منهم المجدد الميرزا الشيرازى «۱».

۴- عالم و فقيه جليل، كان من أعاظم رجال الدين و أكابر فقهاء الطائفة، ولد فى سنة ۱۲۱۸، و اشتغل فى أصفهان على الشيخ محمّد تقى صاحب «حاشية المعالم» و بعد وفاته تشرف إلى العتبات المقدسة فى العراق فحضر فى النجف الأَشرف على الشيخ على كاشف الغطاء صاحب «الخيارات» و الشيخ محمّد حسين الأصفهانى صاحب «الفصول» و الشيخ محمّد حسن صاحب «الجواهر» حتّى بلغ فى الفقه و أُصوله مكانة سامية و أصبح على جانب عظيم من التحقّق و التبحّر.

عاد إلى گلپايگان فرأس و أصبح من مراجع الدين و أعلام المسلمين، و اشتغل بالتدريس و التأليف و ترويج الدين و نشر لواء المذهب إلى أن انتقل إلى رحمة اللّه فى الحادى عشر من ربيع الأوّل سنة ۱۲۸۹.

له آثار جليلة منها: «شرح الدرة» للسيّد مهدى بحر العلوم و هو مبسوط، و قد ضمّ إليه بابى صلاة المسافر و صلاة الجماعة غير الموجودين فى الدرة، و قد تمّا فى قرب مائة ألف بيت، و له «كتاب النكاح» و «كتاب المتاجر» و «روح الإيمان» فارسى و «الأنوار القدسيّة» و مجموعة على نهج الكشكول ذات فوائد كثيرة و «الوارد» فى الغيبة، إلى غيرها، و الجميع عند ولده العالم الجليل الميرزا محمّد مهدى المدعو ب «آقا زاده» و يروى عن مشايخه المذكورين و يروى عنه شيخنا العلّامة الميرزا حسين الخليلى بالإجازة منه، فقد أدركه فى سفره إلى إيران فى گلپايگان كما حكاه عنه السيّد حسن الصدر فى إجازته لى «۲».

هذا بعض ما قيل فى حقّه، غير أنّه كما اعترف به معاصره صاحب المآثر

---

(۱) أعيان الشيعة: ۷- ۱۶۴.

(۲) الكرام البررة للمحقّق الشيخ آقا بزرگ الطهرانى: ۲- ۵۸۷.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۸۶

و الآثار فوق هذه الأوصاف و التحديدات، كيف لا و آثاره الباقية الخالدة على جبين الدهر تدلّ على أنّ شيخنا المترجم له كان أوحدىّ عصره و إن عاقد سمطها هو الّذى استحلب صفو درتها، و استخرج إليهم من درتها.

تجاوز حدّ المدح حتّى كأنّه بأحسن ما يثنى عليه يعاب

و لأجل ذلك نطوى الكلام و الإيعاز إلى سماته و نكتفى بنقل هذه الحكاية: حدّثنا شيخنا آية اللّه الصافى عن الآية العظمى الحاج السيّد أحمد الخونسارى (المتوفّى ۱۴۰۵ ه) عن العلّامة الحجّة الحاج روح اللّه كمالوند الخرّم‌آبادى (المتوفّى ۱۳۹۷ ه) عن فقيه الطائفة و فقيد الإسلام آية اللّه العظمى السيّد حسين البروجردى (المتوفّى ۱۳۸۰ ه) هذه الحكاية البديعة: فى إحدى الحروب الداخليّة الّتى وقعت فى عهد الملك الايرانى «ناصر الدين شاه» كانت قواته تواجه الفشل و الإخفاق، و رغم سعى جيوشه للظفر على أعدائه كانت الخيبة حليفة لهم فطلبت القيادة العسكريّة الأمداد من الملك، فسأل الملك عن سبب إخفاق قواته و فشلها، فوافاه الجواب بأنّ جنوده الّذين يقاتلون فى هذه المعركة من مقلّدى حجّة الإسلام الشيخ زين العابدين الگلپايگانى و هو يحرم هذا القتال.

فاستدعاه الشاة إلى طهران حتّى يعاتبه على هذا التحريم، فلمّا قدمها نزل على العالم الكبير الطائر الصيت الحاج ملّا على الكنى (المتوفّى ۱۳۰۶ ه) و كان آن ذاك كبير علماء طهران، و لقى عنده حفاوة بالغة، ثمّ تقرر أن يتمّ لقاء بين الشيخ زين العابدين و الشاه، و قد كان من نيّة الشاه أن يعترض عليه بشدّة و عنف، و لمّا رأى رجال البلاط أنّ «الكنى» رافقه عند مجيئه إلى الشاة قام الملك بترحيب حارّ به.

فلمّا انتهى المجلس و خرج الضيوف من البلاط سأل بعض المقربين من الشاه عن سرّ عدوله عمّا نواه أوّلًا، فأجاب الملك بأنّى رأيت عند دخوله إلى قصرى كأنّ رجلًا قد شهر سيفه يمشى

تذكرة الأعيان، ص: ۳۸۷

إلى جانبه، فقلت فى نفسى سيأخذه شرطة القصر مهما كان، و يقبضون عليه، إلّا أنّنى لم أر أحداً يتعرض له قط، فقد كان يمرّ على الحرس من دون أن يقابله أحد، حتّى دخل علىّ بهذه الهيئة، ثمّ قال أى ذلك الرجل الحامل للسيف لى: إيّاك أن تسىء إلى هذا الشيخ، أو قال: إن تعرضت إليه بإساءة قتلتك بسيفى هذا أو قطعت عنقك، و لهذا لم أجرأ على المساس بالشيخ، أو الازدراء به، و قمت له بالاحترام اللازم و عاملته بأحسن ما يليق به من الأدب.

و من أشهر تصانيفه كتاب «أنوار الولاية» الذى يشتمل على ثمان رسائل: الرسالة الأولى: فى شرح حديث ما روى عن رسول اللّه صلّى

اللّه عليه و آله و سلّم: «لو اجتمع النـاس على حبّ عليّ- عليه السـلام- مـا خلق اللّه النار» و قـد ألّفها فى الحائر الشـريف الحسـينى ثمّ أكملها بعد أعوام.

الرسالة الثانية: فى تحقيق الصراط.

الرسالة الثالثة: فى شرح حديث الضبّ، و فيها الحثّ على التشبّه بأولياء اللّه المعصومين.

الرسالة الرابعة: فى علم المعصومين- عليهم السلام- و سعة علومهم.

الرسالة الخامسة: فى شرح حديث المعرفة.

الرسالة السادسة: فى بيان معنى الحبّ لأمير المؤمنين علىّ- عليه السلام-.

الرسالة السابعة: فى تحقيق القول فى علم المعصومين- عليهم السلام-.

الرسالة الثامنة: فى شرح الخطبة النبويّة فى فضيلة شهر رمضان.

و قد طبع الكتاب عام ۱۴۰۹ ه نشرته مؤسسة دار النشر الإسلامى و أرجو من اللّه سبحانه أن يوفق الدار لنشر سائر مؤلفاته فشكراً للدار، و لآية اللّه الصافى دام ظله على بذل جهوده المشكورة فى التفحص عن آثار فقيدنا الراحل و تشجيع الدار على نشرها.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۸۸

۱۷- الشيخ عبد الصمد بن محمد باقر الخامنئى (۱۲۲۰- ۱۳۱۱ ه)

رسالة الشعر و الشعراء

اشارة

لا يخفى على أحد ما للشعر من تأثير خاص فى نفسيّة كل إنسان، يلمسه عند قراءته و استماعه له بحيث يتفاعل معه و ينقاد لما يريده، و لهذا نرى بوضوح كيف إنّ السلطات الظالمة كانت تجعل منه أداة طيّعة لخدمة أغراضها و توجّهاتها، فقد كانوا يستخدمون الشعراء لغايات ماديّة و أغراضٍ سياسيّة، فيرسلون قصائدهم لكل صقع و ناحية فى سبيل جلب الناس إليهم، فكان الشعر إلى جنب الخطابة وسيلتين اعلاميتين فى تلك العصور.

إلّا أنّ استخدام الشعر و الشعراء لم يكن مختصّاً بأهل الهوى فى أهدافهم فحسب، بل كان رجال الوحى و الدين يستخدمون ذلك السلاح فى تحقيق أهدافهم الاصلاحيّة.

حيث يحدثنا التاريخ أنّ النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- كان يأمر شعراء عصر الرسالة كحسان بن ثابت، و كعب بن مالك، و عبد اللّه بن رواحة و غيرهم بالرد على الشعراء الذين كانوا يهاجمون الإسلام و أهله بقصائدهم، كما حصل حينما قال ابن الزبعرى فى غزوة أُحد قصيدته التى مطلعها:

يا غراب البين أسمعتَ فقل إنّما تنطُق شيئاً قد فعل

تذكرة الأعيان، ص: ۳۸۹

أجابه حسّان بن ثابت بقصيدة بمثل تلك القافية و مستهلّها:

ذهبت بابن الزبعرى وقعة كان منّا الفضلُ فيها لو عدل

إلى غير ذلك من الشعراء المواكبين لهذا الخط فى عصر الرسالة، الملتفّين حول الرسول- صلى الله عليه و آله و سلم- يعينونه فى مجال الجهاد بالسيف و الرمح، و فى مجال الكلام بالشعر و الأدب، يبطلون بذلك حبائل شعراء المشركين و كذبهم، و يأخذون بمجامع قلوب المسلمين.

فكان الأدب فى اسلاك القريض، يدبُّ مع السيف و الرمح جنباً إلى جنب.

لقد كان رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم- يرى أنّ تقدير الشعراء الصالحين، أحد الوسائل لنصرة الإسلام، حيث كانوا ينضحون الكفّار بنبل أكثر تأثيراً من نبلهم، و قد أصدر النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- كلمته المعروفة فى حقّ هؤلاء و قال: «اهجوا بالشعر: إنّ المؤمن يجاهد بنفسه و ماله، و الذى نفس محمد بيده كأنّما تنضحونهم بالنبل و فى لفظ آخر و الذى نفس محمد بيده فكأنّما تنضحونهم بالنبل فيما تقولون لهم من الشعر» «۱» و قد اقتدت بالنبى- صلى الله عليه و آله و سلم- عترته الطاهرة، فكانوا يقدّرون شعر الشعراء إذا كان فيه إجهار بالولاء و إصحار بالحقيقة، و يكسونهم، و يهبون لهم الصلات، فعند ما أنشأ الفرزدق (۲۰ ۱۱۴ ه) ميميّته المعروفة فى عصر تسرّبت فيه الروح الأَموية إلى المجتمع، و كانت على الألسن سدود، اهتزَّ لها عرش الدولة الأَموية لما كان فى شعره من بلاغة كاملة، و نكات بديعة ترشد الأُمّة إلى مراكز المثل و الفضيلة و منابع الحق و مصادره، و قد أحسَّ بذلك هشام بن عبد الملك الوالى على الحجِّ أيّام خلافة

---

(۱) مسند أحمد: ۳، ۴۵۶- ۴۶۰، و ج ۲- ۳۸۷.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۹۰

أخيه الوليد، فحبس الفرزدق «۱» و شدّد عليه الأَمر، و لما بلغ الأَمر إلى الامام زين العابدين- عليه السلام- قدّره و أرسل إليه أموالًا كثيرة.

هذا هو الرجالى المعروف فى القرن الرابع «الكشى» يحكى لنا تقدير الامام الباقر لقصيدة الكميت حيث دخل على أبى جعفر و قرأ قصيدته المعروفة التى مطلعها:

مَنْ لقلبٍ متيم مستهام غير ما صبوةٍ و لا أحلام

فلما فرغ منها قال للكميت: لا تزال مؤَيّداً بروح القدس ما دمت تقول فينا «۲».

إلى غير ذلك ممّا نرى فى حياة الامام الصادق و الإمام على بن موسى الرضا عليهما السَّلام من استماعهما إلى شعر الشعراء المجاهرين بالولاء، و المخلصين فى طريق الحق، المستعدِّين للبلاء، و قد احتفل بهم التاريخ و بكلماتهم، فمن أراد فليرجع إلى حياة السيد الحميرى، و دعبل الخزاعى، و بذلك تعرف قيمة ما أثر عن رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم-: «إنّ من الشعر لحكمة» «و انّ من البيان لسحرا» «۳» نعم الشعر الذى لا يهدف إلّا إلى التحليق فى عالم الخيال، و لا يقصد به إلّا المجون، و لا يقال إلّا لأَن يُغنّى به فى أنديه الفجور و الفسوق، أو يُعظَّم به الطواغيت، هو ذلك الشعر الذى ذمّه اللّه تعالى فى كتابه الكريم حيث

---

(۱) عمر فرّوخ: تاريخ الأَدب العربى: ۱- ۶۶۲.

(۲) رجال الكشى: ۱۳۶، رواه عن زرارة.

(۳) صحيح البخارى: كتاب الطب باب من البيان سحراً و غيرها.

لاحظ مسند أحمد ۱، ۲۷۳- ۲۶۹؛ سنن الدارمى ۲- ۲۹۶.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۹۱

قال: (وَ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ. أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ. وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ).

كما أنّ الاستثناء الوارد بعد هذه الآية ينظر إلى الطائفة الأُولى من المصلحين، و يقول: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ ذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) «۱»

الأدب الشيعى و الولاء للعترة:

إنّ الشعر قريحة إنسانية أو موهبة إلهية خصّ بها سبحانه لفيفاً من عباده، فهى أشبه بنفائس مكنوزة تحت الأَرض، أو معادن مستورة بركام من التراب، حيث تخرجها من الخفاء إلى الظهور الحوادث التى تواجه الشاعر فى حياته.

و تؤَثّر فى روحه و عقله، فعند ذلك تتوقّد القريحة و تتوجّه إلى صوب خاص.

فالذى يوجِّه الشاعر إلى صوب أو ناحية صالحه أو فاسدة هى الروحية الخاصة التى يحملها الشاعر وراثة أو يكتسبها فى حياته، فإن كان يحمل روحاً دينية أو عاطفة إنسانية تصبو نفسه إلى تلك الجهة، و يكون شعره هادفاً إلى ذلك المرمى، فتجد فى شعره المعارف العليا من الكتاب و السنّة، أو الدروس العالية من الفلسفة و الأَخلاق و العبر، أو عواطف ثائرة فى فقدان الأَحبّة و نزول الكوارث و الحوادث المؤلمة، إلى غير ذلك من الحوافز و العوامل التى تعد زنداً لتأجيج تلك القوّة أو إشعال ذلك المصباح.

---

(۱) الشعراء: ۲۲۴ ۲۲۷.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۹۲

و إن كانت الروحية التى يحملها الشاعر روحية ساقطة تحِنُّ إلى المجون و الدعارة أو جلب الأَموال و الثروات أو الارتقاء إلى مناصب مادية أو كسب الشهرة فترى شعره على أعتاب المغنّيات و الجوارى و الملوك و الطواغيت، و مدح أصحاب الثروة و القوّة.

و لمّا كان الشاعر الشيعى يحمل بين جنبيه ولاء للعترة، و حناناً و عطفاً لآل الرسول- صلى الله عليه و آله و سلم- فقد كان لتلك الروحية أثر بارز لظهور شعر تلك الطائفة على ذلك الصعيد، فقلَّما نرى شيعياً رُزِقَ موهبة الشعر إلّا و له قصيدة أو قصائد فى مدائح العترة أو ذكر مصايبها.

و لقد كان لحديث الطف أثر خاصّ لهداية قرائحهم إلى إنشاء قصائد فى مصايب آل البيت- عليهم السلام-، و بالأَخص فيما جرى عليهم فى أرض كربلاء، و لأَجل ذلك ترى فى الأَدب الشيعى و بالأَخص فى شعرهم، عاطفة ثائرة بالنسبة إلى صاحب الثورة الامام الطاهر: حسين العظمة و أولاده و أصحابه سلام اللّه عليهم.

يقول الدكتور عمر فرّوخ تحت عنوان: «التشيّع و أثره فى الأَدب»: إنّ الاضطهاد الذى تحمّله آل البيت، و تحمّله معهم أنصارهم و أتباعهم الشيعة، زاد فى العنصر الوجدانى فى ذلك الأَدب.

أضف إلى هذا كلّه أنّ أدب الشيعة اكتسب مع الأَيام نفحة دينية لما اعتقد الشيعة أنّ منصب الخلافة ليس أمراً دنيوياً و لكنّه جزء لا ينفصل من العقيدة الدينية نفسها.

و منذ العصر الأَموى تبلور عدد من أوجه العقيدة الشيعية فى السياسة كالقول بالحق الشرعى فى الخلافة فى مقابل الانتخاب و الشورى فى اختيار الخليفة إلى أن يقول: فمن الدلالة السياسية فى شعر الشيعة فى العصر الأَموى قول كثير عزة، يخاطب عمر بن عبد العزيز، و قد كان عمر بن عبد العزيز قد أبطل لعن على بن أبى طالب على المنابر فى صلاة الجمعة.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۹۳

ولّيت فلم تشتم عليّاً و لم تُخِفْ بريّاً و لم تقبل اشارة مجرم

و صدّقت بالفعل المقال مع الّذى أتيت فأضحى راضياً كلّ مسلم «۱»

عناية المسلمين بالأَدب العربى:

إنّ القرآن الكريم نزل بلغة الضاد، فصار ذلك سبباً لعناية المسلمين بالأَدب العربى ليتيسّر لهم فهم الكتاب العزيز، و لأَجل ذلك نرى

أنّ غير العرب من المسلمين قاموا بإحياء اللغة العربية و تدوين قواعدها، و تبيين إسرارها فى مجالات مختلفة جنباً إلى جنب مع العرب.

فتجد فيهم أدباء شامخين، و شعراء مجيدين و محقّقين فى اللغة، و عارفين بأسرارها كأنّهم أبناء تلك اللغة.

يقف على ذلك من سبر تاريخ العلوم الإِسلامية، مثلًا ففى حقل الشعر هذا بشّار بن بُرد، و مهيار الديلمى تلميذ السيد الرضى، و الوزير الصاحب بن عبّاد، إلى غير ذلك

---

(۱) الدكتور عمر فرّوخ: تاريخ الأَدب العربى: ۱- ۳۷۳. و يطيب لى فى المقام أن أنقل كلمة منه حول الشيعة فقد أعجبنى خضوعه للحقيقة و إجهاره بها و ابتعاده عن التعصّب يقول: الشيعة اسم جامع للذين اتّبعوا على بن أبى طالب، و فرّعوا الآراء السياسية و الدينية حسب ذلك.

غير أنّ الآراء المتطرّفة جاءت من فرق من غلاة الشيعة كالكيسانية مثلًا ممّن لا وجود لهم اليوم.

أمّا الجماعة المعروفة عندنا اليوم باسم «الشيعة» فهم الشيعة الإِمامية أو الاثنا عشرية أو الجعفرية، و هم أهل مذهب إسلامى كالمذهب الشافعى و المذهب الحنفى من مذاهب أهل السنّة.

و ليس بين المذهب الجعفرى و بين المذهب الحنفى من الخلاف فى الفقه، أكثر ممّا بين المذهب الشافعى و المذهب الحنفى.

على أنّ الفارق النظرى الباقى إلى اليوم بين السنّة و الشيعة هو اعتقاد الشيعة أنّ الإِمام عليّاً كان أحقّ من جميع الذين تقدّموه فى الخلافة و أنّه كان يجب أن يتولّى الخلافة قبلهم، ثمّ إنّ الاعتقاد بذلك جزء لا ينفصل من المذهب.

و أين هذا ممّا تنشره الأَقلام المستأجرة اليوم فى نجد و تهامة حول الشيعة من تكفيرهم و سبّهم بحجّة أنّهم لا يقولون بعدالة كل من صحب النبى أو رآه، أو غير ذلك من الفروع التى شهّروا بها الشيعة من دون أن ينظروا إلى المعارف العليا التى تركها الشيعة؟! و إلى اللّه المشتكى.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۹۴

من عباقرة الشعراء فكلّهم كانوا فى مصاف الشعراء الكبار.

و لا غرو أن يقوم هؤلاء بما يقوم به أهل اللسان، إن عاشوا زمناً طويلًا بين أهل تلك اللغة، سواء فى العراق أو الشام، إنّما العجب من أُناس كانوا بعيدين عن مراكز الأَدب العربى، و لم يقيموا فى تلك البلاد إلّا أيّاماً قلائل و مع ذلك نبغوا فى الشعر العربى نبوغاً يُغبطون عليه، و نظّموا أسلاكاً بغير لغتهم الأُمّ حتى كأنّ العربية هى لغتهم الأُمّ التى درجوا عليها منذ نعومة أظفارهم إلى أن اشتدت قواهم.

و نذكر هنا شاعرنا المجيد الذى اقتطفنا من ديوانه القسم الأَكبر فى المدائح و المراثى ألا و هو العلّامة الحجّة الشيخ عبد الصمد الخامنئى المتوفّى عام ۱۳۱۱ فى مسقط رأسه.

أنّ منطقة أذربيجان منطقة خصبة حافلة بكل ما ينمى القدرات الذاتية للَافراد المتميّزين، و تربتها صالحة لتربية و إعداد الكثير من الكفاءات و العقول الكبيرة، فى مجالات مختلفة، و من قرأ تاريخها و تاريخ علمائها و رجالها يقف على صدق ما أقول.

و مع أنّ اللغة السائدة فى تلك المنطقة هى اللغة التركية الآذرية إلّا أنّه نبغ فيهم أُدباء و كتّاب كبار فى الادبين: الفارسى و العربى.

و كاتب هذه المقدمة، قد عاش فى تلك المنطقة فترة من عمره فشاهد فى عصره أُدباء بارعين فى اللغة، و محقّقين فى الاشتقاق، و عارفين بقواعد الصرف و النحو عرفاناً دقيقاً، فكانوا يدرّسون اللغة كما يدرِّسها الازهريّون ممّن ارتضع هذه اللغة منذ الولادة.

و بحق كانوا يتقنون اللغة العربية قراءة و كتابة نظماً و نثراً، و يجيدون إنشاء الشعر و إنشاده، فتركوا ثروة كبيرة من الأَدب العربى فى تلك الناحية يعلو عليها تراب النسيان.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۹۵

فلأجل الإشادة بفضلهم قمنا بطبع ديوان العلّامة الأديب الشيخ عبد الصمد الخامنئى، مع نماذج رائعة ممّا جادت به قرائح شعراء تلك المنطقة فى القرن الرابع عشر فى مراثى أهل البيت و مدائحهم، و نذكر لكل شاعرا نموذجاً من شعره، منهم: ۱- العلّامة الأديب الكبير الشيخ محمد تقى المعروف بحجة الإسلام التبريزى المامقانى، (۱۲۴۷ ۱۳۱۲ ه).

۲- العلّامة الحجّة نابغة عصره الشيخ مصطفى التبريزى (۱۲۹۷ ۱۳۳۷ ه).

۳- المرجع الدينى الكبير آية اللّه ميرزا صادق التبريزى (۱۲۷۴ ۱۳۵۱ ه).

۴- العلّامة الحجة ميرزا يوسف بن الفقيه ميرزا على بن العلّامة محمد على القرجه‌داغى (۱۲۷۹ ۱۳۲۷ ه) مؤلف لسان الحق أو مظالم المسيحيين.

إلى غير ذلك من أجلّة الشخصيات الذين جاءوا إلى الدنيا و أدّوا رسالتهم الدينية و سجّل لهم التاريخ بعض مواقفهم و لكنّهم فوق ما سُجِّل.

و لا تفوتنى الإشارة إلى ذكر علمين كبيرين فى الأدب و اللغة إشادة بمنزلتهما السامية، و أداء لبعض حقوقهما.

أحدهما: الأديب الاريب الشيخ على أكبر الاهرى (۱۲۹۶ ۱۳۸۳ ه) من تلاميذ المرجع الدينى السيد أبو الحسن الانگجى (۱۲۸۲ ۱۳۵۷ ه) قدّس سرّه كان آية فى الأدب، و بصيراً فى اللغة، و حافظاً للقواعد، قرأ كل ما وصل إليه من الأدب و الدواوين، و كان يقرأ القاموس بسهولة، و يدرِّسه بحذاقة.

و قد درسنا

تذكرة الأعيان، ص: ۳۹۶

عليه كتاب المغنى و كان يُدرّسه مع التعليق، نقداً و تصحيحاً و تحقيقاً.

ثانيهما: العلّامة الحجة المتتبع الخبير البصير الميرزا عبد اللّه المجتهدى (۱۳۲۰ ۱۳۹۶ ه) ابن العلّامة الميرزا مصطفى التبريزى أحد النوابغ القلائل، و الذى نورد له قصيدة رائعة فى هذا الكتاب.

كان رحمه اللّه من نوابغ عصره، و نوادر دهره، و كل من شاهده و جلس معه و حضر ناديه، تعجّب من إحاطته باللغة و التاريخ و الأدب، كان يتقِن اللغة العربية إتقاناً كاملًا، ضمن إتقانه للغات كثيرة كالتركية الآذرية، و الاناضولية، و الفرنسية، و الإنگليزية، و الروسية، و كان أديباً فى اللغة الفرنسية.

زار الشيخ محمد جواد مغنية (۱۳۲۱ ۱۴۰۰ ه) مدينة تبريز و نزل فى بيته ضيفاً، و قضى معه قرابة شهر، و كان من كلامه فى حق المضيِّف: «و اللّه إنّ ميرزا عبد اللّه المجتهدى اسطورة التاريخ، يحكى لنا حوادث من لبنان، يعرف شخصيات أنا أجهلها شخصياً مع أنّى وليد لبنان و من مواطنيه».

و لا أنسى أن أُسجّل هنا جانباً من الحوار الذى دار بين هذين العلمين البارزين، و من ذلك أنّ الحديث كان يدور حول ظلم الكثير من الحكومات لمواطنيها و ما يترتب على ذلك من ضرر مباشر عليهم، و أنّهم أى تلك الحكومات أضر من الذئب على الغنم، فعندها انبرى الشيخ مغنية رحمه اللّه منشداً هذه الأبيات:

قولوا عن الذئب ما شئتم فسامعكم بمثل شرِّ ذئاب الناس ما سمعا

الذئبُ يتركُ شيئاً من فريسته للجائعين من الذئبان إن شبعا

و المرء و هو يداوى المرء من بشم «۱» يسعى ليسلب طاوى «۲» البطن ما جمعا

---

(۱) بشم من الطعام: أُتخِم.

(۲) الطاوى: الجائع.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۹۷

هذه الأبيات يبدو أنّها لأَحد الشعراء الجدد.

فإذا بالعلّامة المجتهدى يقول: إنّ هذا المضمون جاء فى شعر الشنفرى الأَزدى أحد الشعراء الجاهليين فى لاميته المعروفة بلامية العرب و أنشد منها الأَبيات التالية: «۱»

أقيموا بنى أُمّى صدور مطيكم فانّى إلى قوم سواكم لَاميل

و لى دونكم أهلون سيّد عملَّس و ارقط زهلول و عرفاء جيأل «۲»

هم الأَهل لا مستودع السر ذائع لديهم و لا الجانى بما جرّ يخذل

«۳» زار القصاص العراقى «خضر عباس الصالحى» العلّامة المجتهدى فى داره بتبريز فكنت معهما فدار الكلام عن مهيار الديلمى و أدبه و شعره، فإذا رأيت العلّامة المجتهدى قرأ فصولًا من ديوانه و استشهد على مقاصده ثم انتهى الكلام إلى شخصيات أدبية فى الإِسلام، فما زال الزائر العراقى يتعجّب من تبحّره فيما يرجع إلى الأَدب و التاريخ، و انّه كيف أنجبت هذه البلاد شخصيات لامعة فى الأَدب العربى، مع البعد بين البلدين، و لمّا غادر تبريز إلى طهران كتب مقالًا نشره فى مجلة الإخاء يوم ذاك تحت عنوان «الشيخ عبد اللّه مجتهدى الذى رأيته»، فأعرب عن إعجابه بإحاطته بأسرار اللغة، و دواوين الشعر، و قال: إنّه من الشخصيات التى قلّما يسمح بمثلهم الدهر إلّا فى فترات خاصة.

---

(۱) الدكتور عمر فرّوخ: تاريخ الأَدبى العربى: ۱- ۱۰۳.

(۲)» سيد»: الذئب.

«عملس»: القوى على السير.

«أرقط»: من كان فى جلده قطع ملوّنة متجاورة و المقصود: النمر.

«الزهلول»: الأَملس.

«عرفاء»: وحش ضار له شبه العرف.

«جيأل»: الضبع التى تجمع صوفها.

(۳) الجانى: المعتدى.

«جر»: اعتدى.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۹۸

هذا ما يرجع إلى حديث الأَمس و أما حديث اليوم؟ فقد خلت الديار من أمثال هؤلاء الأُدباء و لم يبق منهم إلّا ظل، و من تلك المصابيح إلّا ضوء، و أصبحت المنطقة كما قال الشاعر الذبيانى:

أمست خلاء، و أمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذى أخنى على لبد «۱»

عبد الصمد الخامنئى:

الحق كما قيل إنّ شخصية المرء بآرائه و أفكاره أوّلًا، و بآثاره التى خلّفها ثانياً، و هى أحسن دليل على وجود تلك الصدور المائجة بإشكال متعددة من علم مكنون، و أدب مفطور، و قريحة و قادة و مثل عليا، و فضائل رابية، بل أثر كل إنسان عمر ثان له، و «جميل صنع المرء عمر ثان».

إنّ المؤَرّخين و مؤَلّفى كتب التراجم للعلماء و الأُدباء و إن لم يسجّلوا عن حياة شيخنا المترجم و أساتذته، و تلاميذه و سائر آثاره

العلمية و تاريخ ولادته شيئاً يذكر تقصيراً أو قصوراً لكن ديوانه الماثل بين يدى القرّاء الكرام لخير مترجم لقريحته الوقّادة، و توغّله فى الأَدب العربى: الجاهلى و الإِسلامى، و مقدرته على إبداع المعانى، و أنّه كان يدانى أُدباء و شعراء القرون الإِسلامية.

و فى الوقت نفسه ربّما يجرى مجرى الشاعر الجاهلى فى غزله و مراثيه، فتجد شعره يحكى عن حياته الساذجة و كأنّه إنسان عاش فى البادية، و لم ير الحضر، فكان شعره بعيداً عن التكلّف و التعقيد، ينطق بوجدانه، و يعلو شعره الصدق و البساطة، و يتبع خياله اتساع أُفق الصحراء، و بذلك جمع بين خصائص

---

(۱) ديوان النابغة الذبيانى: المكتبة الثقافية- ۳۰- أخنى عليها: غيّرها و أفسدها.

«لبد»: زعموا أنّه نسر كان للقمان بن عاد عمّر طويلًا.

تذكرة الأعيان، ص: ۳۹۹

الشعر الجاهلى و مزايا الشعر الإِسلامى.

و مع هذا فقد ترجمه لفيف من الاعلام نذكرهم و نذكر نصوصهم حول حياته: ۱- يقول المؤرّخ الشهير: محمد حسن اعتماد السلطنة: «ميرزا عبد الصمد الخامنئى: أُستاذ الأَدب، و حجّة لغة العرب، و هو ينظم الشعر بطبع مستقيم، قريحة صافية، و هو نزيل «خامنه» فى هذه الأَيّام» «۱» ۲- و يعرّفه شيخنا المجيز الطهرانى بقوله: «عالم كبير، و فقيه بارع، كان من الأَجلّاء فى تبريز، و هو خامنئى الأَصل، له فى العلوم الشرعية قدم راسخة، و فى الشعر و الأَدب العربى و اللغة يد طولى، و براعة فائقة، و تبحّر غريب» «۲» ۳- و يذكره السيد حسن الصدر فى تكملته لَامل الآمل و يعرفه بقوله: «أُستاذ عصره فى علوم الأَدب، و الحجة فى لغة العرب» «۳» ۴- يقول الواعظ الخيابانى: الشيخ عبد الصمد إمام الجمعة فى «خامنه» (والد الشيخ على إمام الجمعة الذى هو من معاصرينا)، يعد من العلماء و الفضلاء و من أُدباء أذربيجان المعروف ب «البنود الاثنا عشر» جرى فيها على طريقة بنود العلّامة بحر العلوم المعروف باثنى عشر، سوى انّ كل بند من بنوده فى موضوع واحد بخلاف البنود المعروفة لبحر العلوم.

و أضاف انّه ذكر قسماً من إشعاره فى أجزاء كتابه المعروف بوقائع الأَيام ثم ذكر قصيدته اللامية فى مدح النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- و قصيدته النونية فى مدح الامام الرضا- عليه السلام-.

---

(۱) المآثر و الآثار: الطبع الحجرى ۱۲۰ و ۱- ۲۹۷، الطبع الحديث و الكتاب أُلّف حوالى عام ۱۳۰۵ ه.

(۲) الطهرانى: نقباء البشر: ۳- ۱۱۳۱.

(۳) المصدر نفسه.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۰۰

و قال: و قد ناولنى هذه القصائد سنة ۱۳۰۸ و انتقل إلى رحمة اللّه عام ۱۳۱۱ «۱».

۵- و قد ذكر ديوانه شيخنا الطهرانى فى ذريعته و قال: ديوان الشيخ عبد الصمد أو شعره و هو الخامنئى مولداً، التبريزى منشأ، النجفى مقطناً، الأَديب الماهر، و الفقيه الشاعر، له تقريظ كتاب «فرهنگ خدا پرستى» لمحرم المطبوع ۱۲۸۱ بقصيدة هائية فى عشرين بيتاً فى غاية الفصاحة «۲» و كلامه هذا يعرب عن أنّه كان قاطناً فى النجف، و لعلّه يشير إلى الظروف التى حلّ بها، و ألقى رحله فيها للدراسة و كسب المعالى، و إلّا فهو كان نزيل مسقط رأسه و مولده إلى أن لبّى دعوة ربّه، و كفى فى هذا شاهداً ما ذكره صاحب الآثار و المآثر و قد ألّفه حوالى ۱۳۰۵، و توفى المترجم عام ۱۳۱۱.

فهو فى تلك الفترة كان نزيل موطنه، و قد وقفت على ما ذكره «الواعظ الخيابانى» من أنّه رآه فى تبريز أيّام كهولته.

نعم كان لإِقامته فى النجف تأثير خاص لتوقّد ذكائه، و تأجيج قريحته، فأخذ بإنشاء الشعر فى نواحى مختلفة، ثم رجع إلى مسقط رأسه

قائماً بوظائفه الرسالية، و مقيماً لصلاة الجمعة، و إماماً للجماعة، و مرجعاً للمسائل الفقهية فى تلك الناحية.

و هو بعد ما غادر النجف، و أقفل عائداً إلى «خامنه» يتشوّق لصاحب

---

(۱) نقلًا عن كتاب «علماى معاصر» للميرزا على الخيابانى (۱۲۸۱ ۱۳۶۷ ه).

و كان المؤَلف من خطباء تبريز و من أبرز المؤَلفين فيها له كتاب «وقائع الأَيام» فى أربعة أجزاء، و قد أُعيد طبع الجزء الأَوّل مع تقديم منّا.

(۲) الطهرانى: الذريعة ج ۹: القسم الثالث- ۶۸۹ برقم ۴۷۹۴.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۰۱

النجف صاحب الولاية الكبرى و يقول:

يا سَيّداً فاقَ أربابَ النُّهى شَرفاً و سادَ أهلَ المعالى الغُرِّ و الشُّرَفا

لم أنسَ عَهدَك بالوادى المقدَّسِ يا لَهفى على العَهدِ و الوادى و ما سَلفا

قَدْ فاضَ جَفناى حتى جفَّ دمعُهما بعدَ النوى عن صُحَيبٍ اسكنوا النَّجفا

يا راكبى ناقةٍ وجناءَ ناشطة «۱» عُوجا «۲» بأرضِ غرىٍّ ساعة و قِفا

عليكَ منّى سلامى ما حييتُ فها وادى السلام يباهى مروةً و صفا

و هو يعرّف شعره و أدبه بقوله:

هذا و دونك شعر صيغ من كلم كأنّه لؤلؤ قد راق منضود

للخود «۳» إن أنشد الراوى قوافيه تكاد ترقص من إنشاده الخود

و يقول فى مخمسته الغرّاء التى نظمها أصلًا و تخميساً فى مدح على عليه السَّلام:

من مرتقى الشعر أرقى اليوم أصعبه لكن أرى مشرب الأَخلاق أعذبه

أخذت من بعض من عاشرت مذهبه لو أن وعاه ابن عباد لَاطربه

و طار منه الحجى من خفّة الطرب

و يقول أيضاً مفتخراً:

و انّنى رجل لا الفقه ينكرنى و لا القصائد تشطيراً و تضميناً

---

(۱) ناشطة: وصف للناقة: و هى الشديدة فى سيرها.

(۲) عوجا: قفا، عوج: وقف.

(۳) الخود على وزن «الحوت»: النساء الشابات.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۰۲

إلماع إلى وطن الشاعر:

«خامنه»: ناحية فى أذربيجان الشرقية، بينها و بين تبريز ۷۲ كيلو متراً.

و هى من توابع مدينة «شبستر» تبعد عنها ثمانية كيلو مترات، و تقع فى الشمال الشرقى من بحيرة أرومية تتبعها قرى و أرياف، و هى منطقة كثيرة الأَشجار و المياه، و فيها أنواع الفواكه و تربتها تربة طيّبة خصبة.

يتمتّع أهلها بالذكاء و الثقافة و لهم أعرافهم و تقاليدهم الخاصة.

كانت «خامنه» فى العصور السابقة مركزاً للتجارة و حلقة وصل تجارى بين روسيا و تركيا و إيران و سوقها الموجودة فيها حالياً، يكشف عن النشاط التجارى فيها سابقاً.

نبغ منها تجّار خبراء، و رجال مثقّفون، و علماء كبار، ترى ذكرهم فى كتب التاريخ و السير، و لا يسمح المقام هنا بذكرهم، و لكن نشير إلى بعض شخصياتها وراء الشيخ عبد الصمد شاعرنا المجيد و ولده البار: ۱- الشيخ نجم الدين العارف الطائر الصيت.

و هو أُستاذ الشاه إسماعيل الصفوى فى الطريقة، توفّى فيها عام ۹۱۵ ه، و له مقبرة معروفة.

۲- الميرزا جعفر الخامنئى بن الحاج الشيخ على أكبر، كان شاعراً، و هو أوّل من فتح باب الشعر الحرّ فى الأَدب الفارسى و هو متقدم على الشاعر المعاصر المعروف ب «نيما» ولد عام ۱۳۰۴ ه، و لم نقف على تاريخ وفاته، ذكر ترجمته غير واحد من المؤَرخين المعاصرين.

۳ الشيخ محمد بن الحاج عبد الحميد الخيابانى (۱۲۹۷ ۱۳۳۹ ه) ذلك الخطيب الماهر المناضل الشهير الذى كان لمواقفه البطولية، دور هام فى إيقاظ الجماهير المسلمة الايرانية فى كفاحها ضدّ الاستعمار، و قد كان الشيخ الخيابانى

تذكرة الأعيان، ص: ۴۰۳

زميلًا لوالدى فى الدراسة «۱» و أُستاذاً ماهراً فى الرياضيات و الهيئة، و خطيباً بارعاً، و الجمل و الكلمات بيده فى منصَّة الخطابة كأنّها شمعة يتصرّف فيها كيفما يشاء.

و ممّا تجدر الإِشارة إليه أنّه تزوّج كريمة العلّامة السيد حسين الخامنئى عام ۱۳۲۵ ه الآتى ذكره، و كان ينوب عنه فى الإِمامة أثناء غيابه.

۴- العلّامة الحجة السيد حسين الخامنئى قدّس سرّه و هو جد قائد الثورة الإِسلامية فى إيران سماحة آية اللّه السيد على الخامنئى دام ظلّه.

كان المترجم أكبر شخصية نبغ من تلك الناحية، و كان رجلًا فقيهاً مطاعاً فى تبريز، يقيم الجماعة فى جامعه، و كانت الألوف المحتشدة من الناس يقتدون به كما كان الوالد يحكى لنا ذلك.

قال شيخنا المجيز الطهرانى فى ترجمته: عالم كبير و جامع بارع.

كان اشتغاله فى النجف الأَشرف، قرأ فيها الفقه و الأُصول على مشاهير علماء ذلك العصر و مدرّسيه، و ألّف فى الفقه و الأُصول و له فيهما تقريرات كثيرة، و أخذ المعقول عن الفيلسوف الميرزا باقر الشكى الذى ذكرناه فى القسم الأَوّل من «الكرام البررة» ص ۱۶۳ و قد ذكر اسمه السيد الصدر فى عداد تلاميذ الشكى عند ذكره فى «التكملة»؛ عاد إلى «خامنه» فقام فيها بالوظائف الشرعية و سائر الأُمور، و كان مقداماً، مرعى الجانب، معظماً عند سائر الطبقات لصلاحه و تقواه و نزاهته و إنزوائه، و كان متفنناً له يد طولى فى المعقول و المنقول، و مهارة فى علوم الدين، قام بأعباء الهداية و الإِرشاد و لم يفتر عن التأليف إلى أن توفى فى «۱۳۲۵ ه» كما ذكره لنا ولده العالم السيد محمد المعروف ب «پيغمبر» المتوفى فى النجف و الموقوفة كتبه ل «مكتبة حسينية التسترية» فى النجف.

و قد حدثنا العلّامة الحجة السيد موسى الزنجانى: أنّه هاجر إلى النجف عام

---

(۱) و هو الفقيه العلّامة الحاج الشيخ محمد حسين الخيابانى التبريزى قدَّس سرَّه (۱۲۹۹ ۱۳۹۱ ه).

تذكرة الأعيان، ص: ۴۰۴

۱۳۰۹ ه و غادرها عائداً إلى تبريز عام ۱۳۱۴ ه «۱» ۵- آية اللّه السيد جواد الخامنئى (۱۳۱۳ ۱۴۰۶ ه) ابن السيد حسين الخامنئى قدّس سرّهما.

و قد انتقل من تبريز إلى المشهد الرضوى و استوطن فيها إماماً و مدرّساً «۲» و كان بينه و بين الوالد توادد و تراحم.

۶- و زاد هـذا البيت فخراً أنّ قائـد الثورة الإِسـلامية من هـذه الأسـرة الكريمـة، و لا يسع المقام لِلإشادة ببعض ما لهذا البيت الرفيع، من الفضل و الفخر و كفانا فى ذلك ما انتشر فى هذه الأَيام عنهم فى الكتب و الجرائد.

و فى الختام نلفت نظر القارئَ الكريم إلى أمر هام و هو: أنّه قد جاء القسم الأَكبر من قصائد العلّامة الشيخ عبد الصمد الخامنئى فى هذا الجزء، و أمّا غيره فقـد اقتطفنـا من ديوان كـل شـاعر قصـيدة أو قصـيدتين، و لعل أهل الخير من عشاق الأَدب يقومون بطبع دواوينهم كاملة.

و هناك أُدباء فى منطقـة أذربيجان نظموا القريض بلغـة الضاد، و لهم قصائـد و مدائـح و تغزّلات نذكر منهم ما يلى: ۱- العلّامة الحاج ميرزا على التبريزى ابن المولى بن عبد العظيم و له تخميس قصيدة على بن أبى عبد اللّه الخوافى المعروف، مستهلّها:

يا زائراً لرسول اللّه بضعتهُ و قاصداً لغريب الطوس تربته

إن جئته قل إذا شاهدت قبّته يا قبر طوس سقاك اللّه رحمته

ما ذا ضمنت من الخيرات يا طوس

---

(۱) نقباء البشر: ۲ ۶۴۱- ۶۴۰ برقم ۱۰۷۳.

(۲) اقرأ ترجمته الضافية فى «كنجينه دانشوران» للعلّامة الرازى.

توفى رحمه اللّه فى المشهد الرضوى عام ۱۳۴۰ ه.

۲- العلّامة المتبحّر الشيخ على الخوئى، صاحب المؤَلفات الكثيرة، له ديوان و له تخميس قصيدة أبى الفتح البُستى.

مستهلّها:

لأول القول باسم اللّه بنيان محامد العبد للرحمن شكران

تجاهلُ الشخص للنعماء كفران زيادة المرء فى دنياه نقصان

و ربحه غير محض الخير خسران

توفى رحمه اللّه عام ۱۳۵۰ ه.

۳- العلّامة القدير، و الشاعر المفلق السيد هادى، المعروف ب (سينا).

أُستاذ فى جامعة طهران، و هو أحد الشعراء البارزين، و الأُدباء المعروفين، و له ديوان كبير.

و لأَخيه العلّامة الحجّة السيد إبراهيم قدّس سرّه قصيدة فى التوسّل ببقية اللّه الحجّة بن الحسن العسكرى، يقول:

يا حجّة الرحمن يا ابن العسكرى يا مَن بيُمن وجوده رُزق الورى

مَن للشريعة و الهدى و من الذى نشكو إليه سواك يا خير الورى

إلى غير ذلك من شعراء مخلصين، و مجاهرين بالولاء، و الذين يضيق المجال بذكر أسمائهم، و نماذج من قصائدهم.

عسى أن يقوم أحد أبناء الوطن الغيارى بتأليف جزء ثان لهذا المشروع، يستدرك به ما فاتنا ذكره، أو لم نذكره لضيق المجال.

كما يتحتّم على أن أذكر ما بذل من الجهود صديقنا الشيخ الجليل و العالم

الكبير الشيخ سلمان الخاقانى قدّس سرّه الشريف «۱» فى استنساخ ديوان الشيخ من قصاصات متفرقة، و قدم له مقدمة مفصّله ذكر فيها ما كان النجف يوم ذاك يتمتّع به من نوادى الأَدب، و أندية الشعر، و جهابذة القريض، و لعل اللّه تبارك و تعالى يوفقنا لنشر تقديمه

فى آونة أخرى إنّه على كل شىء قدير.

كما أتقدم بالشكر إلى الصديق الوفى العلّامة السيد محمود البغدادى دام علاه فقد قرأ الديوان و أبدى ملاحظاته القيمة فجزاه اللّه خير الجزاء.

---

(۱) كان الشيخ من أساتذة الفقه و الأُصول و فى الوقت نفسه من أساطين الأَدب فى مجالى النثر و النظم و كان يتمتع بحسن الخلق و دماثة الطبع و كان يجسد سلوكه، سلوك رجال أهل البيت، و خلقُه خلقَ رسول اللّه- صلى الله عليه و آله و سلم- و له آثار علمية، كلامية و أدبية منشورة و غير منشورة و آخر أثره مناظرته مع كتّاب ثلاثة من الذين بخسوا حق الشيعة بأقلام مسمومة.

رحمه اللّه تعالى برحمته الواسعة.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۰۷

۱۸- الشيخ فضل اللّه النورى قدَّس سرَّه رجل العلم و الجهاد (۱۲۵۴- ۱۳۲۷ ه)

اشارة

علم الشهادة و الكرامة و العلى و حليف علم الدين و الآثار

الحمد للّه الذى خصّ أصحاب الشهادة بالسعادة، و اصطفاهم لدار العزِّ و الكرامة، ثم الصلاة و السلام على نبيّه و آله الطيبين الطاهرين، و على عباد اللّه الصالحين، لا سيّما الشهداء و الصدّيقين.

أمّا بعد: فإنّ العالم العامل، يضىء الطريق للسائر، و الشهيد يكتسح العقبات و العراقيل للسالك، فالعالم بمداده و حبره ينير العقول، و يزيل الظلمات و الأَوهام عن البصائر و الأَفكار، و الشهيد بتضحيته يزيل الموانع، و يقطع أيدى المتطاولين على شرف الأُمة و دينها، و ثروتها، فالشهيد و العالم يسيران معاً على طريق واحد، يهدفان إلى هدف فأرد، بجهادهما و جهودهما أُنيط بقاء الإِسلام لئلا يتهافت الكفر و الإِلحاد.

هذا إذا جرّدت الشهادة، عن العلم، فما ظنّك بمن كرّس حياته بالعلم و الدراسة و كلّلها بالشهادة فى سبيل اللّه فقد حاز حينئذ فضيلة الميزتين، و فاز بالقدحِ المعلّى.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۰۸

إنّ الإِنسان يتصوّر فى بادىَ الأَمر: أنّ الشهداء هم وحدهم رواد فى ميدان الدفاع و الجهاد، دون حملة الفكر و القلم، و قادة البيان و الخطابة، الذين يخوضون الوعظ و الإِرشاد و لا يقتحمون لجج المعارك الدامية، و لا تعرفهم ساحات الوغى.

هذا هو الذى يتصوّره البعض من مفهومى العالم و الشهيد، و لكن عند ما يسبر الإِنسان تاريخ العلم و الشهادة و يقرأه بإمعان، ينتبه إلى عدم صواب الفكرة، لَانّه يجد فى ثنايا التاريخ طائفة كبيرة من العلماء و المفكّرين بين متضرّج بدمائه فى ساحات القتال و بين مصلوب على المشانق و الأَعواد، و بين مكبّل فى قعر السجون إلى أن يلفظ أنفاسه الأَخيرة فى ظلماتها، و بين مسموم تقطعت أحشاؤه و أمعاؤه إلى غير ذلك من ألوان التعذيب.

و كأنَّ شاعرنا المبجّل المفلق الفقيه السيّد محمود البغدادى يشير بقوله إلى هذا المعنى و فى حقِّ هذا النمط من العلماء الشهداء فى قصيدة مطلعها:

رجلان فى دنيا الثبات و هبا الحياةَ إلى الحياة

رجل الصراع المريع يعصف باللئام و بالطغاة

و العالم الوثّاب أَمنية الشعوب الناهضات

عاشا بلا ذات و ما كَ العزَّ فى سحق الذوات

فكانوا يمثّلون قول الإِمام الوصى أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين: «رهبان بالليل و أُسد بالنهار» «۱» فلم يحجبهم الخوض فى المفاهيم السامية و المعانى الدقيقة أو عكوفهم على استنباط الاحكام من الكتاب و السنّة، عن خوض عباب الحروب و تحمّل قتام الغزوات، و مجابهة الاعداء، و فى الحقيقة

---

(۱) بحار الأَنوار: ۸۳- ۲۰۷ من كلام الامام- عليه السلام- لنوف البكالى.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۰۹

هؤلاء هم الأُمة المثالية و الطبقة الوسطى فى المجتمع أثنى عليهم الذكر الحكيم «۱» و بجّلتهم السنّة الكريمة، و أكبرتهم الشعوب الإِسلامية فى كل عصر.

وها نحن نوقفك على حياة عالم كبير، و مصلح عظيم من هذا النمط.. عالم كرّس حياته فى مدارسة العلم، و إصلاح المجتمع، و ختمها بالشهادة، و كان أكبر قائدٍ روحىّ فى حاضرة إيران طهران كافح الضلال و الإِلحاد، و جابه ضوضاء الباطل بلسانه و قلمه.

ألا و هو الشيخ العلّامة آية اللّه العظمى الشيخ فضل اللّه النورى قدَّس سرَّه: شهيد الصمود فى طريق الحق و الفضيلة، و دفع التطاول على المقدّسات الإِسلامية، بأيدى رجال متغرّبين، أرادوا القضاءَ على الإِسلام و أهله، تحت غطاء الثورة على الرجعية و التخلّف، و واجهة إنشاء نظام ديمقراطى برلمانى، فكان شعارهم هذا، كلمة حق يراد بها باطل، فقد حاولوا إبعاد الإِسلام عن الساحة، و إحلال الكفر و الإِلحاد مكانه، تحت شعارات خدّاعة، و عناوين رنّانة، فكانوا يديفون السمّ بالعسل.

لقد ظهرت فى العقد الثالث من القرن الرابع عشر فى المنطقة فكرة الحرية و التخلص من السلطة الاستبدادية و القضاء على حكومة الفرد على الشعب، بإحلال الحكومة البرلمانية مكان الملكية، و قد ظهرت هذه الفكرة فى المجتمع الايرانى بعد ما كانت السلطة عبر القرون و الأَجيال هى السلطة الفردية المتمثلة فى النظام الملكى، و لمّا برزت فكرة التحرّر بثوبها الرائع، و جمالها الخدّاع، انجذبت إليها القلوب، و تعلّقت بها النفوس، فصارت فاكهة المجالس و زينة العرائس، يتحدث عنها الناس فى كل مناسبة، و كل مكان، حتى استهوت لفيفاً من العلماء و الآيات و المراجع فى العراق، مثل الشيخ محمد كاظم الخراسانى، و الشيخ حسين الطهرانى و الشيخ عبد اللّه المازندرانى قدس اللّه

---

(۱) حيث طبّقوا العلم على العمل، دعوا للجهاد و القتال، فقدموا النفس و النفيس فى ذلك المضمار.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۱۰

أسرارهم فصوّتوا مع الأُمة، و أفتوا بلزوم تطبيقها على صعيد الحكومة و الواقع.

و كان شيخنا المترجم له فى حاضرة إيران، ممّن يدعم هذه الفكرة و يؤَيدها، فترة قليلة من الزمن، و لمّا أشرفت النظرية على مرحلة النضوج، وقف على أنّ الفكرة سراب لا ماء، و انّ الهدف من التظاهر بالحرية، هو الانحلال و التجرّد عن الضوابط الشرعية، و القوانين الإِلهية، و بالتالى إقصاء الإِسلام عن جميع المجالات: القضائية، الثقافية، و الاجتماعية، و الأَخذ بالانظمة الالحادية، و حصر الإِسلام فى المنازل و البيوت، و قصرها على الأَحوال الشخصية كالزواج و الطلاق و الميراث.

فلما وقف شيخنا المترجم المغفور له على خطورة الموقف، ثارت ثائرته و أحسَّ أنّ هذا هو الوقت الذى عناه نبى العظمة- صلى الله عليه و آله و سلم- إذ قال: «إذا ظهرت البدع فى أُمّتى فليظهر العالم علمه، و إلّا فعليه لعنة اللّه» «۱» فشرع فى إيقاظ الناس من الغفلة، و تنبيههم على المؤامرات التى تحاك ضدهم، و استمرت مواجهته للفكرة سنوات عديدة، فلقى فى ذلك ما يلاقى فيه كل مصلح غيور

على أمته و دينه.

لقد كان لخطابات شيخنا و كتاباته إلى الزعماء و الرؤساء، تأثير بالغ فى منع الأُمّة من التسرّع إلى التصويت مع أصحاب تلك الفكرة إلى أن بلغ السيلُ الزبى، و لم تجد الطُّغمة المعتدية على شرف الشعب و دينه، مناصاً من المؤَامرة على الشيخ و قتله بصورة بشعة تكون عبرة لغيره، فاختطفوه من داره بعد هجوم عنيف عليها فى الثالث عشر من شهر رجب من شهور سنة ۱۳۲۷ ه، فساقوه وحيداً إلى المديرية العامة للشرطة و حاكموه محاكمة صوريّة، و أصدر القاضى حكماً بإعدامه شنقاً، و قد كان الحكم هذا مهيّئاً قبل المحاكمة، ثم أخرجوه من المديرية بعد المحاكمة و لم تمض بضع دقائق حتى رؤى جثمانه الطاهر مشنوقاً و أعداؤه حوله يصفّقون و يظهرون المسرّة و الابتهاج، فلقى ربَّه بحياة مشرقة و جهاد متواصل،

---

(۱) الكافى: ۱- ۵۴، باب البدع و الرأى.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۱۱

و مضى شهيداً بيد الظلم و العدوان فى سبيل الحمية و الديانة، و قد رثاه غير واحد من العلماء و الشعراء، نكتفى بأبيات من قصيدة للَاديب الاريب و الحكيم البارع السيد أحمد الرضوى البيشاورى نزيل طهران (المتوفّى ۱۳۴۹ ه) بقول:

لا زال من فضل الإِله و جوده جود يفيض على ثراك هموﻻ «۱»

روّى عظامَك وابل من سيبه يعتاد لحدك بكرة و أصيلا

تلكم عظام كدن أن يأخذن من جوّ إلى عرش الإِله سبيلا

همّت عظامك أن تشايع روحها يوم الزماع «۲» إلى الجنان رحيلا

فتصعدت معه قليلًا ثم ما وجدت لسنّة ربها تبديلا

فالروح ترقى و العظام تنزلت كالآية اليوحى بها تنزيلا

آمنتَ إذ حادوا بربّ محمد و صبرت فى ذات الإِله جميلا

خنقوك لا حنقاً عليك و إنّما خنقوك كى ما يخنقوا التهليلا

«۳» و لعمر الحق أنّ القصيدة هى القصيدة الفريدة فى باب الرثاء فى علوّ المضمون، و بداعة المعانى، و رصانة الأَسلوب، و لو افتخر أبو الحسن التهامى عند رثاء ولده بقصيدته المعروفة التى تنوف على سبعين بيتاً و كلها حكم و أمثال، فليفتخر شاعرنا المبجّل الأَديب البيشاورى بهذه القصيدة الزاهرة.

---

(۱) هملت السماء: دام مطرها.

(۲) يوم الخوف و الذعر.

(۳) و كأنّه اقتفى «الشاعر المعروف ب «ديك الجن» حيث يرثى الحسين سيد الشهداء بقوله:

و يكبّرون بأن قتلت و إنّما قتلوا بك التكبير و التهليلا

تكملة أمل الآمل للسيد حسن الصدر: ۲۶۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۱۲

لقد استقبلت قصيدة التهامى استقبالًا رائعاً و حلّت فى القلوب حيث يقول:

حكم المنية فى البرية جار ما هذه الدنيا بدار قرار

بينا يرى الإِنسان فيها مخبراً حتى يرى خبراً من الاخبار

و ما أحسن قوله فى تلك القصيدة:

جاورتُ أعدائى و جاور ربَّه شتّان بين جواره و جوارى

«۱» و ما ألطف و أرق قول شاعرنا المفلق:

همّت عظامك أن تشايع روحها يوم الزماع إلى الجنان رحيلًا

و يجدر بى أن أقول فى حقها كلمة أُخرى و هى: إنّ هذه القصيدة التى نقلنا منها عدة أبيات أشبه بقصيدة أبى الحسن الأَنبارى فى رثاء أبى طاهر بن بقية الذى صلبه عضد الدولة بقوله:

علو فى الحياة و فى الممات ثم لحقّ أنت إحدى المعجزات

يصف المشنوق وصفاً عجيباً و يقول:

و لم أر قبل جذعك قط جذعاً تمكن من عناق المكرماتِ

و مالك تربة فأقول تسقى لأَنك نصب هطل الهاطلاتِ

ركبت مطية من قبل زيد علاها فى السنين الماضياتِ

و تلك قضية فيها تأس تباعد عنك تعيير العداة

«۲»

---

(۱) القصيدة برمتها موجودة فى جواهر الأَدب: ۶۱۶.

(۲) القصيدة موجودة فى جواهر الأَدب: ۶۲۴، توفّى أبو الحسن الأَنبارى عام ۳۲۸ ه.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۱۳

هكذا كان ختام حياة شيخنا المعظم و إليك لمحة عن أوّليات حياته و أواسطها إلى أوان شهادته، و هى تسلط الضوء على مكارمه و فضائله.

ولد شيخنا فى قرية «لا شك» من توابع كجور من مدن مازندران عام ۱۲۵۹ ه.

ق، و تلقّى الأَوّليات فى منطقة نور، ثم غادر إلى طهران، و جدّ فى دراسته، إلى أن نال بعض ما كان يتمنّاه و لم يكتف بما أخذه فى البلدين، فأعدّ العدّة للسفر إلى النجف الأَشرف عاصمة العلم للشيعة و هو بعدُ فى عنفوان الشباب و فى أوائل العقد الثالث من عمره، فنزل مدينة النجف فحضر على أساطين العلم، و فى القمة منهم: ۱- الفقيه الجليل الشيخ راضى من آل خضر النجفى علم الفقه الخفّاق، و الزعيم الكبير فى النجف الأَشرف (المتوفّى ۱۲۹۰ ه).

۲- علم الفقه و التحقيق الشيخ حبيب اللّه الرشتى (۱۲۳۴ ۱۳۱۲ ه)، و كان من كبار الفقهاء و المدرسين فى عصره، حضر أبحاثه سنين متمادية و كتب من أبحاثه الشىء الكثير، منها هذه الرسالة التى يزفّها الطبع للقرّاء، و قد عرضها بعد التأليف على أُستاذه فكتب عليها كلمة قيمة نأتى برمتها عن قريب.

۳- القائد المناضل الكبير و المرجع الأَعلى للشيعة فى عصره السيد محمد حسن الشيرازى (۱۲۳۰ ۱۳۱۲ ه) حضر أبحاثه فى النجف الأَشرف، و لمّا غادر الامام الشيرازى ذلك البلد، و ألقى رحله فى سامراء سنة ۱۲۹۱ ه، ارتحل شيخنا مصطحباً خاله العلّامة المحدّث الكبير الشيخ حسين النورى (المتوفّى ۱۳۲۰ ه) مؤَلف مستدرك الوسائل فى السنة التالية (۱۲۹۲ ه)، و بقى بها إلى أوائل القرن الرابع عشر حتى غادرها سنة ۱۳۰۳ ه إلى عاصمة إيران طهران، كقائد روحى و أُستاذ كبير، و مرجع علمى، فقام بواجبه فى مجالات العلم و خدمة المجتمع و إحياء القيم الإِسلامية إلى أن لقى ربه شهيداً.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۱۴

كلمات الثناء فى حق المترجم

اشارة

۱- يقول المحدّث الكبير خاله الشيخ حسين النورى فى حقّه: عالم فاضل، و مجمع المحاسن و الفواضل، مالك أزمّة الفروع و الأُصول، و الآخذ بنواصى المعقول و المنقول، علم الاعلام، و الحبر القمقام، ابن أختنا المفخم الشيخ فضل اللّه النورى.. «۱».

۲- و يقول المجتهد الكبير أُستاذه الرشتى فى تقريظه لرسالة المترجم له ما هذا نصه:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم أيّها الواقف على هذه الأَوراق، لو خضت زواجر البحار، و ضربت آباط الإبل فى مهامة القفار، لما وجدت أحسن ممّا فيها تحقيقاً، و أزيد منه تدقيقاً، فمن الواجب أن ينادى بفضل صاحبها فى كل نادٍ، و يحث إليها الركاب فى كل بلاد، فقد سرّحت فيها لحظى فرأيتها ملحظاً وجيهاً، و أمعنت فيها نظرى فوجدتها منظراً صبيحاً، فكم أودع فيها من الدّرر الفاخرة، و اللآلى الباكرة، فيليق أن يكتب بالتبر على الاحداق، لا- بالحبر على الأَوراق، فللّه درّ مؤَلّفها و هو العالم الأَوّاه قرّة عينى، الشيخ فضل اللّه له فضله و علاه فقد أتعب نفسه، و عرّق جبينه، فى تحصيل القواعد العلمية، و الأُصول الاجتهادية، التى يدور عليها مدار الاجتهاد و بها يصح أعمال العباد.

و حضر لدىّ و لدى الأَساتيذ العظام، و الأَساطين الكرام، شطراً وافياً

---

(۱) مقدّمة «شجره طوبى» للمحدّث النورى.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۱۵

من الزمان، و دهراً طويلًا كافياً من الأَوان، فبلغ بحمد اللّه مناه، و صار عالماً ربّانياً، و علماً حقّانياً، مجتهداً ماهراً، متبحّراً كاملًا، جامعاً للمعقول و المنقول، فحقيق أن يرجع إليه عباد اللّه المؤمنون فى أُمور دينهم، و ينقادون إليه فيما يتعلّق بآخرتهم و دنياهم، و فى حقه و أمثاله ورد فى الأَثر من سيّد البشر: الرّاد عليه راد علينا، و هو فى حد الشرك، معاذ اللّه منه و من شرّ الشيطان، و سيئات الاعمال، و رجائى منه هو سلوك طريق الاحتياط فى الأَحكام و الموضوعات، و أن لا ينسانى عن الدعوات عند قاضى الحاجات، إنّه وليّ التوفيق.

حبيب اللّه الغروى الجيلانى ۳- قال العلّامة الامينى عند سرد حياته: قفل شيخنا المترجم له إلى طهران، و لم يبرح بها إماماً، و قائداً روحياً، و زعيماً دينياً، يعظِّم شعائر اللّه، و ينشر مآثر دينه، و يرفع أعلام الحق، و يبرز كلمة الحقيقة حتى حكمت بواعث العيث و الفساد، بعد ما جابه الإلحاد و المنكر، زمناً طويلًا، فمضى شهيداً بيد الظلم و العدوان، ضحية الدعوة إلى اللّه، ضحية الدين، ضحية النهى عن المنكر، ضحية الحمية و الديانة، و دفن فى دار المؤمنين بلدة قم «۱».

و قد أثنى الموافق و المخالف على الشيخ و كثر عليه الثناء من مختلف الطبقات، حتى لم يجد المعاند منتدحاً من الاعتراف بدينه و صلابته فى طريق عقيدته، و مسؤوليته أمام شعبه و دينه، و انّه هو الذى اختار الشهادة و القتل فى سبيل اللّه، على التعاون مع رجال العيث و الفساد.

و أنا أستميح الشيخ الشهيد عذراً حيث أعيى البيان و ضاق المجال عن

---

(۱) شهداء الفضيلة: ۳۵۷.

و له فى بلدة قم مقبرة عامرة، حيث دفن فى إحدى حجرات الصحن الشريف حيث تزور تربته عامة الطبقات.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۱۶

ترجمته بجميع نواحيه العلمية و السياسية و خدماته الاجتماعية و زمالته لزعماء الدين، و أخص بالذكر السيد الكبير الشيرازى فى مسألة

تحريم التدخين الصادر عام ۱۳۰۸ ه، فقد ذكر غير واحد من المؤَرّخين مواقفه المشكورة فى ذلك المجال، و لنكتف ببيان آثاره العلمية الواصلة إلينا.

آثاره العلمية

اشارة

خلّف الشيخ آثاراً و اشتغل بالتأليف من أيام شبابه إلى شيخوخته غير أنّ مؤَلفاته لم تزل مخطوطة لم تر النور إلّا القليل النادر منها. و إليك بعض ما وقفنا على أسمائه و خصوصياته.

۱- درر التنظيم

منظومة حول القواعد الفقهية و قد طرح فيها خمساً و عشرين قاعدة فقهية مع الإِشارة إلى مبانيها، صاغها فى بوتقة النظم، و هو فى أواخر العقد الثانى من عمره أى شرع فيها عام ۱۲۷۹ ه، يقول فيها:

قد انقضى من سنّى العشرونا فى سنة التاسعة و السبعونا

من بعد ألف و كذا المائتين من هجرة النبى دون المين

«۱» و قد ختمه بقوله:

قد وقع الفراغ من تصنيف هذه النسخة بيد مؤَلفه الفقير فضل اللّه ابن

---

(۱) المين: الكذب.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۱۷

عباس النورى يوم الأَحد سابع عشر ذى القعدة الحرام سنة ۱۲۸۰ ه فى دار الخلافة طهران، و يبلغ عدد الأَبيات خمسمائة بيت، و إليك القواعد التى طرحها الشيخ فى تلك المنظومة:

۱- الأَسباب الشرعية معرفات لا علل حقيقية.

۲- الأَصل عدم تداخل الأَسباب.

۳- فى قاعدة لا ضرر و لا ضرار.

۴- فى قاعدة العقد ينحل إلى العقود.

۵- القاعدة العقلية لا تخصص.

۶- دلالة الأَلفاظ وضعية لا ذاتية.

۷- الأَصل عدم جواز التوكيل إلّا ما خرج.

۸- أصالة الطهارة فى الشبهة الحدثية و الخبثية.

۹- الأَصل فى الدماء، النجاسة.

۱۰- قاعدة الإِمكان فى الحيض و بيان حدودها.

۱۱- من جملة أسباب الضمان، اليد.

۱۲- من جملة ما جعل الشرع سبباً للضمان، الإتلاف.

۱۳- من جملة أسباب الضمان، الأَخذ بالعقد الفاسد.

۱۴- من جملة ما جعله فى الشرع سبباً للضمان، الغرور.

۱۵- من جملة ما جعله فى الشرع سبباً للضمان، التعدّى و التفريط.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۱۸

فى مسقطات الضمان: ۱۶- من جملة المسقطات فى الشرع، الإِحسان.

۱۷- من جملة المسقطات فى الشرع، الاقدام.

۱۸- من جملة المسقطات فى الشرع، الاستيمان.

۱۹- من جملة المسقطات فى الشرع، الاذن من ذى السلطان.

۲۰- قاعدة القرعة و تشخيص مواردها.

۲۱- فى أن الأَصل، وجوب القضاء، فى ما وجب فيه الإِعادة.

۲۲- فى قاعدة من ملك شيئاً ملك الإِقرار به.

۲۳- فى بيان حرمة الإِسراف و مدركها.

۲۴- عدم حجية عدم القول بالفصل «إذا كان البعض مثبتاً بالأَصل».

۲۵- فى شأن اشتراط العربية فى العقود.

و المنظومة بعيدة عن التكلّف و التعسّف يقرأها الإِنسان بسهولة، و إليك نماذج منها و هو طرح دلالة الأَلفاظ على المعانى و أنّها وضعية أو ذاتية:

و عن سليمان بن عباد حكى دلالة اللفظ لذاته فاتركِ

حجته لزوم ترجيح بلا مرجح، كذاك منه نقلا

لكنه مخالف المشهور مخالف لمذهب الجمهور

لأَنها وضعية تدور مدار وضع و هو المنصور

لو لم تكن، لم يكن المنقول لَانّ ما بالذات لا يزول

و قد أشار فى البيت الأَخير إلى أنّ دلالتها وضعية لا ذاتية و إلّا لامتنع نقل لفظ من معنى إلى معنى، و السير فى المنظومة يعرب عن أنّه قرأ «القواعد و الفوائد»

تذكرة الأعيان، ص: ۴۱۹

للشهيد الأَوّل (۷۳۴ ۷۸۶ ه) و «العوائد» للشيخ أحمد النراقى (المتوفّى ۱۲۴۸ ه)، و «العناوين» للعلّامة السيد فتاح المراغى الذى فرغ منه عام ۱۲۴۵ ه، و توفى عام ۱۲۵۰ ه.

فربما يردّ عليهم أو يقبل قول بعضهم و هو فى أوائل العقد الثالث من عمره «۱».

۲- رسالة المشتق

هذه الرسالة تقرير لآراء أُستاذه الكبير السيد المجدّد الشيرازى طبعت عام ۱۳۰۵ ه ضمن رسائل للشيخ الأَنصارى و تلميذه الجليل

الشيخ أبى القاسم الطهرانى المعروف ب: كلانتر (المتوفّى ۱۳۱۳ ه) مؤَلف مطارح الأنظار الذى هو تقرير لدرس أستاذه الأنصارى.

۳- حرمة الاستطراق إلى مكة عن طريق جبل

هـذه الرسالـة ألّفها الشـيخ بعـد ما زار بيت اللّه الحرام من هـذا الطريق و رأى فيها المخاوف التى تحدق بالزائر ذهاباً و إياباً و وجد فيه عدم الأَمن و عدم تخلية السرب، و قد أفتى بالحرمة غير واحد من مراجع ذلك العصر، و طبعت الرسالة عام ۱۳۲۰ ه.

۴- الصحيفة المهدوية أو القائمية

جمع فيها أدعية الامام المنتظر و هى بعد غير مطبوعة ألّفها فى أُخريات أيام إقامته فى سامراء بالعراق عام ۱۳۰۲ ه.
و قد كتب عليها خاله العلّامة المحدث النورى تقريظاً، و أطرى فيها على

---

(۱) توجد نسخة من هذا الكتاب فى المكتبة المركزية لجامعة طهران.
تذكرة الأعيان، ص: ۴۲۰
المؤَلف ابن أُخته و أجازه فى الرواية.

۵- تذكرة الغافل و إرشاد الجاهل

كانت هذه الرسالة قارعة على رءوس المخالفين الذين كانوا يؤَيدون الحركة الدستورية غير الشرعية و قد طبعت عام ۱۳۲۶ ه.
و قد فضح فيها أهداف أصحاب تلك الحركة المشبوهة، و أيقظ الناس على ما يبيَّتُ لهم فى تلك المؤَامرة الخطيرة.
ثم إنّ للشـيخ خطباً و مكاتيب، و بيانات بليغة مدوّية، لو جمعت فى موضع واحد لتكوّن منها سفر قيّم، و كتاب ثمين، تتجلّى فيه بلاغة الشيخ الشهيد، و قوة بيانه، و عمق تفكيره، و شجاعة جنانه، و بُعد نظره، و أصالة رأيه.

۶- رسالة قاعدة ضمان اليد

هـذه الرسالـة هى التى يزفّها الطبع الآن إلى القرّاء و هى تعرب عن تضلّعه فى الفقه، و إحاطته بالفروع، و هـذه الرسالـة موجودة بخطه الشريف فى مكتبة المشهد الرضوى برقم ۹۶۳۲.
و بمـا أنّه غادر النجف الأَشـرف عام ۱۲۹۲ ه يرجع تاريـخ تأليفهـا إلى قبيـل عام المغادرة، بشـهادة أنّ المحقق الرشتى قرّظها و هو فى النجف الأَشرف و كان يحضر أنديه دروس الأَكابر.
و لأَجـل إحيـاء مـآثر شـهيدنا المبجّل و نظراً لما فى تلك الرسالـة من بـدائع الأَفكار، قام الشـيخ الفاضل العلّامـة الشـيخ قاسم شـيرزاده بتحقيقها و تصـحيحها و التعليق عليها حسبَ الحاجة، و قامت مؤَسسة الامام الصادق- عليه السلام بنشرها، فشكر اللّه مساعى المؤَلِّف و المعلِّق و شكر جهدَ الناشرين لَافكار علمائنا الأَبرار، و آثارهم.
تذكرة الأعيان، ص: ۴۲۱

مصادر المقدمة

اشارة

لقد كثر التأليف و التحقيق حول شخصيّة و حياة شيخنا الشهيد النورى من الموافق و المخالف، ربما تربو على العشرين كتاباً بين مختص به أو مشير إليه ضمن دراسات أُخرى.

وها نحن نشير إلى بعض تلكم المصادر:

المصادر باللغة العربية

۱- أعيان الشيعة، للسيد محسن الأَمين العاملى (المتوفّى ۱۳۷۱ ه) ج ۲۴، طبعة بيروت.

۲- شهداء الفضيلة، للشيخ عبد الحسين الامينى (۱۳۲۰ ۱۳۹۰ ه) ص ۳۵۶ ۳۵۸.

۳- معارف الرجال فى تراجم العلماء و الأُدباء، للشيخ محمد حسين حرز الدين ج ۲ ص ۱۵۸.

۴- أحسن الوديعة فى تراجم مشاهير مجتهدى الشيعة، للسيد محمد مهدى الموسوى ج ۲ ص ۹۱.

۵- نقباء البشر فى علماء القرن الرابع عشر، للشيخ آقا بزرگ الطهرانى (۱۲۹۳ ۱۳۸۹ ه) مطبوع.

المصادر باللغة الفارسية:

(فهى كثيرة جدّاً نشير إلى بعضها) ۱- المآثر و الآثار، تأليف اعتماد السلطنة، طبع فى طهران ۱۳۰۶ ه.

۲- مقال «عقائد و آراء شيخ فضل اللّه نورى» تأليف فريدون آدميت، نشره

تذكرة الأعيان، ص: ۴۲۲

ضمن مجلة «جمعه».

۳- «پايدارى تا پاى دار»، تأليف المحقق البارع الشيخ على أبو الحسنى، طبع عام ۱۳۶۸ ه.

ش، و هذا الكتاب أوسع ما أُلّف حول حياة الشيخ و أهدافه.

۴- «شيخ فضل اللّه نورى و مشروطيت؛ رويارويئى دو انديشه»، تأليف المحقق الشيخ مهدى الأَنصارى طبع عام ۱۴۱۱ ه.

۵- «ريحانة الأَدب»، لأُستاذنا الجليل الشيخ محمد على المدرس التبريزى (۱۲۹۶ ۱۳۷۳ ه).

۶- «مكتوبات، اعلاميه‌ها.. پيرامون نقش شيخ شهيد فضل اللّه نورى»، بقلم محمد تركمان.

و من أراد التوسع فى معرفة المصادر فليرجع إلى ما أُلّف حوله رحمه اللّه.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۲۳

۱۹- آية اللّه الشيخ غلام رضا بن الحاج رجب على القمى (۱۲۵۵- ۱۳۳۲ ه)

الفرائد و قلائدها

إنّ كتاب قلائد الفرائد، تعليقة قيّمة على كتاب الفرائد فى علم الأصول الذى هو محور الدراسة فى الجامعات العلمية.

و قد أمرنى من لا تسعنى مخالفته «۱» أن أُترجم حياة المعلِّق فامتثلت أمره أداءً لبعض حقوقه على العلم و أهله، و قد ارتويت فى سالف الزمان أى أيّام شبابى و زمان دراستى لكتاب الفرائد من هذه التعليقة التى هى رشحة من نمير علمه قدّ س اللّه سرّه.

أمّا الفرائد فهو للشيخ الأعظم مرتضى الأنصارى (۱۲۱۴ ۱۲۸۱ ه) النجم اللامع، بل الشمس البازغة فى سماء العلم و التحقيق فى القرن الثالث عشر، و هو من الذين يضنُّ بهم الدهر إلّا فى فترات متقطعة متباعدة، و له جهوده العلمية فى إرساء قواعد الفقه و الأُصول فى ضوء الكتاب و السنّة و العقل.

---

(۱) العلّامة الحجّة آية اللّه: الشيخ لطف اللّه الصافى ما زالت مدارس العلم و معالم الفضل عامرة بوجوده الشريف.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۲۴

و قد ترك ثروة علمية كبيرة و ما زالت كتبه فى الفقه و الأُصول محور الدراسة.

و هذا كتابه الفرائد فى المباحث العقلية من الأصول، لم يزل مُشِعّاً فى الجامعات العلمية الشيعية.

و التعليقات و الحواشى عليها تربو على خمس و ستين «۱»، و هذا أدلّ دليل على أنّ الكتاب وقع موقع القبول.

الشيخ الأعظم فى غنى عن الترجمة، و كفى ما كتبه أُستاذه المولى أحمد النراقى (المتوفّى ۱۲۴۵ ه) فى حقّه قال: «و ممن جدّ فى الطلب و بذل الجُهد فى هذا المطلب، و فاز بالحظ الأوفر الاسنى، و حظى بالنصيب المتكاثر، مع ذهن ثاقب، و فهم صائب، و تدقيق و تحقيق، و درك غائر رشيق، و الورع و التقوى، و التمسّك بتلك العروة الوثقى، العالم النبيل، و المهذّب الأصيل، الفاضل الكامل، و العالم العامل، حاوى المكارم و المناقب، و الفائز بأسنى المواهب، الالمعى المؤيّد، و السالك طرق الكمال الأسد، ذو الفضل و النهى و العلم، الشيخ مرتضى بن الشيخ محمد أمين الأنصارى التسترى أيّده اللّه بتأييده، و زاد اللّه فى علمه و تقاه، و حباه بما يرضاه و قد استجاز بعد ما تردّد إلىّ و قرأ علىّ و تبيّنت فضيلته لدى، و لمّا كان أيّده اللّه سبحانه لذلك أهلًا، و إنجاح مسئوله فرضاً لا نفلًا، فأجزتُ له أسعد اللّه جده و ضاعف كدَّه و جدَّه، أن يروى عنّى كتاب نهج البلاغة و..» «۲».

و الحقّ أنّ الشيخ أرفع شأناً من أن تحوم فكرتى حول شخصيته و فقاهته، فلا محيص عن إيقاف القلم، و عطف عنانه إلى ترجمة شيخنا المحشى قدَّس سرَّه.

---

(۱) الطهرانى، الذريعة: ج ۶، مادة الحاشية و قد سقط من قلمه الشريف بعض التعليقات مضافاً إلى أنّه لم يذكر فيها بعض ما ألّف بعد رحيله.

(۲) الإجازة مذكورة برمّتها فى كتاب شخصية الشيخ الأنصارى: ۱۳۰۱۲۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۲۵

لقد تعرّفت على مكانة كتاب الفرائد و وقوعه محور الدراسة منذ زمن تأليفه إلى يومنا هذا، و قد علّقت على هذا الكتاب ثلة جليلة من تلاميذ الشيخ الأعظم و تلاميذ تلاميذه فأوضحوا مقاصده، و ذلّلوا معضلاته إلى أن وصلت النوبة إلى شيخنا المترجم، فألّف كتابه المعروف ب «قلائد الفرائد» أو «قلائد العقيان على نحور الخُرَّد «۱» الحسان» «۲» و قد فرغ منه المؤلّف عام ۲۱۳۱ و طبع عام ۴۱۳۱.

و هذا الكتاب من أشهر تآليفه، و له تآليف أُخرى سنذكرها فيما بعد.

و أمّا حياته فقد ترجمها شيخنا المجيز الطهرانى فى نقباء البشر فقال: هو الشيخ غلام رضا بن الحاج رجب على القمّى المعروف بالحاج آقا آخوند، عالم محقّق، و فقيه متبحّر من الأعاظم، كان اشتغاله فى النجف الأشرف، حضر على الشيخ المرتضى الأنصارى سنتين، و بعده على السيد محمد حسن المجدّد الشيرازى قليلًا، و الميرزا حبيب اللّه الرشتى، و ذهب إلى سامراء فبقى سنتين و رجع

إلى قم.

و كان فيها أوان تشرّف أُستاذه الرشتي في طريق زيارته للمشهد الرضوي فجدّد به عهداً هناك، ثمَّ صار مرجعاً للأُمور مقيماً للجماعة و الوعظ، قائماً بالإرشاد و التدريس إلى أن توفّي في ١٦ ذي الحجّة سنة ١٣٣٢ ه «٣».

و في «هدية الرازي إلى المجدد الشيرازي» ما هذا نصه: من أكابر علماء قم، و من تلاميذ الشيخ الأَنصاري و الميرزا الشيرازي في النجف الأَشرف، ثمّ غادر إلى قم رئيساً و مدرِّساً، و قد كتب حاشية على رسائل العلّامة الأَنصاري «۴».

---

(١) جمع الخريدة: البكر لم تمس قط.

(٢) و الاسم الواقعي هو قلائد الفرائد و أمّا الثاني فهو مقتبس من قول بحر العلوم في منظومته: تزهو على قلائد العقيان على نحور الخُرّد الحسان

(٣) نقباء البشر: ۴- ١۶۵٧ برقم ٢٢٢١.

(۴) هدية الرازي: ١٧٨ بتعريب منا.

تذكرة الأعيان، ص: ۴٢۶

كما يذكره ناصر الشريعة في «تاريخ قم» فيقول: الحاج ملّا غلام رضا بن رجب علي المعروف ب (حاج آخوند) المتوفّى عام ١٣٣٢ ه. كان في الرعيل الأَوّل من علماء قم و أكابرها، ضمّ إلى علمه الجم قدسية نفسية، فصار مناراً للعلم و مثالًا للتقوى.

غادر بلدته (قم) عام ١٢٧٩ ه مع زميله العلّامة السيد صادق الروحاني قدّس اللّه سرّهما إلى النجف الأَشرف فحضر درس الشيخ الأَنصاري قرابة سنتين، ثمَّ اختص بالعلمين الكبيرين: الميرزا الشيرازي و الميرزا الرشتي طيّب اللّه ثراهما فلما بلغ المرتبة العالية من الاجتهاد، و نال الشهادة الكبرى من أُستاذه قفل عائداً إلى قم عام ١٢٩٨، مشتغلًا بالتدريس إلى أن لبّى دعوة ربّه عام ١٣٣٢ ه و دفن في الصحن الشريف: الايوان الزجاجية للحضرة الفاطمية «١».

و لم نقف على تاريخ ولادته غير أنّه يبدو ولد حوالي عام ١٢٥٥ و ذلك لَأنّه كان قريناً و زميلًا و صديقاً من أوان عمره للعلّامة السيد صادق الروحاني طول حياته، و قد ولد السيد الروحاني في ذلك العام.

آثاره العلمية

و قد ترك شيخنا المؤَلّف ثروة علمية لا يستهان بها، غير أنّها لم تر النور إلّا هذا الأَثر.

---

(١) ناصر الشريعة: تاريخ قم: ٢٧٨.

تجد نظير هذه الكلمات في كتاب «مؤَلّفين كتب چاپي» لخان بابا مشار: ۴- ٢٩۵، و رجال قم: للسيد محمد مقدسي زاده، فلا حاجة لنقل كلماتهما لتشابهها مع ما ذكر لفظاً و معنى.

تذكرة الأعيان، ص: ۴٢٧

و إليك فهرس ما ألّف:

١- قلائد الفرائد: أو قلائد العقيان، و قد أُعيد طبعه بالأُوفست و قرّظه يوم طبع، العلّامة السيد مهدي القمّي بأبيات:

كم ركبوا سفينة البراءة و راموا الاستصحاب بالقراءة

تحيّروا في لجج القواعد ما وصلوا حقيقة المقاصد

عليك في بلوغك الفوائد بهذه القلادة للفرائد

قد نزلت فی کتب الأصول منزلة الربیع فی الفصول

شاملة دقائق القوانین کاشفة الغطاء من العناوین

تملأ من بدائع الدقیقة تمیز المجاز عن حقیقة

قال لنا السادة ورّخوها أجبتهم «بدیهة خذوها»

۲- کتاب القضاء.

۳- کتاب الصلاة.

۴- صلاة المسافر «۱».

۵- قواعد الأصول، تشتمل علی مسألتی اجتماع الأمر و النهی، و مسألة الضد «۲».

۶- کنوز الجواهر «۳».

---

(۱) الطهرانی: نقباء البشر: ۴- ۱۶۵۷.

(۲) الذریعة: ۱۷- ۱۷۸، و نقباء البشر: ۴- ۱۶۵۷.

(۳) الذریعة: ۱۸- ۱۷۱.

تذکرة الأعیان، ص: ۴۲۸

تلامیذه

کان شیخنا المترجم مشتغلًا بالتدریس و الزعامة الدینیة، ربّی لفیفاً من ذوی الفضل منهم العلّامة الحجّة الشیخ محمد علی الارجستانی الکجوئی مؤلّف «أنوار المشعشعین فی شرافة قم و القمّیین» «۱» و کان رحمه اللّه ساعیاً فی رفع حوائج الناس برحابة صدر إلی أن لبّی دعوة ربّه کما عرفت فی ۱۶ ذی الحجة عام ۱۳۳۲ ه، فسلام اللّه علیه یوم ولد و یوم مات و یوم یبعث حیّاً.

أولاده

خلّف أولاداً صالحین و علماء کباراً قد عاصرنا بعضهم، نذکر منهم ما یلی: ۱- آیة اللّه الحاج الشیخ محمد جواد القمّی (۱۲۹۵ ۱۳۷۳ ه) ولد فی النجف الأشرف و صحب أباه عند مغادرته النجف الأشرف إلی قم، درس الآلیات و المقدّمات فیها، و لما تمّ العقد الثانی من عمره هاجر إلی طهران بإیصاء من والده فحضر بحوث الأمجاد الکبار: الشیخ محمد حسن الاشتیانی، و الشیخ علی النوری، و المیرزا محمود الحکمی، و الشیخ عبد الکریم السبزواری، و لما ارتوی من نمیر علمهم فی المعقول و المنقول رجع إلی قم فأقام بها ثلاث سنوات إلی أن هاجر إلی النجف الأشرف عام ۱۳۱۹ ه فحضر أبحاث العلمین الجلیلین: السید محمد کاظم الیزدی، و المحقّق الخراسانی.

فلمّا توفّی والده رجع إلی قم فی سنة ۱۳۳۳ ه.

مشتغلًا بالتدریس و الزعامة و التألیف و التصنیف، و من آثاره العلمیة:

۱- الصراط المستقیم.

۲- سعادت بشری.

---

(۱) کتابشناسی آثار مربوط ب قم: ۱۳۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۲۹

۳- آينه حق نما.

۴- توحيد قمى.

۵- الكيمياء فى المعاد «۱».

و غير ذلك من الآثار الكلامية و الأَخلاقية التى تتجاوز العشرة و كان يقيم الجماعة فى مسجد والده، إلى أن توفّى عام ۱۳۷۳ ه و قد أوصى بكتبه و كتب والده إلى المرجع الدينى الأَعلى آية اللّه العظمى البروجردى (۱۲۹۲ ۱۳۸۰ ه) و هو قدّس اللّه سرّه أمر بإيداعها فى مكتبة مدرسة الفيضية.

۲- العلّامة الشيخ عبد الهادى القمّى: تتلمذ على الفقيه الكبير الشيخ أبى القاسم القمّى، و آية اللّه الحائرى، و آية اللّه العظمى البروجردى، و كانت حياته حياة طيّبة يعلو عليها الزهد و التجافى عن الدنيا، انتقل إلى رحمة ربّه عام ۱۳۸۴ ه.

۳- الشيخ محمد القمّى: تتلمذ على يد مؤَسّس الحوزة آية اللّه الحائرى، و السيد الحجّة الكوه كمرى، و السيد الزعيم البروجردى، و من خصائصه الممتازة صدق اللهجة و الصراحة فى الكلام مضافاً إلى التجافى عن زخارف الدنيا إلى أن وافاه الأَجل عام ۱۳۷۸ ه.

۴- العلّامة الحجّة الشيخ حسين القمّى من خريجى مدرسة آية اللّه الحائرى، و الحجّة الكوه كمرى، و السيد محمد تقى الخوانسارى، و الزعيم البروجردى، و كان يعيش كسائر إخوانه فى غاية البساطة إلى أن وافاه الأَجل عام ۱۳۷۹ ه.

هؤلاء ممّن يعبأ بهم من أولاده الفضلاء رحم اللّه الوالد و أولاده، و حفظ اللّه أحفاده و أسباطه، و لم يزل البيت زاهراً بالتقوى و الزهد و نور الولاية.

---

(۱) طبع عام ۱۳۶۴ ه، كما فى نقباء البشر: ۴- ۱۶۵۷.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۳۰

و فى الختام أتقدّم بالشكر الجزيل إلى الشيخ ناصر الدين الأَنصارى و إلى حفيدى المترجم، الحاج على الفقيهى الرضائى، و الحاج محسن الرضائى أبناء الشيخ عبد الهادى حيث قدّموا المعلومات الكافية عن حياة المترجم له و بيته الرفيع، و قاما بطبع كتاب «القلائد» و بذلا نفقة الطبع ليكون لهما ذخراً فى الآخرة.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۳۱

۲۰- محمد بن حسين بن محمد الطباطبائى (۱۳۲۱- ۱۴۰۲ ه)

اشارة

من ملامح الشخصيات الكبيرة انّ كلَّ واحد منهم أُمّة، لما يقومون به من انجازات كبيرة و يخلفون من الآثار التى من شأنها أن تُنجزها أُمّة، و لأَجل ذلك نرى انّه سبحانه يصف إبراهيم- عليه السلام- بأنّه أُمّة، و يقول: (إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) «۱».

و ما هذا إلّا لأَنّ رائد التوحيد منذ ريعان شبابه إلى أن لقى ربّه أوجد ثورة عارمة ضد الشرك، و قاد نهضة توحيديّة كبيرة، و ترك آثاراً و منجزات عظيمة فى المجتمع الإِنسانى، فعمله فى الظاهر عمل فردى و لكنّه فى الواقع عمل أُمّة كبيرة و هذه من سمات الشخصيات الكبيرة.

هكذا كان العلّامة الطباطبائى، فهو بحقّ أُمّة، لما أنجزه من الآثار العلمية و الخدمات الجليلة التى تركت بصمات واضحة على التراث

الشيعى.

فيوم نُعِيَ لموته، كأنّه نُعى لموت أُمّة كبيرة، و الذكر الحكيم يعبّر عن موت العالم و فقدانه بنقصان الأَرض و يقول: (أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها وَ اللّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسابِ) «۲».

---

(۱) النمل: ۱۲۰.

(۲) الرعد: ۴۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۳۲

و قد فسَّرت الآية بموت العالم، روى أمين الإسلام الطبرسى، عن عدّة من المفسرين أنّ المراد من الانقاص، نقصها بذهاب علمائها و فقهائها و خيار أهلها «۱».

و ثمّة نكتة جديرة بالذكر، و هى انّ النبوغ تارة يتجلى فى فن واحد كنابغة النحو سيبويه (المتوفى حوالى عام ۱۹۰) مؤلف «الكتاب» الذى لم يكتب نظيره فى النحو، و أُخرى يتجلى فى أكثر من فن واحد فتكون شخصية ذات أبعاد مختلفة.

و هذا هو الشيخ الرئيس ابن سينا (۳۸۴ ۴۲۷ ه) الذى ضرب فى كلّ فن بسهم و تجلّى فيه نبوغه، ففى مضمار الفلسفة فيلسوف مبدع بلغت الفلسفة المشائية على يده القمّة، و فى مضمار الطب طبيب ماهر و حاذق ألّف كتاب «القانون» الذى لم يزل يُدرَّس فى الجامعات العلمية عبْر قرون، كما أنّه أُستاذ الرياضيات و الهيئة فى عصره و لم يكن الشيخ الرئيس نسيج وحده فى ذلك المجال بل لاحت أسماء شخصيات أُخرى فى سماء العلم و النبوغ لا يسع المقال لذكرها.

و قد كان العلّامة الطباطبائى من تلك الثلة الذين تمتعوا بذهنية و قادة، و منفتحة على أكثر العلوم، و ارتشف من معينها و نبغ فيها، فهو فى مجال التفسير مفسّر بارع يفسّر القرآن بالقرآن و الآية بالآية، و فى مجال الفلسفة، مفكر إسلامى كبير مؤَسس لأُصول فلسفية، و فى العرفان و تهذيب النفس و التخلق بالمُثل العليا، عارف شامخ و أخلاقى مهذّب، ضمَّ العرفان النظرى إلى العملى و بلغ شأواً عظيماً فخرق الحُجُب المادية بعيون برزخية، كما انّه فى العلوم النقلية بلغ مرتبة الاجتهاد و كانت له أنظار فى الفقه و الأُصول إلى غير ذلك من الفضائل و المآثر التى يضرب بها المثل، (ذلك من فضل اللّه يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)*.

---

(۱) مجمع البيان: ۳- ۳۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۳۳

لمحة من حياة السيد الطباطبائى

اشارة

ولد قدَّس سرَّه فى مدينة «تبريز» فى التاسع و العشرين من شهر ذى الحجة الحرام من شهور عام ۱۳۲۱، و عاش ثمانين سنة و ثمانية عشر يوماً، و خلّف تراثاً علمياً ضخماً، و ربّى جيلًا كبيراً من المفكرين أوجد من خلالها تحولات عظيمة فى العلوم الإسلامية، و لقى ربّه بنفس مطمئنة يوم الأَحد الثامن عشر من محرم الحرام من شهور عام ۱۴۰۲ ه، و وُرِىَ جثمانه الطاهر فى حرم السيدة فاطمة بنت الامام الكاظم عليهما السَّلام تجد صخرة قبره إلى جنب قبر السيد النقى الورع السيد أحمد الخونسارى قدّس اللّه سرّهما فاقترن الكوكبان فى مضجعهما كما كان بينهما أُلفة فى حال حياتهما.

نشأ الأُستاذ و ترعرع فى أُسره عريقة بالعلم و الثقافة و لها تاريخ وضّاح، يتصل نسبه إلى السيد الجليل مير عبد الوهاب الذى تقلَّد

منصب «شيخ الإسلام» فى أذربيجان قبل ظهور السلسلة الصفوية، و لما اشتعل فتيل الحرب بين الدولتين: الصفوية و العثمانية، قام السيد بمساعى جميلة بغية إطفاء نيران الحرب و استتباب الأمن و الاستقرار بين البلدين الشقيقين، فغادر إيران عام ۹۲۰ ه لهذا الغرض و هبط آستانة حاضرة الدولة العثمانية إلّا أنّ محاولته باءت بالفشل فزُجَّ به فى السجن و بقى فيه، إلى أن مضى السلطان سليم و قام مقامه ابنه السلطان سليمان، فأطلق سراحه و عامله بتكريم و تبجيل إلى أن وافته المنية عام ۹۲۷ ه، و دفن فى جوار الصحابى الكبير «أبى أيّوب الأنصارى» فى آستانه، فالمترجم له وليد ذلك البيت العريق و ثمرة تلك الشجرة الطيّبة التى أصلها ثابت و فرعها فى السماء، فكم أنجبت علماء كباراً احتفل التاريخ بأسمائهم عبر قرون خمسة، و لا مجال لذكر أسمائهم فضلًا عن حياتهم، و كفانا عن إطناب الكلام فيذلك ما ألّفه نفس الأُستاذ فى أنساب آل عبد الوهّاب و الرسالة بعدُ مخطوطة

تذكرة الأعيان، ص: ۴۳۴

لم تر النور.

نشأ السيد الطباطبائى فى حضن أبويه حتى وافتهما المنيّةُ و لم يتجاوز عمر السيد آن ذاك تسع سنين، و بعث إلى المدرسة و تعلم فيها القرآن و الأدب الفارسى و الرياضيات فتهيأ إلى دخول الجامعة الإسلامية فى مدينة تبريز، و قرأ فيها الصرف و النحو و المعانى و البيان و الفقه و الأصول و الكلام و لم يترك شيئاً من العلوم الرائجة يومذاك إلّا و قد انتهل منها حتى درس الخط و استغرق جميع ما درسه من الآداب و السطوح العالية تسع سنين و نال منها حظاً عظيماً.

و ثمّة نكتة جديرة بالذكر، و هى انّ الأُستاذ كتب رسالة موجزة فى حياته نقتبس منها فيما يرجع إلى تلك الحقبة من حياته.

يقول: كنت فى بداية دراستى غير راغب فى الاستمرار فيها، و كنت على هذا الحال سنين أربع إلى أن شملتنى العناية الإلهيّة و أوجدت تحولا جذرياً فى نفسى، و أحسست بشوق منقطع النظير إلى الاستمرار فيها و عوّلت على استسهال الصعب، فأكببت على الدرس بعزم راسخ و نسيت كلّ شىء سواه، و اقتصرت من الدنيا باليسير، و سهرت الليالى منكباً على المطالعة و الدراسة، و كنت أُحضِّر المادة الدراسية قبل حضورى مجلس الدرس و أستوعبُ أكثر ما يلقيه الأُستاذ فيه، و كان جلّ سعى هو فهم المطالب و حل المشاكل العلمية التى أواجهها بالامعان و المطالعة دون أن استفسر عنها «۱».

و قد مشى الأُستاذ على هذا المنوال إلى أن غادر مسقط رأسه إلى النجف الأشرف عام ۱۳۴۴ ه بغية إكمال دراساته العليا، فأخذ يختلف أنديه الدروس العالية لَاساتذة الوقت فى الفقه و الأُصول أعنى السيد أبو الحسن الأصفهانى (۱۲۸۴ ۱۳۶۵ ه) و الشيخ محمد حسين النائينى (۱۲۷۴ ۱۳۵۵ ه) و الشيخ

---

(۱) حياة الأُستاذ بقلم نفسه.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۳۵

محمد حسين الأصفهانى (۱۲۹۶ ۱۳۶۱ ه) الذى نالت دروسه درجة كبيرة من الأهمية عند السيد الطباطبائى، فكان يُثنى عليه كثيراً و يسير على نهجه فى أُصول الفقه.

و أمّا أساتذته فى العلوم العقلية، فقد حضر درس العرفان عند السيد على القاضى، كما حضر دروس الفيلسوف الكبير السيد حسين البادكوبى (۱۲۹۳ ۱۳۵۸ ه) الذى هو من تلاميذ السيد أبو الحسن المعروف ب «جلوه» (۱۲۳۸ ۱۳۱۴ ه) و كان المترجم له يُثنى كثيراً على أُستاذه البادكوبى و يذكره فى المجالس و المحافل العلمية و يقول فى رسالته: و قد حضرت دروس الحكيم البارع السيد حسين البادكوبى ست سنوات و قرأت عليه شرح «المنظومة» للسبزوارى، و «الأسفار» لصدر المتألهين الشيرازى و «المشاعر» له أيضاً، و كتاب «الشفاء» لابن سينا، و كتاب «أثولوجيا» لأرسطو، و «تمهيد القواعد» لابن تركة، و «طهارة الاعراق» لابن مسكويه.

و أضاف المترجم له فى رسالته: أنّ السيد البادكوبى كانت له عناية خاصة بتعليمى و تربيتى و كان يصرّ على تعلم الرياضيات العالية

حتى أقف على كيفية إقامة البرهان على المسائل الفلسفية و لأجل ذلك حضرت دروس الرياضى الكبير السيد أبو القاسم الخونسارى فقرأت عليه دورة كاملة فى الحساب و الهندسة المسطحة و الفضائية و الجبر الاستدلالى.

و على الرغم من انّ السيد الطباطبائى كان مكبّاً على العلم و التعلم لكنّه لم ينس أبداً تهذيب النفس و تحليتها بالفضائل و تخليتها عن الرذائل و قد اقتدى فى ذلك بأُستاذه العظيم السيد على القاضى (۱۲۸۵ ۱۳۶۵ ه) الذى بلغ فى تهذيب النفس مقاماً شامخاً حتى صار صاحب كرامات.

نقل العلّامة الطباطبائى عنه هذه الحكاية الطريفة:

تذكرة الأعيان، ص: ۴۳۶

حلّ السيّد القاضى ضيفاً علىّ و كانت بيننا و بينه صلة رحم و قرابة، و التفت إلى عقيلتى التى لم ترزق طفلًا إلّا و قد مات، مخاطباً إياها قائلًا: يا ابنة العم: هذا الذى يحتضنه رحمك يبقى و هو ذكر سمِّه «عبد الباقى»، قال ذلك و لم أكن أنا يومذاك مطلعاً على حملها.

ثمّ إنّه سبحانه تبارك و تعالى رزقنا ذكراً اسميناه عبد الباقى و هو الآن حيٌّ يرزق.

إنّ العلّامة الطباطبائى ضمّ إلى العرفان النظرى، العرفان العملى و من له أدنى إلمام بالعرفان النظرى يقف على انّه بمجرده لا ـ ينوّر الضمير ما لم ينضم إليه العرفان العملى، فللعارف جناحان أحدهما علمه و الآخر عمله بهما يُحلِّق فى سماء الكمال.

و من آثاره العلمية فى ذلك الباب كتابه «المحاكمات» فقد حاكم فيها نظريتين إحداهما للعارف الطائر الصيت السيد أحمد الحائرى (المتوفى عام ۱۳۳۲ ه) و الآخر لشيخه محمد حسين الأصفهانى، فقد اختلفا فى تفسير بيتين منسوبين إلى العارف الكبير «العطار النيشابورى» أعنى قوله:

دائماً او پادشاه مطلق است در كمال عزّ خود مستغرق است

او به سر ناید ز خود آنجا كه اوست كی رسد عقل وجود آنجا كه اوست

فقد دارت بين العارفين، مراجعات فى تفسير البيتين إلى أن صار كتاباً باسم «المكاتبات» ثمّ إنّ السيد الطباطبائى كتب رسالة حاكم فيها النظريتين و حقق ما هو اللائق بمقام العارف فى تفسيرهما.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۳۷

مغادرة الأُستاذ النجف الأَشرف

ظلّ الأُستاذ فى جامعة النجف الأَشرف أحد عشر عاما غير انّ تدهور الأَوضاع الاقتصادية ألجأته إلى مغادرة النجف و أقفل عائداً إلى تبريز مسقط رأسه، و كان المترقب أن يشتغل بنشر المعارف و تعليم جيله لكن الأَوضاع السياسية السائدة آن ذاك عاقته عن نيل تلك الامنية، فألقى الرحل فى قرية من قرى تبريز تُعرف بقرية «شادباد» و اشتغل فيها بالفلاحة لسدّ حاجته المادية و دام هذا الوضع عشر سنين، و يصف فيها تلك الفترة عن مضض و يقول: إنّ تلك الفترة من عمرى كانت خسارة جسيمة لى، فقد اضطررت إلى الاشتغال بالفلاحة لسدّ عيلتى، و كانت تأخذ منى قسطاً وافراً من الوقت.

و مهما يكن من أمر فقد ألف فى تلك الفترة رسائل عرفانية و فلسفية، منها: «الإنسان قبل الدنيا» و «الإنسان فى الدنيا» و «الإنسان بعد الدنيا» و الرسائل الأَربع، و غيرها من الرسائل، و طالع عامة أجزاء بحار الأَنوار، إلّا الأَجزاء الستة التى ترجع إلى الفقه و لم يغفل عن تهذيب النفس و سلوك مدارج الكمال لا سيما انّه كان منقطعاً عن معاشرة الناس شاغلًا بنفسه عن غيره.

كانت حياته تسير على ذلك المنوال إلى أن فُوجى باضطراب الأَوضاع السياسية فى آذربيجان عقب استيلاء جيوش الحلفاء على إيران و جيوش الروس على آذربيجان، فلم ير بُدّاً من ترك مسقط رأسه متوجهاً إلى قم المقدسة و ذلك عام ۱۳۶۴، و قد استخار اللّه تبارك و تعالى فى هذه الهجرة و فتح القرآن فإذا بهذه الآية (هُنالِكَ الْوَلايَةُ لِلّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَواباً وَ خَيْرٌ عُقْباً) «۱».

و ظل يعيش تحت ولايته سبحانه فى مهبط العلم ما يقرب عن ۳۵ سنة،

---

(۱) الكهف: ۴۴.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۳۸

و تخرج على يده جيل كبير من أكابر الحوزة و علمائها و هم بين مفسّر لكتاب اللّه العزيز، و حكيم يشقّق القواعد الفلسفية بحذاقته، و أخلاقى يعد أُسوة فى المجتمع، و أُصولى له باع طويل إلى غير ذلك من البركات التى عمّت الحوزة عقب مجيئه.

[فى أبعاد شخصية الطباطبائى العلمية فى مجالات مختلفة]

اشارة

هذه لمحة خاطفة عن حياته، و إليك نزراً من أبعاد شخصيته العلمية فى مجالات مختلفة:

۱- العلّامة الطباطبائى و التفسير

نزل القرآن الكريم للتدبر و التفكر، قال سبحانه: (أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها) «۱» غير انّ طائفة كبيرة من المسلمين اكتفوا من القرآن بالقراءة و التجويد غافلين انّ كلّ ذلك مقدمة لفهم القرآن و تطبيق مفاهيمه على الحياة الاجتماعية.

فالقرآن يصف نفسه، بقوله: (وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ) «۲» و إذا كان القرآن تبياناً لكلّ شىء فحاشا أن لا يكون تبياناً لنفسه، فعلى المفسّر أن يستنطق القرآن و يرفع إجماله ببيّناته، و يفسّر متشابهه بمحكماته.

و إلى ذلك يشير الإمام أمير المؤمنين- عليه السلام-: «كتاب اللّه تبصرون به و تنطقون به و تسمعون به و ينطق بعضه ببعض و يشهد بعضه على بعض» «۳».

و على ضوء ذلك كان أئمّة أهل البيت- عليهم السلام- يفسرون القرآن بعضه ببعض، و لنأت بمثال: إنّ قوله سبحانه فى صلاة المسافر:

---

(۱) محمد: ۲۴.

(۲) النحل: ۸۹.

(۳) نهج البلاغة، الخطبة ۱۹۲.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۳۹

(وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ..) «۱» ظاهر فى جواز القصر لا وجوبه مع انّ أئمّة أهل البيت- عليهم السلام- أفتوا بوجوب القصر على المسافر، و قد سأل زرارة و محمد بن مسلم أبا جعفر- عليه السلام- عن وجه الوجوب للمسافر مع انّ الآية ظاهرة فى الجواز، فأجاب بقوله- عليه السلام-: «أو ليس قد قال اللّه عزّ و جلّ فى الصفا و المروة (فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما) أ لا ترون أن الطواف بهما واجب مفروض، لأَنّ اللّه عزّ و جلّ ذكره فى كتابه و صنعه نبيه، و كذلك التقصير فى السفر شىء صنعه النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- و ذكره اللّه فى كتابه «۲».

و أمّا التعبير عن الوجوب بهذا اللفظ فله نكتة خاصّة بينت فى موضعها.

تجد انّ الامام رفع إجمال إحدى الآيتين بالآية الأُخرى و هذا النمط من التفسير شائع فى أحاديث أئمّة أهل البيت- عليهم السلام- و

قد اقتفى العلّامة الطباطبائى بهم، فوضع تفسير الميزان على أساس تفسير القرآن بالقرآن و الآية بالآية و هو تفسير بديع ليس له مثيل.

نعم كان بعض المفسرين ربما يفسّرون الآية بالآية على نطاق ضيّق و لكن الأُستاذ ألّف كتاباً كبيراً فى عشرين جزءاً جعل أساس تفسيره رفع إبهام القرآن بالقرآن.

ثمّ إنّ الأُستاذ فى كتابه «الميزان» بعد ما ينتهى من تفسير الآيات يستعقبها ببحوث فلسفية و اجتماعية و أخلاقية و تاريخية على وجه لا يخلطها بما سبق من تفسير الآيات حذراً من مغبّة التفسير بالرأى.

إنّ تفسير «الميزان» خدم الحديث على وجه الإطلاق، فعرض قسماً من الأَحاديث الواردة حول الآيات على القرآن الكريم، و فَصَلَ الموافق عن المخالف،

---

(۱) النساء: ۱۰۱.

(۲) الوسائل: ۵- ۵۳۸، الباب ۲۲ من أبواب صلاة المسافر، الحديث ۲.

و هذا النوع من البحث جدير بالعناية لمن أعقبه من المفسرين.

و قد كان لتفسيره يوم انتشر بعض أجزائه صدى واسع فى المحافل العلمية، و هذه هى مجلة «رسالة الإسلام» الصادرة عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية فى القاهرة تصف الكتاب، و تقول: «الميزان فى تفسير القرآن» تفسير جديد للقرآن الكريم لسماحة العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائى من علماء الإمامية الأَجلاء صدر منه جزءان يقع كلّ منهما فى قرابة ۵۰۰ من الصفحات الكبيرة، و قد طبع فى طهران على ورق جيّد و حروف طباعية حديثة.

قرأنا مقدمة هذا التفسير و بعض موضوعاته و نحن على نية أن نستوعب الجزءين قراءة و تدبراً إن شاء اللّه تعالى، و قد وجدنا فيما قرأناه قوة علمية متعمقة فى البحث من السهولة و اليسر و البعد عن التشدد، و التخفف من المذهبية الخاصة إلى حدّ بعيد و الرجوع إلى القرآن نفسه بتفسير بعضه ببعض و النأى به عن الأَقوال التى لا تصح من الروايات الكثيرة المختلفة، و عن الآراء التى ترجع إلى تأويل آياته حتى توافق نظراً علمياً أو تقليداً مذهبياً أو أصلًا كلامياً أو فلسفة خاصة أو تجديداً حديثاً إلى غير ذلك ممّا نلمحه فى بعض التفاسير.

ثمّ يقول: من أبرز مزايا هذا التفسير انّه يعنى بعد شرح الآيات و بيان معناها يبحث فى الموضوعات الهامة و القضايا التى كثيراً ما شغلت الأَذهان فى القديم و الحديث بحثاً مستمداً من آيات القرآن نفسها، و قد قرأنا من هذا ما كتبه عند تفسيره لقوله: (وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ..) «۱»، إذ بحث بحثاً جديداً فى إعجاز القرآن من جهاته المختلفة فى بلاغته و قوة أُسلوبه و تحديه بالعلم و بالإخبار عن الغيب و بمن أنزل عليه القرآن و بعدم الاختلاف فيه، ثمّ تحدث عمّا يثبته القرآن من قوانين و سنن كونية كتصديقه

---

(۱) البقرة: ۲۳.

لقانون العلية العامة و إثباته ما يخرق العادة و من كون المؤَثر الحقيقى فى الأَشياء بتمام معنى الكلمة ليس إلّا اللّه عزّ سلطانه، إلى أن قال: و إنّا لنحيّى المؤَلف و ندعو له بدوام التوفيق «۱».

و قد نال التفسير إعجابَ السيد الراحل المحقق البروجردى (۱۲۹۲ ۱۳۸۰ ه) و قد حضرت شخصياً مجلس السيد و حوله علماء كبار و هو يتحدث عن تفسير السيد الطباطبائى و يذكره باعجاب و يصف المؤَلف بأنّه أحد علماء الإسلام، و سيوافيك تفصيله.

۲- العلّامة الطباطبائی و الفلسفة إذا كان المراد من الفلسفة هو التفكير فی صحيفة الكون و الوقوف على القوانين السائدة عليها فقد وقع هذا محط اهتمام القرآن الكريم و أحاديث العترة الطاهرة.

فإذا كانت الفلسفة تعنی ذلك المعنى فيستحيل أن يشجبه القرآن، كيف و هو يدعو إلى التفكير و التعقل و التدبر و النظر فی ملكوت السماوات و الأرض، يقول سبحانه: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِی الْأَعْمیٰ وَ الْبَصِيرُ أَ فَلا تَتَفَكَّرُونَ) «۲» و قوله سبحانه: (يَتَفَكَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) «۳» و قوله سبحانه: (قُلِ انْظُرُوا مٰا ذٰا فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) «۴».

هذه الآيات و نظائرها و ما ورد فی أحاديث العترة الطاهرة تحث الإنسان على التفكر فی الكون و نبذ التقليد.

---

(۱) مجلة رسالة الإسلام، السنة الثانية، العدد الثانی، ص ۲۱۷ ۲۱۹.

(۲) الانعام: ۵۰.

(۳) آل عمران: ۱۹۱.

(۴) يونس: ۱۰۱.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۴۲

نعم لا يصحّ لمسلم أن يقلّد منهجاً فلسفياً لإنسان غير معصوم و يعتنق كلّ ما يقول دون فرق بين سقراطه و أرسطاطاليسه أو فارابيّه و سينائه، و الإنسان الواعی يأخذ من كلّ منهج ما وافق البرهان و أورث اليقين، فله أن يرتشف من كلّ معين.

كان العلّامة الطباطبائی من تلك الثلة الأخيرة، فكان ميّالًا بفطرته إلى التفكير فی المسائل الكلية العائدة إلى الكون و قوانينه، و لأجل هذا الميل الفطری طاف على المناهج الفلسفية المختلفة المشائية و الإشراقية، و لم يقتصر على ذلك بل قرأ شيئاً كثيراً ممّا يرجع إلى الفلسفة الموروثة من حكماء اليونان و إيران و الهند فخرج بحصيلة علمية ضخمة.

و لأجل إحاطته بتلك المناهج الفكرية كان يقول شيئاً لا يصحّ أن يتفوه به غيره إلّا لمن له اطلاع واسع بالمناهج الفلسفية كان يقول: لا يوجد فی المناهج الفلسفية الغابرة و الحاضرة من يقول بالشرك فی الذات، و لو كان هناك شرك فإنّما هو فی المراتب الدانية.

انّه قدّس سرّه كان متضلعاً فی الفلسفة الإسلامية قلما يتّفق نظيره، و هو يصف تكامل الفلسفة على يد المسلمين و يقول: لم تكن المسائل الفلسفية الموروثة عن حكماء اليونان تتجاوز يوم ترجمت عن مائتی مسألة، و لكنّها تكاملت على يد الفلاسفة المسلمين و بلغت أوجها حتى بلغت سبعمائة مسألة.

هذا نصّ ما قاله الأستاذ فی مقالة كتبها فی الذكرى المئوية الرابعة لميلاد صدر المتألهين الشيرازی و يا ليت الأستاذ يشير فی رسالته إلى ذينك الأمرين: الأوّل: تمييز المسائل الفلسفية الموروثة عن اليونان عن المسائل الفلسفية

تذكرة الأعيان، ص: ۴۴۳

التی أسسها فلاسفة الإسلام.

الثانی: الإشارة إجمالًا إلى عناوين المسائل التی أسّسها حكماء الإسلام ليقف عليها القارئ عن كثب.

و كانت من أُمنيّاته ترتيب المسائل الفلسفية ترتيباً منطقياً بنحو تكون المسألة الأُولى أساساً للمسألة الثانية و تستنبط الثانية من المتقدمة، كما هو الحال فی المسائل الرياضية و الهندسية.

و قد نجح إلى حدّ كبير فی تحقيق أُمنيّته تلك، عبر كتابيه «بداية الحكمة» و «نهاية الحكمة» و بذلك مهّد السبيل للمبتدی فی الكتاب الأوّل، و المنتهی فی الكتاب الثانی.

۲- مؤسس نظريات فلسفية

إنّ شأن أكثر المتضلعين فى فن هو الإِحاطة بمسائله و دقائقه دون أن يتعدّى جهودهم عن ذلك الشأن بيد انّ ثمة نوابغ قلائل يتجاوزون عن هذا الحدّ و يبلغ بهم نبوغهم بمكان إلى تأسيس نظريات و قواعد و أُصول فى ذلك الفنّ لم تكن تعرف من ذى قبل، و هذه الثلة لا يتجاوز عددها عدد الأَصابع و سيدنا الأُستاذ من تلك الثلة فهو وراء إحاطته بالمسائل الفلسفية المتداولة، قد طرح و كشف نظريات و قواعد فلسفية لم تكن تعرف قبله و إليك الإِشارة إلى بعض هذه الأصول:

أ- تفكيك الحقائق عن الاعتباريات الحقائق عبارة عمّا له عين فى الخارج و واقعية، كما أن الاعتباريّات عبارة عن الأُمور الوضعية القائمة بذهن المعتبر من دون أن تكون لها أية واقعية فى

تذكرة الأعيان، ص: ۴۴۴

الخارج، و هذا يتجلى فى قولنا زيد زوج لهند فكلّ من زيد و هند من الأُمور الحقيقية و يشار إلى كلّ واحد بالعين و البنان و لكن الزوجيّة التى تربطُهما ليست أمراً حقيقياً واقعياً بل أمراً اعتبارياً اعتبره المقنن لآثار اجتماعية و أخلاقية و غيرهما، و لذلك ربما يُلغى اعتبار الزوجية باعتبار آخر و هو طلاق الزوج زوجته.

و أمّا ما هو منشأ الاعتبار و من أين ينتقل الإِنسان إلى الأُمور الاعتبارية فهو ذو شجون لا يسع المقام لبيانه.

و من خصائص العلوم الحقيقية صحّة اقامة البرهان على مسائلها و إنهاء الدليل إلى أُمّ القضايا كامتناع اجتماع النقيضين و ارتفاعهما، بخلاف المسائل الاعتبارية فإنّها تأبى عن اقامة البرهان عليها، بل الملاك فى صحّة الأُمور الاعتبارية اجتماع أمرين: أ- وجود الأَثر للاعتبار فلو لم يكن له أثر اجتماعى يكون أمراً لغواً.

ب- أن لا يكون المعتبر مناقضاً فى اعتباره، لانّ التناقض يوجب سلب الاعتماد على الاعتبار، هذا هو واقع الأَمر، غير انّا نرى أنّ أكثر المتخصصين فى العلوم الاعتبارية كالآداب و الفقه و الأُصول يعتمدون إلى حدّ بعيد على البرهان الفلسفى فكم نرى بين الاستدلالات على مسألة صرفية أو نحوية أو فقهية، الاستدلال بالدور و التسلسل و غير ذلك ممّا يختص بالأُمور الكونية.

و قد نجح سيدنا الأُستاذ نجاحاً باهراً فى فصل الاعتباريات عن الحقائق فألف رسالة «الحقائق و الاعتباريات» و بحث فى واقع الاعتبار و منشئه بحثاً عميقاً و بكراً، ثمّ نقلها إلى اللغة الفارسية و طبعت مع كتابة «أُصول الفلسفة».

و لم يقتصر على ذلك فقد طرح المسائل الاعتبارية فى الفصل العاشر من المرحلة الحادية عشرة فى كتاب «نهاية الحكمة».

و نحن نوافق الأُستاذ فى كلّما أفاده فى تفكيك الحقائق عن الاعتباريات إلّا

تذكرة الأعيان، ص: ۴۴۵

فى مسألة التحسين و التقبيح العقليين فإنّهما عندنا ليسا من الأُمور الوضعية بل لحكم العقل هناك منشأ تكوينى أوضحنا حاله فى محاضراتنا «التحسين و التقبيح العقليين».

ب- استنتاج خمس و سبعين مسألة فلسفية ألّف الأُستاذ رسالة فى القوة و الفعل، و كشف النقاب عن خمس و سبعين مسألة فلسفية لها صلة وثيقة بالقوة و الفعل، و من مزايا تلك الرسالة تبيين الحركة الجوهرية التى أسّسها صدر المتألهين ببيان رائع لم يسبق إليه أحد، و كشف فى ثنايا بحثه عن كون الزمان بعداً رابعاً للجواهر، و هذه المسألة و إن سبقه صدر المتألهين فى باب الحركة الجوهرية غير انّ الأُستاذ وصل إليها ببيان فلسفى دقيق يتضمن تبيين سيلان العالم و عدم ثباته و أثبت أن القرار و الثبات من خطأ الحس و ليس للعالم واقعية سوى الحركة و السيلان و الانصرام و انّ العالم بجواهره و أعراضه يسيران معاً إلى الغاية المنشودة من إيجاده، و هذا أمر لا مجال للخوض فيه فى هذا المقال.

ج- تقرير برهان الصديقين بوجه رائع إنّ برهان الصديقين من أشرف البراهين الفلسفية التى اعتمد عليه أعاظم الحكماء نظراء ابن سينا و المحقّق الطوسى و صدر المتألهين.

و لخصه المحقّق الطوسى بقوله: الموجود إن كان واجباً و إلّا استلزمه لاستحالة الدور و التسلسل «۱».

ترى انّ العلمين الأوّلين اعتمدا فى بيان البرهان على إثبات الصانع على استحالة الدور و التسلسل، و جاء بعدهما صدر المتألهين فنقدهما بأنّ هذا البيان

---

(۱) انظر شرح الإشارات للمحقّق الطوسى: ۳- ۱۸ و كشف المراد: المقصد الثالث فى إثبات الصانع.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۴۶

غير برهان الصديقين، فانّ برهانهم لا يعتمد فى إثبات الواجب على شىء وراء الوجود فإدخال الدور و التسلسل فى بيان البرهان يضادّ ذلك البرهان ثمّ بيّن طريقته فى إثبات اللّه سبحانه من دون أن يعتمد فى إثباته على وسائط.

و قد شحذ ذلك البيان عقول الحكماء فصاروا إلى بيان برهان الصديقين ببيان لائق لمقامهم، و هو الاستغناء فى إثباته سبحانه عن الاعتماد على غيره، أو شىء من خلقه و فعله، فبيّنه الحكيم السبزوارى ببيان أفضل ممّا بيّنه صدر المتألهين كما انّ سيدنا الأُستاذ استدرك على الجميع فبيّنه فى تعليقته على الجزء السادس من الاسفار ببيان رائع يقف على عظم بيانه و دقة تقريره كلّ من له إلمام.

د- حقائق لا تدخل تحت مقولة خاصة إنّ الكلام الموروث عن أرسطو هو أن الجواهر و الأعراض يقعان تحت مقولات عشر فالجوهر مقولة واحدة و العرض مقولات تسع و هى الكم، الكيف، الوضع، الأين، متى، الجدة، الفعل، الانفعال، الإضافة، و كلّ ما فى الكون داخل تحت واحدة من هذه المقولات.

ثمَّ إنّهم جوّزوا الحركة فى الأقسام الأربعة الأولى من العرض دون الباقى، و جوّز صدر المتألهين الحركة فى الجوهر أيضاً، ثمّ إنّهم اختلفوا فى حقيقة الحركة و انّها داخلة تحت أىّ مقولة من المقولات، فواصلوا البحث إلى أنّ الحركة فى كلّ مقولة نفس تلك المقولة، فالحركة فى الكم من مقولة الكم و الحركة فى الكيف من مقولته و هكذا.

إلّا أنّ سيّدنا الأُستاذ استنتج من هذه البحوث قاعدة فلسفية، و هى انّ كلّ ما يتحقّق فى أكثر من مقولة فهو لا يدخل تحت مقولة خاصة، فالحركة بما انّها

تذكرة الأعيان، ص: ۴۴۷

تتحقق فى أزيد من مقولة واحدة لا يمكن تحديدها بمقولة من المقولات، ثمّ إنّه عطف على ذلك «العلم» و «الوحدة».

فالعلم كما يتعلّق بالكيف يتعلق بالكم كما يتعلّق بالجوهر فمثل ذلك لا يمكن تحديده بحدّ خاص و جعله تحت مقولة خاصة، و هكذا الحال فى حقيقة «الوحدة» فى الواجب و الممكن، فهذه القاعدة و إن أشار إليها الحكيم السبزوارى فى مبحث الوجود الذهنى و لكنّه لم يطرحها كقاعدة فلسفية شاملة.

ه- التقريب بين الفلسفتين: الإسلامية و الغربية أنّ المسائل الفلسفية التى أقام دعائمها ديكارت، كانت، هيجل و غيرهم من عباقرة الغرب عبارة عن مسائل عامة لا تختص بعلم دون علم بل تَعُدّ نتائج كلية لجميع العلوم.

و أمّا الفلسفة الإسلامية فهى تعتمد على البراهين العقلية المستمدة من الأُمور البديهية و لا تعتمد فى إثبات قواعدها على نتائج العلوم أبداً، و لذلك تراءت الفلسفتان كأنّهما فلسفتان متباينتان ليس بينها صلة، و لكن الأُستاذ نجح فى تقريب الفلسفتين فى المسائل و الغايات على وجه حصل التقارب بين الفلسفتين، و يظهر ذلك من خلال قراءة كتابة «أُصول الفلسفة الإسلامية».

و ليس هذا أمراً غريباً فقد قام قبله صدر المتألهين بمحاولات للتقريب بين الفلسفة المشائية و الإشراقية و التى تعتمد الأولى على البرهان و اليقين، و الثانية على الكشف و الشهود من خلال تهذيب النفس، فقد جمع صدر المتألهين بين الفلسفتين كما انّه نجح فى الجمع بينهما و بين ما جاء فى الكتاب و السنّة.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۴۸

۳- العلّامة الطباطبائی و الأخلاق و العرفان

كان السيد الطباطبائی مفكّراً كبيراً و كان لتفكيره أبعاد مختلفة، و قد وقفت على بُعْده فی التفسير و الفلسفة فهلمّ معی نتناول البعد الثالث من أبعاد شخصيته الذی هو البعد العرفانی و الأَخلاقی.

فقد درس العرفان النظری من خلال كتاب «تمهيد القواعد» لابن تركة، و «الفتوحات» لمحيی الدين ابن عربی، و «شرح الفصوص» للقيصری إلی أن بلغ القمة فی العرفان النظری و لكنّه ضم إليه العرفان العملی بتهذيب النفس و التقوی، و هو يروی كيفية صلته بأُستاذه فی ذلك الفن.

يقول: هبطت النجف الأَشرف و لم أكن أشارك بعدُ فی درس من الدروس، طرق ذات يوم البابَ طارق و إذا بالعارف الكبير السيد علی القاضی الطباطبائی، فدخل البيت و جلس فی زاوية من الغرفة، ثمّ قال: انّ من يهبط النجف الأَشرف لطلب العلم يجب أن يتزامن سعيه مع تهذيب النفس و تكميلها، قال: تلك الجملة و ترك البيت، و قد أوجد كلامه هذا شوقاً كبيراً فی قلبی و رغبة ملحّة إلی متابعة إرشاداته و نصائحه.

و بلغ فی تهذيب النفس علی يد ذلك العارف مقاماً شامخاً تمكن من خلالها رؤية الحقائق الغائبة عن الحس.

فنقل يوماً انّه كان جالساً بعد إقامة صلاة الصبح فإذا تمثّل امامه النبی إدريس- عليه السلام- و رأيت انّه كان يتكلّم مع أخی الحكيم السيد حسن الإِلهی و كنت أفهم ما يلقيه النبی إدريس عن طريق أجوبة أخی.

و قد كان له من أمثال هذه المشاهدات أُمور يبخل بذكرها إلّا لمن وجده أهلًا لها.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۴۹

۴- العلّامة الطباطبائی و الفقه و الأُصول

إنّ السيد الطباطبائی خاض فی العلوم النقلية كما خاض فی العلوم العقلية، و قد طوی من عمره الشريف مدّة مديدة فی دراسة الفقه و الأُصول لدی عباقرة الفقه و أساتذته كالميرزا النائينی و الشيخ محمد حسين الأصفهانی و السيد أبو الحسن الأصفهانی، و ترك أثراً فی الأصول و هو «التعليقة علی الكفاية» ألّفها عام ۱۳۶۸ عند دراسة الأصول علی يد لفيف من الفضلاء، و كان يُدرِّس كتاب الصوم بصورة استدلالية فی الحوزة العلمية، و مع ذلك ترك دراسة ذينك العلمين و اشتغل بما هو الواجب من دراسة التفسير و الفلسفة و ذلك لوجود مدرسين كبار فی الفقه و الأُصول.

۵- العلّامة الطباطبائی و الرياضيات و الهيئة

قد سبق منّا القول بأنّ السيّد الأُستاذ قد درس الرياضيات و الهندسة المسطّحة و الفضائيّة و الجبر الاستدلالی فی النجف الأَشرف علی يد السيد أبی القاسم الخونساری بايصاء من قبل أُستاذه فی الحكمة و الفلسفة السيد حسين البادكوبی، و أكّد علی أنّ تعلم تلك العلوم يهب الذهن استعداداً خاصاً فی إقامة البرهان كما انّه جمع بين الهيئتين القديمة و الحديثة و قد قرأ شرح الچغمينی و تشريح الأَفلاك فی الهيئة القديمة كما قرأ هيئة «فانديك» فی الهيئة الجديدة، و مع ذلك لم تكن صلته منقطعة بالهيئة الجديدة حسب تطورها.

۶- العلّامة الطباطبائی و الأَدب العربی

قد أتقن السيد الطباطبائى القواعد الأدبية إتقاناً رصيناً تعرب عنه كتاباته باللغة العربية و ما أكثرها، فإنّ قلم الأستاذ و إن كان غير خال عن نوع من التعقيد

تذكرة الأعيان، ص: ۴۵۰

شأن نوابغ العالم كالشيخ الرئيس و غيره إلّا أنّه كان يستخدم القواعد العربية فى إنشائه و يأخذ بناصية اللغة، فيستعملها فى مقالاته.

و من عجيب الشيء أنّ له منظومات متنوعة فى الصرف و النحو و المعانى و البيان و البديع غير انّ الزمان عبث بها و لم يبق إلّا الأخير، و كانت له يد طولى فى الأدب الفارسى و تدلك على براعته قصائدُه و غزلياته المعروفة و المنتشرة و ليس المقام مناسباً لنقلها.

۷- العلّامة الطباطبائى و الحكومة الإسلامية

إنّ العلّامة الطباطبائى هو تلميذ الميرزا النائينى الذى ألّف كتاب «تنبيه الأُمّة» و هو أوّل كتاب نشر فى القرن الرابع عشر فى الأوساط الشيعيّة حول لزوم تطبيق الشريعة الإسلامية على الصعيد العملى من خلال تأسيس دولة إسلامية تأخذ على عاتقها القيام بتلك المسئولية، و لذلك نرى انّ التلميذ تبع الأُستاذ فبحث بحثاً مسهباً فى الحكومة الإسلامية عند تفسير قوله سبحانه: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا وَ اتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) «۱».

و هذا البحث مشحون بالبحوث التالية: ۱- الإنسان و المجتمع.

۲- الإنسان و نموّه الاجتماعى.

۳- الإسلام و العناية بالمجتمع.

۴- الإسلام و تنظيم علاقة الإنسان بالمجتمع.

۵- الإسلام و سننه الخالدة.

---

(۱) آل عمران: ۲۰۰.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۵۱

۶- مقومات المجتمع الإسلامى.

۷- منطق التعقل و منطق الإحساس.

۸- الأجر الأُخروى لا يهدف إلى الاعراض عن الدنيا.

۹- الإسلام و الحرية الاجتماعية.

۱۰- سُبل تكامل المجتمع الإسلامى.

۱۱- الإسلام و سعادة المجتمع.

۱۲- خصوصيات الحاكم الإسلامى.

۱۳- الحدود العقائدية للدولة الإسلامية.

۱۴- الإسلام مذهب اجتماعى.

۱۵- الدين الحقّ هو الغالب «۱».

و قد طرح الأُستاذ فى هذه البحوث الأسس الواقعية للحكومة الإسلامية، و لم يقتصر على ما ذكره فى كتاب الميزان بل ألّف رسالة باللغة الفارسية فى ذلك المضمار و طبعت تحت عنوان «مرجعيت و روحانيت».

ملامح شخصيته

اشارة

كان السيد الأُستاذ يتمتع بخصوصيات روحية و معنوية عالية نشير إلى بعضها: ١- كان السيد حريصاً على حفظ المفاهيم الإِسلامية و صيانتها عن التصرّف فيها لغاية تطبيقها على مناهج فلسفية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو أخلاقية،

---

(١) الميزان: ۴ ١٣٢- ٩٢.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۵٢

كما هو الرائج عند الجُدَد من الكُتّاب و نلمس تلك الخصوصية بوضوح فى كتابه الميزان فى عامة أجزائه، و لذلك يناقش نظريات المفسر المصرىّ «عبده» فى تأويله لآيات الذكر الحكيم فيما يرجع إلى عالم الغيب حيث يحاول تطبيقها على المحسوسات من القوى الطبيعية «١».

كما حاور الأُستاذ مفكراً هندياً حاول أن يثبت أنّ النبوة من شئون النبوغ، و انّ الأَنبياء هم النوابغ القلائل غير انّهم نسبوا رسالاتهم إلى السماء بغية الحصول على تأييد المجتمعات و دعمها، و نال ذلك الحوار يومذاك صدىً واسعاً أعقبه تأليف الأُستاذ رسالة طبعت تحت عنوان «وحى يا شعور مرموز».

و تصدى السيد إلى نقد المحاولات المبذولة من قبل المتأثرين بالمناهج الغربية فى محاولة التصرف فى الأصول الإِسلامية بنحو تنطبق على المناهج الغربية الالحادية لا سيما فى مجال الاقتصاد و العقائد، و كلّ ذلك يشكل خطراً على الإِسلام و المسلمين.

٢- ولاؤَه لأَهل البيت- عليهم السلام- كيف و هو وليد ذلك البيت، و يظهر ولاؤَه بوضوح من خلال تفسيره الميزان حينما يصل إلى تفسير الآيات النازلة فى أئمّة أهل البيت- عليهم السلام- فيشرحها بوضوح و يدعمها بأحاديث مروية فى الصحاح و المسانيد، كما انّه يحاول فيما ورد عنهم من الروايات فى تفسير الآيات أن يرشد القارئَ إلى ما يدل على مضمون الحديث فى الآية.

و كان يشارك فى مجالس العزاء لأَئمّة أهل البيت و دموعه تذرف على وجناته، و له قصائد رائعة باللغة الفارسية فى مدحهم و مراثيهم.

---

(١) لاحظ الميزان، ج ١، الآيات ٣٠ ٣٨ من سورة البقرة.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۵٣

منزلته عند المرجع الأَعلى السيد البروجردى

حظا السيّد الطباطبائى بمنزلة رفيعة عند كثير من علماء عصره و مراجع وقته، لا سيما السيد البروجردى مرجع الطائفة آن ذاك، حيث كان ينظر إليه بعين ملوها الاحترام و التكريم، و يشيد بتفسير «الميزان» و كان حريصاً على قراءة أجزائه التى تطبع تباعاً، و أودّ أن أنقل حادثة تاريخية شاهدتها بأُم عينى و هى: حضر عام ١٣٧٩ ه الأَمين العام لمؤتمر مكافحة المواد الكحولية التابعة لمنظمة الأُمم المتحدة مجلس السيد البروجردى، و كان المجلس غاصّاً بالعديد من علماء الحوزة العلمية و من بينهم السيد الطباطبائى، فخاطب الأَمين العام السيد البروجردى، قائلًا: سيُعقد مؤتمر دولى لمكافحة الكحول فى «انقرة» بعد بضعة أشهر و يشارك فيها العديد من الخبراء من كافة بلدان العالم، و ممّا لا شكّ فيه انّ الإِسلام حرّم الخمر و الكحول و حرم تعاطيها، و نريد أن نقف على الدواعى التى أدت إلى

التحريم، و لو تفضل سماحتكم على بيانها لكنّا شاكرين.

فأجاب السيد بجواب موجز و قال: الإنسان يتميز عن سائر الحيوانات بالعقل، و المسكر يزيل العقل و يضاده.

و هذا الجواب على الرغم من إيجازه أثارت دهشة الأمين العالم و إعجابه ثمّ طرح سؤالًا آخر.

و قال: ما تفضلتم به يرجع إذا تناول الكثير دون القليل مع أنّ الإسلام حرّم كثيره و قليله؟ فأجاب سماحة السيد، و قال: الإنسان طموح لا يقتنع بالقليل، فإذا أُجيز له القليل فسوف يبتغي الكثير و يؤول إلى الإدمان على الشرب.

و هذه الأجوبة المقنعة الموجزة نالت إعجاب الأمين العام و مرافقيه مما حدا

تذكرة الأعيان، ص: ۴۵۴

به إلى طرح موضوع آخر و قال: لو تفضلتم بكتابة رسالة تُبيّن فيها تلك الدواعي و نحن على استعداد لقراءتها في المؤتمر.

فعندئذ نظر السيد البروجردي إلى من حوله فوقع نظره على السيد الطباطبائي، و قال: إنّ السيد الطباطبائي من علماء الإسلام مؤلف تفسير القرآن الكريم هو جدير بكتابة رسالة في ذلك المضمار.

هكذا كان السيد البروجردي يولي اهتماماً كبيراً بالسيد الطباطبائي، و من حسن الحظ أنّه ألّف رسالة في ذلك الموضوع و بعثها إلى المؤتمر.

البصمات التي تركها على الفكر الشيعي

تتجلى شخصية الإنسان بأعماله و آثاره التي يتركها في جيله، و قد ترك السيّد الطباطبائي بصمات واضحة على الفكر الشيعي و أوجد تحولا جذرياً في الجامعة الإسلامية و نحن نشير إلى أهمّها: ۱- وضع أسسا بديعة لتفسير القرآن الكريم حتى صار أُسوة للآخرين.

۲- إشاعة التفكير الفلسفي في الأوساط العلمية.

۳- السعي في تبيين المسائل الفلسفية بصورة واضحة و ملموسة.

۴- السعي في نشر آثار أئمّة أهل البيت- عليهم السلام- و الحث على مطالعتها بدقة و إمعان كما شارك في تحشية «بحار الأنوار» في طبعتها الجديدة إلى الجزء الخامس إلى أن عاقته العوائق عن الإكمال.

و «ايمن اللّه» لو تمّ المشروع لكان كنزاً ثميناً للشيعة الإمامية.

۵- الجمع بين الحقائق القرآنية و ما أُثر عن أئمّة أهل البيت في تفسير

تذكرة الأعيان، ص: ۴۵۵

الآيات، فقد قام باستخراج ما جاء في الروايات حول تفسير الآيات بعد الإمعان فيها عن نفسها.

۶- إشاعة الفكر الشيعي في العالم، من خلال اللقاءات التي كان يجريها مع الشخصيات العالمية و مراسلتهم.

۷- صبُّ الاهتمام لحلّ مشكلات الآثار.

۸- الحثُّ على تهذيب النفس و تربية جيل مؤهّل إلى كسب الفضائل الأخلاقية.

۹- تربية شخصيات علمية و فكرية عديدة بين مدرس و مفكر فهم عطائهم العلمي.

۱۰- الآثار العلمية و التآليف القيمة و هي بين مطبوع و غير مطبوع، و إليك سرداً لأسماء الآثار العلمية التي خلفها و التي أصبحت مثار اهتمام العلماء و المفكرين.

أ- الميزان في تفسير القرآن: في عشرين جزءاً و قد ترجم إلى اللغة الفارسية في ۴۰ جزءاً كما ترجم إلى لغات أُخرى.

ب- أُصول الفلسفة: دراسة المسائل الفلسفية مقارنة مع الفلسفة الغربية في خمسة أجزاء، و علّق عليها الشهيد السعيد العلّامة المطهّري و نال الكتاب اهتماماً واسع النطاق و قد قمتُ بترجمة الجزء الأوّل منه إلى اللغة العربية و أرجو من اللّه سبحانه أن يوفقني إلى ترجمة

الأجزاء الباقية.

ج- تعاليق الاسفار: و قد طبعت معها طرح فيها أفكاراً أبكاراً.

د- بداية الحكمة: و اسمه يحكى عن مسمّاه، ألّفه للمبتدئين فى دراسة الفلسفة.

تذكرة الأعيان، ص: ۴۵۶

ه- نهاية الحكمة: كتاب دراسى جامع للمسائل الفلسفية بأحدث أُسلوب.

و- تعليقة على الكفاية: تعليقة موجزة على الجزءين منها، فرغ عنها عام ۱۳۶۸ و هى مطبوعة.

ز- الرسائل التوحيدية: و هى رسائل أربع بالنحو التالى: رسالة التوحيد، رسالة الأَسماء، رسالة الافعال، رسالة الوسائط كتبها فى قرية شادباد من أعمال تبريز.

و قد طبعت عام ۱۴۱۵ ه فى مؤَسسة النشر الإِسلامى.

ح- الرسائل السبع: مجموعة تحتوى على رسائل فلسفية: ۱- البرهان، ۲- المغالطة، ۳- التركيب، ۴- التحليل، ۵- الاعتباريات، ۶ المنامات و النبوات، ۷- القوة و العقل، و الرسالة الأَخيرة تشتمل على عشرة فصول، تتضمن نحواً من خمس و سبعين مسألة.

فرغ من تأليفها فى جمادى الآخر من شهور عام ۱۳۷۳ و طبعت عام ۱۴۰۴ ه.

تلاميذه و خريجو منهجه

لقد مارس الأُستاذ الدراسة و التدريس طيلة عمره و أكبّ عليها خصوصاً عند ما نزل قم و ظل فيها حوالى ۳۵ سنة فتلمذ عليه لفيف من العلماء الكبار نشير إلى أسماء بعضهم: ۱- الشيخ مرتضى المطهّرى، ۲- الشيخ حسينعلى المنتظرى، ۳- السيد محمّد البهشتى، ۴- السيد موسى الصدر، ۵- الشيخ ناصر مكارم الشيرازى، ۶- السيد جلال الدين الآشتيانى، ۷- السيد محمد حسين الطهرانى، ۸- السيد عزّ الدين الزنجانى، ۹ السيد محمد باقر الابطحى، ۱۰- السيد محمد

تذكرة الأعيان، ص: ۴۵۷

على الابطحى، ۱۱- الشيخ حسين النورى، ۱۲- السيد مهدى الروحانى، ۱۳- الشيخ حسن زاده الآملى، ۱۴- الشيخ عبد اللّه جوادى الآملى، ۱۵- الشيخ أبو طالب تجليل التبريزى، ۱۶- الشيخ عبد الحميد الشربيانى، ۱۷- الشيخ إبراهيم الامينى، ۱۸ الشيخ يحيى الأَنصارى، ۱۹- السيد عبد الكريم الأَردبيلى، ۲۰- الشيخ عباس الإيزدى الأصفهانى، ۲۱- الشيخ محمد المفتح، ۲۲- الشيخ على الميانجى، ۲۳- الشيخ محمد تقى المصباح، ۲۴- و أقلّهم جعفر السبحانى.

إلى غير ذلك من شخصيات كبار حضروا درسه و انتهلوا من معين علمه رحم اللّه الماضين منهم و حفظ اللّه الباقين.

هذه لمحة خاطفة عن حياة و سيرة أُستاذنا الراحل إمام المفسّرين و أُستاذ المفكّرين.

فسلام عليه يوم ولد و يوم مات و يوم يبعث حيّاً حرّر فى الخامس عشر من شهر رمضان المبارك يوم ميلاد الامام الطاهر الحسن المجتبى- عليه السلام من شهور عام ۱۴۱۹ ه.

و الحمد للّه رب العالمين

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ

كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹